



١٢/٤

نقد النفس السليمة

المسمى

أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لخاتمة المحققين وإمام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العبادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١

الجزء الرابع

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير
الشيخ حسن محمد المسعودي

المدرس بالقسم العالي بالأزهر
الاستاذ

محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة الحسينية بمصر

بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٧ هجرية — سنة ١٩٢٨ ميلادية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج

v. 4-5

﴿ مكية الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحيد . وهي ثمان وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ۖ خُطَابُ يَعْمُ حُكْمُهُ الْمُكَلِّفِينَ عِنْدَ النَّزُولِ وَمَنْ سَيَنْتَظِمُ فِي سُلُوكِهِمْ بَعْدَ مَنْ الْمَوْجُودِينَ الْقَاصِرِينَ عَنِ رُتْبَةِ التَّكْلِيفِ وَالْحَادِثِينَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَنْ كَانَ خُطَابُ الْمَشَافِةِ مَخْتَصًا بِالْفَرِيقِ الْأَوَّلِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي مَرَّ تَقْرِيرُهُ فِي مَطَاعِ سُورَةِ النَّسَاءِ وَلَفْظُ النَّاسِ يَنْتَظِمُ الذِّكْرُ وَالْإِنَاثُ حَقِيقَةً وَأَمَّا صِغَةُ جَمْعِ الْمَذْكُورِ فَوَارِدَةٌ عَلَى نَهْجِ التَّغْلِيْبِ لِعَدَمِ تَنَاوُلِهَا لِلْإِنَاثِ حَقِيقَةً إِلَّا عِنْدَ الْحَنَابِلَةِ وَالْمَأْمُورُ بِهِ مُطْلَقُ التَّقْوَى الَّذِي هُوَ التَّجَنُّبُ عَنْ كُلِّ مَا يُؤْثِمُ مِنْ فِعْلٍ وَتَرْكِ وَيَنْدَرِجُ فِيهِ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ حَسْبِهَا وَرَدُّهُ الشَّرْعُ أَنْدَرَجَا أَوَّلِيًّا وَالتَّعَرُّضُ لِعُنْوَانِ الرُّبُوبِيَّةِ الْمُنْبِثَةِ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ وَالتَّرْتِيبُ مَعَ الْإِضَافَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ لِتَأْيِيدِ الْأَمْرِ وَتَأْكِيدِ إِيْجَابِ الْأَمْتِثَالِ بِهِ تَرْهِيْبًا وَتَرْغِيْبًا أَيْ أَحْذَرُوا عَقُوبَةَ مَالِكِ أُمُورِكُمْ وَمَرِيئِكُمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ أَنْ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ تَعْلِيلٌ لِمَوْجِبِ الْأَمْرِ بِذِكْرِ بَعْضِ عَقُوبَاتِهِ الْهَائِلَةِ فَإِنَّ مَلَا حِظَةَ عَظَمَتِهَا وَهُوَ لَهَا وَفَضَاعَةُ مَا هِيَ مِنْ مَبَادِيهِ وَمَقْدَمَاتِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَهْوَالِ الَّتِي لَا مَلْجَأَ مِنْهَا سِوَى التَّدَرُّعِ بِلِبَاسِ التَّقْوَى مِمَّا يَوْجِبُ مَزِيدَ الْإِعْتِنَاءِ بِمَلَابَسَتِهِ وَمَلَا زِمَتِهِ لَا حَالَةَ وَالزَّلْزَلَةُ التَّحْرِيكُ الشَّدِيدُ وَالْإِزْعَاجُ الْعَنِيفُ بِطَرِيقِ التَّكْرِيرِ بَحِثٌ يَزِيلُ الْأَشْيَاءَ مِنْ مَقَارِهَا وَيُخْرِجُهَا عَنْ مَرَاكِزِهَا وَإِضَافَتُهَا إِلَى السَّاعَةِ أَمَّا إِضَافَةُ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ عَلَى الْمَجَازِ الْحَكْمِيِّ كَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَزَلْزِلُ الْأَشْيَاءَ أَوْ إِضَافَتُهُ إِلَى الظَّرْفِ أَمَّا بِأَجْرَائِهِ مَجْرَى الْمَفْعُولِ بِهِ اتِّسَاعًا أَوْ بِتَقْدِيرِهِ فِي كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا زَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهَا تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ قِيَامُهَا وَعَنْ عَلْقَمَةَ وَالشَّعْبِيِّ أَنَّهَا قَبْلُ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِضَاقَتُهَا إِلَى السَّاعَةِ حِينَئِذٍ لَكُونِهَا مِنْ أَشْرَاطِهَا وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهَا بِالشَّيْءِ إِذْ بَانَ الْعُقُولُ قَاصِرَةٌ عَنْ ادْرَاكِ كُنْهَاتِهَا وَالْعِبَارَةُ ضَيْقَةٌ لَا تَحِيطُ بِهَا إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْإِبْهَامِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ مُتَّصِبٌ بِمَا بَعْدَهُ قَدَمٌ عَلَيْهِ اهْتِمَامًا بِهِ وَالضَّمِيرُ لِلزَّلْزَلَةِ أَيْ وَقْتُ رُؤْيَيْكُمْ إِيَّاهَا وَمَشَاهِدَتِكُمْ لَهْوَلِ مَطْلَعِهَا ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ﴾ أَيْ مَبَاشَرَةً لِلْأَرْضِ رَضَاعٍ ﴿ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ أَيْ تَغْفُلُ وَتَذْهَلُ مَعَ دَهْشَتِهِ عَمَّا هِيَ بِصَدَارِضَاعِهِ مِنْ طِفْلِهَا الَّذِي أَلْقَمَتْهُ ثَدْيِهَا وَالتَّعْبِيرُ عَنْهُ بِمَادُونٍ مِنْ لَتَأْكِيدِ الذَّهْوَلِ وَكَوْنِهِ بَحِثٌ لَا يَخْطُرُ بِإِلْهَائِهِ مَا ذَا لَا أَنَّهَا تَعْرِفُ شَيْئِيَّتَهُ لَكِنْ لَا تَدْرِي مَنْ هُوَ بِخُصُوصِهِ وَقِيلَ مَا مَصْدَرِيَّةٌ أَيْ تَذْهَلُ عَنْ أَرْضَاعِهَا وَالْأَوَّلُ أَدْلٌ عَلَى شِدَّةِ الْهَوْلِ وَكُلُّ الْإِزْعَاجِ وَقُرِئَ تَذْهَلُ مِنَ الْإِذْهَالِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ أَوْ مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ مَعَ نَصْبِ كُلِّ أَيْ تَذْهَلُهَا الزَّلْزَلَةُ ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ﴾ أَيْ تَلْقَى جَنِينَهَا الْغَيْرَ تَمَامًا كَأَنَّ الْمُرْضِعَةَ تَذْهَلُ عَنْ وَلَدِهَا الْغَيْرِ فَطَامَ وَهَذَا ظَاهِرٌ عَلَى قَوْلِ عَلْقَمَةَ وَالشَّعْبِيِّ وَأَمَّا عَلَى مَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ قِيلَ أَنَّهُ تَمَثِيلٌ لِهَوْلِ الْأَمْرِ وَفِيهِ أَنَّ الْأَمْرَ حِينَئِذٍ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ وَأَهْوَلُ مِمَّا وَصَفَ وَأُطْمَ وَقِيلَ أَنْ ذَلِكَ يَكُونُ عِنْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ فَانْهَمَ يَقُومُونَ عَلَى مَا صَعَقُوا فِي النَّفْخَةِ الْأُولَى فَتَقُومُ الْمُرْضِعَةُ عَلَى أَرْضَاعِهَا وَالْحَامِلُ عَلَى حَمْلِهَا وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ قِيَامَ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ لَا قَبْلَهَا حَتَّى يَتَصَوَّرَ مَا ذَكَرَ ﴿ وَتَرَى النَّاسَ ﴾ بِفَتْحِ التَّاءِ وَالرَّاءِ عَلَى خُطَابِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ بِرُؤْيَةِ الزَّلْزَلَةِ وَالْإِخْتِلَافِ بِالْجَمْعِ وَالْأَفْرَادِ أَلَّا أَنَّ الْمُرْتَبِعَ

في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرتضى لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى الخ وانما أثر عليه ما في التنزيل للايدان بكال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على أحد أي يراهم كل أحد (سكارى) أي كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فيرقهم هولاء ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرى ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب أي تظنهم سكارى وقرى برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرى ترى بضم التاء وكسر الراء أي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرى سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر بحرى العلل (ومن الناس) كلام مبتدأ جى به اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى أو بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا أي وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس (من يجادل في الله) أي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى (بغير علم) حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر بها المجادلة من الجهل أي ملابسا بغير علم. روى انها نزلت في النضرين الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولا ضرابه من العتاة المتمردين (ويتبع) أي فيما يتعاطاه من المجادلة أو في كل ما يأتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك (كل شيطان مرید) عات متهم متجرد للفساد وأصله العري المنبى عن التحض له كالشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والماسد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى (كتب عليه) أي على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى (أنه) فاعل كتب والضمير للشأن أي رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن (من تولاه) أي اتخذه وليا وتبعه (فأنه يضل) بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أي من تولاه فشأنه أنه يضل عن طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أنه يضل قطعلا وقيل فأنه معطوف على أنه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمثل والتأويل وقرى فانه بالكسر على أنه خبر لمن أو جواب لها وقرى بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان أو على اضمار القول أو تضمين الكتب معناه على رأى من يراه (ويهديه الى عذاب السعير) بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات (يا أيها الناس) اثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم وأشير الى ما يؤول اليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث (ان كنتم في ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا له تعالى أو من وقوعه وقرى من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التذكير المنبى عن القلة مع أنهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايتار ما عليه النظم الكريم على أن يقال ان ارتبتم في البعث فقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا (فانا خلقناكم) أي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم أي خلقنا كل فرد منكم (من تراب) في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت نموذجا منظويا على فطرة

سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجرى ان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ﴿ثم من نطفة﴾ أى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة أى من منى من النطف الذى هو الصب ﴿ثم من علقه﴾ أى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى ﴿ثم من مضغة﴾ أى قطعة من اللحم متكونة من العلقه وهى فى الاصل مقدار ما يمتنع ﴿مخلقة﴾ بالجر صفة مضغة أى مستبينة الخلق مصورة ﴿وغير مخلقة﴾ أى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شئ من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادئ البعيدة الى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما أخرت عنها لانها عدم الملصكة هذا وقد فسر تابا لمساواة وغير المساواة بالتامة والساقطة وليس بذلك وفى جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدءا لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة الآية مز يد دلالة على عظيم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم ﴿لنبين لكم﴾ متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيف أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التى من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجى تأملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بأن من قدر على خلق البشر أولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصريفه فى أطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو أهون فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرى ليين بطريق الالتفات وقوله تعالى ﴿ونقر فى الارحام ما نشاء﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه فى سلك الخلق المعلن بالتبيين مع كونهما من متماته ومن مبادئ التبيين أيضا لما أن دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التى من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أى ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها ﴿الى أجل مسمى﴾ هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين وفيه اشارة الى أن بعض ما فى الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للزلازل لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه أطوار الخلق وهذا صريح فى أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا أو معيبا وأن ما فصل الى هنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرى يقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ﴿ثم نخرجكم﴾ أى من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى ﴿طفلا﴾ أى حال كونكم أطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم أو بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرى يخرجكم بالياء وقوله تعالى ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل والتميز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مغل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرى ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغية فهو حيثئذ عطف على نبين مثلها والمعنى خلقناكم على التدرج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احدهما أن نبين شؤوننا والثانية أن نقركم فى الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا أشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للايدان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار بأصالتها فى الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة والشقاوة واشار البلوغ مسندا الى مخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالأفعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والأفعال والأشد من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالأسدة والقنود وكأنها حين كانت شدة فى غير شئ

بنيت على لفظ الجمع ﴿ومنكم من يتوفى﴾ أى بعد بلوغ الأشد أو قبله وقرئ يتوفى مبنيًا للفاعل أى يتوفاه الله تعالى ﴿ومنكم من يرد الى أرذل العمر﴾ وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وإيراد الرد والتوفى على صيغة المبني للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعين الفاعل ﴿لكيلا يعلم من بعد علم﴾ أى علم كثير ﴿شيئاً﴾ أى شيئاً من الأشياء أو شيئاً من العلم مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله أى ليعود الى ما كان عليه فى أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى ﴿وترى الارض هامدة﴾ حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهى بصرية وهامدة حال من الارض أى ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رماداً ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ أى المطر ﴿اهتزت﴾ تحركت بالنبات ﴿وربت﴾ انتفخت وازدادت وقرئ ربت أى ارتفعت ﴿وأنبئت من كل زوج﴾ أى صنف ﴿بهيج﴾ حسن رائق يسر ناظره ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ كلام مستأنف جئ به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانسائي والنباتى لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ما ينكرون وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التى يشاهدونها فى الأنفس والآفاق ومبادئ صدورها عنه تعالى وفيه من الايدان بقوة الدليل وأصالة المدلول فى التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقيق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهية العقول والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لاحتماله لكونه لذاته لا الثابت مطلقاً وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على أطوار مختلفة وتصريفه فى أحوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايدان ببعد منزلته فى الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور رأى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده فى ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء ﴿وأنه يحيى الموتى﴾ أى شأنه وعادته احيائها وحاصله أنه تعالى قادر على احيائها بدءاً واعادة والا لما أحيا النطفة والارض الميتة مراراً بعد مرار وماتفيدة صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها ﴿وأنه على كل شئ قدير﴾ أى مبالغ فى القدرة والا لما أوجد هذه الموجودات الفاتية للحصر التى من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الأموات لزم اقتداره على احياء كلها فمنشأ الغفول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع فى محور المنكرين وتقديره لابرار الاعتناء به ﴿وأن الساعة آتية﴾ أى فيما سيأتى وايتار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لاحتماله وتعليله بأن التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبنى على ما ذكر من الغفول وقوله تعالى ﴿لاريب فيها﴾ اما خبر ثان لأن أو حال من ضمير الساعة فى الخبر ومعنى نفي الريب عنها أنها فى ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب فى اتيانها حسبما مر فى مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور ربالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها فى حيز السببية وكذا قوله عز وجل ﴿وأن الله يبعث من فى القبور﴾ لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفعاله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث ان كلا منهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتاملوا فى ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي

المبين وينالوا به السعادة الابدية . لولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من أحكام حقيقته تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ما قبله من أحكام حقيقته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيمًا كما أنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتي وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخاف ميغاده وقد وعد بالساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد وأنت خير بأن مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل إنما هو في سببيتها لما مر من خلق الانسان واحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وأن الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأن الله هو الحق الآيتين ﴿ ومن الناس من يجادل في الله ﴾ هو أبو جهل بن هشام حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما أن الاول من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضل المغوى على الاطلاق ﴿ بغير علم ﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل أى كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى ﴿ ولا هدى ﴾ هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادى الى المعرفة ﴿ ولا كتاب منير ﴾ وحي مظهر للحق أى يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعى كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وأما ما قيل من أن المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتهديد لما بعده من بيان أنه لا سند له من استدلال أو وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وأن وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغنى عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلى والسمعى ﴿ ثانى عطفه ﴾ حال أخرى من فاعل يجادل أى عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثنى العطف كناية عن التكبر وقرىء بفتح العين أى مانعا لتعطفه ﴿ ليضل عن سبيل الله ﴾ متعلق يجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بأنه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثنية على الضلال أو الزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرىء بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجذاله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذى لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك ﴿ له في الدنيا خزى ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة أى ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار ﴿ ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ﴾ أى النار المحرقة ﴿ ذلك ﴾ أى ما ذكر من العذاب الدنيوى والاخرى وما فيه من معنى البعد للايدان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفضاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ بما قدمت يداك ﴾ أى بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى واسناده الى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد وحل أن في قوله عز و علا ﴿ وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى والامر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغأقد مرتحققه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف ﴾ شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين أى ومنهم من يعبد الله تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى ينحرف الى طرف الجيش فان أحس بظفر قر والافر ﴿ فان أصابه خير ﴾ أى دنيوى

من الصحة والسعة ﴿اطمأن به﴾ أى ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف ﴿وان أصابته فتنة﴾ أى شئ يفتن به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله ﴿انقلب على وجهه﴾ روى أنها نزلت في أعراب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهراسرياً وولدت امرأته ولداً سوياً وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيراً واطمأن وان كان الأمر بخلافه قال ما أصبت الا شراً وانقلب وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ان يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشام بالاسلام فأقنى النبي عليه الصلاة والسلام فقال أقنى فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفلة قلوبهم ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾ فقد هما وضعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرى خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصاً على خسارته وأعلى أنه خبر مبتدأ محذوف ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من الخسران ومافيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون ﴿هو الخسران المبين﴾ الواضح كونه خسراناً اذا خسران مثله ﴿يدعو من دون الله﴾ استئناف مبين لعظم الخسران أى يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى ﴿مالا يضره﴾ اذا لم يعبدته ﴿ومالا ينفعه﴾ ان عبده أى حماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ﴿ذلك﴾ الدعاء ﴿هو الضلال البعيد﴾ عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضلالاً عن الطريق ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ استئناف مسوق لبيان ما ل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالاً بعيداً مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة ففيه عنه بطريق التسيب أيضاً فالدعاء بمعنى القول واللام داخل على الجملة الواقعة مقولاً له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله تعالى ﴿لبئس المولى ولبئس العشير﴾ جواب لقسم مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده حماداً وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرّة للبالغة في تقييح حاله والامعان في ذمه أى يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاً وصرخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس صاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو الثانى إعادة الاول لا تأكيده كيداً له فقط بل وتمهيداً لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام أى يعبد من ضره أقرب من نفعه وإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به أيضاً والجملة القسمية مستأنفة ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات﴾ استئناف جى به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وأن الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريق المجاهرين والمذبذبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع بل يضرهم مضرّة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونّه مذمة تامة وقوله تعالى ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ صفة لجنات فان أريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجرى ان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى ﴿ان الله يفعل ما يريد﴾ تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أى يفعل البتة كل

ما يريد من الافعال المتقنة اللاتقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلّا ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة﴾ تحقيقاً لها وتقريراً لثبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه إيحاز بارع واختصار رائع والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعتة ببعض الأمور ومباشرة ما يرد من المكاييد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى أمره وعاقبة مكره أن يفتن حنقا بما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومبادئه ﴿فليمدد بسبب الى السماء﴾ فليمدد حبلا الى سقف بيته ﴿ثم ليقطع﴾ أى ليقطع من قطع اذا اختنق لأنه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر في قوله تعالى ﴿فلينظر هل يذهب كيد ما يغيظ﴾ تقدير النظر وتصويره أى فليصور في نفسه النظر هل يذهب كيد ذلك الذى هو أقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصر كلا ويجوز أن يراد فلينظر الآن أنه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجهد في دفع نصره ويأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الأمور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الأمور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لاسيما قطع الوحي فان فرض وقوعه نخل بالمرام قطعاً وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطنون ما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته تعالى فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة ولا يرد مرزوقا ﴿وكذلك﴾ أى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة ﴿أنزلناه﴾ أى القرآن الكريم كله وقوله تعالى ﴿آيات بينات﴾ أى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما أشير اليه بذلك ﴿وان الله يهدي﴾ به ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه ﴿من يريد﴾ هدايته أو تثبيته أو زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أى ولان الله يهدي من يريد أنزله كذلك أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى والامر أن الله يهدي من يريد هدايته ﴿ان الذين آمنوا﴾ أى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا ﴿والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس﴾ قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى شيئاً ومن دين اليهود شيئاً وهم القائلون بأن للعالم أصليين نوراً وظلمة ﴿والذين أشركوا﴾ هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ﴿ان الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ في حيز الرفع على أنه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملتين بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد أى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار الحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى ﴿ان الله على كل شئ شهيد﴾ تعليل لما قبله من الفصل أى عالم بكل شئ من الاشياء ومراقب لحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللاتق به عليه وقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يسجد له

من في السموات ومن في الارض) الحيات لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الإشارة الى كفيته
وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثريان ما يوجب من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي
من جملتها أحوالهم وأفعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل أحد من يتأتى منه الرؤية
بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه
بأكمل أفعال المسكف في باب الطاعة ايذانا بكونه في أقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجد الطاعة الخاصة بالعقلاء
سواء جعلت كلمة من عامة لغزهم أيضا وهو الانسب بالمقام لا فادته شمول الحكم لكل ما فيها بطريق القرار فيها أو
بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى ﴿والشمس والقمر والنجوم والجلال والشجر والدواب﴾ افرادا لها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة أو جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجد الطاعة لسكهم حسبما ينبغي عنه قوله تعالى
﴿وكثير من الناس﴾ فإنه مرتفع بفعل مضمحل يدل عليه المذكور أي ويسجد له كثير من الناس سجد طاعة وعبادة ومن
قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له
الثواب والاول هو الاول لمافيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز أن يكون من الناس خبرا له أي من الناس
الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى ﴿وكثير﴾ معطوفا على كثير الاول
للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس ﴿حق عليه العذاب﴾ أي
بكفره واستعصائه وقرئ ﴿حق بالضم وحقا أي حق عليه العذاب حقا﴾ ومن ين الله ﴿بأن كتب عليه الشقاوة
حسبا عليه من صرف اختياره الى الشر﴾ ﴿فقاله من مكرم﴾ يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على أنه مصدر ميمي
﴿ان الله يفعل ما يشاء﴾ من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة ﴿هذان﴾ تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما
عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله أي فريق المؤمنين وفريق
الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس ﴿خصمان﴾ أي فريقان مختصمان وانما قيل ﴿اختصموا في ربهم﴾ حملا
على المعنى أي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شأنه تعالى فان اعتقاد كل من
الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجرب بينهما
التحاور والخصام وقيل تخصصت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت ﴿فالذين كفروا﴾ تفصيل لما أجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة ﴿قطعت لهم﴾ أي قدرت على
مقادير جشهم وقرئ بالتخفيف ﴿ثياب من نار﴾ أي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلباسها ﴿يصب من
فوق رؤسهم الحميم﴾ أي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لوقطرت قطرة منها على جبال
الدنيا لاذت بها والجملة مستأنفة أو خبر ثان للوصول أحوال من ضمير لهم ﴿يصهر به﴾ أي يذاب ﴿ما في بطونهم﴾
من الامعاء والأحشاء وقرئ يصهر بالتشديد ﴿والجلود﴾ عطف على ما وتأخيره عنه اما مراعاة الفواصل أو للاشعار
بغاية شدة الحرارة بايها أن تأثيرها في الباطن أقدم من تأثيرها في الظاهر مع أن ملاستها على العكس والجملة حال
من الحميم ﴿ولهم﴾ للكفرة أي لتعذيبهم وأجلهم ﴿مقامع من حديد﴾ جمع مقمعة وهي آلة القمع ﴿كلما أرادوا
أن يخرجوا منها﴾ أي أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسب ما روى أنها تضربهم بلبسها فترفعهم حتى اذا كانوا
في أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وفيها سبعين خريفا ﴿من غم﴾ أي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتغال من الهاء

باعادة الجار والرابط محذوف كما أشير اليه أو مفعول له للخروج ﴿أعيدوا فيها﴾ أى فى قعرها بان ردوا من أعاليها الى
 أسافلها من غير أن يخرجوا منها ﴿وذوقوا﴾ على تقدير قول معطوف على أعيدوا أى وقيل لهم ذوقوا ﴿عذاب
 الحريق﴾ أى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ﴿ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
 تحتها الأنهار﴾ بيان لحسن حال المؤمنين اثريان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز
 وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واطهاراً لمزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على
 تحقق مضمون الكلام ﴿يحلون فيها﴾ على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلال بمعنى
 الالباس أى يحلبهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون من حلية المرأة اذا لبست حليتها ومن فى قوله تعالى ﴿من أساور﴾
 اما للتبويض أى بعض أساور وهى جمع اسورة جمع سوار أو للبيان لما أن ذكر التحلية مما ينبى عن الحلى المبهى وقيل زائدة
 وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون ﴿من ذهب﴾ بيان للأساور ﴿ولؤلؤا﴾ عطف على محل من
 أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أى يؤتون وقرئ بالجر عطفاً على أساور
 وقرئ لؤلؤا بقلب الهمزة الثانية واو اولوليا بقلبها ياء بعد قلبها واو اولوليا بقلبها ياء ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ غير
 الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لالدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل
 بل للايذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غنى عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان أن لباسهم ماذا
 بخلاف الأساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى
 تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس ﴿وهدوا الى الطيب من القول﴾ وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا
 الأرض تنبؤاً من الجنة الآية ﴿وهدوا الى صراط الحميد﴾ أى المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه
 الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل
 المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حيث أن ذكر الحمد
 يستدعى ذكر المحمود ﴿ان الذين كفروا يصدون عن سبيل الله﴾ ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو
 استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال
 من فاعل كفروا أى وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من ألحد فى الحرم حيث
 عوقب بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله بأشد من ذلك أحق وأولى ﴿والمسجد
 الحرام﴾ عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى ﴿الذى جعلناه للناس﴾ أى كائنا من كان
 من غير فرق بين مكى وآفاقى ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أى المقيم والطارى وسواء أى مستويا مفعول ثان
 لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادق عنه
 وقرئ سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل
 من الناس ﴿ومن يرد فيه﴾ مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه قيل ومن يرد فيه مراداً ما ﴿بالحاد﴾ بعدول
 عن القصد ﴿بظلم﴾ بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثانى بدل من الأول باعادة الجار أو صلة له أى ملحد بسبب
 الظلم كالاشراك واقتراف الآثام ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ جواب لمن ﴿واذ بآنا﴾ يقال بواه منزلاً أى أنزله
 فيه ولما لزمه جعل الثانى مباءة للأول قيل ﴿لأبراهيم مكان البيت﴾ وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما
 جعلناه أى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام أى مرجعاً يرجع اليه للعبادة والعبادة وتوجيه الأمر

بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في أصل الاستعمال أى أنزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوته حمراء فأعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على أسه التمديم روى أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوته حمراء ثم رفعت أيام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وقد أوردنا ما في هذا الشأن من الأقاويل في تفسير قوله تعالى واذا رفع ابراهيم القواعد من البيت وأن في قوله تعالى ﴿أن تشرك بي شيئاً﴾ مفسرة لبوأنا من حيث أنه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوته للعبادة أو مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في أوائل سورة هود أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العباد شيئاً ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾ أى وطهر بيتي من الأوثان والأقدار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرى يشرك بالياء ﴿وأذن في الناس﴾ أى ناد فيهم وقرى آذن ﴿بالحج﴾ بدعوة الحج والأمر به روى أنه عليه السلام صعد أباقيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب من سبق في علمه تعالى أن يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية ﴿يأتوك﴾ جواب للامر ﴿رجالا﴾ أى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرى بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كرجالى ﴿وعلى كل ضامر﴾ عطف على رجالا أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فنهله أو زاد هزاله ﴿يأتين﴾ صفة لضامر محمولة على المعنى وقرى يأتون على أنه صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس ﴿من كل فج﴾ طريق واسع ﴿عميق﴾ بعيد وقرى عميق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبد ﴿ليشهدوا﴾ متعلق بيأتوك لا بأذن أى ليحضروا ﴿منافع﴾ عظيمة الخطر كثيرة العدد أو نوعان المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى ﴿لهم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع أى منافع كائنة لهم ﴿ويذكروا اسم الله﴾ عند اعداد الهدايا والفضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايدان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه ﴿في أيام معلومات﴾ هى أيام النحر كما ينبى عنه قوله تعالى ﴿على ما رزقهم من بهيمة الانعام﴾ فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالهيمه تحرر يضا على التقرب وتذبيها على الذكر ﴿فكلوا منها﴾ التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه أمر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت أى فاذا ذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم ﴿وأطعموا البائس﴾ أى الذى أصابه بؤس وشدة ﴿الفقر﴾ المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول أيضا ﴿ثم ليقتضوا نقضهم﴾ أى ليؤدوا ازالة وسخهم وليحكموها بقص الشارب والاظفار وتنف الا بط والاستحداد عند الاحلال ﴿وليوفوا نذورهم﴾ ما يندرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرى بفتح الواو وتشديد الفاء ﴿وليطوفوا﴾ طواف الركن الذى به يتم التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ﴿بالبيت العتيق﴾ أى القديم فانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكأن من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل وأما الحجاج الثقفى

فإنما قصد اخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه ﴿ذلك﴾ أى الامر بذلك وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهى كلام واحد ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ أى أحكامه وسائر مالا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بوجبه وقيل الحرم وما يتعاق بالحج من التكليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام ﴿فهو خير له﴾ أى فالتعظيم خير له ثوابا ﴿عند ربه﴾ أى فى الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير من لتشريفه والاشعار بعلّة الحكم ﴿وأحلّت لكم الأنعام﴾ وهى الأزواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جىء به تقرير الما قبله من الأمر بالاكل والاطعام ودفعاً لما عسى يتوهم أن الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القليل بحمل الأنعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لثلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعاً لمراعاة حسن التخصيص الى ما بعده من قوله تعالى ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ فانه مترتب على ما يفيد قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الأنعام من دواعى التعاطى لا من مبادئ الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ تعميم بعد تخصيص فان عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الا شراك بالله تعالى ثلاثاً وتلاه هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالأفك المأخوذ من الأفك الذى هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية فى تلييتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ﴿حنفاء لله﴾ مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى ﴿غير مشركين به﴾ أى شيئاً من الأشياء فيدخل فى ذلك الأوثان دخولا أولياً وهما حالان من واو فاجتنبوا ﴿ومن يشرك بالله﴾ جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الاشراك وازهار الاسم الجليل لظهور كمال قبح الاشراك ﴿فكأنما خسر من السماء﴾ لأنه مسقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر ﴿فتخطفه الطير﴾ فان الأهواء المردية توزع أفكاره وقرى فتخطفه بفتح الحاء وتشديد الطاء وبكسر الحاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تخططفه ﴿أوتهموى به الريح﴾ أى تسقطه وتقذفه ﴿فى مكان سحيق﴾ بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأوللتخير كما فى أو كصيب أوللتنوع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلك نفسه هلاكاً شديداً بهلاك أحد الهالكين ﴿ذلك﴾ أى الأمر ذلك أو أمثلوا ذلك ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ أى الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبنى عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسناً سماناً غالبية الأئمان روى أنه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لآبى جهل فى أنفه برة من ذهب وأن عمر رضى الله عنه اهدى نجية طلبت منه بثلاثمائة دينار ﴿فانها﴾ أى فان تعظيمها ﴿من تقوى القلوب﴾ أى من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من أو فان تعظيمها ناشى من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها

مرا كرت تقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء (لكم فيها) أى في الهدايا (منافع) هي درها ونسلها وصوفها وظهرها (الى أجل مسمى) هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه (ثم محلها) أى وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية (الى البيت العتيق) أى الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزمانى أو الرتبى أى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها في النفع محلها أى وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق أى منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أى محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق أى منتهية اليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لأدنى ملازمة (ولكل أمة) أى لكل أهل دين (جعلنا منسكا) أى متعبدا وقرى بأن يتقربون به الى الله عز وجل وقرى بكسر السين أى موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أى لكل أمة من الأمم جعلنا منسكا لبعض دون بعض (ليذكروا اسم الله) خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكّر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام والخطاب في قوله تعالى (فأحكم الله واحد) لكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل الله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في الهيبة للكل والفاء في قوله تعالى (فله أسلوا) لترتيب ما بعدها من الأمر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الأمر للقصر أى فاذا كان الحكم الها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك (وبشر المحبتين) تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المتواضعين أو المخلصين فان الاخبار من الوظائف الخاصة بهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) منه تعالى لاشراق أشعة جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكليف ومؤانات النوائب (والمقيمين الصلاة) (والمقيمى الصلاة) فى أوقاتها وقرى بنصب الصلاة على تقدير النون وقرى والمقيمى الصلاة على الأصل (ومارزقناهم ينفقون) فى وجوه الخيرات (والبدن) بضم الباء وسكون الذال وقرى بضمها وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرى بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركتها البقرة فى الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلنا فى الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره (جعلناها لكم) وقرى بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى (من شعائر الله) أى من أعلام دينه التى شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى (لكم فيها خير) أى منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها (فاذكروا اسم الله عليها) بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) أى قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرى صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرى صوافنا ببدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرى صوافى أى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما فى قوله لعلى أرى باق على الحدثن (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الأرض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة يؤيده أنه قرى القنع أو السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى السؤال

﴿والمعتر﴾ أى المتعرض للسؤال وقرئ المعترى يقال عره وعرا وعا وعاثره واعتراه ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التسخير
 البديع المفهوم من قوله تعالى صواف ﴿سخرناها لكم﴾ مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى تأخذونها
 منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها ﴿لعلكم تشكرون﴾ لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب
 والاخلاض ﴿ان ينال الله﴾ أى ان يباغ مرضاته وان يقع منه موقع القبول ﴿لحومها﴾ المتصدق بها ﴿ولا دماؤها﴾
 المهرقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ﴿ولكن يناله التقوى منكم﴾ ولكن يصديه تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى
 الامثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاض له وقيل كان أهل الجاهلية يطلخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم
 به المسلمون فنزلت ﴿كذلك سخرها لكم﴾ تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى ﴿لتكبروا الله﴾ أى لتعرفوا
 عظمته باقداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحده بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح ﴿على ما هداكم﴾
 أى أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أى على هدايته اياكم أو على ما هداكم اليه
 وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر ﴿وبشر المحسنين﴾ أى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى أمور دينهم
 ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائهم
 بحيث لا يقدر على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى أداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لبراز الاعتناء التام بمضمونه
 وصيغة المفاعلة اما للبالغة أو للدلالة على تكرار الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما
 فى الممارسة أى يبالغ فى دفع غائلة المشركين وضربهم الذى من جلته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها
 عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى كلما أو قدوا نارا للحرب أطفأها
 الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ﴿ان الله لا يحب كل خوان كفور﴾ تعليل لما فى ضمن الوعد الكريم
 من الوعيد للمشركين وايدان بأن دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن البغض أى ان الله يبغض كل خوان
 فى أماناته تعالى وهى أو امره ونواهيه أو فى جميع الامانات التى هى معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان
 أنهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الحياة والكفر أو للبالغة فى نفي المحبة على اعتبار النفي أولا وايراد معنى المبالغة ثانيا
 ﴿أذن﴾ أى رخص وقرئ على البناء للفاعل أى أذن الله تعالى ﴿للذين يقاتلون﴾ أى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف
 لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبنى للفاعل أى يريدون أن
 يقاتلوا المشركين فيما سأتى ويحرسون عليه فدلالته على المحذوف أظهر ﴿بأنهم ظلموا﴾ أى بسبب أنهم ظلموا
 وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب
 ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فانى لم أؤمر بالقتال حتى هاجروا فأنزلت وهى أول آية نزلت
 فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية ﴿وان الله على نصرهم لقدير﴾ وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة
 الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار
 بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين
 نفوس المؤمنين وقوله تعالى ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ فى حيز الجر على أنه صفة للموصول الاول أو بيان له أو
 بدل منه أو فى محل النصب على المدح أو فى محل الرفع باضمار مبتدا والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة
 ﴿بغير حق﴾ متعلق بأخرجوا أى أخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى ﴿الا أن يقولوا ربنا الله﴾ بدل من
 حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للاقرار والتسكين دون الاخبار والتسيير لكن لا على

الظاهر بل على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل الاستثناء منقطع ﴿ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرى دفاع ﴿لهدمت﴾ لحربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرى هدمت بالتخفيف ﴿صوامع﴾ للرهبانة ﴿وبيع﴾ للنصارى ﴿وصلوات﴾ أى وكنائس لليهود سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرية فحربت ﴿ومساجد﴾ للمسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أى ذكر كثيرا أو وقتا كثيرا صفة مادية للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها وقيل صفة للاربع وليس كذلك فإن بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أى وباللّٰه لينصرن الله من ينصر أوليائه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقيصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿إن الله لقوى﴾ على كل ما يريد من مراداته التى من جعلتها نصرهم ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شئ ولا يدافعه ﴿الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكنه تعالى أياهم في الأرض واعطائه أياهم زمام الأحكام منى عن عدة كريمة على أبلغ وجه وألطفه وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا قالوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأنه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للأَنْصار والطلقاء وعن الحسن رحمه الله هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ﴿ولله﴾ خاصة ﴿عاقبة الأمور﴾ فإن مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار أوليائه واعلاء كلمته ﴿وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعد بقوله تعالى و لينصرن الله من ينصره و بيان لرُجوع عاقبة الأمور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أى وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم أنك لست بأوحد في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك اياك قوم نوح ﴿وعادوثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين﴾ أى رسلهم من ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لجمال ظهور المراد أو لأن المراد نفس الفعل أى فعلت التكذيب قوم نوح الى آخره ﴿وكذب موسى﴾ غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لأن قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط لما أن ذلك انما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بنى اسرائيل أيضا قد كذبوه مرة بعد أخرى حسبا ينطق به قوله تعالى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله تعالى ﴿فأمليت للكافرين﴾ أى أهلهم حتى انصرفت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكر وفيما قبل صريحا ﴿ثم أخذتهم﴾ أى أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املاته وامهاله ﴿فكيف كان نكير﴾ أى انكارى عليهم بالاهلاك أى فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفضاعة

وقوله تعالى ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرِيَةٍ﴾ منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أى فأهلكنا كثيرا من القرى
بأهلك أهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير أو مرفوع على الابتداء وأهلكنا خبره أى فكثيرا من القرى أهلكناها
وقرى أهلكتها على وفق قوله تعالى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴿وهى ظالمة﴾ جملة حالية
من مفعول أهلكنا وقوله تعالى ﴿فهى خاوية﴾ عطف على أهلكناها لا على وهى ظالمة لأنها حال والأهلك ليس
فى حال خوائها فعلى الأول لا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثانى فى محل الرفع لعطفه على الخبر
والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهى ساقطة حيطانها ﴿على عروشها﴾ أى سقوفها بأن
تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتزيل
الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما معنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من أهله فالمعنى فهى خالية مع بقاء
عروشها وسلامتها فتكون على معنى مع ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر أى فهى خالية وهى على عروشها
أى قائمة مشرفة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض ونبتت الحيطان قائمة فهى مشرفة على السقوف
الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا ﴿وبئر معطلة﴾ عطف على قرية أى وكم
بئر عامرة فى البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرى بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله ﴿وقصر مشيد﴾
مرفوع البنيان أو محصص أخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل
المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم
صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما ﴿أفلم يسيرا فى الارض﴾ حث لهم أن يسافروا ويرى أمصار المملكين
فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحشوا على ذلك والفاء
لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام أى أغفلوا فلم يسيرا فيها ﴿فتكون لهم﴾ بسبب ما شاهدوه من مواد
الاعتبار ومظان الاستبصار ﴿قلوب يعقلون بها﴾ ما يجب أن يعقل من التوحيد ﴿أو أذان يسمعون بها﴾ ما يجب
أن يسمع من الوحي أو من أخبار الامم المهلكة بمن يجاورهم من الناس فانهم أعرف منهم بحالهم ﴿فانها لا تعمى
الابصار﴾ الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد أقيم الظاهر مقامه ﴿ولكن تعمى
القلوب التى فى الصدور﴾ أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهمالك فى الغفلة وذكر
الصدور للتأكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص بالبصر قيل لما
نزل قوله تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا فى الدنيا أعمى أفأكون
فى الآخرة أعمى فنزلت ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كانوا منكرين لمحى العذاب المتوعد به أشد الانكار وانما كانوا
يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار
فقوله تعالى ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ اما جملة حالية جى بها لبيان بطلان انكارهم لمحى العذاب فى ضمن استعجالهم به واطهار
خطائهم فيه كأنه قيل كيف ينكرون محى العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده أبدا وقد سبق الوعد فلا بد
من محيئه حتما أو اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى ﴿وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ جملة مستأنفة
ان كانت الأولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سقت لبيان خطائهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة
ساحة حله تعالى ووقاره واطهار غاية ضيق عظمهم المستعجل لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طويلا عندهم حسبا
ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون محيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويحترون على

الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة أى يعده المستعجلون أو فوق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب فى القراءة المشهورة لهم أيضا بطريق الالتفات لكن الظاهر أنه للرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل أمة من موعده معين وأجل مسمى كما فى قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالة كانت أو اعتراضية مبنية لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنا على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذى مر بيانه فلا يكون فى النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذى دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبني على ظاهر مقالهم ويكتفى فى رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدة أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بأن المراد هو العذاب الدنيوى وأن الزمان الممتد هو الذى مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له ألا يرى الى قوله تعالى ﴿وكأين من قرية﴾ الخ فانه كما سلف من قوله تعالى فأملت للكافرين ثم أخذتهم صريح فى أن المراد هو الأخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد أى وكمن أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل ﴿أملت لها﴾ كما أملت لهؤلاء حتى أنكروا بحجى ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء ﴿وهى ظالمة﴾ جملة حالة مفيدة لكمال حمله تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أى أملت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ﴿ثم أخذتها﴾ بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى ﴿والى المصير﴾ اعتراض تذييل مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن ما ل أمر المستعجلين أيضا ما ذكر من الاخذ الويل أى الى حكمى مرجع الكل جميعا لا الى أحد غيرى لا استقلال ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم ﴿قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين﴾ أنذركم انذارا بينا بما أوحى من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لى دخل فى اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير اليه من أن مساق الحديث للشركيين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ لما نذر منهم من الذنوب ﴿ورزق كريم﴾ هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كالاته ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين﴾ أى سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم الاسلام يتم لهم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرى معجزين أى مثبتين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من السعى والمعاجزة ﴿أصحاب الجحيم﴾ أى ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك شبه عليه السلام علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جمعا غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبي يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام ﴿الا اذا تمنى﴾ أى هيا فى نفسه ما يهواه ﴿ألقى الشيطان

في أمنيته ﴿ في تشبيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ﴾ فينسخ الله ما يلقي الشيطان ﴿ فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ﴾ ثم يحكم الله آياته ﴿ أى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شئون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار والتجدد و اظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايدان بأن الالهية من موجبات أحكام آياته الباهرة ﴾ والله عليم ﴿ مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا أو خطأ ﴾ ﴿ حكيم ﴾ في كل ما يفعل والاضهار هنا أيضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في نادهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرائق العلا وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبه جبريل عليه السلام فاعتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله

تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي عليه السلام وقد رد بأنه أيضا يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه أيضا يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان ﴾ علة لما ينبي عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي عليه السلام خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى اياه من الالتقاء في حق سائر الانبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتى وفيه دلالة على أن ما يليقه أمر ظاهر يعرفه الحق والمبطل ﴿ فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ أى شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ أى المشركين ﴿ وان الظالمين ﴾ أى الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة ﴿ لني شقاق بعيد ﴾ أى عداوة شديدة ومخالفة تامة و وصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه ﴾ أى القرآن ﴿ الحق من ربك ﴾ أى هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالتقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالتقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى ﴿ فيؤمنوا به ﴾ أى بالقرآن أى يثبتوا على الايمان به أو يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضميرين لاسم الثاني الى تمكين الشيطان من الالتقاء مما لا وجه له ﴿ وان الله لهادى الذين آمنوا ﴾ أى في الأمور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿ ولا يزال الذين كفروا في مرية ﴾ أى في شك وجدال ﴿ منه ﴾ أى من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والأول هو الأظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وهو ما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في أمنيته فما لا مساغ له لأن ذلك ليس من هياتهم التي تستمر الى الأمد المذكور بل انما هي مريتهم

في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم ﴿حتى تأتيتهم الساعة﴾ أي القيامة نفسها كما يؤذن بقوله تعالى ﴿بغتة﴾ أي فجأة فإنها الموصوفة بالأتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت ﴿أو يأتيتهم عذاب يوم عقيم﴾ أي يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فالأمر يوم بعده يكون عقبا والمراد به الساعة أيضا كأنه قيل أو يأتيتهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقبا أي تكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فما لا يساعده - ياق النظم الكريم أصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الآخر وبين يقضى بأن المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه ﴿الملك﴾ أي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق ﴿يومئذ﴾ وحده بلا شريك أصلا بحيث لا يكون فيه لأحد تصرف من التصرفات في أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مدارا لحكمها أعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الإثابة والتعذيب ولا ريب في أن إيمانهم أو زوال مريتهم ليس مما له تعلق بما بذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل إلى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وإنما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيتهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى ﴿يحكم بينهم﴾ جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريق المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى ﴿فالذين آمنوا﴾ الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له أي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه ﴿وعملوا الصالحات﴾ أمثالا بما أمروا في تضاعيفه ﴿في جنات النعيم﴾ أي مستقرون فيها ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ أي أصرروا على ذلك واستمروا ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد لا يذنب بعد منزلتهم في الشر والفساد أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿لهم عذاب﴾ جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها للإيذان بأن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الأعمال الصالحة إياها وقوله تعالى ﴿مهيمن﴾ صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ﴿ثم قتلوا أو ماتوا﴾ أي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ﴿ليرزقهم الله﴾ جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للببتدأ يضمن قولاً هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى ﴿رزقا حسنا﴾ أمامفعول ثان على أنه من باب الرعي والذبح أي مرزوقا حسنا

أوه صدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبدا من نعيم الجنة وإنما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروى أن بعض أصحاب النبي عليه السلام قالوا يابني الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعظم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم ﴿وان الله هو خير الرازقين﴾ فانه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله وقوله تعالى ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ بدل من قوله تعالى ايرزقهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للدخال أو مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس رضى الله عنهما إنما قيل يرضونه لما أنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه ﴿وان الله لعليم﴾ بأحوالهم وأحوال معادهم ﴿حليم﴾ لا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ذلك﴾ خبر مبتدا محذوف أى الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أى لم يزد فى الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذى هو جزء الجناية للشباكلة أو لكونه سبباً له ﴿ثم بغى عليه﴾ بالمعاودة الى العقوبة ﴿لينصرنه الله﴾ على من بغى عليه لا محالة ﴿ان الله لعفو غفور﴾ أى مبالغ فى العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك أى ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه حثاً بليغاً على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك وتنبيهاً على أنه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ﴿ذلك﴾ اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايدان بعلور تبته ومحله الرفع على الابتداء خبره وقوله تعالى ﴿بأن الله يوجل الليل فى النهار ويوجل النهار فى الليل﴾ أى بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال أحد الملوك فى الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر أو بتحصيل أحدهما فى مكان الآخر لكونه أظهر المواد وأوضحها ﴿وان الله سميع﴾ بكل المسموعات التى من جملتها قول المعاقب ﴿بصير﴾ بجميع المبصرات ومن جملتها أفعاله ﴿ذلك﴾ أى الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر آتفاؤه ومبتدأ خبره وقوله تعالى ﴿بأن الله هو الحق﴾ الواجب لذاته الثابت فى نفسه وصفاته وأفعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالماً بكل المعلومات أو الثابت الهية فلا يصلح لها الا من كان عالماً قادراً ﴿وأن ما يدعون من دونه﴾ الها وقرئ على البناء للمفعول على أن الواو لما فاته عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين ﴿هو الباطل﴾ أى المعدوم فى حد ذاته أو الباطل الوهيته ﴿وأن الله هو العلى﴾ على جميع الاشياء ﴿الكبير﴾ عن أن يكون له شريك لاشئ أعلى منه شأنًا وأكبر سلطاناً ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ استفهام تقرير كما يفصح عنه الرفع فى قوله تعالى ﴿فتصبح الارض مخضرة﴾ بالعطف على أنزل وايتار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد أثر الانزال واستمراره أو لاستحضار صورة الاخضرار ﴿ان الله لطيف﴾ يصل لطفه أو علمه الى كل ما جل ودق ﴿خبير﴾ بما يليق من التدابير الحسنة ظاهراً وباطناً ﴿له ما فى السموات وما فى الارض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً ﴿وان الله هو الغنى﴾ عن كل شئ ﴿الحمد﴾ المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض﴾ أى جعل ما فيها من الاشياء مذلة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهى مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الإهتمام بالمقدم

لتعجيل المنيرة والتشويق الى المؤخر ﴿والفلك﴾ عطف على ما أو على اسم أن وقرى بالرفع على الابتداء ﴿تجرى في البحر بأمره﴾ حال من الفلك على الاول وخبر على الاخيرين ﴿ويمسك السماء أن تقع على الارض﴾ أى من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على هيئة متداعية الى الاستمسك ﴿الا باذنه﴾ أى بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمسكها بذاتها فانها مساوية في الجنسية لسائر الاجسام القابلة لليل الهابط فتقبله كقبول غيرها ﴿ان الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ حيث هيا لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية ﴿وهو الذى أحياكم﴾ بعد أن كنتم جمادا عناصر ونظفا حسبا فصل في مطلع السورة الكريمة ﴿ثم يميتكم﴾ عند مجئ آجالكم ﴿ثم يحييكم﴾ عند البعث ﴿ان الانسان لكفور﴾ أى جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفرادهم ﴿لكل أمة﴾ كلام مستأنف جى به لوجز معاصره عليه السلام من أهل الأديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وازهار خطائهم في النظر أى لكل أمة معينة من الامم الحالية والباقية ﴿جعلنا﴾ أى وضعنا وعينا ﴿منسكا﴾ أى شريعة خاصة لا لامة أخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة أخرى لاستقلالها ولا اشتراكا وقوله تعالى ﴿هم ناسكوه﴾ صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أى تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا أمة أخرى فالامة التى كانت من مبعث موسى عليه السلام الى مبعث عيسى عليه السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم وأما الامة الموجودة عند مبعث النبي عليه السلام ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى ﴿فلا ينازعنك فى الامر﴾ لترتيب النهى أو موجه على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل أمة من الامم التى من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه فى أمر الدين زعما منهم أن شريعتهم ماعين لأبائهم الأولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل اتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهى اما على حقيقته أو كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات الى نزاعهم المنبئ على زعمهم المذكور وأما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرى فلا يزعرك على تهيجه عليه السلام والمبالغة في تثبيته وأياما كان فحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بأمر النساءك وجعله عبارة عن قول الخزاعين وغيرهم للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولاتأكلون ما قتل الله تعالى مما لا سبيل اليه أصلا كيف لا وأنه يستدعى أن يكون أكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التى جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل ﴿وادع﴾ أى وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿الى ربك﴾ الى توحيد عبادته حسبا بين لهم فى منسكهم وشريعتهم ﴿انك لعلى هدى مستقيم﴾ أى طريق موصل الى الحق سوى والمراد به اما الدين والشريعة أو أدلتها ﴿وان جادلوك﴾ بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحججة عليهم ﴿فقل﴾ لهم على سبيل الوعيد ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ من الاباطيل التى من جملتها المجادلة ﴿الله يحكم بينكم﴾ يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين ﴿يوم القيامة﴾ بالثواب والعقاب كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات ﴿فيا كنتم فيه تختلفون﴾ من أمر الدين ﴿ألم تعلم﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير أى قد علمت ﴿ان الله

يعلم ما في السماء والأرض ﴿ فلا يخفى عليه شيء من الأشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه ﴾ (ان ذلك) أي ما في السماء والأرض ﴿ في كتاب ﴾ هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له ﴿ ان ذلك ﴾ أي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح أو الحكم بينكم ﴿ على الله يسير ﴾ فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ حكاية لبعض أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبنى من دليل سمعي أو عقلي واعراضهم عما ألقى عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد اعراض أي يعبدون متجاوزين عبادة الله ﴿ مالم ينزل به ﴾ أي بجواز عبادته ﴿ ساططانا ﴾ أي حجة ﴿ وما ليس لهم به ﴾ أي بجواز عبادته ﴿ علم ﴾ من ضرورة العقل أو استدلاله ﴿ وما للظالمين ﴾ أي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضى بطلانه وكونه ظلما بديهية العقول ﴿ من نصير ﴾ يساعد هم نصرته مذهبهم وتقرير رأيهم أو بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ﴿ بينات ﴾ أي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحق والاحكام الصادقة أو على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام أو على كونها من عند الله عز وجل ﴿ تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ﴾ أي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام أو الفطيع من التجهم والبسور أو الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى ﴿ يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ﴾ أي يشنون ويضطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليدا وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا مالا يؤهم صحة عبادته شيء ما أصلا بل يقضى بطلانها العقل والنقل ويظهر والمن يهديهم الى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير ﴿ قل ﴾ ردا عليهم واقناطاعما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين ﴿ أفأنبئكم ﴾ أي أأخاطبكم فأخبركم ﴿ بشر من ذلكم ﴾ الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوكم بهم أو بما تبغونهم من الغوائل أو بما أصابكم من الضرر بسبب ما تلوه عليكم ﴿ النار ﴾ أي هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ وعدنا الله الذين كفروا ﴾ وقرىء النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شرفتك كون الجملة الفعلية استئنفا كالوجه الاول أو حالا من النار بأضمار قد ﴿ وبئس المصير ﴾ النار ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل ﴾ أي بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار أو جعل لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للاصنام ﴿ فاستمعوا له ﴾ أي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لأجله ما أقول فقوله تعالى ﴿ ان الذين تدعون من دون الله ﴾ الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثل الله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرىء بياء الغيبة مبنيًا للفاعل ومبنيًا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف ﴿ لن يخلقوا ذبابا ﴾ أي لن يقدروا على خلقه أبدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه ﴿ ولو اجتمعوا له ﴾ أي لخلقوه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال ﴿ وان يسلبهم الذباب شيئا ﴾ بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أي ان يأخذ الذباب منهم شيئا ﴿ لا يستنقذوه منه ﴾ مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تمثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الاحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل

لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ أى عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال ﴿ما قدر والله حق قدره﴾ أى ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الاشياء عنه مناسبة ﴿ان الله لقوى﴾ على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات عن آخرها ﴿عزيز﴾ غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن أقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا﴾ يتوسطون بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام بالوحى ﴿ومن الناس﴾ وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقةون بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته فى الألوهية ونفى أن يشاركه فيها شئ من الاشياء بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتراء بهم الى عبادته عز وجل وهو أعلى الدرجات وأقصى الغايات لمن عده من الموجودات تقرير النبوة وتزييف لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة وقولهم ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل ﴿ان الله سميع بصير﴾ عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الأقوال والأفعال ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور﴾ لالى أحد غيره لا اشتراك ولا استقلالا ﴿يأياها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ أى فى صلواتكم أمرهم بهما لما أنهم ما كانوا يفعلونهما أول الاسلام أو صلوا عبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله تعالى وخرؤا له سجدا ﴿واعبدوا ربكم﴾ بسائر ما تعبدكم به ﴿وافعلوا الخير﴾ وتحروا ما هو خير وأصلح فى كل ما تأتون وما تذكرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق ﴿لعلكم تفلحون﴾ أى افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعى رحمه الله لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدة من لم يسجد هما فلا يقرأها ﴿وجاهدوا﴾ فى الله أى لله تعالى ولاجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ﴿حق جهاده﴾ أى جهاد افية حقاخالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أولا نه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله ﴿هو اجتباكم﴾ أى هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرج﴾ أى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه أو الى الرخصة فى اغفال بعض ما أمرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم فى المضايق وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والأروش والديات فى حقوق العباد ﴿ملة أيكم ابراهيم﴾ نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أى وسع عليكم دينكم توسعة ملة أيكم أى على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله أباهم لانه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالأب لأمته من حيث انه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة أو لان أكثر العرب كانوا من ذريته عليه الصلاة والسلام فغلبوا على غيرهم

﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ في الكتب المتقدمة ﴿وفي هذا﴾ أي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده أنه قرئ الله سماكم أو لإبراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وإن لم تكن منه عليه الصلاة والسلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته إياكم المسلمين ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة متعلق بسماكم ﴿شهيذا عليكم﴾ بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتيادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ بتبليغ الرسل إليهم ﴿فأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ أي فتقربوا إلى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لنافتهما وفضلهما ﴿واعتصموا بالله﴾ أي ثقوا به في جميع أموركم ولا تطلبوا إلاعانة والنصرة إلا منه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولى أموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾ هو إذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا ولي ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الأجر حجة حجا وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيها مضى وفيما بقي

سورة المؤمنون

(مكية وهي عند البصريين مائة وتسع عشرة آية وعند الكرويين مائة وثمانى عشرة آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قد أفلح المؤمنون﴾ الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالأخبار الذي هو الدخول في البشارة وقد يحى متعديا بمعنى الإدخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للفعول وكلمة قد هنا لإفادة ثبوت ما كان متوقعا الثبوت من قبل لا متوقعا الأخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الأخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فإن إيمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه أن أريد بالافلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق إلا في الآخرة فالأخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وإن أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي في محلها وقرئ أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على أكلوني البراغيث وقرئ أفلح بضممة اكتفى بها عن الواو كما في قول من قال ولو أن الأطباء كان حولى والمراد بالمؤمنين أما المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرهما فقله تعالى ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وأما الآتون بفروعه أيضا كما ينبى عنه إضافة الصلاة إليهم فهي صفات موضحة أو مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر في حيز الصلة من المعاني مع الإيمان إجمالا أو تفصيلا كما مر في أوائل سورة البقرة والخشوع والخوف والتذلل أى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون بأبصارهم مساجدهم روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت روى بصره نحو مسجده وأنه رأى مصليا يعبت بلحيته فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ﴿والذين هم عن اللغو﴾ أى عما لا يعنينهم من الأقوال والأفعال ﴿معرضون﴾ أى في عامة أوقاتهم كما ينبى عنه الاسم الدال على الاستمرار في ذلك أعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا أوليا ومدار أعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية إلى الأعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في أمور الدين كما قيل فإن ذلك ربما يوهى أن لا يكون في اللغو نفسه ما يجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه وإقامة الأعراض مقام

الترك ليدل على تباعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون في عرض غير عرضه ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع في الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ مسكون لها فالاستثناء في قوله تعالى ﴿الا على أزواجهم﴾ من نفى الارسال الذي ينفي عنه الحفظ أى لا يرسلونها على أحد الا على أزواجهم وفيه ايدان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم الى ما لا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن تكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما في قوله تعالى اذا اکتالوا على الناس أى حافظون لها من كل أحد الا من أزواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أى حافظون لها في جميع الاحوال الاحال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الأزواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف ﴿أوما ملكت أيمانهم﴾ أى سراريهم عبر عنهم بما أجراهن لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء أو لاثبتن المنبئة عن القصور وقوله تعالى ﴿فانهم غير ملومين﴾ تعليل لما يفيد الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهم أى فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهم ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ الذى ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الاماء ﴿فأولئك هم العادون﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما أنها ليست زوجة له فلا ينهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم فوجب أن لا تحل لقوله تعالى الا على أزواجهم لأن لهم أن يقولوا انها زوجة له في الجملة وأما ان كل زوجة ترث فهم لا يرسلونها وأما ما قيل من أنه ان أريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفدوان أريد بعد الموت فالملازمة بمنوعة فليس له معنى محصل نعم لوعكس لكان له وجه ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم﴾ لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق ﴿راعون﴾ أى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرىء لأماناتهم ﴿والذين هم على صلواتهم﴾ المفروضة عليهم ﴿يحافظون﴾ يواظبون عليها ويؤدونها في أوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرار وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايدان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولوقرنا في الذكر لربما توهم أن مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة ﴿أولئك﴾ اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات واثيرها على الاضرار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا وما فيه من معنى البعد للايدان بعلو طبقتهم وبعدهم درجتهم في الفضل والشرف أى أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿هم الوارثون﴾ أى الاحقاء بأن يسموا وراثادون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها ﴿الذين يرثون الفردوس﴾ بيان لما يرثونه وتقييد للورثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد اتمامها تفخيلا لسانها ورفع المحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للبالغين فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على أنفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار ﴿هم فيها﴾ أى في

الفردوس والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر روى أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذكرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الریحان ﴿خالدون﴾ لا يخرجون منها أبداً والجملة امامستانفة مقررمة لمقابلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿ولقد خلقنا الانسان﴾ شروع في بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه في أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بيانا اجماليا اثرياً حال بعض أفراد السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس أى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققت في سورة الحج وغيرها وأما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفاً بعد أدوار وأطوار فبعيد ﴿من سلالة﴾ السلالة ماسل من الشئ واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصوداً منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامه والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى ﴿من طين﴾ بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلوقة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ﴿ثم جعلناه﴾ أى الجنس باعتبار أفراد المغايرة لآدم عليه السلام أو جعلنا نسله على حذف المضاف ان أريد بالانسان آدم عليه السلام ﴿نطفة﴾ بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء ﴿في قرار﴾ أى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة وقوله تعالى ﴿مكين﴾ وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هى وأحرزت ﴿ثم خلقنا النطفة علقه﴾ أى دما جامداً بأن أحلنا النطفة البيضاء علقه حمراء ﴿فخلقنا العلقه مضغة﴾ أى قطعة لحم لاستبانة ولا تميز فيها ﴿فخلقنا المضغة﴾ أى غالبها ومعظمها أو كلها ﴿عظاما﴾ بأن صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة ﴿فكسونا العظام﴾ المعهودة ﴿لحمًا﴾ من بقية المضغة أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل إليها أى كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثانى فحسب ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ هى صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لأنه خلق آخر ﴿فتبارك الله﴾ فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والانتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بأن ما ذكر من الافاعيل العجيبة من أحكام الألوهية وللإيدان بأن حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظته أن يسارع الى التكلم به اجلالاً واعظاماً لشؤونه تعالى ﴿أحسن الخالقين﴾ بدل من الجلالة وقيل نعمته بناء على أن الاضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتدا محذوف أى هو أحسن الخالقين خلقاً أى المقدرين تقديرنا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه أى أحسن الخالقين خلقاً فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه الصلاة والسلام ان الله جميل يحب الجمال أى جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعاً فاستكن روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه الصلاة

والسلام فقال اكتبه هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فأنا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزل يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في أربع الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى لهن أوليبدله الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان يطلقكن أن يبده الآية والرابع فتبارك الله أحسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن أبى سرح حسبا قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في عجاظه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن عجز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما تعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ﴿ثم انكم بعد ذلك﴾ أى بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبا بنبي عنه ما فى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعده منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية ﴿لميتون﴾ اصائر ون الى الموت لا محالة كما تؤخذ به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى تفيد صيغة الفاعل وقد قرئ لماتون ﴿ثم انكم يوم القيامة﴾ أى عند النفخة الثانية ﴿تبعثون﴾ من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب ﴿ولقد خلقنا فوقكم﴾ بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم أى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لأن تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم ﴿سبع طرائق﴾ هى السموات السبع سميت بها لأنها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرائق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها ﴿وما كنا عن الخلق﴾ عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها أو عن الناس ﴿غافلين﴾ مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال ونذكر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبا اقتضته الحكمة وتملقت به المشيئة ويصل الى ما فى الارض منافعها كما بنى عنه قوله تعالى ﴿وانزلنا من السماء ماء﴾ هو المطر أو الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة أنهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى فنون معاشهم ومن ابتدائية متعلقة بأنزلنا وتقديما على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو ﴿بقدر﴾ بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم ﴿فأسكناه فى الارض﴾ أى جعلناه ثابتا قارا فيها ﴿وانا على ذهاب به﴾ أى ازالته بالافساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه ﴿لقادرون﴾ كما كنا قادرين على ازاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الابعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتىكم بماء معين ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أى بذلك الماء ﴿جنات من نخيل وأعناب لكم فيها﴾ فى الجنات ﴿فواكه كثيرة﴾ تتفككون بها ﴿ومنها﴾ من الجنات ﴿تأكلون﴾ تغذوا أو ترزقون وتحصلون معاشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أى يعود الضمير الى النخيل والأعناب أى لكم فى ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه ﴿وشجرة﴾ بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أى وبما أنشأ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى ﴿تخرج من طور سيناء﴾ وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة

وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كأمري القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعال كعلباء من السين اذلا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان أو فعلاء كصحراء اذلا فعلا في كلامهم وقرى بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصل لها وقوله تعالى ﴿تنتب بالدهن﴾ صفة أخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها أي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية أي تنبت بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرى تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرى على البناء للفعول وهو كالاول وتشر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان ﴿وصبغ للآكلين﴾ معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أي يغمس فيه للاتئدام وقرى وصباغ كدباغ في دباغ ﴿وان لكم في الانعام لعبرة﴾ بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبرة فيه أظهر مما في النبات وقوله تعالى ﴿نسيكم مما في بطونها﴾ تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرى بفتح النون والتاء أي تسقيكم الانعام ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾ غير ما ذكر من أصوافها وأشعارها ﴿ومنها تأكلون﴾ فتنتفعون بأعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها ﴿وعليها﴾ أي على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن ﴿وعلى الفلك تحملون﴾ أي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها للحمل وهو الداعي الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه﴾ شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عد من النعم الفائئة للحصر وعدم تذكريهم بتذكير رسلكم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع مالا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لظهار كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد أرسلنا نوحا الخ ونسبه الكريم وكيفية بعثه ونية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود ﴿فقال﴾ متعطفًا عليهم ومستميلا لهم الى الحق ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ أي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود أن لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايدان بأنها هي العبادة فقط وأما العبادة بالاشراك فليست من العبادة في شئ رأسا وقوله تعالى ﴿مالكم من اله غيره﴾ استئناف مسوق لتعليل العبادة بالمأمور بها أو لتعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص

والتيين أى مالكم فى الوجود أو فى العالم اله غيره تعالى وقرىء بالجر باعتبار لفظه ﴿أفلا تتقون﴾ أى أفلا تقون أنفسكم عذابه الذى يستوجب ما أتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم أليم وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقبحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أتعرفون ذلك أى مضمون قوله تعالى مالكم من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجهه أو ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حيث تد فى الكمية وفى الاول فى الكيفية ﴿فقال الملاء﴾ أى الاشراف ﴿الذين كفروا من قومه﴾ وصف الملاء بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايدان بكال عراقهم فى الكفر وشدة شكيמתهم فيه أى قالوا لعوامهم ﴿ما هذا الا بشر مثلكم﴾ أى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة ﴿يريد أن يفضل عليكم﴾ أى يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للبخطابين عليه عليه السلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ﴿ولو شاء الله لانزل ملائكة﴾ بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشرية عليه السلام أى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال ففعل المشيئة مطلق ارسال المفهوم من الجواب لانفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة ﴿فى آباءنا الاولين﴾ أى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهما كهم فى الغى والفساد وأياها كان فقولهم هذا ينبغى أن يكون هو الصادر عنهم فى مبادئ دعوته عليه السلام كما تنبى عنه الفاء فى قوله تعالى فقال الملاء الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام أنه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى اواخر أمره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم ﴿ان هو﴾ أى ماهو ﴿الارجل به جنة﴾ أى جنون أو جن يخيلونه ولذلك يقول ما يقول ﴿فتربصوا به﴾ أى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا ﴿حتى حين﴾ لعله يفىق مما فيه محمول حيث تد على ترمى أحوالهم فى المكابرة والعناد واضراهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية واردة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد أصرروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد أوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ﴿رب انصرنى﴾ باهلا كهم بالمرءة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تدر على الارض من الكافرين ديارا الخ ﴿بما كذبون﴾ أى بسبب تكذيبهم اياى أو بدل تكذيبهم ﴿فأوحينا اليه﴾ عند ذلك ﴿أن اصنع الفلك﴾ أن مفسرة لما فى الوحي من معنى القول ﴿بأعيننا﴾ ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤنه بأعينهم من التعدى أو من الزيف فى الصنعة ﴿ووحينا﴾ وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى ﴿فاذا جاء أمرنا﴾ لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك

والمراد بالأمر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله لا الأمر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه أو ابتداء ظهوره أي اذا جاء أثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى ﴿ وفار التنور ﴾ عطف بيان لمجيء الأمر روى انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة أي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين ورده من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عليه السلام ﴿ فاسلك فيها ﴾ أي أدخل فيها يقال سلك فيه أي دخل فيه وسلك فيه أي أدخله فيه ومنه قوله تعالى ماسلككم في سقر ﴿ من كل ﴾ أي من كل أمة ﴿ زوجين ﴾ أي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ اثنين ﴾ فانه نص في الفردين دون الجمعين أو الفريقين وقرئ بالاضافة على أن المفعول اثنين أي من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الاثني كالجمل والنوق والحصن والرمك وهذا صريح في أن الأمر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل اما على أنه حكاية لأمر آخر تنجزى ورد عند فوران التنور الذي ينط به الأمر التعليق اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر السابق بعينه لكن لما كان الأمر التعليق قبل تحقق المعلق به في حق إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴿ وأهلك ﴾ منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين أو اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى أي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما أمر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى معاونة من أهله وأتباعه وأما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقدمه يؤدي الى الاختلال بتجاوب أطراف النظم الكريم ﴿ الا من سبق عليه القول منهم ﴾ أي القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين سبقتم منا الحسنى لكونه نافعا ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ بالدعاء لانجائهم ﴿ انهم مغرقون ﴾ تعليل للنهي أو لما ينبي عنه من عدم قبول الدعاء أي انهم مقضى عليهم بالاغراق لاحالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى ﴿ فاذا استويت أنت ومن معك ﴾ أي من اهلك وأشيا عك ﴿ على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ﴾ على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿ وقل رب أنزلني ﴾ في السفينة أو منها ﴿ منزلا مباركا ﴾ أي انزالا أو موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا أي موضع نزول ﴿ وأنت خير المنزلين ﴾ أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالأمر مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عاده ﴿ ان في ذلك ﴾ الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه ﴿ لايات ﴾ جلية يستدل بها أولو الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار ﴿ وان كنا لمبتلين ﴾ ان مخفقة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف أي وان الشأن كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ ثم أنشأنا من بعدهم ﴾ أي من بعد اهلاكهم ﴿ قرنا آخرين ﴾ هم عاد حسباروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه أكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم عمود ﴿ فأرسلنا فيهم ﴾ جعلوا موضعا للارسال كما

في قوله تعالى كذلك أرسلناك في أمة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بأن من أرسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿رسولا منهم﴾ أي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وأن في قوله تعالى ﴿أن اعبدوا الله﴾ مفسرة لأرسلنا لتضمنه معنى القول أي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى ﴿مالك من اله غيره﴾ تعليل للعبادة المأمور بها أو للامر بها أولوجوب الامثال به ﴿أفلا تتقون﴾ أي عذابه الذي يستدعيه ما أتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عليه السلام ﴿وقال الملا من قومه﴾ حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذي ينطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لاحكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبي عنه ماسأتى من حكاية سائر الامم أي وقال الاشراف من قومه ﴿الذين كفروا﴾ في محل الرفع على أنه صفة للبلا وصفوا بذلك ذمالمهم وتنبها على غلوهم في الكفر وتأخيرهم عن من قومه لعطف قوله تعالى ﴿وكذبوا بقاء الآخرة﴾ وما عطف عليه على الصلة الاولى أي كذبوا بقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث ﴿وأترفاهم﴾ ونعمناهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ بكثرة الاموال والاولاد أي قالوا لالعقابهم مضلين لهم ﴿ما هذا الا بشر مثلكم﴾ أي في الصفات والاحوال واشار مثلكم على مثلنا للبالغة في تهوين أمره عليه السلام وتوهينه ﴿يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ تقرير للمثالة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف أو مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم﴾ أي فيما ذكر من الاحوال والصفات أي ان امثلتم بأوامره ﴿انكم اذا﴾ أي على تقدير الاتباع ﴿لخاسرون﴾ عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث أدلتم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قائلهم الله أنى يؤفكون واذا واقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرية باللام الموطئة أي وبالله لئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ﴿أيعدكم﴾ استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعونه الى الايمان به واستبعاده ﴿أنكم اذا متم﴾ بكسر الميم من مات يمات وقرى بضمها من مات يموت ﴿وكنتم ترابا وعظاما﴾ نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب أي كان بعض أجزاءكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية أو كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى ﴿أنكم﴾ تأكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى ﴿مخرجون﴾ أي من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم أخبر بالجملة عن أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرى أيعدكم اذا متم الخ ﴿هيات هيات﴾ تكرير لتأكيد البعد أي بعد الوقوع أو الصحة ﴿لما توعدون﴾ وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرى بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هية وغير منون تشبيها بقيل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء ها ﴿ان هي الا حياتنا الدنيا﴾ أصله ان الحياة الا حياتنا فأقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس

تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ماشاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى ﴿نموت ونحيا﴾ جملة مفسر فلما ادعوه من أن الحياة هي الحياة الدنيا أى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض العصر ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ بعد الموت ﴿ان هو﴾ أى ماهو ﴿الا رجل افترى على الله كذبا﴾ فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا ﴿وما نحن له بمؤمنين﴾ بمصدقين فيما يقوله ﴿قال﴾ أى هود عليه السلام عنديأسه من ايمانهم بعدما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل ﴿رب انصرني﴾ عليهم وانتقم لي منهم ﴿بما كذبون﴾ أى بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه ﴿قال﴾ تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول ﴿عما قليل﴾ أى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فيها رحمة من الله أو نكرة موصوفة أى عن شئ قليل ﴿ليصبحن نادمين﴾ على ما فعلوه من التكذيب وذلك عند معانيتهن للعذاب ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة أيضا وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار اليها بأهله فلما نادا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصظم قال قائلهم

صاح الزمان بالبرمك صيحة خروا لشدها على الأذقان

﴿بالحق﴾ متعلق بالأخذ أى بالامر الثابت الذى لا دفاع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق ﴿فجعلناهم غثاء﴾ أى كغثاء السيل وهو حميله ﴿فبعدا للقوم الظالمين﴾ اخبار أودعا وبعدا من المصادر التى لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا أى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أى بعدهم هلاكهم ﴿قرونا آخرين﴾ هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ أى ما تقدم أمة من الأمم المهلكة الوقت الذى عين هلاكهم أى ما تهلك أمة قبل مجئ أجلها ﴿وما يستأخرون﴾ ذلك الأجل بساعة وقوله تعالى ﴿ثم أرسلنا رسلنا﴾ عطف على أنشأنا لكن لا على معنى أن ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى أن ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد أرسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الأمم أجلها المضروب هلاكهم للسرعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالى ﴿تترى﴾ أى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في توج و يتقوا والآلف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة وقرى بالتونين على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى ﴿كلما جاء أمة رسولا كذبوه﴾ استئناف مبين لمجئ كل رسول لأمة ولمصادر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجئ اما النبيلغ واما حقيقة المجئ لا لايذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة وازدادة الرسول الى الأمة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمة الخاصة به لا أن كلهم جاؤا كل الأمم والاشعار بكال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولا المعين لها وقيل لأن ارسال لائق بالمرسل والمجئ بالمرسل اليهم ﴿فأتبعنا بعضهم بعضا﴾ فى الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا فى مباشرة أسبابه التى هى الكفر والتكذيب وسائر المعاصي ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحداثه وهى ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع أعجوبة وهى ما يتعجب منه أى جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا ﴿فبعدا لقوم لا يؤمنون﴾ اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ﴿ثم أرسلنا موسى﴾

وأخاه هرون بآياتنا) هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساع لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها ﴿وساطان مبين﴾ أي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم آياته عليه الصلاة والسلام وأولاهها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شجرة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها العنوانين جليلين وتزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي ﴿الى فرعون وملئه﴾ أي أشراف قومه خصوا بالذكر لأن ارسال بني اسرائيل منوط بأرائهم لا بأراء أعقابهم ﴿فاستكبروا﴾ عن الانقياد وتمردوا ﴿وكانوا قوما عالين﴾ متكبرين متمردين ﴿فقالوا﴾ عطف على استكبروا واما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أى كانوا قوما عاداتهم الاستكبار والتمرد أى قالوا فيما بينهم بطريق المناجحة ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ ثنى البشر لأنه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشر اسو يا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر أحدا لم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها في مراقى الكمال ومهاوى النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في أسفل سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ﴿وقومهم﴾ يعنون بني اسرائيل ﴿لنأعبدون﴾ أى خادمون منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما الصلاة والسلام وحطرتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل تؤمن مؤكدة لانكار الايمان لها بناء على زعمهم الفساد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط الاصطفاة للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا ﴿فكذبوهما﴾ أى فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا واستكبارا ﴿فكانوا من المهلكين﴾ بالفرق في بحر قلزم ﴿ولقد آتينا﴾ أى بعداهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم ﴿موسى الكتاب﴾ أى التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه الصلاة والسلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كأنهم أوتوها فقل ﴿لعلهم يهتدون﴾ أى الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى فخذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملئه أى من آل فرعون وملئه ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور أن التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فما لا سبيل اليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الأمم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتى في سورة القصص ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ وأية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر

واحد نسب اليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمّة وأمه آية بأنها ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنواين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الأمر بحيثية كونهما آية فإن نسبته عليه الصلاة والسلام اليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمّه التي ولدتها خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عليه الصلاة والسلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمّه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتهما فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ ﴿وآويناها إلى ربوة﴾ أي أرض مرتفعة قيل هي ايليا أرض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء ثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربا وقرى بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ﴿ذات قرار﴾ مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لأجلها يستقر فيها ساكنوها ﴿ومعين﴾ أي وماء معين ظاهر جار فاعيل من معن الماء اذا جرى وأصله الابعاد في المشي أو من الماعون وهو النفع لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا أدركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقى ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره الموثق ﴿يأياها الرسل كلوا من الطيبات﴾ حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره حتى بها اثر حكاية ايوا عيسى عليه السلام وأمه إلى الربوة ايذانا بأن ترتيب مبادئ التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبّر عن تلك الأوامر المتعددة المتعلقة بالرسول بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابة من رفض الطيبات مالا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند ايوائهما إلى الربوة ليقصد بالرسول في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المأكول والفواكه حسبما ينبغي عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه ﴿واعملوا صالحا﴾ أي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم ﴿انى بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة ﴿عالم﴾ فأجازيكم عليه ﴿وان هذه﴾ استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الاسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل عليهم السلام والأمر وانما أشير اليها بهذه التنبية على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة ﴿أمتكم﴾ أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل ﴿أمة واحدة﴾ أي ملة وشرعة متحدة في أصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة إلى الأمم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ﴿وأنا ربكم﴾ من غير أن يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى ﴿فاتقون﴾ أي في شق العصا والمخالفة بالاخلاق بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بالرسول والأمم جميعا على أن الأمر في حق الرسل للتهيب والالهاب وفي حق الأمم للتحذير والايحباب والفاء لترتيب الأمر أو وجوب الامثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الأمة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرى وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أي ان تتقون فاتقون كما مر في قوله تعالى وإياي فارهبون وقيل على العطف على ما أي انى علم بأن أمتكم

أمة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أى واعملوا أن هذه أممكم الخ وقرئ "وان هذه على أنها مخففة من ان" فتقطعوا أمرهم حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا والضمير لمادل عليه الأمة من أربابها أولها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الأمر لزيادة تقبيح حالهم أى تقطعوا أمر دينهم مع اتحادهم وجعلوه قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة (بينهم زبراً) أى قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبراً بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتباً فيكون مفعولاً ثانياً أو حالاً من أمرهم على تقدير المضاف أى مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من أولئك المتحزبين (بما لديهم) من الدين الذى اختاروه (فرحون) معجبون معتقدون أنه الحق (فذرهم فى غمرتهم) شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لا عبون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الأمر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهما كهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعاً على قلوبهم أى اتركهم على حالهم (حتى حين) هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيرهم وفى التشكيك والابهام ما لا يخفى من التحويل (أيحسبون أنما نمدهم به) أى نعطيهم إياه ونجعلهم مدداً لهم فما موصولة وقوله تعالى (من مال وبنين) بيان لها وتقدير المال على البنين مع كونهم أعز منه قدم وجهه فى سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى (نسارع لهم فى الخيرات) على حذف الراجع الى الاسم أى أيحسبون أن الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم وادبراهم على أن الهمة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى (لا يشعرون) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى كلاً لا تفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ أصلاً كالبهايم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنياً للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) استئناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسابهم الكاذب أى من خوف عذابه حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركاً جلياً ولا خفياً ولذلك أخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية فى المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما آتوا أى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وأياماً كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الأولى للدلالة على الاستمرار (وقلوبهم وجله) حال من فاعل يؤتون أو يأتون أى يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم الى ربهم راجعون) أى من أن رجوعهم اليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لأن مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون و بآيات ربهم يؤمنون الخ وانما كسر الموصول ايذاناً باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حياها وتنزيلاً لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها (أولئك) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون

بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم ﴿يسارعون في الخيرات﴾ أى في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فاتم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين فقد أثبت لهم ما نبي عن أصدادهم خلا أنه غير الاسلوب حيث لم يقل أولئك يسارع لهم في الخيرات بل أسند المسارعة اليهم إيماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم وإشارته في كلمة الى اللذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات لأنهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآخرة ﴿وهم لها سابقون﴾ أى ايأها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون أى ينالونها قبل الآخرة حيث مجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لاجلها فاعلمون السبق أو لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ﴿ولا تكلف نفسا الا وسعها﴾ جملة مستأنفة سبقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقه أى عادتنا جارية على أن لا تكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على أن المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا أول للترخيص فيما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم إيماء وقوله تعالى ﴿ولدينا كتاب﴾ الخ تمهيد لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الاعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ينطق بالحق﴾ كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أى عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هي عليه أو أعمال السابقين والمقتصدین جميعا لأنه أثبت فيه أعمال الاولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم أيضا وقوله بالحق متعلق بينطق أى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق و يظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها أجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى ﴿وهم لا يظلمون﴾ بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون أى لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يحزون بقدر أعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز أن يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال أى لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض أعمالهم التي من جملتها أعمال المقتصدین بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع أن شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من أن الاعمال الصالحة لا توجب أصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليس بما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركها ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى ﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله أى بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه تعالى كتابا ينطق بالحق و يظهر لهم أعمالهم السيئة على رؤس الاشهاد فيجزون بها كما ينبي عنه ما سياتى من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل بما عليه أولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ﴿ولهم أعمال﴾ سيئة كثيرة ﴿من دون ذلك﴾

الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جعلتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما يلبي عنه قوله تعالى مستكبرين به سامراتهجرون وقيل متخطفة لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطف للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطفة غمائم عليهم من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره ﴿هم لها عاملون﴾ مستمرون عليها معتادون فعلها صارون بها لا يكادون يبرحونها ﴿حتى اذا أخذنا مترفيهم﴾ أي متعصمهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضنون الشرطية أي لا يزالون يعملون أعمالهم الى حيث اذا أخذنا رؤسهم ﴿بالعذاب﴾ قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق أنه العذاب الاخرى اذ هو الذي يقاضون عنده الجوار فيجابون بالرد والاقنات عن النصر وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جوار حسبما يلبي عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لرهم وما ينظرون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما وأما عذاب الجوع فان أبا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقنات حيث روى أنه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك ﴿اذا هم يجأرون﴾ أي فاجأوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجوار مع عمومهم لغيرهم أيضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلا ينلقاها من عداهم من الحاة والخدم أولى وأقدم ﴿لتجأروا اليوم﴾ على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيهم واقناتهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتحويله والايذان بتفويتهم وقت الجوار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خبير بأن المقصود الاصل في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى أن يكون مفاجأتهم الى الجوار غير مقصود أصلي وقوله تعالى ﴿انكم منا لاتصرون﴾ لتعليل للنهي عن الجوار ببيان عدم افادته ونفعه أي لا يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لان جوارهم ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى ﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم﴾ الخ صريح في أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذله أو بعزة الله تعالى وقوته أي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي تعرضون عن سماعها أشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع فقهرى ﴿مستكبرين به﴾ أي بالبيت الحرام أو بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتاتى الذي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أو لان استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز أن تتعلق الباء بقوله تعالى ﴿سامرا﴾ أي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عادة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمر وسمارا وأن تتعلق بقوله تعالى ﴿تهجرون﴾ من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن القرآن أو تتركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهر في منطقه اذا أخش فيه

وقرى تهجرون من هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى ﴿أفلم يدبروا القول﴾ الهمة لانكار الواقع واستقبحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا فى شأنه من القبائح وأم فى قوله تعالى ﴿أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين﴾ منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر الهمة لانكار الوقوع لانكار الواقع أى بل أجاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن مجىء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتأسى انكاره وأن مجىء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذابه تعالى مالم يأت آباءهم الأولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب وأسد بن خزيمه وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أدفا آمنوا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر الهمة لانكار الوقوع أيضا أى بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالأنبياء عليهم السلام ﴿فهم له منكرون﴾ أى جاحدون بنبوته فنجحودهم بهامرتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان مابنى عليه أى فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله ﴿أم يقولون به جنة﴾ انتقال الى توبيخ آخر الهمة لانكار الواقع كالأولى أى بل يقولون به جنة أى جنون مع أنه أرحم الناس عقلا وأتقنهم ذهنا وأتقنهم رأيا وأوفرهم رزاة ولقد روى فى هذه التوبيخات الأربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقى من الأدنى الى الأعلى حيث وبخوا أولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من عدم معرفتهم به عليه الصلاة والسلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخبر ولا ولاشر ثم بما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام ذلك لفتح فى رسالته عليه الصلاة والسلام ﴿بل جاءهم بالحق﴾ اضراب عما يدل عليه ماسبق أى ليس الأمر كما زعموا فى حق القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق أى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه ﴿وأكثرهم للحق﴾ من حيث هو حق أى حق كان لاهذا الحق فقط كما ينبى عنه الاظهار فى موقع الاضرار ﴿كارهون﴾ لما فى جبلتهم من الزيف والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى الا عدم كراهة الباقيين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالأكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلّة فطنته وعدم تفكره لالكراهة الحق وأنت خير بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلا ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائفة التى ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة أى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به عليه السلام موافقا لأهوائهم الباطلة ﴿لفسد السموات والارض ومن فيهن﴾ وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويع شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى وأما ما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به عليه السلام أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان فى الواقع الهان لا يناسب المقام وأما ما قيل لو

اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الالهية فما لا احتمال له أصلا ﴿بل أتيناكم بذكرهم﴾ انتقال من تشنيعهم بكرهه الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو نغرم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أي بل أتيناكم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال ﴿فهم﴾ بما فعلوه من النكوص ﴿عن ذكرهم﴾ أي نغرم وشرفهم خاصة ﴿معرضون﴾ لاعن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقرير والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من آيتاء ذكرهم لالتزيب الاعراض على الآيتاء مطلقا فان المستتبح لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو آيتاء ذكرهم لا الآيتاء مطلقا وفي اسناد الآيتان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه الصلاة والسلام تنويه لشأن النبي عليه الصلاة والسلام وتنبيه على كونه بمثابة عظمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقريه ما لا يخفى فان التصريح بحقيقته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون في شأنه وأما التشريف فانهما يليق به تعالى لاسيما رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المشرفين وقيل المراد بالذكر ماتمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكر من الاولين وقيل وعظهم وأيد ذلك بأنه قرئ بذكرهم والتشنيع على الاولين أشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم أو عن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ﴿أم تسألهم﴾ انتقال من توبيخهم بما ذكر من قوله أم يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة ﴿خرجا﴾ أي جملا فلا أجل ذلك لا يؤمنون بك وقوله تعالى ﴿نخارج ربك خير﴾ أي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار أي لا تسألهم ذلك فان مارزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى والخارج بازاء الدخول يقال لكل ماخرجه الى غيرك والخارج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخارج ماتبرعت به والخارج مالزمتك وقيل الخارج أخص من الخارج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة والازوم وقرئ خرجا فخرج وخرجا فخرج ﴿وهو خير الرازقين﴾ تقرير لخبره خراجه تعالى ﴿وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم﴾ تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توهم اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عز و علا وأزاح عنهم في هذه الآيات حيث حصر أقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهم وبين اتقاء ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنهم ﴿وان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وصفوا بذلك تشنيعاهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا زعمهم أن لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلّة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله ﴿عن الصراط﴾ أي عن جنس الصراط ﴿لنا كبون﴾ لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم أو عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم اليه والاول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبغي عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ﴿ولورحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ أي قحط وجذب ﴿للجوا﴾ لتماذوا ﴿في طغيانهم﴾ افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿يعمّهون﴾ أي عامهين عن الهدى روى أنه لما أسلم ثمانية بن اثال الحنفى ولحق باليامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلبز جاء أبوسفیان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لئأشذك الله والرحم أأستزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتل الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى

لو كشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا إياهم ووجدوا الخصب لا رتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التلق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب ﴾ استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما أصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أخذناهم بالعذاب ﴿ فما استكانوا ﴾ بذلك أي لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته فنتزاح في منترح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى ﴿ وما يتضرعون ﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى ﴿ حتى اذا فتحنا عليهم بابا اذا عذاب شديد ﴾ هو عذاب الآخرة كما ينبي عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد ﴿ اذاهم فيه مبلسون ﴾ أي متحIRON آيسون من كل خير أي مخناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روى منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى في شيء وانما هو نوع خنوع الى أن يتم غرضه فخاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغا وأكثرهم مستمرين على ذلك الى أن يروا عذاب الآخرة فينثند يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه أشد وأعم من القتل والاسر والمعنى أخذناهم أولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أطم وأتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول ﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار ﴾ لتشهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية ﴿ والافئدة ﴾ لتفكروا بها ماتشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لا ثقا ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ أي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما أن العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في أنفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وأتم تخلون بذلك اخلا لا عظيما ﴿ وهو الذي ذرأكم في الارض ﴾ أي خلقكم وبشكم فيها بالتناسل ﴿ واليه تحشرون ﴾ أي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه ﴿ وهو الذي يحيي ويميت ﴾ من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الاشياء ﴿ وله ﴾ خاصة ﴿ اختلاف الليل والنهار ﴾ أي هو المؤثر في اختلافهما أي تعاقبهما أو اختلافهما ازديادا وانتقاصا أو لأمره وقضائه اختلافهما ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أي ألا تفكرون فلا تعقلون أو أتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا نعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على أن الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذلك ﴿ بل قالوا ﴾ عطف على مضمير يقتضيه المقام أي فلم يعقلوا بل قالوا ﴿ مثل ما قال الاولون ﴾ أي آباؤهم ومن دان بدينهم ﴿ قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لملعون ﴾ تفسير لما قبله من المبهمة وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه ﴿ لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا ﴾ أي البعث ﴿ من قبل ﴾ متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آباؤهم لا اليهم أي ووعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آباؤنا أي كائنين من قبل ﴿ ان هذا ﴾ أي ما هذا ﴿ الا أساطير الاولين ﴾ أي أكاذيبهم التي سطرها جمع أسطورة كأحدوثة وأعجوبة وقيل جمع أسطار جمع سطر ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ﴾ من المخلوقات تغليا للعقلاء على غيرهم ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أي ان كنتم تعلمون شيئا فأخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم مالا يخفى أو ان كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا حيث قيل ﴿ سيقولون ﴾

لله ﴿لأن بديهية العقل تضطرهم الى الاعتراف بأنه تعالى خالقها﴾ ﴿قل﴾ أى عند اعترافهم بذلك تبكيته لهم ﴿أفلا
 تذكرون﴾ أى أتعملون ذلك أو تقولون ذلك فلا تتذكرون أن من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادة ثانياً فان البدء
 ليس بأهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقول وقرىء تتذكرون على الاصل ﴿قل من رب السموات السبع ورب
 العرش العظيم﴾ أعيد الرب تنويعاً لبيان الشأن العرش ورفع المحل عنه أن يكون تبعاً للسموات وجوداً وذكر اول قدر وعى في الامر
 بالسؤال الترقى من الأدنى الى الأعلى ﴿سيقولون لله﴾ باللام نظر الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد
 وقرىء هو وما بعده بغير لام نظر الى لفظ السؤال ﴿قل﴾ الخامس وتوبيخاً ﴿أفلا تتقون﴾ أى أتعملون ذلك ولا تقون
 أنفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتذكرون البعث وتثبتون له شريكاً في الربوبية ﴿قل من يملك
 كل شيء﴾ مما ذكر وما لم يذكر أى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه ﴿وهو يحير﴾ أى يغيث غيره اذا شاء ﴿ولا يجار عليه﴾
 أى ولا يغيث أحد عليه أى لا يمنع أحد منه بالنصر عليه ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أى شيئاً ما أو ذلك فأجيبوني على
 ما سبق ﴿سيقولون لله﴾ أى الله ملكوت كل شيء وهو الذى يحير ولا يجار عليه ﴿قل فأتى تسحرون﴾ أى فمن أين
 تتخذون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما أتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحوراً تحتل العقل لا يكون كذلك
 ﴿بل أتيناكم بالحق﴾ الذى لا يحيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث ﴿وانهم لكاذبون﴾ فيما قالوا من الشرك وانكار
 البعث ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾ كما يقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿وما كان
 معه من اله﴾ يشاركه في الألوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم ﴿اذن لذهب كل اله بما خلق﴾ جواب لمحتاجتهم وجزاء
 لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أى لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتناز ملكه
 عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجارى فيما بين الملوك ﴿ولعل بعضهم على بعض﴾ فلم يكن يديه
 وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود
 واحد بالذات ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ أى يصفونه من أن يكون له أنداد أو أولاد ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ بالجر على
 أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وأياما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك
 بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى ﴿فتعالى عما يشركون﴾ فان تفرده تعالى
 بذلك موجب لتعالیه عن أن يكون له شريك ﴿قل رب إما ترينى﴾ أى ان كان لا بد من أن ترينى ﴿ما وعدون﴾ من
 العذاب الدينى المستأصل وأما العذاب الأخرى فلا يناسبه المقام ﴿رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين﴾ أى قرينا
 لهم فيهم فيه من العذاب وفيه ايدان بكال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيز منه من لا يكاد
 يمكن أن يحقق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل أمر به عليه الصلاة والسلام هضم لنفسه
 وقيل لأن شؤم الكفرة قد يحق بمن ورائهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى أنه تعالى
 أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل
 من الشرط والجزاء به لا براز كمال الضراعة والابتهال ﴿وانا على أن نريك ما نعدهم﴾ من العذاب ﴿لقادرون﴾
 ولكننا نؤخره لعلنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لا نالنا نعدهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم
 يوم بدر أفتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب المؤرعة عذاباً هائلاً مستأصلاً لا
 يظهر على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ وهو الصفع عنها والاحسان
 في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر بالمعروف

والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقدير الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ أى بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإرشاد له عليه السلام الى تفويض أمره اليه تعالى ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ أى وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرأض شبه حشم للناس على المعاصي بهمز الرأض الدواب على الاسراع أو الوثب والجمع للبرات أو لتنوع الوسوس أو لتعدد المضاف اليه ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ أمر عليه السلام بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ به من همزاتهم للبالغة في التحذير من ملابتهم وإعادة الفعل مع تكرير النداء لظاهر كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهاج في الاستدعاء أى أعوذ بك من أن يحضرونى ويحوموا حولى فى حال من الأحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وحال حلول الأجل كما روى عن عكرمة رحمه الله لأنها أخرى الأحوال بالاستعاذة منها ﴿حتى اذا جاء أحدهم الموت﴾ حتى هي التي يبندأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكدا للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين أن يزلوه عليه الصلاة والسلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون فى غاية البعد لفظا ومعنى أى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم أى أحد كان الموت الذى لا مرد له وظهرت له أحوال الآخرة ﴿قال﴾ تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة ﴿رب ارجعوني﴾ أى ردى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفا نيك ونظائره ﴿لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ أى فى الايمان الذى تركته لم ينظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بأن يقول لعلى أو من فأعمل الخ للاشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع أى لعلى أعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال أو من الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا عين المؤمن الملائكة قالوا أنزجوك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعونى ﴿كلا﴾ رددع عن طلب الرجعة واستبعاد لها ﴿انها﴾ أى قوله رب ارجعونى الخ ﴿كلمة هو قائلها﴾ لا محالة لتسلط الحسرة عليه ﴿ومن ورائهم﴾ أى أمامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ ﴿برزخ﴾ حائل بينهم وبين الرجعة ﴿الى يوم يبعثون﴾ يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخرية ﴿فاذا نفخ فى الصور﴾ لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ فى الاجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد ﴿فلا أنساب بينهم﴾ تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه أولا أنساب يفتخرون بها ﴿يومئذ﴾ كما هي بينهم اليوم ﴿ولا يتساءلون﴾ أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ موزونات حسناته من العقائد والاعمال أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب ﴿ومن

خفت موازينه) أى ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيل ما فى هذا المقام من الكلام فى تفسير سورة الاعراف (فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ضيعوها بتضييع زمان استكملها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الإشارة فى الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن افراد الضميرين فى الصلتين باعتبار لفظه (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللحم كالنفخ إلا أنه أشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأجزاء فبيان حالها أزجر عن المعاصى المؤدية الى النار وهو السر فى تقديمها على الفاعل (وهم فيها كالخوارج) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرىء كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمحار القول أى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم بها تكذبون) حيثئذ (قالوا ربنا غلبت علينا) أى ملكتنا (شقوتنا) التى اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبنى عنه اضافتها الى أنفسهم وقرىء شقوتنا بالفتح وشقاوتنا أيضا بالفتح والكسر (وكننا) بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء ضيعهم وأما ما قيل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فع أنه باطل فى نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة إلا ما علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للعلوم برده قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أى أخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد فى الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح فى أنهم حيثئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لاحداثهما (قال اخسؤا فيها) أى اسكتوا فى النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ أى انزجر (ولا تكلمون) أى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون فى رفع العذاب ويرده التعليل الآتى وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى (انه) تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أى ان الشأن وقرىء بالفتح أى لأن الشأن (كان فريق من عبادى) وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفقرضوان الله تعالى عليهم أجمعين (يقولون) فى الدنيا (ربنا آمنا فاعف لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) أى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتشاغلون باستهزائهم (حتى أنسولم) أى الاستهزاء بهم (ذكرى) من فرط اشتغالكم باستهزائهم (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى (انى جزيتهم اليوم) استبأناف لبيان حسن حالهم وأنهم اتفَعُوا بما آذوهم (بما صبروا) بسبب صبرهم على أذيتكم وقوله تعالى (أنهم هم الفائزون) ثانى مفعولى الجزاء أى جزيتهم فوزهم بمجماع مراداتهم مخصوصين به وقرىء بكسر الهمزة على أنه تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن (قال) أى الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالة بقوله اخسؤا فيها الخ وقرىء قل على الامر للملك (كم لبثتم فى الارض) التى تدعون أن ترجعوا اليها (عدد سنين) تميز لكم (قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) استقصارا لمدة لبثهم فيها (فاسأل العادين) أى المتمكنين من العد فانا بما يديهمنا

من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لأعمار العباد وأعمالهم وقرى العادين بالتخفيف أى المتعدين فانهم أيضا يقولون ما نقول كأنهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرى العادين أى القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون مدة لبثهم ﴿قال﴾ أى الله تعالى أو الملك وقرى قل كما سبق ﴿ان لبثتم الا قليلا﴾ تصديقا لهم فى ذلك ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ أى تعلمون شيئا أو لو كنتم من أهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعلمتم بموجبه ولم تخلدوا اليها ﴿أخسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ أى ألم تعلموا شيئا أخسبتم أنما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى أنكرتم البعث فعثا حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى أنما خلقناكم للعبث ﴿وأنكم اليئس لا ترجعون﴾ عطف على أنما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وأنما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرى ترجعون بفتح التاء من الرجوع ﴿فتعالى الله﴾ استعظام له تعالى ولشؤنه التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة ﴿الملك الحق﴾ الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماته عقابا واثابة وكل ماسواه مملوك له مقهور تحت ملكوته ﴿لا اله الا هو﴾ فان كل ما عداه عبيده ﴿رب العرش الكريم﴾ فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم امالانه منه ينزل الوحي الذى منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته الى أكرم الأكرمين وقرى الكريم بالرفع على أنه صفة الرب كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد ﴿ومن يدع مع الله الها آخر﴾ يعبده افرادا أو اشراكا ﴿لا برهان له به﴾ صفة لازمة لاله كقوله تعالى يطير بجناحيه جى بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيه على أن التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعترض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق منه بالاحسان فالله مثيبه ﴿فانما حسابه عند ربه﴾ فهو مجازله على قدر ما يستحقه ﴿انه لا يفلح الكافرون﴾ أى ان الشأن الخ وقرى بالفتح على أنه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لأن من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون . بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقل ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ ايذانا بأنهما من أهم الامور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وماتقربه عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى أن أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

سورة النور

(مدنية وهى اثنتان أو أربع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سورة﴾ خبر مبتدا محذوف أى هذه سورة وإنما أشير اليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى ﴿أنزلناها﴾ مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفادته التنكير من الفخامة

من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها فيأباه أن مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لأن في جملة ما أوحى إلى النبي عليه الصلاة والسلام سورة شأنها بذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرىء بالنصب على اضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له حيثئذ من الاعراب أو على تقدير اقرأ ونحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الاغراء فجعل أنزلنا النصب على الوصفية ﴿وفرضناها﴾ أى أوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايدان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرىء فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب ولتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من الساف والخاف ﴿وأنزلنا فيها﴾ أى في تضاعيف السورة ﴿آيات بينات﴾ ان أراد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالاتها على أحكامها لا على معانيها على الإطلاق فانها أسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير أنزلنا مع استازام انزال السورة لانزالها لابرار كال العناية بشأنها وان أراد جميع الآيات فالظرفية باعتبار احتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكرا بانه لخطرها ورفعها لمحلهما كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴿لعلكم تذكرون﴾ بحذف احدى التائين وقرىء بادغام الثانية في الذال أى تذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية الى اجراء أحكامها وفيه ايدان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضرها ﴿الزانية والزاني﴾ شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما تنبى عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديما على الزاني لأنها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعها على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾ والفاء تتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف أى فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزاني أى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفي في تعيين الناسخ القطع بأنه عليه الصلاة والسلام قدر جرم ما عزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى عن علي رضي الله عنه جلدها بكتاب الله ورجمها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن علي رضي الله عنه ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ وقرىء بفتح الهمزة وبالمد أيضا على فعالة أى رحمة ورقة ﴿في دين الله﴾ في طاعته واقامة حده فتعطلوه أو تساحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴿ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ من باب التهيسج والالهاب فان الايمان بهما يقتضى الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ أى لتحضره زيادة في التشكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة كما روى عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة الى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر ﴿الزاني لا ينكح الزانية أو مشركة والزانية لا ينكح الا زان أو مشرك﴾ حكم مؤسس على الغالب المعتاد

جى به لجزر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزانى لا يرغب الا في نكاح احدهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع أن مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشاركة للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشرار وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة ﴿وحرّم ذلك﴾ أى نكاح الزواني ﴿على المؤمنين﴾ لما أن فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للثمة والتسبب اسوء القالة والطعن في النسب واختلال أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد مالا يكاد يابق بأحد من الأداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهى وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الأيامى منكم فإنه متناول للمساخات ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبي عن صلاحة الآلة وابلان المرمى وبعده عن الرامى ايدان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاخصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عمارمين به من الزنا ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعي رحمه الله تعالى فإنه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقدوفة خلافا له أيضا وقرئ بأربعة شهداء ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وانتصاب ثمانين كاتنصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي المحصنين أيضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة﴾ عطف على اجلدوا داخل في حكمه تنمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقدوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعباون بسبب الكفار فلا يلحق المقدوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بدون مامر من الاعتبار تعاليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي

﴿أبدا﴾ أى مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تمتة للحد كما أنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كأصله ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للأيذان يبعد منزلتهم فى الشر والفساد أى أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى ﴿الا الذين تابوا﴾ استثناء من الفاسقين كما ينبى عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لأنه عن موجب وقوله تعالى ﴿من بعد ذلك﴾ لتحويل المتوب عنه أى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل ﴿وأصلحوا﴾ أى أصلحوا أعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقدوف ﴿فان الله غفور رحيم﴾ تعليل لما يفيد الاستثناء من العفو عن المؤاخذه بموجب الفسق كما أنه قيل حينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة فتقبل شهادته بعدها ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ بيان لحكم الرامين لاز واجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون هذا مخصصا للحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص أن لا يكون المخصص مترأخى النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخى نزولها كما سيأتى فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه أن دليل النسخ غير معلل ﴿ولم يكن لهم شهداء﴾ يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرى بتأنيث الفعل ﴿الا أنفسهم﴾ بدل من شهداء أو صفة لها على أن الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من أول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم فى قوله تعالى ﴿فشهادة أحدهم﴾ أى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿أربع شهادات﴾ خبره أى فشهادتهم المشروعة أربع شهادات ﴿بالله﴾ متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرى أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه اما خبر لمبتدأ محذوف أى فالواجب شهادة أحدهم واما مبتدأ محذوف الخبر أى فشهادة أحدهم واجبة ﴿انه لمن الصادقين﴾ أى فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتأكيد ﴿والخامسة﴾ أى الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة أى الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها فى افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واطهار الصدق وهى مبتدأ خبره ﴿أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين﴾ فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ أى العذاب الدنيوى وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذى هو أشد العذاب ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله انه﴾ أى الزوج ﴿لمن الكاذبين﴾ أى فيما رماها به من الزنا ﴿والخامسة﴾ بالنصب عطفا على أربع شهادات ﴿أن غضب الله عليها ان كان﴾ أى الزوج ﴿من الصادقين﴾ أى فيما رماها به من الزنا وقرى والخامسة بالرفع على الابتداء وقرى أن بالتخفيف فى الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرى أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فرمى يحترثن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روى أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدى الانصارى رضى الله عنه فقال جعلنى الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت

شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن يحيى بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويم فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتى خولة وهى بنت عاصم شريك بن سحاء فقال والله هذا سؤالى ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلّم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان فى حكم التطليقة البائنة عند أبى حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتأبد حكمها حتى اذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فجد جازله أن يتزوجها وعند أبى يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعى رحمهم الله هى فرقة بغير طلاق توجب تحريرا مؤبدا ليس لها اجتماع بعد ذلك أبدا ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتحويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ فى قبول التوبة حكيم فى جميع أفعاله وأحكامه التى من جماتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملة أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفترى عليها لا شترا كهما فى الفضاحة وبعد ما شرع لهم ذلك لوجعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولوجعل شهادتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتمادارة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما فى تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم فى ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة مالا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه فى الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبى عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته ﴿ان الذين جاؤا بالافك﴾ أى بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الافك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به مأفك به الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وفى لفظ المحي إشارة الى أنهم أظهره من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأتيهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضى الله عنها فأقرع بيننا فى غزوة غزاها قيل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمى فخرجت معه عليه السلام بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقامت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتسته فخبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه خفتى فلم يستنكروا وخفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعد ما استمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا يحيب فتيمنت منزلى وظننت أنى سيفقدوننى ويعودون فى طلبى فيينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فمت وكان صفوان بن المعطل السلى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخرمت وجهى بجلبابى والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقامت اليها فركبتها وانطلق يقودنى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول واقتدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فيينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم نخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى ﴿عصبة منكم﴾ خبر ان أى جماعة وهى من العشرة الى الأربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى ﴿لا تحسبوه مشرا لكم﴾

استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوا ان رضى الله عنهم تسلياً لهم من أول الأمر والضمير للآفك ﴿بل هو خير لكم﴾ لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثمانى عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً ﴿لكل امرئ منهم﴾ أى من أولئك العصبة ﴿ما اكتسب من الاثم﴾ بقدر ما خاض فيه ﴿والذى تولى كبره﴾ أى معظمه وقرئ بضم الكاف وهى لغة فيه ﴿منهم﴾ من العصبة وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعا بالتصريح به فافراد الموصول حيثئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما ﴿له عذاب عظيم﴾ أى فى الآخرة أو فى الدنيا أيضاً فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن أبى مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل اليمين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الاسناد وتكثير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطاب ما لا يخفى ﴿لولا اذ سمعتموه﴾ تلوين للخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذو به الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما فى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة فى قوله تعالى ﴿ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً﴾ لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جنائياتهم لغيرهم على وجه المباشرة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاماً ويزجرهم عن ضده زجراً بليغاً فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اسائه بأنفسهم أى بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلبسوا أنفسكم مما لا ريب فيه فأخلأهم بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقى فايحاجه لما ذكر ووضح واتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون أيضاً فايحاجه له من حيث انهم كانوا يحتززون عن اظهار ما ينافى مدعاهم فالتوبيخ حيثئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد أن عدم الاتيان به رأساً فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة أى كان الواجب أن يظن المؤمنون والمؤمنات أول ماسمعه من اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلغثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيراً ﴿وقالوا﴾ فى ذلك الآن ﴿هذا افك مبين﴾ أى ظاهر مكشوف كونه افكاً فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء﴾ اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ماسمعه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا ﴿فاذلم يأتوا﴾ بهم وانما قيل ﴿بالشهداء﴾ لزيادة التقرير ﴿فأولئك﴾ اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايدان بغلوهم فى الفساد وبعد منزلتهم فى الشر أى أولئك المفسدون ﴿عند الله﴾ أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة ﴿هم الكاذبون﴾ الكاملون فى الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولاً لا يساعده الدليل أصلاً ﴿ولولا فضل الله عليكم﴾ خطاب للسامعين والمسمعين جميعاً ﴿ورحمته فى الدنيا﴾ من فنون النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ﴿والآخرة﴾ من ضروب الآلاء التى من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة ﴿لمسكم﴾ عاجلاً ﴿فما أفضتم فيه﴾ بسبب ما خضتم فيه من حديث الآفك والابهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال أغاض فى الحديث

وخاض واندفع وهضب بمعنى ﴿عذاب عظيم﴾ يستحقرونه التوبيخ والجلد ﴿اذتلقونه﴾ بحذف احدى التاءين ظرف
 للبس أى لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين ﴿بألسنتكم﴾ والتلقى والتلقن معان متقاربة
 خلا أن فى الأول معنى الاستقبال وفى الثانى معنى الخطف والأخذ بسرعة وفى الثالث معنى الحذف والمهارة وقرئ تلتقونه
 على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه
 من الولق والالاق وهو الكذب وتلقفونه من تلقته اذا طلبته فوجدته وتلقفونه أى تتبعونه ﴿وتقولون بأفواهكم
 ما ليس لكم به علم﴾ أى تقولون قولاً مختصاً بالأفواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ فى القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به
 فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ﴿وتحسبونه هيناً﴾ سهلاً لا تبعه له وأولس له كثير عقوبة ﴿وهو
 عند الله﴾ والحال أنه عنده عز وجل ﴿عظيم﴾ لا يقادر قدره فى الوزر واستجرار العذاب ﴿ولو لا اذ سمعتموه﴾ من
 المخترعين أو المشايخين لهم ﴿قلتم﴾ تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه ﴿ما يكون لنا﴾ ما يمكننا ﴿أن نتكلم بهذا﴾ وما يصدر
 عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لانه نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة والانباء وهذا
 اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ
 واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المفقوع الى التحضيض على تركه وأما ترك
 القول نفسه رأساً فما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي أن يحمل ما قيل ان المعنى
 انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ما قيل
 من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع فى غيرها فهى
 ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بأن جعل مفعولاً صريحاً لفعل المذكور كما فى قوله تعالى
 واذكروا اذ جعلكم خلفاء أو مقدر كعامه الظروف المنصوبة باضمار اذكر وأما ههنا فلا حاجة اليها أصلاً لما تحققت
 أن مناط التقديم توجيه التحضيض اليه وذلك بتحقيق فى جميع متعلقات الفعل كما فى قوله تعالى فلولاً ان كنتم غير
 مدنيين ترجعونها ﴿سبحانك﴾ تعجب من تقوه به وأصله أن يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيهاً له
 سبحانه عن أن يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى عن أن تكون حرمة نبيه
 فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومحل بمقصود الزواج فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله تعالى ﴿هذا بهتان عظيم﴾
 لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها ﴿يعظمكم الله﴾ أى ينصحكم
 ﴿أن تعودوا لمثله﴾ أى كراهة أن تعودوا أو يزجركم من أن تعودوا أو فى أن تعودوا من قولك وعظته فى كذا فتركه
 ﴿أبدا﴾ أى مدة حياتكم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ﴿وبين
 الله لكم الآيات﴾ الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتعظروا وتتأدبوا بها أى ينزلها كذلك أى مبدئة
 ظاهرة الدلالة على معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك وهذا كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
 أى خلقهما صغيراً وكبيراً ومنه قولك ضيق فم الركبة ووسع أسفلها واطهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتفخيم
 شأن البيان ﴿والله عليم﴾ بأحوال جميع مخلوقاته جلالها ودقائقها ﴿حكيم﴾ فى جميع تدابيرها وأفعاله فأنى يمكن
 صدق ما قيل فى حق حرمة من اصطفاه لرسالاته وبعثه الى كافة الخلق ليرشداهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم تطهيراً
 واطهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييل والاشعار بعلية الألوهية للعلم والحكمة ﴿ان الذين
 يحبون﴾ أى يريدون ويقصدون ﴿أن تشيع الفاحشة﴾ أى تنتشر الخصلة المفترطة فى القبح وهى الفرية والرمى

بالزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أي يحجون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتعبة له لا محالة ﴿ في الذين آمنوا ﴾ متعلق بتشيع أي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أي يحجون أن تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم ﴿ لهم ﴾ بسبب ما ذكر ﴿ عذاب أليم في الدنيا ﴾ من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا وسوطا جاحدا القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره ﴿ والآخرة ﴾ من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل ﴿ والله يعلم ﴾ جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة ﴿ وأنتم لا تعلمون ﴾ ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة فابنوا أموركم على ما تعلمونه وعافوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب الأليم في الدنيا عبارة عن حد القذف أو منتظا له كما أطبق عليه الجمهور أما اذا بقي على إطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير أن يقارنها التصدي للاشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلي أعنى قوله تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب الأليم لهم وتعليل له ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة ﴿ وأن الله رؤوف رحيم ﴾ عطف على فضل الله وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والشعاع باستباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة والرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴾ أي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذكرون من الأفاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبا وقرى خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا ﴿ ومن يتبع خطوات الشيطان ﴾ وضع الظاهران موضع ضمير بهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير ﴿ فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ﴾ علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امثل بأمره قطعاً والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشأن على رأى من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط أو على أن الأصل يأمره وقيل هو عائد الى من أي فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴾ بما من جملة هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ﴿ ما زكا ﴾ أي ما طهر من دنسها وقرى ما زكى بالتشديد أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى ﴿ منكم ﴾ بيانية وفي قوله تعالى ﴿ من أحد ﴾ زائدة وأحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ﴿ أبداً ﴾ لا الى نهاية ﴿ ولكن الله يزكى ﴾ يطهر ﴿ من يشاء ﴾ من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم ﴿ والله سميع ﴾ مبالغ في سماع الأقوال التي من جملتها ما أظهره من التوبة ﴿ عليم ﴾ بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة وإظهار الاسم الجليل للايدان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال

الاعتراض التذييلي ﴿ولا يأتل﴾ أي لا يحاف افتعال من الالية وقيل لا يقصر من الالو والأول هو الأظهر لنزوله في شأن الصديق رضى الله عنه حين حاف أن لا ينفق على مسطح بعدد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يأتل ﴿أولو الفضل منكم﴾ في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه ﴿والسعة﴾ في المال ﴿أن يؤتوا﴾ أي على أن لا يؤتوا وقرئ بقاء الخطاب على الالتفات ﴿أولى القرب والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ صفات لموصوف واحد جى بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات أقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوهم شيئا ﴿وليغفوا﴾ ما فرط منهم ﴿وليصفحوا﴾ بالانغضاء عنه وقد قرئ الأمران بقاء الخطاب على وفق قوله تعالى ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ أي بمقابلة عفوك وصفحك واحسانكم الى من أساء اليكم ﴿والله غفور رحيم﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذه وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم في العفو وتد كريمة بمقابله كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر رضى الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا ﴿ان الذين يرمون المحصنات﴾ أي العفاف مما رمين به من الفاحشة ﴿الغافلات﴾ عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات أي السليمان الصدور النقيات القلوب عن كل سوء ﴿المؤمنات﴾ أي المتصفات بالايمان بكل ما يجب أن يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبي عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الايمان فانه للايدان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمى لسائر أمهات المؤمنين لا شترك الكل في العصمة والنزاهة والاتساع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استبعادها للتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد اياهن على أحد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل ربهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لخمى الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى أن ابن عباس رضى الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة رضى الله عنها وهل هو منه رضى الله عنه الا لتهويل أمر الافك والتنبيه على أنه كفر غليظ ﴿لعنوا﴾ بما قالوه في حقهن ﴿في الدنيا والآخرة﴾ حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا ﴿ولهم﴾ مع ما ذكر من اللعن الابدى ﴿عذاب عظيم﴾ هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى ﴿يوم تشهد عليهم﴾ الخ امام متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جنايتهم الموجهة له مع سائر جناياتهم المستتعبة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا لعذاب وان أغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايدان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم ﴿ألسنتهم﴾

وأيدىهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ يكون من الاحوال والاهوال مالا يحيط به حيلة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجناتهم القبيحة لاعن جناتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفعال صاحبها لأن كلا منها يخبر بجناتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لاعن احدهما خاصة فقيه من ضرورب التحويل بالاجمال والتفصيل مالا يزيد عاينه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتبين لامر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عاينها في الدنيا وتقدم عاينهم على الفاعل المسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مرارا وقوله تعالى ﴿يومئذ يوفيه الله دينهم الحق﴾ أى يوم اذ تشهد جوارحهم بأعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذى يحقق أن يثبت لهم لاحالة واقفا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا لوفيههم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أى اذ كر يوم تشهد وقرىء يوم يشهد بالتذكير للفصل ﴿ويعلمون﴾ عند معاينتهم الاحوال والخطوب حسبا لنطق به القرآن الكريم ﴿أن الله هو الحق﴾ الثابت الذى يحق أن يثبت لاحالة فى ذاته وصفاته وأفعاله التى من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التى يشاهدونها منطبقه عليها ﴿المبين﴾ المظهر الاشياء كما هى فى أنفسها أو الظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ماسواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذى الحق البين أى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبع ما فى الفرقان المجيد من آيات الوعيد الواردة فى حق كل كفار مرید وجبار عنيد لاتجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم فى علو الشأن والنباهة وابرار رتبة الصديقة رضى الله عنها فى العفة والنزاهة وقوله تعالى ﴿الخبثات﴾ الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب أن الله تعالى ملكا يسوق الامل الى الامل أى الخبيثات من النساء ﴿للخبثين﴾ من الرجال أى مختصات بهم لا يكدرن يتجاوزنهم الى غيرهم على أن اللام للاختصاص ﴿والخبثون﴾ أيضا ﴿للخبثات﴾ لان المجانسة من دواعى الانضمام ﴿والطيبات﴾ منهن ﴿للطيبين﴾ منهم ﴿والطيون﴾ أيضا ﴿للطيبات﴾ منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيّب الاطيين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضى الله عنها من أطيّب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل فى حقها من الخرافات حسبا لنطق به قوله تعالى ﴿أولئك مبرؤن مما يقولون﴾ على أن الاشارة الى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما أوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايدان بعلا رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك الموصوفون بعلا الشأن مبرؤن مما تقول أهل الافك فى حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبثين من الرجال والنساء أى مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن يقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال فى حقهم خباثت القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم أحقاء بأن يقال فى شأنهم طيبات الكلم أولئك الطييون مبرؤن مما يقول الخبيثون فى حقهم فما له تنزيه الصديقة أيضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبثين من فريق الرجال والنساء لاتصدر عن غيرهم والخبثون من الفريقين مختصون بخباثت القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين

أى مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث أى لا يصدر عنهم مثل ذلك فآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب ﴿ورزق كريم﴾ هو الجنة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم﴾ اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفاف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدى الى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتعبة لسعادة الدارين و وصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى هى سكنى كل أحد فى ملكه والافالاجر والمعير أيضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرىء بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء ﴿حتى تستأنسوا﴾ أى تستأذنوا من يملك الاذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا أبصره فان المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس ﴿وتسلموا على أهلها﴾ عند الاستئذان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن التسليم أن يقول السلام عليكم أَدْخَلَ ثلاث مرات فان أذن له دخل والا رجع ﴿ذلكم﴾ أى الاستئذان مع التسليم ﴿خير لكم﴾ من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حينئذ صباحا حينئذ مساء فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف و روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمى قال له نعم قال ليس لها خادم غيرى أستأذن عليها كلما دخلت قال عليه الصلاة والسلام أحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه الصلاة والسلام فاستأذن ﴿لعلكم تذكرون﴾ متعلق بمضمر أى أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تذكروا وتعتظوا وتعملوا بموجبه ﴿فان لم تجدوا فيها أحدا﴾ أى من يملك الاذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدهانه أو أحدا أصلا على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفائه مع أن التصرف فى ملك الغير محظور مطلقا وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلا ينحصر عند انضمام ما هو أقوى منه اليه أعنى الاطلاع على العورات أولى ﴿فلا تدخلوها﴾ واصبروا ﴿حتى يؤذن لكم﴾ أى من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسر بقوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعى فى معرض الاحتمال ولما كان جعل النهى مغيا بالاذن مما يؤم الرخصة فى الانتظار على الابواب مطلقا بل فى تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾ أى ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الامر من يملك الاذن أولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما فى الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى أن يأتي الاذن كما فى الثانى فان ذلك مما يجلب الكراهة فى قلوب النار ويقدر فى المروءة أى قدح ﴿هو﴾ أى الرجوع ﴿أزكى لكم﴾ أى أظهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدنائة والردالة ﴿والله بما تعملون عليم﴾ فيعلم ما تاتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوها﴾ أى بغير استئذان ﴿بيوتا غير مسكونة﴾ أى غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا كالربط والحانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبى عنه قوله تعالى ﴿فيها متاع لكم﴾ فانه صفة للبيوت أو استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح أى فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايقوا الأمتعة والرجال والشرء والبيع والاعطسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت

وداخلها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخلها من قبل ولا من يتولى أمرها ويقوم بتديرها من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفي الجماعات ونحوهم ويروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وأنا تختلف في تجارتنا فنزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا باذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ما ينتظمه البيوت لأنها المرادة فقط وقوله تعالى ﴿ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عوارث ﴿ قل للمؤمنين ﴾ شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يدرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت إدراجا أوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض مافي حيزه من الأوامر والنواهي الى رأيه عليه الصلاة والسلام لانها تكاليف متعلقة بأمر جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الأمر بها والمتصدى لتديرها حافظا ومهيئنا عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا ﴿ يغضوا من أبصارهم ﴾ عما يحرم ويقتصر وابه على ما يحل ﴿ ويحفظوا فروجهم ﴾ الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعية دون الحفظ لما في أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ﴿ ذلك ﴾ أى ما ذكر من الغض والحفظ ﴿ أذكرى لهم ﴾ أى أظهر لهم من دنس الرية ﴿ ان الله خير بما يصنعون ﴾ لا يخفى عليه شئ مما يصدر عنهم من الأفعال التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ﴾ فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ﴿ ويحفظن فروجهن ﴾ بالتستر أو التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ﴿ ولا يبدن زينتهن ﴾ كالحلى وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهى عن ابداء مواضعها ما لا يخفى ﴿ الا ما ظهر منها ﴾ عند مزاوله الامور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة ﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ﴾ ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهى عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدن خمرهن من خلفهن فتبدون نحو رهن وقلاندن من جيوبهن لوسعها فأمرن بارسال خمرهن الى جيوبهن ستر لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقافعدى بعلى وقرى بكسر الجيم كما تقدم ﴿ ولا يبدن زينتهن ﴾ كرر النهى لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور ﴿ الا لبعولتهن ﴾ فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود ﴿ أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن ﴾ لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهم ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوان لما أن الاحوط أن تستتر عنهم حذارا من أن يصفوهن لآبائهم ﴿ أو نسائهن ﴾ المختصات بهن بالصحة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال ﴿ أو ما ملكت أيمانهن ﴾ أى من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها وقيل من الاماء والعبيد لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قعته به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلأمك ﴿ أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ﴾ أى أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهام والمسوحون وفي المحبوب والخصى خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من

أمور النساء وقرىء غير بالنصب على الحالية ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع كتفاء بدلالة الوصف ﴿ولا يضرين بأرجلن ليعلن ما يخفين﴾ أى ما يخفيه من الرؤية ﴿من زينتهن﴾ أى ولا يضرين بأرجلهن الارض ليتفقق خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم أن لهن ميلا اليهم وفى النهى عن ابداء صوت الحلى بعد النهى عن ابداء عينها من المبالغة فى الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابرز كمال العناية بما فى حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمت المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى هو الأمر بهما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفریط فى اقامة مواجب التكليف كما ينبغى وناهيك بقوله عليه السلام شيئتى سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لاسيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفى تكرير الخطاب بقوله تعالى ﴿أيها المؤمنون﴾ تأكيد للإيجاب وايدان بأن وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرىء أياه المؤمنون ﴿لعلكم تفلحون﴾ تفوزون بذلك بسعادة الدارين ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ بعدما زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير من جرة عن ذلك وأيامى مقلوب أيام جمع أيم وهو من لازوج له من الرجال والنساء بكرا كان أو ثيبا كما يفصح عنه قول من قال

فان تنكحى أنكح وان تتأيمى وان كنت أفنى منكم أتأيم

أى زوجوا من لازوج له من الاحرار والحرائر ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ على أن الخطاب للأولياء والسادات واعتبار الصلاح فى الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من أن يكون خليقا بأن يعتنى مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف فى نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح فى الاحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون فى التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم فى ذلك غرامة حتى يعتبر فى مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ﴿ان يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾ ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أى لا يمتنع فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غادر رائج يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴿والله واسع﴾ غنى ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلاق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك ﴿عليم﴾ يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿وليس تعفف﴾ ارشاد للعاجزين عن مبادئ النكاح وأسبابها الى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أى ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة ﴿الذين لا يجدون نكاحا﴾ أى أسباب نكاح أو لا يتمكنون مما ينكح به من المال ﴿حتى يغنيهم الله من فضله﴾ عدة كريمة بالفضل عليهم بالغنى ولطف لهم فى استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايدان بأن فضله تعالى أولى بالاغناء وأدنى من الصلحاء ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ بعدما أمر بالنكاح صالحى المالك الاحقاء بالنكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أى الذين يطلبون المكاتبه ﴿مما ملكت أيمانكم﴾ عبدا كان أو أمة وهى أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على

كذا درهما تؤديه الى وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن أداها اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تني بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق أن المكاتبه اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في أن ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان بأحد شرطيه معا يثم من قبله و يصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يثم من قبل صاحبه و يصدر عنه من فعله الخاص به الا أن كلام من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه الامنوطا بتحقيق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع الذي هو تملك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بدمن تضمنين أحدهما الآخر وقت الانشاء فكما أن قول البائع بعث انشاء لعقد البيع على معنى أنه ايقاع لما يثم من قبله أصالة ولما يثم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة أى ايقاع لما يثم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما يثم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره ﴿فكانتوهم﴾ والفاء تتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ أى أمانة ورشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذى الناس بعد العتق واطلاق العنان ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ أمر للمولى ببذل شئ من أموالهم وفى حكمه حط شئ من مال الكتابة ويكفى فى ذلك أقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعى للوجوب ويرده قوله عليه الصلاة والسلام المكاتب عبد مابق عليه درهم اذلو وجب الخط لسقط عنه الباقي حتما وأيضا لو وجب الخط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومستقطبا معا وأيضا فهو عقد معاوضة فلا يحبر على الخطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وإضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه إياهم للبحث على الامثال بالأمر بتحقيق المأمور به كما فى قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعى الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبديل العنوان حسبا ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية ﴿ولا تكرر هو افتياتكم﴾ أى اماءكم فان كلاما من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عليه الصلاة والسلام ليقبل أحدكم فتاى وفتاى ولا يقبل عبدى وأمتى وهذه العبارة فى هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلى حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى ﴿على البغاء﴾ وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتى يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى ﴿ان أردن تحصنا﴾ ليس لتخصيص النهى بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزانى أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الامور

المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عاداتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبايح فان عبد الله بن أبي كاتله ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبايح ما لا يخفى فان من له أدنى مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من امائه فضلا عن أمرهن به أو اكرههن عليه لاسيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وما قيل من أنه ان جعل شرطاً للنهي لا يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهى عنه فانهما بمعزل من التحقيق واشار كلمة ان على اذا مع تحقق الارادة في مورد النص حتماً للايذان بجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليقه بأن الارادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها اباء ظاهراً وقوله تعالى ﴿ لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾ قيد للاكراه لكن لا باعتبار أنه مدار للنهي عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جى به تشنيعاً لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر الحقيقير أى لا تفعلوا ما أتم عليه من اكرههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذهو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتباً عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ﴿ ومن يكرهن ﴾ الخ جملة مستأنفة سيقنت لتقرير النهي وتأكيده وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة أى ومن يكرهن على ما ذكر من البغاء ﴿ فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم ﴾ أى لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما ينبي عنه قوله تعالى من بعد اكرههن أى كونهن مكرهات على أن الاكراه مصدر من المبني للمفعول فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضاً فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فتجوز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالاً أو معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي فى مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار أنهم وان كن مكرهات لا يخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما يحكم الجبلية البشرية واما باعتبار أن الاكراه قد يكون قاصراً عن حد الاجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكرهين ببيان أنهم حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرهن فى استحقاق العذاب ﴿ ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ﴾ كلام مستأنف جى به فى تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شأنها المستوجبة للاقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى تعرب عنه اللام لابرز كمال العناية بشأنه أى وبالله لقد أنزلنا اليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانها من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادئ بيانها على أن اسناد التبيين اليها مجازى أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قديين الصبح لذى عينين وقرى على صيغة المفعول أى التى بينت وأوضحت فى هذه السورة من معانى الاحكام والحدود وقد جوز أن يكون الاصل مبينا فيها الاحكام

فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول ﴿ومثلا من الذين خلوا من قبلكم﴾ عطف على آيات أي وأنزلنا مثلاً كأننا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الأنبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الأمثال الواردة في السورة الكريمة انتظاماً واضحاً وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط ياباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات ﴿وموعظة﴾ تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواظ على المعنى المذكور ومدار العطف هو التغير العنواني المنزل منزلة التغير الذاتي وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والأحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لا اذمتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وانما قيل ﴿للتبين﴾ مع شمول الموعظة لكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى أنزلنا اليكم حثاً للخاطبين على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتصمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواظ فقوله تعالى ﴿الله نور السموات والارض﴾ الخ حيث استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه وأما على الأول فلتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصوراً على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحق بيانه من الأحكام والشرائع ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وأنه واقع منه تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو أقوى مراتب البيان وأجلها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيهاً على قوة التنوير وشدة التأثير وايداناً بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما أن النور نير بذاته وما عداه مستنير به وأضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوخ البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الأمور التي لها مدخل في ارشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه أو على شمول البيان لآحوالها وأحوال ما فيها من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من أحواله ما يستحق البيان اما تفصيلاً أو اجمالاً كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلاً على وجود الصانع وصفاته وشاهداً بصحة البعث أو على تعلق البيان بأهلها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادى أهل السموات والأرض فهم بنوره يهتدون ويهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم إلى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما أن الاعداد هو الاصل في الاخفاء أو على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار أو بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والاشجار أو على تديده تعالى لأمورها وأمور ما فيها فما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام ﴿مثل نوره﴾ أي نوره الفاضل منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نوراً أيضاً في قوله تعالى وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد بن أسلم رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل ياباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاطهار كما هو شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيبة ﴿كشكاة﴾

أى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الانارة والتنوير ﴿ففى مصباح﴾ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ﴿المصباح فى زجاجة﴾ أى قنديل من الزجاج الصافى الازهر وقرى بفتح الزاى وكسرها فى الموضوعين ﴿الزجاجة كأنها كوكب درى﴾ متلأى وقاد شبهه بالدرى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرى درى بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدر وهو الدفع أى مبالغ فى دفع الظلام بضوئه أو فى دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرى بضم الدال والباقى على حاله وفى إعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كشكاة فيها مصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وبأثبت ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبى عن القصد الاصلى دون الوصف المبني على الإشارة الى الثبوت فى الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الاولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو فى زجاجة هى كأنها كوكب درى ﴿يوقد من شجرة﴾ أى يتبدأ ايقاد المصباح من شجرة ﴿مباركة﴾ أى كثيرة المنافع بأن رويت ذبالبته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت فى الارض التى بارك الله تعالى فيها للعالمين ﴿زيتونة﴾ بدل من شجرة وفى ايهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال منها تفخيم لشأنها وقرى توقد بالتاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرى توقد على صيغة الماضى من التفعّل أى ابتداء ثقب المصباح منها وقرى توقد بحذف احدى التائين من توقد على اسناده الى الزجاجة ﴿لا شرقية ولا غربية﴾ تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى على قلة أو صحراء واسعة تقع الشمس عليها حالى الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية وغربية أى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لانابتة فى شرق المعمورة ولا فى غربها بل فى وسطها وهو الشام فإن زيوتها أجود ما يكون وقيل لافى مضجى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا فى مقناة تغيب عنها دائماً فتتركانياً وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا فى نبات فى مقناة ولا خير فيهما فى مضجى ﴿يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار﴾ أى هو فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضىء بنفسه من غير مساس نار أصلاً وكلمة لو فى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شئ فى الزمان الماضى لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالاً بادخالها على أبعد ما منه امال وجود المانع كما فى قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشنودة واما لعدم الشرط كما فى هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفائه مع ماعداء من الاحوال بطريق الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلا أن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شئ آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لا تستقصا الاحوال على سبيل الاجمال وهذا أمر مطرد فى الخبر الموجب والمنفى فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً أو بخيل لا يعطى ولو كان غنياً تريد بيان تحقق الاعطاء فى الاول وعدم تحققه فى الثانى فى جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيراً ولو كان فقيراً ولا يعطى لو لم يكن غنياً ولو كان غنياً فالجملة مع ما عطفت هى عليه فى حيز النصب على الحالية من

المستكن في الفعل الموجب أو المنفي أى يعطى أو لا يعطى كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضىء لو مسته نار ولولم تمسه نار أى يضىء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبها هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة ﴿نور﴾ خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ﴿على نور﴾ متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلك للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه أى ذلك النور الذى عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف مامثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضابق كالمشكاة كان أضواءه وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء يندثر فيه وينتشر والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفائه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشرافا ويمده باضاءة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل ﴿يهدى الله لنوره﴾ أى يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيده فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل ﴿من يشاء﴾ هدايته من عبادته بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيقته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايدان بأن مناه هذه الهداية وملا كما ليس الا مشيئته تعالى وأن تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ﴿ويضرب الله الامثال للناس﴾ في تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لا وابد المعاني بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايدان باختلاف حال ما أسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذى هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة ﴿والله بكل شئ عليم﴾ معقولا كان أو محسوسا ظاهر اكان أو باطنا ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه أحوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلّة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾ لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاطهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير الى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشيئته الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هي المساجد التى بناها نبي من أنبياء الله تعالى الكعبة التى بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن فى رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدرها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وأيا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن

يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذلك اسم الله تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى ﴿يسبح له﴾ وقوله تعالى ﴿فيها﴾ تكرير لها للتأكيد والتدبير لما بينهما من الفاصلة ولا يذان بأن التقديم للاهتمام بالقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام وبدونها أيضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبي عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى ﴿بالغدو والآصال﴾ أي بالغدوات والعشايا على أن الغدو اما جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبا يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو العشى وهو شامل لأوقات ماعدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء الصلوات وأوقاتها لزيادة شرفه واناقة على سائر أفرادها أو عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والاشتغال بالاشغال وقرىء والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى ﴿رجال﴾ فاعل يسبح وتأخير عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرىء يسبح على البناء للمفعول باسناده الى أحد الظروف ورجال مرفوع بما ينبي عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبيك يزيد ضارح لخصومة كأنه قيل من يسبح له فليل يسبح له رجال وقرىء تسبح بتأنيث الفعل مبنيًا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيًا للمفعول على أن يسند الى أوقات الغدو والآصال بزيادة البناء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحة فيها أو يسند الى ضمير التسبيحة أي تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة أنى جعفر ليجزى قوما أي ليجزى الجزاء قوما بل هذا أولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح ﴿لاتلهيهم تجارة﴾ صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنىهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة ﴿ولا بيع﴾ أي ولا فرد من أفراد البياعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجها تحت التجارة للايدان باناقته على سائر أنواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما عده متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفى إلهاء ما عده نفى إلهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفى وتأكيده وقد نقل عن الواقدي أن المراد بالتجارة هو الشراء لانه أصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا أي جلبه ﴿عن ذكر الله﴾ بالتسبيح والتحميد ﴿ وإقام الصلاة ﴾ أي اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد أسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله

وأخلفوك عد الامر الذي وعدوا أي عدة الأمر ﴿ وإيتاء الزكاة ﴾ أي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وإيراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لاتفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى ﴿ يخافون ﴾ الخ فانه صفة ثانية لرجال أحوال من مفعول لاتلهيهم وأياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى ﴿ يوما ﴾ مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى ﴿ تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ صفة ليوما أي تضطرب وتتغير في أنفسها من الهول والفرع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زأغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أو تتغير أحوالها وتتقلب فتتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتبصر الأبصار بعد أن كانت عمياء أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي

ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ﴿ليجزئهم الله﴾ متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من أعمالهم المرضية أى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى ﴿أحسن ما عملوا﴾ أى أحسن جزاء أعمالهم حسبا وعدلهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها الى سبعائة ضعف ﴿ويزيدهم من فضله﴾ أى يفضل عليهم بأشياء لم توقع لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل إنما وعدت بطريق الاجمال فى مثل قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من جملتها قوله تعالى ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ فانه تذييل مقرر للزيادة وعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات ما لا ينبي به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فإياه نظمها فى سلك الغاية والموصول عبارة عن ذكر صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضع موضع ضميرهم للتنبية بما فى حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا أعمالهم المحكية كما أنها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا لتظاهر الأسباب وللايدان بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسب ما يعرب عنه ما فصل من أعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر وأحواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذى هو المعنى بالنور وبه يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه وأجلاله هذا وقد قيل قوله تعالى فى بيوت الخ من تمة التمثيل وكلمة فى متعلقة بمحذوف هى صفة لمشكاة أى كائنة فى بيوت وقيل لمصباح وقيل لرجاحة وقيل متعلقة بيوقة والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولولم تمسسه نار على ما هو الحق أو ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شئ عليم كلام متعلق بالمثل قطعاً فتوسطه بين أجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالأجنبي يؤدى الى كون ذكر حال المتفعين بالتمثيل المهيدين بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال أضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به فى كلام الناس فضلا أن يحمل عليه الكلام المعجز ﴿والذين كفروا﴾ عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا وما آلا كما وصف والذين كفروا ﴿أعمالهم﴾ أى أعمالهم التى هى من أبواب البر كمصلحة الأرحام وفك العنة وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما فى قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم بر ماد الآية ﴿كسراب﴾ وهو ما يرى فى الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أى يجرى ﴿بقية﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أى كائن فى قاع وهى الأرض المنبسطة المستوية وقيل هى جمع قاع كخيرة جمع جار وقرى بقيعات بناء مدودة كديمات اما على أنها جمع قيعة أو على أن الأصل قيعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف ﴿يحسبه الظمان ماء﴾ صفة أخرى لسراب وتخصيص الحسابان بالظمان مع شموله لكل من يراه كأن ثمان كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شرقة طرفيه فى وجه الشبه الذى هو المطلع المطمع والمقطع المؤس ﴿حتى اذا جاءه﴾ أى اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه ﴿لم يجده﴾ أى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه ﴿شيئا﴾ أصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ﴿وجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمان ويظهر أنه يعترهم بعد ذلك

من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلاً فليست الجملة معطوفة على لم يحده شيئاً بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكرة عينا ولا أثراً كما في قوله تعالى وقد منّا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ماءً حتى اذا جاء لم يحده شيئاً حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئاً كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئاً ووجدوا الله أى حكمه وقضاه عند المحي وقيل عند العمل فوفاهم أى أعطاهم وأما كمالاً حسابهم أى حساب أعمالهم المذكرة وجزأها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعاً وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمان الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى أعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة ابن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح واتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر ﴿أو كظلمات﴾ عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع اثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتربها المغترون بظلمات كائنة ﴿في بحر لجي﴾ أى عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي أيضاً معظمه ﴿يغشاه﴾ صفة أخرى للبحر أى يستره ويغطيه بالكلية ﴿موج﴾ وقوله تعالى ﴿من فوقه موج﴾ جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أى يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى ﴿من فوقه سحب﴾ صفة لموج الثاني على أحد الوجهين المذكورين أى من فوق ذلك الموج سحب ظلماتي ستر أضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب ﴿ظلمات﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هي ظلمات ﴿بعضها فوق بعض﴾ أى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور يبين لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرى بالجر على الابدال من الأولى وقرى باضافة السحاب اليها ﴿اذا أخرج﴾ أى من ابتلى بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة ﴿يده﴾ وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها ﴿لم يكدرها﴾ وهي أقرب شئ منه فضلاً عن أن يراها ﴿ومن لم يجعل الله له نورا﴾ الخ اعتراض تذييلي جى به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى إياهم لنوره وإيراد الموصول للإشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وأنهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أى ومن لم يشأ الله أن يهديه لنوره الذى هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتماً ولم يوفقه للإيمان به ﴿فأله من نور﴾ أى فأله هداية ما من أحد أصلاً وقوله تعالى ﴿ألم تر﴾ الخ استئناف خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام للإيدان بأنه تعالى قد أفاض عليه عليه الصلاة والسلام أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والمملوك أدقها وأخفها والهزمة للتقرير أى قد علمت علماً يقينياً شديداً بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح ﴿أن الله يسبح له﴾ أى ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وأفعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل ﴿من في السموات والأرض﴾ أى ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائناً كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيهاً معنوياً تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركباً كان أو بسيطاً فهو من حيث ماهيته وجوده وأحواله

يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل مالا يليق بشأن من شأنه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بإثارة كلمة من على ما كأن كل شيء مما عزوهان وكل فرد من أفراد الاعراض والأعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقسيح حال الكفرة في اخلاصهم بالتنزيه يجعلهم الجمادات شركاء له في الألوهية ونسبتهم إياه إلى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات بأن يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرد أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وإنما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشار بهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعبير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أحسن جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التي هي الانسانية (والطير) بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح أنبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أي تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فان اعطاه تعالى للأجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الأجنحة والأذنان الخفيفة وإرشادها إلى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) بيان لكامل عرافة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الأفاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج في تضاعيفه الإشارة إلى أن لكل واحد من الأشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية إليه تعالى واستفاضة منه لما يهيمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لأن يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته مالا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وإفادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الإدراك وبما ناب عنه التنوين في كل أنواع الطير وأفرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برفعها فانه يؤدي إلى أن يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضممر أريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس أي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أي دعائه وتسبيحه اللذان ألهمهم الله عز وجل إياه لبيان كمال رسوخه فيهما وأن صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وإيقان من غير إخلال بشيء منهما حسبما ألهمه الله تعالى فان ألهمه تعالى لكل نوع من أنواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يتبدى

اليه جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره أصلاً كيف لا وأن القنفذ مع كونه أبعد الأشياء من الادراك قالوا
انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبها فيغير المدخل الى جحره حتى روى انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي
رجل قد أثرى بسبب أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها ويتفعمون بانذاره بتدارك أمور سفائهم وغيرها
وكان السبب في ذلك انه كان يقتنى في داره قنفذا يستدل بأحواله على ما ذكر وتخصيص تسييح الطير بهذا المعنى
بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجوداً وأقرب حملاً على التسييح وقوله تعالى ﴿والله عليم بما يفعلون﴾ أي
ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات
من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسنداً الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها
وعن التسييح الخاص بالطير معاً وعن تسييح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض
حيث مقرر لتسييح الطير فقط وعلى الاولين لتسييح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم الله عز وجل وفي
صلاته وتسييحه لكل أي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والارض وتسييحه فالاعتراض حيث مقرر
لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن تكون ما عبارة عما تعلق به عليه تعالى من صلاته وتسييحه بل عن جميع أحواله
العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا أولياً ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ لا لغيره لأنه
الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجاداً واعداً ببدءاً واعادة وقوله تعالى ﴿والى
الله﴾ أي اليه تعالى خاصة لا الى غيره ﴿المصير﴾ أي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى
في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لترتبة المهابة والاشعار بعلّة الحكم
﴿ألم تر أن الله يزعج سبحاباً﴾ الازجاء سوق الشئ برفق وسهولة غلب في سوق شئ يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة
المرجاة ففيه ايماء الى أن السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ﴿ثم يولف يده﴾ أي بين أجزائه بضم بعضها
الى بعض وقرى يولف بغير همزة ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ أي متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ أي المطر اثر
تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى ﴿يخرج من خلاله﴾ أي من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل
المذكور برؤيته خارجاً لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب
ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كجباب وحجاز ويؤيده أنه قرى من
خلله ﴿وينزل من السماء﴾ من الغمام فإن كل ما علاك سماء ﴿من جبال﴾ أي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم
كأنه ﴿فيها﴾ وقوله تعالى ﴿من برد﴾ مفعول ينزل على أن من تبعيضية والاوليان لا بداء الغاية على أن الثانية بدل
اشتغال من الاولى باعادة الجار أي ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان
للجبال أي ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها من جنس البرد برداً والاول أظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح
بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال على أن من تبعيضية ومن برد بيان للجبال أي ينزل من السماء بعض جبال كأنه
فيها من برد أي مشبهة بالجبال في الكثرة وأياً ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما أن في الارض جبالاً من حجر وليس في
العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الأبخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد
اجتمع هناك وصار سحاباً وان لم يشتد البرد تقاطر مطراً وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل
ثلجاً والا نزل برداً وقد يبرد الهواء برداً مفرطاً فينقبض وينعقد سحاباً وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند

الى ارادة الله تعالى ومشيتته المبنية على الحكم والمصالح (فيصيب به) أى بما ينزله من البرد (من يشاء) أن يصيبه به فينال ما يناله من ضرر في نفسه وماله (ويصرفه عن يشاء) أن يصرفه عنه فينجو من غائلته (يكاد سنابرقه) أى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما وازداف البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايدان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرى بالمد بمعنى الرفعة والعلو وادغام الدال في السين وبقه بفتح الراء على أنه جمع برقة وهى مقدار من البرق كالغرفة وضمها للاتباع لضمة الباء (يذهب بالابصار) أى يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار زبد تهويل لأمره وبيان اشدته تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولوعند الاغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه تولد للصد من الصد وقرى يذهب من الاذهاب على زيادة الباء (يقاب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جماتها ما ذكر من ازجاء السحاب وماترتب عليه (ان في ذلك) اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايدان بعلم رتبته وبعد منزلته (لعبرة) أى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلى (لاولى الابصار) لكل من له بصر (والله خالق كل دابة) أى كل حيوان يدب على الارض وقرى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لأن من الحيوانات ما يتولد لآعن نطفة وقيل من ماء متعاق بدابة وليست صلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانس والطيور (ومنهم من يمشى على أربع) كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشى على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو أعرف في القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وبما لم يذكر بسيطا كان أو مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واطهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والايذان بأنه من أحكام الالهية (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء واطهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلي (لقد أنزلنا آيات مبینات) أى لكل ما يليق ببيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية (والله يهدى من يشاء) أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطالوبها (الى صراط مستقيم) موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) شروع في بيان أحوال بعض من لم يشاء الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرُونَ الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودى يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في المغيرة ابن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض وماء فأبى أن يحاكم الى الرسول عليه الصلاة والسلام وأيا ما كان فصيغة الجمع للايدان بأن للقائل طائفة يساعدهونه ويشايعونه فى تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم (وأطعنا) أى أطعناهما فى الامر والنهى (ثم يتولى) عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد ما صدر عنهم ماصدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما فى ذلك من معنى البعد للايدان بكونه أمرا معتدا به ووجب المراعاة (وما أولئك) اشار الى القائلين لا الى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتضى لنفيه

عنهم على أبلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد أي وما أولئك الذين يدعون
 الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل ﴿بالمؤمنين﴾ أي المؤمنين حقيقة كما يعرب
 عنه اللام أي ليسوا بالمؤمنين المعروفين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه ﴿واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم﴾
 أي الرسول ﴿بينهم﴾ لأنه المباشر حقيقة للحكم وان كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام
 والايدان بجلالة محله عنده تعالى ﴿اذا فريق منهم معرضون﴾ أي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه
 السلام لتكون الحق عليهم وعليهم بأنه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه ﴿وان يكن
 لهم الحق﴾ لا عليهم ﴿يأتوا اليه مذعنين﴾ منقادين لجزمهم بأنه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان
 الايمان والمجيء يعديان بالي أو المذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا اليه يزفون والتقديم
 للاختصاص ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة
 من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من
 الامور الثلاثة بل هو منشئتها له كأنه قيل أذلك أي اعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم
 ﴿أم﴾ لأنهم ﴿ارتابوا﴾ في أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها ﴿أم﴾ لأنهم ﴿يخافون أن يخيف
 الله عليهم ورسوله﴾ ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل
 ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الاولان فلا لأنه لو كان لشيء منهما لأعرضوا عنه
 عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقيق نفاقهم وارتيابهم حيثئذ أيضا وأما الثالث
 فلا تنفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الخيف أصلا لمعرفة بتفاصيل أحواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل
 لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام لعلمهم
 بأنه عليه الصلاة والسلام يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف منشئتهما للاعراض
 فقط مع تحققهما في نفسيهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بماله منشأ مصحح لعروضه
 لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه عليه الصلاة والسلام تهمة فزالت ثقتهم و يقينهم به عليه الصلاة والسلام فمدار
 النفي حيثئذ نفس الارتياب ومنشئته معاً فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل
 ﴿انما كان قول المؤمنين﴾ بالنصب على أنه خبر كان وأن مع مافي حيزها اسمها وقرى بالرفع على العكس والاول أقوى
 صناعة لان الاولى للاسمية ماهو أوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن اذ لا سبيل اليه للتكثير بخلاف قول
 المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اعتزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب
 الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فاللاحق بالخبرية ماهو أكثر افادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتبا لا على
 نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع مافي حيزها أتم وأكمل
 فاذا هو أحق بالخبرية وأما ما تنفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا
 وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة بجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين
 ﴿اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم﴾ أي الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿بينهم﴾ أي وبين خصومهم سواء كانوا منهم
 أو من غيرهم ﴿أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ أي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولاً آخر أصلاً وأما قراءة النصب
 فمعناها انما كان قول المؤمنين أي انما كان قولاً لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم فقيه من جعل أخص النسبتين

وأبعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للوضع وإبراز ما هو بخلافها في معرض
 القصد الأصلي ما لا يخفى وقرىء ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسنداً الى مصدره مجاوباً لقوله تعالى اذا دعوا الى ليفعل
 الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم أى وقع التقطع بينكم ﴿وأولئك﴾ اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور
 عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلورتبتهم وبعده منزلتهم في الفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل
 ﴿هم المفاجون﴾ أى هم الفائزون بكل مطالب والناجون من كل محذور ﴿وهن يطع الله ورسوله﴾ استئناف جىء به
 لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم أى وهن يطعهما كائنا من كان
 فيما أمر به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والأول هو الأنسب بالمقام ويخشى
 الله ويتقه ﴿باسكان القف المبنى على تشبيهه بكشف وقرىء بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء أى ويخشى الله على ماضى
 من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل ﴿فأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والانتقاء ﴿هم الفائزون﴾ بالنعيم
 المقيم لامن عداهم ﴿وأقسموا بالله﴾ حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكداً بالإيمان الفاجرة وقوله تعالى ﴿جهنم
 أيمنهم﴾ نصب على أنه مصدر مؤكد لفعله الذى هو في حيز النصب على أنه حال من فاعل أقسموا أى أقسموا به
 تعالى يجهدون أيمنهم جهداً ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها
 وطاقتها أى جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لأقسموا أى أقسموا اقسام
 اجتهد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين ﴿لئن أمرتهم﴾ أى بالخروج الى الغزو لاعتن ديارهم
 وأمورهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان
 أقيمت أقمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ﴿ليخرجن﴾ جواب لأقسموا بطريق حكاية فعلهم لاحكاية قولهم وحيث
 كانت مقالتهن هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردما حيث قيل ﴿قل﴾ أى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه
 بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها ﴿لا تقسموا﴾ أى على ما ينهى عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى ﴿طاعة
 معروفة﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهى أى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة
 باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايدان بأن كونها كذلك مشهور معروف لكل أحد وقرىء
 بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة وهذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ أو خبر أو فعل مثل
 الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لانفاقية أو طاعة معروفة أمثل أوليكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة
 مما لا يساعده المقام ﴿ان الله خير بما تعملون﴾ من الأعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من
 الأكاذيب المؤكدة بالإيمان الفاجرة وما تضررونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها
 من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بأن طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بأن مدار شهره أمرها فيما بين المؤمنين اخباره
 تعالى بذلك ووعيد لهم بأنه تعالى مجازيهم بجميع أعمالهم السيئة التى منها نفاقهم ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ كرر
 الأمر بالقول لابرز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الأول نهى بطريق الرد والتفريع كما في قوله
 تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفى الثانى أمر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة للمأمور بها عن وصف الصحة
 والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على أنها ليست من الطاعة فى شىء أصلا وقوله تعالى ﴿فان
 تولوا﴾ خطاب للمأمورين بالطاعة من جهة تعالى وارتدائاً كيد الأمر بها والمبالغة فى الإيجاب الامثال به والحمل عليه
 بالترهيب والترغيب لما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوكة ينبى عن اهتمام جديد

بشانه من المتكلم ويستجاب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لاسيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد أمره تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامثال بالامر وانتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة مالا غاية وراءه وتوهم أنه داخل تحت القول المأثور بحكايته من جهته تعالى وأنه أبلغ في التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للباءور به اليهم وعدم التصريح به للايدان بغاية ظهور مسارعتة عليه السلام الى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة الى الذكر أى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما أمرتم بها ﴿فانما عليه﴾ أى فاعملوا أنما عليه عليه السلام ﴿ما حمل﴾ أى أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴿وعليكم ما حملتم﴾ أى ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل الاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كونه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة ﴿وان تطيعوه﴾ أى فيما أمركم به من الطاعة ﴿تهتدوا﴾ الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير والمنجى من كل شر وتأخير عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى ﴿وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولى وفائده الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا أو للعهد أى ماعلى جنس الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح أو الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بمالا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى ﴿وعدا الله الذين آمنوا منكم﴾ استئناف مقرر لما فى قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من أى طائفة كان وفى أى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم لكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية ﴿وعملوا الصالحات﴾ عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى أمر بها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما أشير اليه وتوسيط الطرف بين المعطوفين لظهار أصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار والاحكام وللايدان بكونه أول ما يطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخير عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيم فلا ن من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام من خلص المؤمنين ولا ريب فى أنهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعتهم الجليلة بكالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وللامة عموما على أن من تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل ﴿ليستخلفنهم فى الارض﴾ جواب للقسم اما بالاضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقيق انجازه لا محالة أى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم أو خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة أو هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التى أشير اليهم فى قوله تعالى ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فأوحى اليهم ربهم

لهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على أنه مصدر تشبيهى مؤكدا للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أى ليستخلفنهم استخلافاً كائناً كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرىء كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل فى الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى هو للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستازم لكونهم مستخلفين لا محالة كأنه قيل ليستخلفنهم فى الأرض فيستخلفن فيها استخلافاً أى مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبأنا نبأنا حسنا على أحد الوجهين أى فنبتت نباتاً حسناً وعليه قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الامسحت أو محلف

أى فلم يبق الا مسحت الخ ﴿ولم يكن لهم دينهم﴾ عطف على ليستخلفنهم منتظم معه فى سلك الجواب وتأخير عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتاً مقراً بحيث يستمرون على العمل بأحكامه ويرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشئ مكاناً لا آخر يقال مكن له فى الأرض أى جعلها مقراً له ومنه قوله تعالى انا مكننا له فى الأرض ونظائره وكلمة فى اللان بفتح اللام بأن ما جعل مقراً له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لا بتناؤه على تشديده بالأرض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى الأرض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقاً لهم اليه وترغيباً لهم فى قبوله عند وروده ولأن فى توسيطها بينه وبين وصفه أعنى قوله تعالى ﴿الذى ارتضى لهم﴾ وفى تأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه ﴿وليبذلهم﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الابدال ﴿من بعد خوفهم﴾ أى من الأعداء ﴿أمناء﴾ حيث كان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتى علينا يوم نأمن فيه فقال عليه الصلاة والسلام لا تعبرون الا سيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظم محتثاً ليس معه حديدة فأنزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والأمن منه فى الآخرة ﴿يعبدونى﴾ حال من الموصول الأول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه فى سلك الوعد ﴿لا يشركون بى شيئاً﴾ حال من الواو أى يعبدونى غير مشركين بى فى العبادة شيئاً ﴿ومن كفر﴾ أى اتصف بالكفر بأن ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من التهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعدم مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الأصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والأول هو الانسب بالمقام ﴿بعد ذلك﴾ أى بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها ﴿فأولئك﴾ البعداء عن الحق التائبون فى تيه الغواية والضلال ﴿هم الفاسقون﴾ الكاملون فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للأمرين بالطاعة على طريق التهيب من التولى بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم فى الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ

و وعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فآمنوا واعملوا صالحا وأقيموا أو فلا تكفروا وأقيموا وعظفه على أطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم ﴿وأطيعوا الرسول﴾ أمرهم الله سبحانه وتعالى بالذات بما أمرهم به بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيد الامر السابق وتقرير المضمون على أن المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية أيضا أي وأطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكميلا لما قبله من الأمرين الخاصين المتعلقةين بالصلاة والزكاة على أن المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع أي وأطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى ﴿لعلكم ترحمون﴾ متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة أي افعلوا ما ذكر من الاقامة والاياء والاطاعة راجين أن ترحموا ﴿لاتحسبن الذين كفروا﴾ لما بين حال من أطاعه عليه الصلاة والسلام وأشار الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه الصلاة والسلام ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تنافيه في الفسق تكميلا لأمر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل أحد ممن يصلح له كائن من كان واما للرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بأن الحسابان المذكوران من القبح والمحذورية بحيث ينهي عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى ﴿معجزين﴾ ثانيهما وقوله تعالى ﴿في الارض﴾ ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرهما فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز بجميع أجزائها أي لاتحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من أقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرى لاتحسبن بياء الغيبة على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أي لا يحسبن أحد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض أو هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون أنفسهم معجزين في الارض وأما جعل معجزين مفعولا أول وفي الارض مفعولا ثانيًا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى ﴿ومأواهم النار﴾ معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لأن المقصود بالنهي عن الحسابان تحقيق نفي الحسابان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كأنه قيل لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ﴿ولبئس المصير﴾ جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أي وبالله لبئس المصير هي أي النار والجملة اعتراض تذييل مقرر لما قبله وفي ايراد النار بعنوان كونها مأوى ومصير لهم اثر نفى فوتهم بالهرب في الارض كل مهرب من الجزالة مالا غاية وراءه فلهذا شأن التنزيل ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ رجوع الى بيان تنمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعا بطريق التغليب روى أن غلاما لاسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الى صلى الله عليه وسلم

فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية ﴿لَيْسْتَ أَذْنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والجواري ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ﴾ أي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله ﴿مِنْكُمْ﴾ أي من الأحرار ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للإيدان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمروور المستأذنين بالمخاطبين لأنفسها ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي أحدها من قبل الخ ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وقوله تعالى ﴿مِنْ الظَّهْرِ﴾ وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها إيراد الحين مضافا إلى فعل حادث متعقظ ووقوعها في النهار الذي هو مئة لكثرة ورود والصدور ومظنة لظهور الأحوال وبروز الأمور ليس من التحقق والإطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد وإطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف بالحاف وليس المراد بالقبيلة والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي بل ما يعرض منهما لطرفي ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ﴿ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ﴾ خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿لَكُمْ﴾ متعلق بمحذوف هو صفة ثلاث عورات أي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أي هن ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الأصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما بينهم حفظه ويعتني بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي على المماليك والصبيان ﴿جَنَاحٍ﴾ أي أثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجب من مخالفة الأمر والإطلاع على العورات ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهي الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وإيرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من العورات كما أنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه إذ الرخصة إنما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الأولى كونها في محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير إذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلاث عورات لا أثم في ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الأثم حينئذ مما لم يعلمه السامع إلا بهذا الكلام لم يتسن إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فإن انتفاء الأثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي بعضكم طائف على بعض طوفا كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض ﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مرارا من تفخيم شأن المشار إليه والإيدان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار إليه حسا أي مثل ذلك التبيين ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ الدالة على الأحكام أي ينزلها بيته واضحة الدلالات عليها لأنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مرتفصيلة في قوله تعالى وكذلك

جعلناكم أمة وسطا ولكم متعلق يبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع أنه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا ﴿ والله عليم ﴾ مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم ﴿ حكيم ﴾ في جميع أفعاليه فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشا ومعادا ﴿ وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم ﴾ لما بين فيما مر أنفاحكم الاطفال في أنه لا جناح عليهم في ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلاثة عقب بيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم أنهم وان كانوا أجنب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أي اذا بلغ الاطفال الاحرار الأجانب ﴿ فليستأذنوا ﴾ اذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى ﴿ كما استأذن الذين من قبلهم ﴾ في حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولا ريب في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وان كان الأمر كذلك في الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أي فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾ الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان وازدادة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها ﴿ والقواعد من النساء ﴾ أي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل ﴿ اللاتي لا يرجون نكاحا ﴾ أي لا يطمنعن فيه لكبرهن ﴿ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ﴾ أي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو للوصف بها ﴿ غير متبرجات بزينة ﴾ غير مظهرات لزينة مما أمر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن وأصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضا يحيط بسوادها كله الا أنه خص بكشف المرأة زينتها وحاسنها للرجال ﴿ وأن يستعففن ﴾ بترك الوضع ﴿ خير لهن ﴾ من الوضع لبعده من التهمة ﴿ والله سميع ﴾ مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقالوة ﴿ عليم ﴾ فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ﴿ ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ﴾ كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذرا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيتهم بأفعالهم وأوضاعهم فان الأعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين أكله وهو لا يشعر به والأعرج يتفصح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جلسيه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من أموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضا يتحرجون من الأكل في بيوت غيرهم فليلهم ليس على الطوائف المعدودة ﴿ ولا على أنفسكم ﴾ أي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج ﴿ أن تأكلوا ﴾ أي تأكلوا أتموهم معكم وتعمم الخطاب للطوائف المذكورة أيضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما الغير أولئك الطوائف حتما ﴿ من بيوتكم ﴾ أي البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لان بيوتهم كبيتهم لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه الصلاة والسلام ان أطيب مال الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ﴿ أو بيوت آبائكم ﴾

أو بيوت أمهاتكم ﴿وقرىء بكسر الهمزة والميم وبكسر الألف الأولى وفتح الثانية﴾ أو بيوت أخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت
 أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتكم مفاتيحه ﴿من البيوت التي تملكون التصرف
 فيها باذن أربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المالك والمفتاح جمع مفتاح وجمع المفاتيح مفاتيح وقرىء مفاتيحه
 ﴿أو صديقكم﴾ أى أو بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أَرْضَى بالتبسط وأسره من كثير من الأقرباء
 روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدین ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات
 بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرأبهما وهذا فيما إذا
 علم رضا صاحب البيت بصريح الاذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لا اعتبارهم بالتبسط فيما بينهم وقوله تعالى
 ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق
 من المؤمنين كبنى ليث بن عمرو من كنانة يتخرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث
 يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من
 الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشار به فإذا أمسى ولم يجد أحداً
 أكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول انى أخرج أن أكل
 معك وأنا غنى وأنت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في
 أن يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا لياً كلوا طعاماً عزلوا للاعى وأشباهه طعاماً على حدة فبين الله تعالى
 أن ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعاً حال من فاعل تأكلوا وأشتاتاً عطف عليه داخل فى حكمه وهو جمع شت على
 أنه صفة كالحق يقال أمر شت أى متفرق أو على أنه فى الاصل مصدر وصف به مبالغة أى ليس عليكم جناح أن
 تأكلوا مجتمعين أو متفرقين ﴿فاذا دخلتم﴾ شروع فى بيان الآداب التي تجب رعيتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان
 الرخصة فيه ﴿بيوتاً﴾ أى من البيوت المذكورة ﴿فسلوا على أنفسكم﴾ أى على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم
 وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجهة لذلك ﴿تحية من عند الله﴾ أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن
 يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم ﴿مباركة﴾
 مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما ﴿طيبة﴾ تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة
 والسلام قال متى لقيت أحداً من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة
 الضحى فإنها صلاة الابراء والاوابين ﴿كذلك بين الله لكم الآيات﴾ تكرير لتأكيد الاحكام المحتمة به وتفخيمها
 ﴿لعلكم تعقلون﴾ أى ما فى تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفى
 تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبها من الجزالة ما لا يخفى ﴿انما المؤمنون الذين
 آمنوا بالله ورسوله﴾ استئناف جىء به فى أواخر الاحكام السابقة تقريراً لها وتأكيدها لوجوب مراعاتها وتكميلها
 ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للوصول الواقع خبراً للببتدا مع تضمنه
 له قطعاً تقريراً لما قبله وتمهيداً لما بعده وايداناً بأنه حقيق بأن يجعل قريناً للايمان بهما منتظماً فى سلكه فقوله تعالى
 ﴿واذا كانوا على أمر جامع﴾ الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة أى انما الكاملون فى الايمان
 الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوها فى جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام
 المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة فى الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه الصلاة والسلام على
 أمرهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع أولى الآراء والتجارب

ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع ﴿لم يذهبوا﴾ أى من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لاحالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه ﴿حتى يستأذنه﴾ عليه الصلاة والسلام في الذهاب لاعلى أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الاذن المذوط برأيه عليه الصلاة والسلام والاقتصار على ذكره لأنه الذى يتم من قباهم وهو المعتبر فى كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما أنه كما صدق لصحته والمميز للمخاص فيه عن المناق فان ديدنه التسال للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير اذنه عليه الصلاة والسلام من الجنابة ولتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ﴿ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله﴾ فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم فى الأول بأن الكامنين فى الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفى أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى ﴿فاذا استأذنوك﴾ بيان لما هو وظيفته عليه الصلاة والسلام فى هذا الباب اثر بيان ماهو وظيفة المؤمنين وأن الاذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى بعد ما تحقق أن الكاملين فى الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك ﴿لبعض شأنهم﴾ أى لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم ﴿فأذن لمن شئت منهم﴾ لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة ﴿واستغفر لهم الله﴾ فان الاستئذان وان كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة ﴿ان الله غفور﴾ مبالغ فى مغفرة فرطات العباد ﴿رحيم﴾ مبالغ فى افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة فى ضمن الامر بالاستغفار لهم ﴿لاتجعلوا دعا الرسول بينكم﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاتفات لابرار مزيد الاعتناء بشأنه أى لاتجعلوا دعوته عليه الصلاة والسلام اياكم فى الاعتقاد والعمل بها ﴿كدعاء بعضكم بعضا﴾ أى لاتقيسوا دعاه عليه الصلاة والسلام اياكم على دعا بعضكم بعضا فى حال من الأحوال وأمر من الامور التى من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه الصلاة والسلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات وقيل لاتجعلوا دعاه عليه الصلاة والسلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم بحجة مرة ويرده أخرى فان دعاه مستجاب لامرله عند الله عز وجل وتقرير الجملة حيثئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عليه الصلاة والسلام مما يوجب امثالهم بأوامره عليه الصلاة والسلام ومتابعتهم له فى الورد والصدور أكمل إيجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه الصلاة والسلام المؤدى الى ما يوجب هلاكهم من دعائه عليه الصلاة والسلام عليهم وأما ما قيل من أن المعنى لاتجعلوا نداه عليه الصلاة والسلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بقلبه المعظم مثل يارسول الله يابني الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم﴾ الخ وعيد المخالفين أمره عليه الصلاة والسلام فيما ذكر من قبل فتوسط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدرج والخفية وقد للتحقيق كما أن رب تبحر للتكثير حسبا بين فى مطلع سورة الحجر أى يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية ﴿لو اذا﴾ أى ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالاذن ارامة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام واتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أى ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضممر هو الحال فى الحقيقة أى يلوذون لو اذا والفاء فى قوله تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ لترتيب الحذر أو الامر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة أى يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلافاً سمته وعن اما لتضمنه معنى الاعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من

خالقه عن الامر اذا صدعنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخاف والمخائف عنه والضمير لله تعالى لأنه الامر حقيقة أو للرسول عايه الصلاة والسلام لأنه المقصود بالذكر ﴿أنت تصيهم فتنة﴾ أى محنة فى الدنيا ﴿أو يصيهم عذاب أليم﴾ أى فى الآخرة وكلية أو لمنع الخلودون الجمع وإعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدله على أن الامر الايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامثال به حتما ﴿ألا ان الله ما فى السموات والارض﴾ من الموجودات بأسرها خلقاً وملكاً وتصرفاً إيجاداً واعداماً بدءاً واعداداً ﴿قد يعلم ما أتم عايه﴾ أيها المكفونون من الاحوال والاضاع التى من جملتها الموافقة والمخالفة والا خلاص والنفق ﴿ويوم يرجعون اليه﴾ عطف على ما أتم عايه أى يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشئ مستازم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه اشعار بأن علمه تعالى لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعاً ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً خاصاً بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبني للفاعل ﴿فينبهم بما عملوا﴾ من الاعمال السيئة التى من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبيه فى قوله تعالى انما بغيكم على أنفسكم الآية ﴿والله بكل شئ عليم﴾ لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة الفرقان

(مكية وهى سبع وسبعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذى نزل الفرقان﴾ البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الالىق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله التى من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتداء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غايتها وعلى المعنى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التى من جملتها تنزيل القرآن المنطوى على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة تمام تلك الخيرات وتزايدها شيئاً وآنأنا يحسب حدوثها وأحداث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحقيقها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها فى حق غيره تعالى ولا استعمال غير هامن الصيغ فى حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أى فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين الحق والمبطل باعجازه أولكونه مفصلاً لبعضه من بعض فى نفسه أو فى انزاله ﴿على عبده﴾ محمد صلى الله عليه وسلم وإيراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان لتشريفه والا يذان بكونه عليه الصلاة والسلام فى أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون الا عبداً للرسول رداً على النصارى ﴿ليكون﴾ غاية للتنزيل أى نزل عليه ليكون هو عليه الصلاة والسلام أو الفرقان ﴿للعالمين﴾ من الثقلين ﴿نذيراً﴾ أى منذراً أو انذاراً مبالغة أو ليكون تنزيهه لانه انذاراً وعدم التعرض للتبشير لا نسياق الكلام على

أحوال الكفرة وتقدير اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابرأ تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يحمله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه ﴿الذي له ملك السموات والارض﴾ أى له خاصة دون غيره لاستقلاله ولا اشتراكا لسلطان القاهرة والاستيلاء الباهر عليهما المستازمان للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيها إيجادا واعداما واهياء وامانة وأمرانها حسما تقتضيه شبيثته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف والجملة مستأنفة مقرر لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الاول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبي لانه من تمام صاته ومعلومية مضمونه للكفرة لا لريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو مدح له تعالى بالرفع أو بالنصر ﴿ولم يتخذ ولدا﴾ كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايدان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يحمله جاهل لاسيما بعد تقرير ما قبله ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ أى ملك السموات والارض وهو أيضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعاً للتصريح بيطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والدرء في نحوهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله وأصلاته والاحتراز عن توهم كونه تنمة للاول ﴿وخلق كل شيء﴾ أى أحدث كل موجود من الموجودات احداثاً جارياً على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام ﴿فقدرة﴾ أى هياه لما أراد به من الخصائص والافعال اللاتقية به ﴿تقديرا﴾ بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كنهية الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الانواع وقيل أريد بالخلق مطلق اليجاد والاحداث مجازاً من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى أوجد كل شيء فقدرة في ذلك اليجاد تقديرأ وأما ما قيل من أنه سمى احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مغل بالمرام قطعاً وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وأياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضى استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالهية يقتضى انتظام كل ماسواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعاً وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه أو شريكا في ملكه ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ بعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب و اظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم أى اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله تعالى الذى ذكر بعض شئونه الجليلة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة ﴿لا يخلقون شيئا﴾ أى لا يقدر على خلق شيء من الاشياء أصلا ﴿وهم يخلقون﴾ كسائر المخلوقات وقيل لا يقدر على أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون حيث تحتلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ﴿ولا يملكون

لأنفسهم ضرا ولا نفعا) لبيان ما يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهو لا لا يقدر على التصرف في ضر ما يدفعه عن أنفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على قوله تعالى ﴿ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا﴾ أى لا يقدر على التصرف في شئ منها بامانة الأحياء وأحياء الموتى وبعضهم بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايدان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين باتقاء مآلهم من الامور المذكورة مفتقرين الى التصريح بذلك ﴿وقال الذين كفروا ان هذا الافاك﴾ شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وباطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل ابن خويلد ومن ضامهم وروى عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحرث والجمع لمشايعة الباقيين له في ذلك وأما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لزمهم بما في حيز الصلة والايذان بأن ماتوه هو ا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حطرتبة المشار اليه أى ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه ﴿افتراه﴾ يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وأعانه عليه﴾ أى على اختلاقه ﴿قوم آخرون﴾ يعنون اليهود بأن يلقوا اليه أخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارة وقيل هما جبرو يسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل هو عابس وقد مرتفصيلة في سورة النحل ﴿فقد جاؤا ظلمبا﴾ منصوب بجاء فان جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته أو ينزع الخافض أى بظلم قاله الزجاج والتونين للتفخيم أى جاؤا بما قالوا ظلمبا هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتاله على الحكم الخفية والاحكام المستتعبة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا يناله عقول البشر ولا يبنى بفهمه القوى والقدر ﴿وزورا﴾ أى كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ما هو برى منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنها أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقب الآخر أو يحصل بسببه بل على أن الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغاير الى المفهوم وأظهر منه بطلا نارتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على المازوم تهويلا لامره ﴿وقالوا أساطير الاولين﴾ بعدما جعلوا الحق الذى لا يحيد عنه افكا محتلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع أسطوار أو أسطورة كأحدوثة وهى ماسطره المتقدمون من الخرافات ﴿اكتتبها﴾ أى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى أو استكتبها وقرىء على البناء للمفعول لأنه عليه الصلاة والسلام أمى وأصله ا كتتبها كاتبا خذف اللام وأضى الفعل الى الضمير فصارا كتتبها اياه كاتبا ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصه وبنى الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه ﴿فهى تملى عليه﴾ أى تلقى عليه تلك الأساطير بعد ا كتبها ليحفظها من أفواه من يملها عليه من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أن معنى ا كتتبها أراد ا كتبها أو استكتبها ورجع الضمير المجزور اليه عليه الصلاة والسلام لاسناد الكتابة فى ضمن الا كتاب اليه عليه الصلاة والسلام ﴿بكرة وأصيل﴾ أى دائما أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى

هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿قل﴾ لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق ﴿أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض﴾ وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للأيذان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التى هى من جملة معلوماته تعالى أى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملقفة وأساطير الأولين بل هو أمر مساوى أنزله الله الذى لا يعزب عن علمه شئ من الأشياء وأودع فيه فنون الحكم والأسرار على وجه بديع لا يحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلية وأمور مكنونة لا يهتدى إليها ولا يوقف عليها إلا بتوفيق العلم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم بذلك أن يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى ﴿انه كان غفورا رحيم﴾ تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أى انه تعالى ازلا وأبدا مستمر على المغفرة والرحمة المستبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون فى حقه مع كمال استيجابه إياها وغاية قدرته تعالى عليها ﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ شروع فى حكاية جنائيتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفى هذا تصغير لشأنه عليه الصلاة والسلام وتسميته عليه الصلاة والسلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم وقوله تعالى ﴿ياكل الطعام﴾ حال من الرسول والعامل فيها ما عمل فى الجار من معنى الاستقرار أى شئ وأى سبب حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل ﴿ويمشى فى الأسواق﴾ لابتغاء الأرزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما فى قوله تعالى فالحكم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما أن كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لا تنفاه سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الأكل والمشى أمر محقق قد استبعد تحققه لا تنفاه سببه بل لوجود سبب عدمه خلا أن استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه فى عدم الإيمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الأكل والمشى بطريق التهمك والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجوهدهما وتحقيق سببهما وإنما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه ان صح ما يدعيه فبالله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمهم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عن عداهم ليس بأمر جسمانية وإنما هو بأمر نفسانية كما أشير اليه بقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الحكم اله واحد ﴿لولا أنزل اليه ملك﴾ أى على صورته وهيئته ﴿فيكون معه نذيرا﴾ تنزل منهم من اقتراح أن يكون ملكا مستغنيا عن الأكل والشرب الى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون ردا له فى الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله لادامة وقراء تعالى ﴿أو يلقى اليه كنز﴾ تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح أن يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طاب المداش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾ تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرى نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم ﴿وقال الظالمون﴾ هم القائلون الأولون وإنما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى المسحورية أى قالوا للؤمنين ﴿ان تتبعون﴾ أى ما تتبعون ﴿الارجلا مسحورا﴾ قد سحر فغلب على عقله وقيل داسحر وهى الرئة أى بشرا لا ملكا على أن الوصف لزيادة التقرير والأول هو الانسب بحالهم ﴿أنظر كيف ضربوا لك الامثال﴾ استعظام للباطيل التى اجتروا على التفوه بها وتعجيب منها أى انظر

كيف قالوا في حقك تلك الآقاء يل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الأمثال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال الشاذة البعيدة من الوقوع ﴿فضلوا﴾ أى عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشئ يمكن صدوره عن له أدنى عقل وتميز فبقوا متحيرين ﴿فلا يستطيعون سبيلا﴾ الى القدح في نبوتك بأن يجدوا قولاً لا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه أو فضلا عن الحق ضلالا مبيها فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال أمثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدى الى استعمال المقدمات الحقة ﴿تبارك الذى﴾ أى تكاثرت وتزايد خير الذى ﴿ان شاء جعل لك﴾ فى الدنيا عاجلا شيئا ﴿خييرا﴾ لك ﴿من ذلك﴾ الذى اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بأن يجعل لك مثل ما وعدك فى الآخرة وقوله تعالى ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بدل من خيرا ومحقق لخبريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الأنهار ﴿ويجعل لك قصورا﴾ عطف على محل الجزاء الذى هو جعل وقرى بالرفع عطفاً على نفسه لأن الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم كما فى قول القائل وان أتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالى ولا حرم

ويحوز أن يكون استئنافا بوعده ما يكون له فى الآخرة وقرى بالنصب على أنه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايدان بأن عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الأولين للتنبية على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافتهما للحكمة التشريعية وانما الذى له وجه فى الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوتوا فى الدنيا مع النبوة ملكا عظيما ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ اضراب عن توبيخهم بحكاية جنائهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنائهم الأخرى للتخلص الى بيان ما لهم فى الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ الخ أى أعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أولكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون فى زميرتهم دخولا أوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للبالغة فى التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير أشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال أنأقد أعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جرائمهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات فى الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدى نفعا ولا يحل بطائل على طريقة قول من قال عوجوا النعم فخيروا دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار

والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك فى الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقر كذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى ﴿إذا رأتهم﴾ الخ صفة للسعير أى اذا كانت منهم برأى الناظر فى البعد كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراعى نارهما أى لا تتقاربان بحيث تكون احدهما برأى من الأخرى على المجاز كأن بعضهما يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لاليهم للايدان بأن التغيط والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة أو تمثيلا ومن فى قوله تعالى ﴿من مكان بعيد﴾ اشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد فى المسافات المعهودة وفيه مزيد

تهويل لأمرها قال الكلي والسدى من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة ﴿سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ أى صوت تغيظ على تشبيهه صوت غليانها بصوت المغتاط وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لمالم تكن مشه وطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتغيظ وترفر وقيل أن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف ﴿وإذا ألقوا منها مكانا﴾ نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه فى الأصل صفة له ﴿ضيقا﴾ صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر فى وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال والذي نفسى بيده أنهم ليستكروهن فى النار كما يستكروه الود فى الحائط قال الكلي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلن يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرى ضيقا بسكون الياء ﴿مقرنين﴾ حال من مفعول ألقوا أى إذا ألقوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل كل كافر مع شيطان وفى أرجلهم الاصفاد ﴿دعوا هنالك﴾ أى فى ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ﴿ثورا﴾ أى يتمنون هلاكا وينادونه ياثورا تعال فهذا حينك وأوانك ﴿لاندعوا اليوم ثورا واحدا﴾ على تقدير قول امامنصوب على أنه حال من فاعل دعوا أى دعوهم مقولا لهم ذلك حقيقة بأن يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجى أو تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أى دعوهم حال كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وامامستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطامما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبيهها على أن عذابهم المايجى لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرّة أبدي لا خلاص لهم منه أى لا تقتصر وعلى دعاء ثور واحد ﴿وادعوا ثورا كثيرا﴾ أى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرة فى نفسه فإن ما يدعونه ثور واحد فى حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه أدعية كثيرة فإن ما أتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء فى كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدد بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى انكم وقعتم فيما ليس بثوركم فيه واحدا إنما هو ثور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثور لشدته وفضاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غير هافلا غاية هلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكا ينهى عذابهم وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب اقناطاهم من ذلك ببيان استحالاته ودوام ما يوجب استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهى والأمر باليوم لمزيد التهويل والتفطيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام المعهودة ﴿قل﴾ تقريرا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم ﴿أذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها فى الغاية القاصية من الهول والفضاعة أى قل لهم أذلك الذى ذكر من السعير التى أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت وشأن أهلها ذيت وذيت ﴿خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون﴾ أى وعدها المتقون وإضافة الجنة إلى الخلد للبدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بطلاق التقوى بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط ﴿كانت﴾ تلك الجنة ﴿لهم﴾ فى علم الله تعالى أو فى اللوح المحفوظ أو لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه ﴿جزاء﴾ على أعمالهم حسبا من الوعد الكريم ﴿ومصيرا﴾ ينقلون إليه ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ أى ما يشاؤون من فنون الملاذ والمشتبهات

وأَنواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أُتيح له من درجات النعيم ولا تمتد أعناقهمهم إلى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يازم الحرمان ولا تساوى مراتب أهل الجنان ((خالدين)) حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور ولا يعتمد على المبتدا وقيل من فاعل يشاؤون ((كان)) أى ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون ((على ربك وعدا مسئولا)) أى موعودا حقيقا بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون أو مسئولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للإنجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والأشعار بأنه عليه الصلاة والسلام هو الفائز آثر ذى أثر بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ((ويوم يحشرهم)) نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى ذل أذل الخ أى واذا كر لهم بعد التقرير والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هول وفظاعة ما فيه والإيدان بقصور العبارة عن بيانه أى يوم يحشرهم يكون من الأحوال والأحوال ما لا يبي بيانه المقال وقرى بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة إلى التكم وبكسر الشين أيضا ((وما يعبدون من دون الله)) أريد به ما يعبد العقلاء وغيرهم أما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبغي عنه أنك إذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو أو لانه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبودهم أو لتغليب الاصنام على غيرها تنبيهها على أنهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية أو اعتبارا أغلبتها عبتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله تعالى أو تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الأيدي والارجل ((فيقول)) أى الله عز وجل للمعبودين اترحشوا الكل تقرعا للعبدة وتبكيتم لهم وقرى بالنون كما عطف عليه وقرى هذا بالياء والأول بالنون على طريق الالتفات إلى الغيبة ((أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء)) بأن دعوتهم إلى عبادتكم كما في قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ((أم هم ضلوا السبيل)) أى عن السبيل بأنفسهم لا خلا لهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول كقوله تعالى وهو يهتدى السبيل والأصل إلى السبيل أو للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لانفسه ((قالوا)) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيس قالوا ((سبحانك)) تعجبا مما قيل لهم لانهم اماملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لها على شئ أو اشعارا بأنهم الموسومون بتسديده تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عبادته أو تنزيها له تعالى عن الانداد ((ما كان ينبغي لنا)) أى ما صح وما استقام لنا ((أن نتخذ من دونك)) أى متجاوزين إياك ((من أولياء)) نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فأنى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليا غيرك فضلا أن يتخذنا وليا أو أن نتخذ من دونك أولياء أى اتباعا فإن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ومنه أولياء الشيطان أى أتباعه وقرى على البناء للمفعول من المتعدى إلى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا ومفعوله الثانى من أولياء على أن من التبعية أى أن تتخذ بعض أولياء وهى على الأول مزيدة وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام ((ولكن متعتهم وآباءهم)) استدراك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة أى ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها

و يشكروها فاستغفروا في الشهوات وانهمكوا فيها ﴿حتى نسوا الذكر﴾ أى غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية ﴿وكانوا﴾ أى في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الأعمال السيئة ﴿قوما بورا﴾ أى هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغه ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى ﴿فقد كذبوكم﴾ حكاية لاحتجاجه تعالى على العبد بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه إلى العبد مبالغه في تقريرهم وتبكيته على تقدير قول مرتب على الجواب أى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبوكم المعبودون أيها الكفرة ﴿بما تقولون﴾ أى في قولكم أنهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء أضلوناو ياباه أن تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وإنما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم أنهم آلهتهم وناصرهم وأياما كان غالباً بمعنى في أو هي صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتغال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء أى كذبوكم بقولهم سبحانه الآية ﴿فما تستطيعون﴾ أى ما تملكون ﴿صرفا﴾ أى دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أى لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في أموره أى يحتال فيها وقيل توبة ﴿ولا نصرا﴾ أى فردا من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى أنه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة أى ما يستطيع ألهتم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا أن ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه ﴿ومن يظلم منكم﴾ أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا من المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد ﴿نذقه﴾ في الآخرة ﴿عذابا كبيرا﴾ لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على أن الضمير لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالغفو عندنا ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق والجملة الواقعة بعد الاصفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور وعليه وأقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما أرسلنا أحدا قبلك من المرسلين الا آكلين ومشين وقيل هي حال والتقدير الا أنهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء المفعول أى يمشيهم حوائجهم أو الناس ﴿وجعلنا بعضهم﴾ تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى ﴿لبعض﴾ رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول ﴿فتنة﴾ أى ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض الاول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وإنما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وأما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وبقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضهم

أنيها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى ﴿أتصبرون﴾ فانه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس مغيا بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاختصار على ذكره من غير تعرض لمعادله مما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه الصلاة والسلام فلمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأمرهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايدائهم لهم وأقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى ﴿وكان ربك بصيرا﴾ وعد كريم للرسول عليه الصلاة والسلام بالاجرا الجزيل لصبره الجليل مع مزيد تشريف له عليه الصلاة والسلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ شروع في حكاية بعض آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال أباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا لهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عن معتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابه وبعدهم رجائهم اياه عدم توقعهم له أصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم أملهم بحسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا أى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا أو حسابنا المؤدى الى سوء العذاب الذى تستوجبه عقاباتهم ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ أى هلا أنزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم ﴿أو نرى ربنا﴾ من حيث أن كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿لقد استكبروا فى أنفسهم﴾ أى في شأنها حتى اجتروا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء ﴿وعتوا﴾ أى تجاوزوا الحد في الظلم والظغيان ﴿عتوا كبيرا﴾ بالغا أقصى غاياته حيث أهملوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التى تخر لها صم الجبال فذهبوا الى الاقتراح كل مذهب حتى منهم أنفسهم الخبيثة أمانى لا تكاد تنزو اليها أحداق الأمم ولا تمتد اليها أعناق الهمم ولا ينالها الا أولو العزائم الماضية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أى والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى ﴿يوم يرون الملائكة﴾ استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة ايدانا من أول الأمر بأن رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى ﴿لابشرى يومئذ للمجرمين﴾ فانه في معنى لا يشرى يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بأن هناك بشرى يمنعونها أو يفقدونها وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما أن نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن بغض والمقت دل على ثبوت التندرى لهم على أبغ وجه وآ كده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على أن لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمرة مقدم عليه أى اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايدان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك

الوقت فقط فان ذلك محل بتفطع حالهم وللمجرمين تعيين على أنه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى أن نفي البشرى حينئذ لا يستازم نفيه في جميع الاوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد ﴿ويقولون﴾ عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنفي عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له ﴿حجرا محجورا﴾ وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو مو تور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجراً بالضم والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعاً شديداً وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فطيع ومحجوراً صفة لحجراً واردة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة اقناطاً للكفرة بمعنى حراماً محرماً عليهم الغفران أو الجنة أو البشرى أى جعل الله تعالى ذلك حراماً عليهم وليس بواضح ﴿وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلوة رحم واغاثة مملوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا ساطنهم واستعصوا عليه فقدم الى أشياءهم وقصد ما تحت أيديهم فأغشى عايبها بالافساد والتحريق ومزقها كل تمزيق بحيث لم يدع لها عينا ولا أثراً أى عمدنا اليها وأبطلناها أى أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شئ يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثوراً صفة شبهه بأعمالهم المحبطة في الحقايرة وعدم الجدوى ثم بالمنثور رمته في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين ﴿أصحاب الجنة﴾ هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون الخ ﴿يومئذ﴾ أى يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجراً محجوراً وجعل أعمالهم هباءً منثوراً ﴿خير مستقراً﴾ المستقر المكان الذي يستقر فيه في أكثر الاوقات للتجالس والتعادث ﴿وأحسن مقيلاً﴾ المقيال المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهم سمي بذلك لما أن التمتع به يكون وقت القيلولة غالباً وقيل لأنه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى أنه مزين بفتون الزين والزخارف والتفضيل المعبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق أى هم في أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيال واما بالاضافة الى ماله الكفرة المتنعمين في الدنيا أو الى ما لهم في الآخرة بطريق التكميل كما مر في قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ﴿ويوم تشق السماء﴾ أى تتفتح وأصله تشقق فحذفت احدى التائين كما في تلظى وقرى بادغام التاء في الشين ﴿بالغمام﴾ بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن الا لبي اسرائيل ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ أى تنزيلاً عجيباً غير معهود قيل تشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرى ونزل الملائكة ونزل ونزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة

ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لازوال له أصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفة وللرحمن خبره ويومئذ ظرف
لثبوت الخبر للبسطة وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما في أعاده من أيام الدنيا فيكون لغيره
أيضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو
صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأما ما كان فالجملة بمعناها عاملة
في الظرف أي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله
وأحواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيدان بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم
استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن (وكان)
ذلك اليوم مع كون الملك فيه الله تعالى المبالغ في الرحمة لعباده (يوم أعل الكافرين عسيرا) شديد لهم وتقديم الجار والمجرور
لمراعاة الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون
أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله (ويوم يعرض الظالم على يديه) عرض
اليدين والأنامل وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايةات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفهما والمراد بالظالم أما
عقبة بن أبي معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه الصلاة والسلام يوما إلى ضيافته
فأبى عليه الصلاة والسلام أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت
فقال لا ولكن أبي أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال أفي لا أرضى منك إلا أن تأتيه قطعا ففاه
وتبزق في وجهه فأتاه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت
رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه الصلاة والسلام أيما
يوم أحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات وأما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى (يقول) الخ حال
من فاعل بعض وقوله تعالى (يا ليتني) الخ محكي به ويا ما مجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه أو المنادي محذوف
أي يا هؤلاء ليتني (اتخذت مع الرسول سبيلا) أي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تشعب بي
طرق الضلالة أو حصلت في صحبته عليه الصلاة والسلام طريقا ولم أكن ضالا لا طريق لي قط (يا ويلتا) بقلب ياء المتكلم
الغا كما في صحاري ومداري وقرى على الأصل يا ويلتي أي هلكتي تعالى واحضري فهذا أوانك (ليتني لم اتخذ فلانا خليلا)
يريد من أضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الإعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم كور من يعقل
وفلان عن علم اناتهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عن من يعقل من الإناث والفلان والفلانة من غير العاقل
ويختص فل بالنداء إلا في ضرورة كما في قوله في لجة أمسك فلانا عن فل وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل
مرحما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فليل واو وقيل ياء هذا فان أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن
أبي وان أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التني منه وإن كان
مسوقا لبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنائته إلى الغير وقوله تعالى (لقد أضلني
عن الذكر) تعليل لتنبيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للبالغة في بيان خطئه وإظهار ندمه وحسرتة
أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول عليه الصلاة والسلام أو كلمة الشهادة
(بعد اذ جئتني) وتمكنت منه وقوله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولا) أي مبالغافي الخذلان حيث يواليه
حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على

أنه سمي خليفه شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو أخص الاوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان ابليس لأنه الذي حمّله على مخالطة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه الصلاة والسلام بوسوسته واغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعدّه في الدنيا ويمنيه بأنه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال ابليس ﴿وقال الرسول﴾ عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نخورهم حيث كان ما حكى عنهم قدحا في رسالته عليه الصلاة والسلام أي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل ﴿يارب ان قومى﴾ يعنى الذين حكى عنهم ما حكى من الشنائع ﴿اتخذوا هذا القرآن﴾ الذى من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فون العقاب كما ينبى عنه كلمة الاشارة ﴿مهجورا﴾ أى متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من تعلم القرآن وعاق مصحفه لم يتعهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أى جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بأن هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذا يانا وفيه من التحذير والتخويف مالا يخفى فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى ﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾ وعد كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أى كفاك مالك أمرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب أجله واجراء أحكامه فى أكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك ﴿وقال الذين كفروا﴾ حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه عليه الصلاة والسلام والقائلون هم القائلون أولا وايرادهم بعنوان الكفر لزمهم به ولاشعار بعلّة الحكم ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾ التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدرّج كما فى قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل فى نفسه أى هلا أنزل كله ﴿جملة واحدة﴾ كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق فى كل جزء من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى أن ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغييرها وتجددها تغير ما يطابقها حتا على أن فيه فوائد جمّة قد أشير الى بعض منها بقوله تعالى ﴿كذلك لثبت به فؤادك﴾ فانه استئناف وازد من جهته تعالى لرد مقالهم الباطلة وبيان الحكمة فى التنزيل التدريجى ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم أى مثل ذلك التنزيل المفرق الذى قد حوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغاير آله لنقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعانى وضبط الاحكام

والوقوف على تفاصيل ما روى فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية الى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الأخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الاقوال والافعال ومن قضية تجدداتها بتجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على أنهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حقه بظلفه حيث أمروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضافت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة وقوله تعالى ﴿ورتلناه ترتيلا﴾ عطف على ذلك المضر وتكثير ترتيلا للتفخيم أى كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضى الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدى فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئا فشيئا في عشرين أو في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ﴿ولا يأتونك بمثل﴾ من الامثال التي من جملتها ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال أى لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن ﴿الا جننا﴾ في مقابلته ﴿بالحق﴾ أى بالجواب الحق الثابت الذى ينحى عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة الفالعة لعروق أسئلهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى ﴿وأحسن تفسيراً﴾ عطف على الحق أى جنناك بأحسن تفسير أو على محل بالحق أى آيتناك الحق وأحسن تفسير أى بيانا وتفصيلا على معنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لأن ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أى لا يأتونك بمثل الا حال ايتائنا اياك الحق الذى لا يحيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما أتوا به وتثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وهذا بعبارة ناطق بطلان جميع الاسئلة وبصحة جميع الاجوبة وبإشارته منبى عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا أن تنزيل القرآن على التدريج لما أمكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام من تلك الحثيثة هذا وقد جوز أن يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه الصلاة والسلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحال عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا أعطيناك نحن من الأحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا أن تعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذى أنت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما أتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب في أن ما أتاه الله تعالى من الملكات السنية اللاتقة بالرسالة قد أتاه من أول الامر لا بمقابلة ما حكى عنهم من الاقتراحات لاجل دمجها وابطالها ﴿الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم﴾ أى يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويحشرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم الى فوق. روى عنه عليه الصلاة والسلام يحشرون الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلًا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب أو الرفع على الرفع على الابتداء وقوله تعالى ﴿أو لئك﴾ بدل منه أو بيان له وقوله تعالى ﴿شر مكانا وأضل سبيلا﴾ خبر له أو لئسم الإشارة

مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للبلاغة والمفضل عليه الرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاء لهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه الصلاة والسلام بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ جملة مستأنفة سبقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف أى وبالله لقد آتينا موسى التوراة أى أنزلناها عليه بالآخرة ﴿وجعلنا معه﴾ الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى ﴿أخاه﴾ مفعول أول له وقوله تعالى ﴿هرون﴾ بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى ﴿وزيرا﴾ مفعول ثان له وقد مر ثمة معنى الوزير أى جعلناه فى أول الامر وزيرا له ﴿فقلنا﴾ لها حينئذ ﴿اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ هم فرعون وقومه والآيات هى المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعله استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أى فذهب اليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذبا مستمرا ﴿فدمرناهم﴾ اثر ذلك التكذيب المستمر ﴿تدميرا﴾ عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها فى حكاية الحكم بتدميرهم قد وقع وانقضى والتعرض فى مطاع القصة لا يتأتى الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل فى هلاكهم كسائر الآيات للايذان من أول الأمر ببلوغه عليه الصلاة والسلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التى هى انجاء بنى اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما فى التوراة من الأحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذى مريانه وقرى فدمرهم وفدمراهم وفدمرناهم على التأكيد بالنون الثقيلة ﴿وقوم نوح﴾ منصوب بمضمير يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أى ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى ﴿لما كذبوا الرسل﴾ أى نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لا تفاهمهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمير يفسره قوله تعالى ﴿أغرقناهم﴾ وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه محل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن اهلاكم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم ﴿وجعلناهم﴾ أى جعلنا اغرقهم أو قصتهم ﴿للناس آية﴾ أى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهى مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغوله أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها ﴿وأعدنا للظالمين﴾ أى لهم والاضهار فى موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد فى الكفر والتكذيب ﴿عذابا أليما﴾ هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة فى الاخبار باعتدال العذاب الذى قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل فى زميرهم قريش دخولا أو ليا ويحتمل العذاب الدينوى والأخروى ﴿وعادا﴾ عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الأول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين اذ هو فى معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد ﴿وثمود﴾

الكلام فيه وفيما بعده كما فيه قبله وقرىء ثم وداعلى تأويل الحى أو على أنه اسم الاب الاقصى (وأصحاب الرس) هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فيمنعهم حول الرس وهى البئر التى لم تطو بعد اذ انهارت تخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفاج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهاكوا وقيل هو الأخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي عاياه السلام ابتلاه الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقا أطول عنقها وكانت تسكن جبابهم الذى يقال له فتخ أو دمح فتقض على صيائهم فخطفهم ان أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعاها حنظلة عليه السلام فأصابها الصاعقة ثم انهم قتلوه عاياه السلام وأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أى سدود فى بئر (وقرونا) أى أهل قرون قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد ذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب (كثيرا) لا يعلم مقدارها الا العالم الخبير ولعل الاكتفاء فى شئون تلك القرون بهذا البيان الاجمالى لما أن كل قرن منها لم يكن فى الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة (وكلا) منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب المثل فى معنى التذكير والتحذير والمخدوف الذى عوض عنه التثوين عبارة اما عن الامم التى لم يذكر أسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسول لا عدم التأثير من الامثال المضروبة أى ذكرنا وأئذنا كل واحد من المذكورين (ضربنا له الامثال) أى بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصى بواسطة الرسل (وكلا) أى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض (تبرنا تدبرا) عجيبا هائلا لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان وأصل التدبير التفهيم قال الزجاج كل شئ كسرتة وفتنته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة (ولقد أتوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أى وبالله لقد أتى قرىش في متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت) أى أهلكت بالحجارة وهى قرى قوم لوط وكانت خمس قرى مانحت منها الا واحدة كان أهلها لا يعملون العمل الخبيث وأما البواقي فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهى المرادة بقوله تعالى (مطر السوء) واتصابه اما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل فى أنبته الله تعالى نباتا حسنا أى امطار السوء أو على أنه مفعول ثان اذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء (أفلم يكونوا يرونها) توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجب الهمة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها فى الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها أو أكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر فى الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفى الثانى عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لالعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخرى الذى هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك بعدم رجاء النشور أى عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخرى ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوى فى حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه

وبين المعاصي حتى يذكر واو يت، ظاوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقاله من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور ﴿واذا رأوك ان يتخذونك الالهزوا﴾ أى ما يتخذونك الالهزوا به على معنى قصر معاماتهم معه عليه الصلاة والسلام على اتخاذهم إياه عليه الصلاة والسلام هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزواً وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الى من سورة الانعام وقوله تعالى ﴿أهذا الذى بعث الله رسولا﴾ محكى بعد قول مضمرة هو حل من فاعل يتخذونك أى يستهزؤون بك قائمين بهذا الذى الخ والاشارة الاستحقاق وابرار بعث الله رسولا فى معرض التسايم بجعله صلة للوصول الذى هو صفته عليه الصلاة والسلام مع كونهم فى غاية التكبر لبعثه عليه الصلاة والسلام بطريق التهمك والاستهزاء والالقاءوا أبعث الله هذا رسولا أو هذا الذى يزعم أنه بعثه الله رسولا ﴿ان كاد﴾ ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف أى انه كاد ﴿ليضلنا عن آلهتنا﴾ أى ليصرفنا عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوى ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى أمثال هذا الكلام تجرى مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير اليه فى قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه عليه الصلاة والسلام قد بلغ من الاجتهاد فى الدعوة الى الحق واطهار المعجزات واقامة الحجج والبيانات الى حيث شافوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاحهم وغاية عنادهم . يروى أنه من قول أبى جهل ﴿وسوف يعلون﴾ جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبي عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال فى ضمن الاضلال أى سوف يعلون البتة وان تراخى ﴿حين يرون العذاب﴾ الذى يستوجب كفرهم وعنادهم ﴿من أضل سبيلاً﴾ وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبية على أنه تعالى لا يهملهم وان أمهلهم ﴿أرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ تعجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبية على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه واله مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذى يدور عليه أمر التعجب ومن توهم أنهما على الترتيب بناء على تساويهما فى التعريف فقد زل منه أن المفعول الثانى فى هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أى أرأيت من جعل هواه الهاً لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ انكار واستبعاد لكونه عليه الصلاة والسلام حفيظاً عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعاً أو كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه فى طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقصره على الايمان شاء أو أبى وقوله تعالى ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانهم عليه الصلاة والسلام لهم من يسمع أو يعقل حسبا ينبي عنه جده عليه الصلاة والسلام فى الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على أنه لا يقع كالأول بل على أنه لا ينبغي أن يقع أى بل أنتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون ما فى تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعنى بشأنهم وتنطمع فى ايمانهم وضمير أكثرهم لمن وجعه باعتبار معناها كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين لاكثر لا لما أضيف هو اليه وقوله تعالى ﴿انهم الا كالألنعام﴾ الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير التكبر وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرّة أى ما هم فى عدم الاتقاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات واتقاه

التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات الا كالبهايم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة ﴿بل هم أضل﴾ منها
 ﴿سيدلا﴾ لما أنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدا وتعرف من يحسن اليها من يسيء اليها وتطلب ما ينفعها
 وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وتأوى الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا
 يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو أعدى عدوهم ولا يطالبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون
 العقاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروى ولأنها
 ان لم تعتقد حقا مستتبعا لا كتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لا اقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد
 الباطل وفروا عايبها أحكام الشرور ولأن أحكام جهالتها وضلاتها مقصورة على أنفسها لا تتعدى الى أحد وجهالة
 هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولأنها
 غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارقة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال وأما هؤلاء
 فهم معطلون لقواهم العقابية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عايبها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد
 النكال ﴿ألم تر الى ربك﴾ بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلاتهم والخطاب لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه
 عليه الصلاة والسلام وللايدان بأن ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أى ألم تنظر الى بديع صنعه تعالى ﴿كيف
 مد الظل﴾ أى كيف أنشأ ظل أى مظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا أنه تعالى مده
 بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشاءه تعالى واحداً
 يأباه سياق النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الاوقات فان
 الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يستخرج الجو ويهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل
 ممدود فغير سديد اذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن
 يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه
 من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلاً للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلاً ولا يصفونه بأوصافه
 المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام لكيفية مد الظل للتنبيه
 على أن نظره عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما يطلع عليه من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شؤون الصانع
 المجيد وقوله تعالى ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل
 فيما ذكر من المد للأسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من
 وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء أى ولو شاء سكونه لجعله ساكناً أى ثابتاً على حاله من الطول والامتداد
 وانما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأى
 العين حركة وانتقالاً وحاصله أنه لا يعتريه اختلاف حال بأن لا تنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة
 على وضع واحد فداره الغفول عما سبق له النظم الكريم ونطق به صريحاً من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة
 بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على
 مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على أنها أعظم
 من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي أولى وأحق

بالإيراد في معرض البيان وقوله تعالى ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ عطف على مد داخل في حكمه أى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطق به الشرطية المعارضة والاتفات إلى نون العظمة لما في الجمل المذكور العارى عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطارد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في إيراد كلمة التراخي وقوله تعالى ﴿ثم قبضناه﴾ عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما أن في بيان كون القبض والمد مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن تكون للتراخي الرتبي أى أزلناه بعد ما أنشأناه ممتداً ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً وإنما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما أنه قد عبر عن أحداثه بالمد الذى هو البسط طويلاً وقوله تعالى ﴿الينا﴾ للتنصيص على كون مرجعه إليه تعالى كما أن حدوثه منه عز وجل ﴿قبضاً يسيراً﴾ أى على مهل قليلاً قليلاً حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتعبة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقبل أن الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الأرض تحتها ألقت القبة ظلها على الأرض لعدم النير وذلك مده تعالى إياه ولوشاء لجعله ساكناً مستقراً على تلك الحالة ثم خاق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى ساطعاً عليه ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقاص ثم نسخها بها فقبضه قبضاً سهلاً يسيراً غير عسير أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة قبض أسبابه وهى الاجرام التى تاقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها وصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسيراً وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذى جعل لكم الليل لباساً بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلويح الخطاب لتوفية مقام الامتثال حقه واللام متعلقة بجعل وتقديماً على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعه وفي تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذى هو ظل الأرض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه أى هو الذى جعل لكم الليل كاللباس يستتركم بظلامه كما يستتركم اللباس والنوم سباتاً أى وجعل النوم الذى يقع فى الليل غالباً قطعاً عن الأفاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما بينها من المشابهة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ أى زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يابى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشور وهو الذى أرسل الرياح ﴿وقرىء بالتوحيد على أن المراد هو الجنس بشرأ﴾ تخفيف بشر جمع بشور أى مبشرين وقرىء بشرى وقرىء نشر بالزور جمع نشور أى ناشرات للسحاب وقرىء بالتخفيف وفتح النون أيضاً على أنه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى ﴿بين يدي رحمته﴾ استعارة بدعية أى قدام المطر والاتفات إلى نون العظمة فى قوله تعالى ﴿وأزلقنا من السماء ماء طهوراً﴾ لابرز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أى أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا فى الطهارة وما قيل انه ما يكون طاهراً فى نفسه ومطهراً لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور فى العربية ما صفة كما تقول ماء طهور أو اسم كما فى قوله عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهوراً حسناً كقولك وضوءاً حسناً ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا صلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده

فإن الماء الطهور أهنا وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيهه على أن ظواهرهم لها كانت مما ينبغي أن يطهر وهافواظهم أحق بذلك وأولى (لنحيي به) أى بما أنزلنا من الماء الطهور (بلدة ميتا) بانبات النبات والتذكير لأن البلدة بمعنى البلد ولا به غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الارض عامرة كانت أو غامرة (ونسقيه) أى ذلك الماء الطهور عند جريانه فى الأودية أو اجتماعه فى الحياض والمناقع أو الآبار (مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا) أى أهل البوادرى الذين يعيشون بالحيا ولذا نكر الأنعام والأناسى وتخصيصهم بالذكر لأن أهل القرى والامصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فيهم وبما لهم من الإناعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام حيث كانت قنية للإنسان وعامة منافعهم ومعاشهم منوطة بها قدم سقيا على سقيهم كما قدم عليها أحياء الارض فانه سبب حياتها وتعيشها وقرى نسقيه وأسقى وسقى لغتان وقيل أسقاء جعل له سقيا وأناسى جمع انسى أو انسان كظرابى فى ظربان على أن أصله أناسين فقلبت نونه ياء وقرى أناسى بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كأنعم فى أناعم (ولقد صرفناه) أى وبالله لقد كررنا هذا القول الذى هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجميلة فى القرآن وغيره من الكتب السماوية (بينهم) أى بين الناس من المتقدمين والمتأخرين (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته فى ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للبطر وتصريفه بينهم انزاله فى بعض البلاد دون غيرها أو فى بعض الاوقات دون بعض أو جعله تارة وابلا وأخرى طلا وحيناً ديمة ووقتا رهمة والاول هو الأظهر (فأنى أكثر الناس) ممن ساف وخاف (الا كفورا) أى لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكثرات لها أو الاجودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والانواء أمارات لجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا نذرا أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الأمر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالالك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واطهار الحق والتشدد معهم كأنه نهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف فى الدعوة لما أنه عليه الصلاة والسلام كان يود أن يدخلوا فى الاسلام ويجتهد فى ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد (وجاهدكم به) أى بالقرآن بتلاوة ما فى تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الامم المكذبة (جهادا كبيرا) فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفاً وقيل الضمير للمجرور لترك الطاعة المفهوم من النهى عن الطاعة وأنت خير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا أن تجعل الباء للباسية ليكون المعنى وجاهدكم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كأنه قيل جاهدكم بالشدة والعنف لا بالملازمة والمداراة كما فى قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من كونه عليه الصلاة والسلام نذير كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه الصلاة والسلام وجاهدكم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وأنت خير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمتها فى الكيفية (وهو الذى مرج البحرين) أى خلاهما متجاورين

متلاصقين بحيث لا يمتاز جان من مرج دابته اذا خلاها ﴿ هذا عذب فرات ﴾ قاعم للعطش لغاية عذوبته ﴿ وهذا ملح أجاج ﴾ بليغ الملوحة وقرىء ملح فلعله تخفيف ملح كبرد في بارد ﴿ وجعل بينهما برزخا ﴾ حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها ﴿ وحجرا محجورا ﴾ وتنافرا مفراطا كأن كلا منهما يتعود من الآخر بتلك المقاتلة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون أثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية ﴿ وهو الذي خلق من الماء بشرا ﴾ هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة ﴿ فجعله نسبا وصهرا ﴾ أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينتسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهرهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ﴿ وكان ربك قديرا ﴾ مبالغا في القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشرا إذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأثى ﴿ ويعبدون من دون الله ﴾ الذى شأنه ما ذكر ﴿ مالا ينفعهم ولا يضرهم ﴾ أى مالىس من شأنه النفع والضرر أصلا وهو الاصلنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضرر ﴿ وكان الكافر على ربه ﴾ الذى ذكرت آثار ربوبيته ﴿ ظهيرا ﴾ يظهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهره فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ﴿ وما أرسلناك الا مبشرا ﴾ للمؤمنين ﴿ ونذيرا ﴾ للكافرين ﴿ قل ﴾ لهم ﴿ ما أسألكم عليه ﴾ أى على تبليغ الرسالة الذى ينهى عنه الارسال ﴿ من أجر ﴾ من جهتم ﴿ الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا ﴾ أى الافعل من يريد أن يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما أدعواهم اليهما فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واطهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه الصلاة والسلام وقيل الاستثناء منقطع أى لكن من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا ليفعل ﴿ وتوكل على الحى الذى لا يموت ﴾ فى الاستكفاء عن شروهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم ﴿ وسبح بحمده ﴾ وزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه ﴿ وكفى به بذنوب عباده ﴾ مظهر منها وما بطن ﴿ خبيرا ﴾ أى مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شىء منها فيجزئهم جزاء وافيا ﴿ الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحى وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التى هى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من أنشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين فى أوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تتقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الامر اليه ﴿ الرحمن ﴾ مرفوع على المدح أى هو الرحمن وهو فى الحقيقة وصف آخر للحى كما قرىء بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه فى الاعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدح وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعا له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات

ما قبله وتنبيهها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى ﴿فاسأل به﴾ أى بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المسؤل أمرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن التقدير ان شككت فيه فاسأل به خيرا على أن الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معنيا به ﴿خييرا﴾ عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان أنكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا بحج ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ ﴿فسل﴾ واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ﴿قالوه لما أنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لانهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ أى للذى تأمرنا بسجوده أو لامرك ايانا من غير أن نعرف أن المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعه وقرئ يأمرنا بياء الغيبة على أنه قول بعضهم لبعض ﴿وزادهم﴾ أى الامر بسجود الرحمن ﴿نفورا﴾ عن الايمان ﴿تبارك الذى جعل في السماء بروجا﴾ هى البروج الاثنا عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من البرج لظهوره ﴿وجعل فيها سراجا﴾ هى الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار ﴿وقرا منيرا﴾ مضيئا بالليل وقرئ قرا أى ذا قمر وهى جمع قراء ولما أن الليالى بالقمر تكون قراء أضيف اليها ثم حذف وأجرى حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضى الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل أى ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾ أى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم أنه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد ﴿أو أراد شكورا﴾ أى أن يشكر الله تعالى على ما فهم من النعم أو ليكونا وقين للذاكرين من فاته ورده فى أحدهما تداركه فى الآخر وقرئ أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر ﴿وعباد الرحمن﴾ كلام مستأنف مسروق لبيان أوصاف خالص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والاخرية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتحريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما فى آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ عباد الرحمن أى عباد المقلبون ﴿الذين يمشون على الارض هونا﴾ أى بسكينة وتواضع وهو نا مصدر ووصف به ونصبه اما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدره أى يمشون هينين لئنى الجانب من غير فظاظة أو مشيا هينا وقوله تعالى ﴿واذا خاطبهم الجاهلون﴾ أى السفهاء كما فى قول من قال

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

﴿قالوا سلاما﴾ بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم فى أنفسهم أى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسليما منكم ومتركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع

الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن أبي العالية وقوله تعالى ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم أى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أى يحيون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة وقيل من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل ﴿والذين يقولون﴾ أى فى أعقاب صلواتهم أو فى عامة أوقاتهم ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً﴾ أى شراً دائماً وهلاكاً لازماً وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق يخافون العذاب ويبتلون إلى الله تعالى فى صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ تعليل لاستدعائهم المذكو ربسوء حالها فى نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز أن يكون تعليلاً للآولى وليس بذلك وساءت فى حكم ثبوت وفيها ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هى وهذا الضمير هو الذى ربط الجملة باسمه ان وجعلها خبراً لها قيل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحرزت وفيها ضمير اسم ان ومستقراً حال أو تمييز وهو بعيد خال عما فى الاول من المبالغة فى بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهة تعالى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ لم يجاوزوا حد الكرم ﴿ولم يقتروا﴾ ولم يضيّقوا تضيق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المعاصى والقتر منع الواجبات والقرب وقرىء بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرهما مخففة ومشددة مع ضم الياء ﴿وكان بين ذلك﴾ أى بين ما ذكر من الاسراف والقتر ﴿قواماً﴾ وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرىء بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على انه مبنى لضافته إلى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بشئ عن نفسه ﴿والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر﴾ شروع فى بيان اجتنابهم عن المعاصى بعد بيان آياتهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصریح بوصفهم بنى الاشراك مع ظهور إيمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما فى سلكه ولانعريض بما كان عليه الكفرة من قریش وغيرهم أى لا يعبدون معه تعالى الهاً آخر ﴿ولا يقتلون النفس التى حرم الله﴾ أى حرماً بمعنى حرم قتلها لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة فى التحريم ﴿الابالحق﴾ أى لا يقتلون بها بسبب من الاسباب الاسباب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلون قتلاً لا الاقتلا ما تبساً بالحق أو لا يقتلون فى حال من الاحوال الاحال كونهم ملتبسین بالحق ﴿ولا يزنون﴾ أى الذين لا يفعلون شيئاً من هذه العظائم القبيحة التى جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التى من جملة الموءودة مكبين على الزنا لا يرعون عنه أصلاً ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أى ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين ﴿يلق﴾ فى الآخرة وقرىء يلقى وقرىء يلقى بالتشديد مجزوماً ﴿أثاماً﴾ وهو جزاء الاثم كالويل والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم أى يلقي جزاء الاثم والتنوين على التقديرين للتفخيم وقرىء أيأما أى شدائد يقال يوم ذوأيام لليوم الصعب ﴿يضاعفه العذاب يوم القيامة﴾ بدل من يلقى لاتحادهما فى المعنى كقوله

متى تأتينا تلهم بنا فى ديارنا تجد حطبا جز لا ونارا تأججا

وقرىء بالرفع على الاستئناف أو على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرىء يضعف ونضعفه العذاب بالنون ونصب العذاب ﴿ويخلد فيه﴾ أى فى ذلك العذاب المضاعف ﴿مهاناً﴾ ذليلاً مستحقراً جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني وقرىء يخلد ويخلد مبني للمفعول من الاخلاص والتخليد وقرىء يخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة

العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا﴾ وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم الاعتناء به والتنصيب على مغايرته للاعمال السابقة ﴿فأولئك﴾ اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه أى أولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم أو يبدل بملكة المعصية ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الاولى ويأتى بالثانية وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقبل يبدلهم بالشرك ايمانا و بقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا ﴿وكان الله غفورا رحيم﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ﴿ومن تاب﴾ أى عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها ﴿وعمل صالحا﴾ يتلافى به ما فرط منه أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات ﴿فانه﴾ بما فعل ﴿يتوب الى الله﴾ أى يرجع اليه تعالى ﴿متابا﴾ أى متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ما حيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله تعالى الذى يحب التوابين ويحسن اليهم أو فانه يرجع اليه تعالى أو الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه ﴿واذا مروا﴾ على طريق الاتفاق ﴿بالغو﴾ أى ما يجب أن يلغى ويطرح مما لاخير فيه ﴿مروا كراما﴾ معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به ﴿والذين اذا ذكروا آيات ربهم﴾ المنطوية على المواعظ والاحكام ﴿لم يخرها وعليها صما وعميانا﴾ أى أكبوا عليها سامعين بأذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ بتوفيقهم للطاعة وحياسة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده أهله في طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبا وعد بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرىء وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلا لان المراد أعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى غيرها ﴿واجعلنا للمتقين اماما﴾ أى اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والترقيق للعمل وتوحيد الدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو لأن المراد واجعل كل واحد منا اماما أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وأنت خير بأن هدار الكل صدور وهذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وأنه محال لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وأنه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدورهم عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وأبقى اماما على حاله وقيل الامام جمع أم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلوات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للايذان بأن كل واحد من ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من ذلك تنمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الدائى كما في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم

﴿أولئك﴾ إشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايدان يبعد منزلاتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿يجزون الغرفة﴾ والجملة مستأنفة لاجل لها من الاعراب مبينة لما لهم في الآخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هى اسم من أسماء الجنة ﴿بما صبروا﴾ أى بصبرهم على المشاق من مضى الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ﴿ويلقون فيها﴾ من جهة الملائكة ﴿تحية وسلاما﴾ أى يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات أو يعطون التبتية والتخيلد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي ﴿خالدين فيها﴾ لا يموتون ولا يخرجون ﴿حسنات مستقرا ومقاما﴾ الكلام فيه كالذى مر في مقابله ﴿قل﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلا أى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر ﴿ما يعاب بكم ربى لولا دعاؤكم﴾ أى أى عب يعاب بكم وأى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبا مرتفصيلة فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه أى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز أن تكون مانافية وقوله تعالى ﴿فقد كذبت﴾ بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أى فقد كذبت بما أخبرتكم به وخالفتموه أيها الكفرة ولم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الايدان بأن مناط فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاتحاد الجنسي المصحح للاشتراك في الفوز ليس الاختلافهما في الأعمال ﴿فسوف يكون لزاما﴾ أى يكون جزاء التكذيب أو أثره لازم ما يحقق بكم لاحالة حتى يكبكم في النار كما تعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما أضمر من غير ذكر للايدان بغاية ظهوره وتهويل أمره وللتنبية على أنه مما لا يكتننه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء

(مكية الاقوله والشعراء الى آخرها وهى مائتان وست أو سبع وعشرون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم﴾ بتفخيم الالف وبامالتها وظهار النون وبادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على أحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطلاق الاكثر فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه فى مطلع سورة يونس عليه

السلام أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكروا قرأ وتلك في قوله تعالى ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ إشارة إلى السورة سواء كان طسم مسرودا على نمط التعديد أو اسما للسورة حسبا من تحقيقه هناك وما في اسم الإشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار إليه في الفخامة ومحل الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان أو بدل من الأول والمراد بالكتاب القرآن والمبين الظاهر اعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعاقبها أو الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضها منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي قاتل وأصل البخع أن يباغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الإضافة ولعل للاشفاق أي اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومه ﴿أن لا يكونوا مؤمنين﴾ أي لعدم إيمانهم بذلك الكتاب المبين أو خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى ﴿ان نشأ﴾ الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان أن إيمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزء أعنى قوله تعالى ﴿نزل عليهم من السماء آية﴾ أي ما يجيء لهم إلى الإيمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ أي منقادين وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم في الصيغة أيضا كما في قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء والجماعات من قوهم جاءنا عنق من الناس أي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على نزل باعتبار محله وقوله تعالى ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين﴾ بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الممجدة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بآتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغايط شنائعهم وتهويل جنائهم فإن الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الإطلاق شذيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم أشنع وأقبح أي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم أكمل نذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهة تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبا تقتضيه الحكمة والمصلحة الاجتدوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصراروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال الاحال كونهم معرضين عنه ﴿فقد كذبوا﴾ أي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا والفاء في قوله تعالى ﴿فسيأتيتهم﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي فسيأتيتهم البتة من غير تخلف أصلا ﴿أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾ عدل عما يقتضيه سائر ما سلف من الاعراض والتكذيب للإيذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير إليه حسبا وقع في قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا يستهزؤن وأنباؤه ما سيجيئهم من القعوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك أما لكونها مما أنبأها القرآن

الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم أى فسيأتىهم لاحالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به قبل من غير أن يتدبروا في أحواله ويقفوا عليها ﴿أولم يروا﴾ الهمة للانكار اتويعى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المذام أى أفعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا ﴿الى الارض﴾ أى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما عرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى ﴿كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ استئناف مبين لما فى الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكما خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج أى صنف تميز والكريم من كل شىء مرضيه ومحموده أى كثير من كل صنف مرضى كثير المنافع أنبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكور من ماعداه من الأصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شىء الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خالق لكم ما فى الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون ﴿ان فى ذلك﴾ اشارة الى مصدر أنبتنا أو الى كل واحد من تلك الأزواج وأياما كان فافيه من معنى البعد لا يذان يبعده منزله فى الفضل ﴿لاية﴾ أى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور عليه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر ﴿وما كان أكثرهم﴾ أى أكثر قومه عليه الصلاة والسلام ﴿مؤمنين﴾ قيل أى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم ألا أنهم سيصرون فيما لا يزال اختيارهم الذى عليه يدور أمر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الأنسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم الى عليه تعالى وقضائه فر بما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما أشير اليه من التحقيق مما خفى على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان فى ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهما كهم فى الغنى والجهالة ونسبة عدم الايمان الى أكثرهم لان منهم من سيؤمن ﴿وان ربك هو العزيز﴾ الغالب على كل ما يريد من الأمور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء ﴿الرحيم﴾ المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجتروا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفر تما لا يخفى ﴿واذ نادى ربك موسى﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتىهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام أى واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجر لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من أن يحقق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لا يؤمنون بما يأتىهم من الآيات لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاضهم بذلك كما يلوح به تكبير قوله تعالى ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر مرارا ﴿أن انت﴾ بمعنى أى انت على أن أن مفسرة أو بأن انت على أنها مصدرية حذف منها الجار ﴿القوم الظالمين﴾ أى بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح أنبائهم

وليس هذا مطلع ماورد في حيز النداء وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى انى أنا ربك الى قوله لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه في أوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى قال أنظرني ﴿قوم فرعون﴾ بدل من الأول أو عطف بيان له جى به للايدان بأنهم علم في الظلم كأن معنى القرم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايدان بشهرة أن نفسه أول داخل في الحكم ﴿الآيتون﴾ استئناف جى به اثر ارساله عليه الصلاة والسلام اليهم للانذار تعجيبا من غلومهم في الظلم وافرأطهم في العدوان وقرى به بقاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبى عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد أجره ايجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرى بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز أن يكون بمعنى ألا ياناس اتقون نحو أن لا يسجدوا ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مامضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى الله عز وجل ﴿رب انى أخاف أن يكذبون﴾ من أول الأمر ﴿ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى﴾ معطوفان على أخاف ﴿فأرسل﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿الى هرون﴾ ليكون معى وأتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه الصلاة والسلام استدعاه ذلك على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطق لانها اذا اجتمعت تمس الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقى الأمر فى شىء وإنما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذريته وقرى ويضيق ولا ينطق بالنصب عطفًا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ﴿ولهم على ذنب﴾ أى تبعة ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو سمي باسمه والمراد به قتل القبطى وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبى عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع ﴿فأخاف﴾ أى ان أيتهم وحدى ﴿أن يقتلون﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغى وليس هذا أيضا تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى ﴿قال كلا فاذهب بآياتنا﴾ حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمير ينبى عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله بآياتنا رمز الى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى ﴿انا معكم مستمعون﴾ تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لها بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى اننى معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعد بمحضر من فرعون اعتبرهنا فى المعية وقيل أجر يا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير الثانية أى سامعون ما يجرى بينكما وبينه فنظهر كما عليه مثل حاله تعالى بحال ذى شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجرى بينهم ليد أو لياه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة فى الوعد بالاعانة أو استعير الاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء فى قوله تعالى ﴿فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المآلى لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لانه مصدر وصف به وأن فى قوله تعالى ﴿أن أرسل معنا بنى اسرائيل﴾ مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهم الى الشام ﴿قال﴾ أى فرعون لموسى

عليه السلام بعد ما أتياه وقال له ما أمرا به يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال اتذنب له لعلنا ننضحك فأديا إليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك ﴿ألم نريك فينا﴾ في حجرنا ومنازلنا ﴿وليدا﴾ أى طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوه إلى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن اثنتى عشرة سنة وفرمهم على اثر ذلك والله أعلم ﴿وفعلت فعلتك التى فعلت﴾ يعنى قتل القبطى بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفضعه وقرى فعلتك بكسر الفاء لأنها كانت نوعا من القتل ﴿وأنت من الكافرين﴾ أى بنعمتى حيث عمدت إلى قتل رجل من خواصى أو أنت حينئذ بمن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلاة والسلام أو جهل أمره عليه الصلاة والسلام حيث كان يعايشهم بالتيق والافان هو عليه الصلاة والسلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من احدى التائين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين باليهته أو بمن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونها أو من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجنابة بدعا منه ﴿قال﴾ مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسب اليه من الكفر ﴿فعلتها اذا وأنا من الصالحين﴾ أى من الجاهلين وقد قرى كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء أى من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لانه لم يعتمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما يؤدى اليه الوكر أو الناسين كقوله تعالى أن تضل احداهما فذكر احدهما الاخرى ﴿فقررت منكم﴾ إلى ربى ﴿لما خفتكم﴾ أن تصيدونى بمضرة وتؤاخذونى بما لا أستحقه بخبايتى من العقاب ﴿فوهب لى ربى حكما﴾ أى حكمة أو نبوة ﴿وجعلنى من المرسلين﴾ رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نعمة فقال ﴿وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل﴾ أى تلك التربية نعمة تمن بها على ظاهرا وهى في الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدك اياهم بذبح أبنائهم فانه السبب في وقوعى عندك وحصولى في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أى أو تلك نعمة تمنها على وهى أن عبدت بنى اسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر باضمار الباء أو والنصب بحذفها وقيل تلك اشارة إلى خصلة شنعاء مبهمه وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملئه ﴿قال فرعون﴾ لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في أمره وعدم تأثره بما قدمه من الابرار والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه الصلاة والسلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال ﴿وما رب العالمين﴾ حكاية لما وقع في عبارته عليه الصلاة والسلام أى أى شئ رب العالمين الذى ادعيت أنك رسوله منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيرى وينطق به وعيده عند تمام أجوبته عليه الصلاة والسلام ﴿قال﴾ موسى عليه السلام مجيبا له ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ بتعيين ما أراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقدير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ماتحت مملكته ﴿ان كنتم موقنين﴾ أى ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمت ذلك أو ان كنتم موقنين بشئ من الاشياء فهذا أولى بالايقان لظهوره واناارة دليله ﴿قال﴾ أى فرعون عند سماع جوابه عليه الصلاة والسلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه وادعائهم له ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه قال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا اخمسائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة ﴿ألا تستمعون﴾ مرثيا لهم

أن ماسمعه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه مما لا يليق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال
 ألا تسمعون ما يقول فاستمعه وتعجبوا منه حيث يدعى خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه ﴿قال﴾
 عليه الصلاة والسلام تصريحاً بما كان مندرجات تحت جوابيه السابقين ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ وخطأه من
 ادعاء الربوبية الى مرتبة الربوبية ﴿قال﴾ أى فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من
 تأثر قومه منه فأراهم أن ما قاله عليه الصلاة والسلام مما لا يصدر عن العقلاء صدأ لهم عن قبوله فقال مؤكداً لمقالاته
 الشنعاء بحرفي التأكيد ﴿ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون﴾ ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا
 بطريق الاستهزاء وأضافه الى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسل الى نفسه ﴿قال﴾ عليه الصلاة والسلام ﴿رب
 المشرق والمغرب وما بينهما﴾ قاله عليه الصلاة والسلام تكميلاً لجوابه الأول وتفسيراً له وتنبيهاً على جهلهم وعدم
 فهمهم لمعنى مقالته فإن بيان ربوبيته تعالى للسماوات والأرض وما بينهما وإن كان متضمناً لبيان ربوبيته تعالى للخافقين
 وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السماوات وما فيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الأرض
 تارة مظلمة وأخرى منورة الى الله تعالى أرشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فإن ذكر المشرق والمغرب منبئ
 عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السماوات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة
 وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السماوات والأرض التى ربما يتوهم جهلة المتوهمين
 باستمرارها استغناءها عن المرجد المتصرف ﴿ان كنتم تعقلون﴾ أى ان كنتم تعقلون شيئاً من الأشياء أو ان كنتم
 من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه ايدان بغاية وضوح الأمر بحيث لا يشتبه على من له عقل فى الجملة وتلويح
 بأنهم بمعزل من دائرة العقل وأنهم المتصرفون بما رموه عليه الصلاة والسلام به من الجنون ﴿قال﴾ لما سمع اللعين منه
 عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وأنه
 من لا يجارى فى حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقابلة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال
 مظهراً لما كان يضمه عند السؤال والجواب ﴿لئن اتخذت الها غيرى لأجدنك من المسجونين﴾ لم يقتنع منه عليه
 الصلاة والسلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام أن يتخذها الها لغاية عتوه وغلوه
 فيما فيه من دعوى الألوهية وهذا صريح فى أن تعجبه وتعجبيه من الجواب الأول ونسبته عليه الصلاة والسلام الى الجنون
 فى الجواب الثانى كان لنسبته عليه الصلاة والسلام الربوبية الى غيره وأما ما قيل من أن سؤاله كان عن حقيقة المرسل
 وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر أحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام
 فى المسجونين للعهد أى لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم فى سجونى حيث كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم
 يقل لأسجننك ﴿قال أولو جئتكم بشئ مبين﴾ أى أتفعل بى ذلك ولوجئتكم بشئ مبين أى موضح لصديق دعواى
 يريد به المعجزة فإنها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده
 والتعبير عنها بالشئ للتحويل قالوا الواو فى أولو جئتكم للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى جئتكم بشئ مبين وقد سلف
 منا مراراً أنها للعطف وأن كلمة لوليت لا تنفأ الشئ فى الزمان الماضى لا تنفأ غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف
 تعويلاً على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان
 تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال
 بادخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوتها أو انتفائه معه ثبوتها وانتفائه مع ما عداها من الاحوال بطريق

الاولوية لما أن الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلا أن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذ كر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا تريديان تحقق الاعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق الحكم بأبعدها منه ليظهر بتحقيقه مع ما عده من الاحوال التى لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الأولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا أى يعطى حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال فى الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على أن الواو للحال وتصدير المحيى بما ذكر من كلمة لودون ان ليس لبيان استبعاده فى نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى أتفعل فى ذلك حال عدم محيى بشئ مبين وحال محيى به ﴿قال فأت به ان كنت من الصادقين﴾ أى فيما يدل عليه كلامك من أنك تأتى بشئ مبين موضع لصدق دعواك أو فى دعوى الرسالة وجواب الشرط المحذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين﴾ أى ظاهر ثعبانيته لا أنه شئ يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فاشتعب أى فجرته فانفجر وقد مريان كيفية الحال فى سورة الاعراف وسورة طه ﴿ونزع يده﴾ من جيبه ﴿فاذا هى بيضاء للنظرين﴾ قيل لما رأى فرعون الآية الاولى وقال هل لك غيرها فأخرج يده فقال ماهذه قال فرعون يدك فافياها فأدخلها فى بطنه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق ﴿قال للملأ حوله﴾ أى مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ﴿ان هذا الساحر عليم﴾ فائق فى فن السحر ﴿يريد أن يخرجكم﴾ قسرا ﴿من أرضكم بسحره فاذا تأمرون﴾ بهر سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده فى زعمه والامثال بأمرهم أو الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا فى رأى والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتفجيرهم عن موسى عليه السلام ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أخر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وابعث فى المدائن حاشرين﴾ أى شرطا يحشرون السحرة ﴿يأتوك﴾ أى الحاشرون ﴿بكل ساحر عليم﴾ فائق فى فن السحر وقرى بكل ساحر ﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشرون الناس ضحى ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ قيل لهم ذلك استبطا لهم فى الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه ﴿لعلنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين﴾ أى تتبعهم فى دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق السكناية حملا لهم على الاهتمام والجد فى المغالبة ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجرا﴾ أى أجرا عظيما ﴿ان كنا نحن الغالبين﴾ لا موسى عليه السلام ﴿قال نعم﴾ لكم ذلك ﴿وانكم﴾ مع ذلك ﴿اذا لمن المقربين﴾ عندى قيل قال لهم تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج عنى وقرى نعم بكسر العين وهما لغتان ﴿قال لهم موسى﴾ أى بعد ما قال له السحرة اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ ولم يرد به الامر بالسحر والتقوية بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل ﴿فألقوا جبالهم وعصيهم وقالوا﴾ أى وقد قالوا عند اللقاء ﴿بعزة فرعون انال نحن الغالبون﴾ قالوا ذلك لفرط اعتقادهم فى أنفسهم واثباتهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر ﴿فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف﴾ أى تبلع بسرعة وقرى تلقف بفتح احدى التامين من تلقف ﴿ما يافكون﴾ أى ما يقبلونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون جبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو افكهم تسمية للمافوك به مبالغة ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ أى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلغى وتردد غير

متالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر الهى قد ظهر على يده عليه الصلاة والسلام لتصديقه وفيه دليل على أن قصارى ما ينتهى إليه هم السحرة هو التويه والتزوير وتخيل شئ لا حقيقة له ﴿ قالوا آمنا برب العالمين ﴾ بدل اشتغال من ألقى أو حال باضمار قد وقوله تعالى ﴿ رب موسى وهرون ﴾ بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجبهة يسمونه بذلك وللشعار بأن الموجب لايمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة ﴿ قال ﴾ أى فرعون للسحرة ﴿ آمنتم له قبل أن آذن لكم ﴾ أى بغير أن آذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي لا أن الاذن منه ممكن أو متوقع ﴿ انه لكبيركم الذى علمكم السحر ﴾ فتواطأتم على ما فعلتم أو علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرى ﴿ آمنتم بهمزتين ﴾ فلسوف تلبون ﴿ أى وبال ما فعلتم وقوله ﴾ لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين ﴾ بيان لما أودعهم به ﴿ قالوا ﴾ أى السحرة ﴿ لاضير ﴾ لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى ﴿ إنا الى ربنا منقلبون ﴾ تعليل لعدم الضير أى لاضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لاضير علينا فيما نتوعدنا به من القتل انه لا بدلنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى ﴿ انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا ﴾ أى لأن كنا ﴿ أول المؤمنين ﴾ أى من أتباع فرعون أو من أهل المشهد تعليل ثان لنى الضير أى لاضير علينا فى قتلنا انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين وقرى ﴿ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة قول المدلل بأمره كقول العامل لمستأجر أخر أجرته ان كنت عملت لك فوفى حقى ﴾ وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى وذلك بعد بضع سنين أقام بين أظهرهم يدعوه الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزدوا الاعتوا وعنادا حسبما فصل فى سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرى ﴿ بكسر النون وصل الألف من سرى وقرى ﴿ أنسر من السير ﴾ انكم متبعون ﴾ تعليل للأمر بالأسراء أى يتبعكم فرعون وجنوده مصحين فأسر بمن معك حتى لا يدركوك قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم ﴿ فأرسل فرعون ﴾ حين أخبر بمسيرهم ﴿ فى المدائن حاشرين ﴾ جامعين للعساكر ليتبعوهم ﴿ ان هؤلاء ﴾ يريد بنى اسرائيل ﴿ لشرذمة قليلون ﴾ استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا بالنسبة الى جنوده اذ روى أنه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخروج فرعون فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث ﴿ وانهم لنا لغاظون ﴾ أى فاعلون ما يغيظنا ﴿ وانا لجميع حاذرون ﴾ يريد أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فسادة وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرى ﴿ حذرون فالأول دال على التجدد والثانى على الثبات وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وقرى ﴿ حاذرون بالدال المهملة أى أقويا وأشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى أجسامهم ﴾ فأخرجناهم ﴿ بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه ﴾ من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ﴿ كانت لهم جملة ذلك ﴾ كذلك ﴿ اما مصدر تشيبي لاخرجنا أى مثل ذلك الاخراج العجيب أخرجناهم أو صفة لمقام كريم أى من مقام كريم كائن كذلك أو خبر لمبتدا محذوف أى الأمر كذلك ﴿ وأورثناها بنى اسرائيل ﴾ أى ملكناها اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل

أن يقبضوها ويتسلطوها ﴿فأتبعوهم﴾ أي فالحقوهم وقرىء فأتبعوهم ﴿مشرقين﴾ داخلين في وقت شروق الشمس أي طلوعها ﴿فلا ترائي الجمعان﴾ تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرىء تراعى الفتان ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ جاؤا بالجملة الاسمية مؤكدة بـ "نأ" كيدل على تحقق الإدراك والحق وتنجزهما وقرىء لمدركون بتشديد الدال من أدرك الشيء إذا تابع ففنى أي لم يتابعون في الهلاك على أيديهم ﴿قال كلا﴾ ارتدعوا عن ذلك فإنهم لا يدركونكم ﴿إن معي ربي﴾ بالنصرة والهداية ﴿سهيدين﴾ البتة إلى طريق النجاة منهم بالكلية روى أن يوشع عليه السلام قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشيننا فرعون والبحر أمامنا قال عليه السلام ههنا تخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان وروى أن مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشينك آل فرعون قال عليه السلام أمرت بالبحر ولعلى أو مر بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ القلزم أو النيل ﴿فانفلق﴾ الفاء فصيحة أي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الأسباط بينهن مسالك ﴿فكان كل فرق﴾ حاصل بالانفلاق ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها ﴿وأزلفنا﴾ أي قربنا ﴿ثم الآخرين﴾ أي فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين﴾ بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ باتباعه عليهم ﴿إن في ذلك﴾ أي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الأقوال والأفعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الإشارة من معنى البعد لتهويل أمر المشار إليه وتفضيحه كتذكير الآية في قوله تعالى ﴿لآية﴾ أي آية آية أو آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون وقيسوا شأن النبي عليه الصلاة والسلام بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين ويحتنبوا تعاطى ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك أو أن فيا فصل من القصة من حيث حكايته عليه الصلاة والسلام إياها على ما هي عليه من غير أن يسمعا من أحد لآية عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للإيمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وما كان أكثرهم﴾ أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام ﴿مؤمنين﴾ لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعا من أحد مع كون كل من الطريقتين مما يؤدي إلى الإيمان قطعا ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأي سيويه فيكون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعدما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه ويجوز أن يجعل كان بمعنى صار كما فعل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقتين فيكون الإخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية ﴿وان ربك له العزيز﴾ الغالب على كل ما يريده من الأمور التي من جملتها الانتقام من المكذبين ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة

الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء ينال اريب فيه وأما ما قيل من أن ضمير أكثرهم لأهل عصر
فرعون من القبط وغيرهم وأن المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة
ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا
لن يؤمن لك حتى نرى الله جهرة فمعزل من التحقيق كيف لا وهما كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة
سوى قصة ابراهيم عليه السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم الصلاة والسلام
كما يفصح عنه تصدير القصة بتكذيبهم المرسلين بعدهما شاهدوا بأيديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم
عن الكفر والعصيان وأمروا على ما هم عليه من التكذيب فعاتبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم
بالكلية فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم ايمان أكثرهم لاسيما بعد الاخبار باهلاكم وعد المؤمنين من جماتهم
أولا واخراجهم منها آخر مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكى عنهم من الجنايات أصلا مما يوجب تنزيه
التنزيل عن أمثاله فتدبر ﴿واتل عليهم﴾ عطف على الماضى المقدر عاملا لا ذنادى الخ أى واتل على المشركين
﴿نبا ابراهيم﴾ أى خبره العظيم الشأن حسبا أوحى اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات
بأحد الطريقتين ﴿اذ قال﴾ منصوب اما على الظرفية للنبا أى نبأه وقت قوله ﴿لأبيه وقومه﴾ أو على المفعولية
لاتل على أنه بدل من نبا أى واتل عليهم وقت قوله لهم ﴿ما تعبدون﴾ على أن المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عليه
الصلاة والسلام عن ذلك ليبين على جوابهم أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية ﴿قالوا نعبد أصناما
فنظف لها عاكفين﴾ لم يقتصروا على الجواب الكافى بأن يقولوا أصناما كما في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل
الغزو وقوله تعالى ماذا أنزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل أظنوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم
قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار
دون الليل وصلة العكوف كلمة على وإيراد اللام لفادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظف لاجلها مقبلين على عبادتها أو مستديرين
حولها وهذا أيضا من جملة اظناهم ﴿قال﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم ﴿هل يسمعونكم﴾
أى هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف
لدلالة قوله تعالى ﴿اذ تدعون﴾ عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع أى هل يسمعونكم شيئا من الاشياء أو الجواب
عن دعائكم وهل يقدر على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم
استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وأجيبوا هل سمعوا أو أسمعوا قط ﴿أو ينفعونكم﴾ بسبب
عبادتكم لها ﴿أو يضرون﴾ أى يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لاسيما عند كونها على ما وصفت من المبالغة
فيها من جلب نفع أو دفع ضرر ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون﴾ اعترفوا بأنها بمعزل مما ذكر من السمع
والمنفعة والمضرة بالمرء واضطروا الى اظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أى ما علمنا أو ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل
وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أى مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم ﴿قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون﴾ أى أنظرتهم فأبصرتهم
أو تأملت فعلمتم ما كنتم تعبدونه ﴿أنتم وآؤكم الأقدمون﴾ حق الأبصار أو حق العلم وقوله ﴿فأنهم عدوى﴾
بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أى فاعلموا أنهم أعداء لعبادتهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما
أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو
الشیطان الذى هو أعدى العدو الانسان لكونه عليه الصلاة والسلام صور الامر في نفسه تعريضاً بهم فانه أنفع في النصيحة

من التصريح واشعارا بأنها نصيحة بدأها نفسه ليكون أدعى الى القبول والعدو والصدیق يحيثان في معنى الواحد والجمع
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصيل ﴿الارب العالمين﴾ استثناء
منقطع أى لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل على بمنافعهما حسبما يعرب عنه
ما وصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود وكان من آباءهم من
عبد الله تعالى وقوله تعالى ﴿الذي خلقني﴾ صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل
وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحاً بالنعمة الخاصة به عليه
الصلاة والسلام وتفصيلاً لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية
والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى ﴿فهو يهدين﴾ أى هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من
أمر الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخالق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبى عنه الفاء وصيغة المضارع فانه
تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى أجله يتمكن بها
من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعاً واما اختياراً مبدءاً بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث
ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعيم بنعيمها المقيم ﴿والذي هو يطعمني ويسقني﴾ عطف على الصفة الاولى
وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايدان
بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بأن تجرى عليه تعالى بحياها
ولا تجعل من روادف غيرها ﴿واذا مرضت فهو يشفين﴾ عطف على يطعمني ويسقني نظم معهما في سلك الصلة
لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالباً ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى
مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما
وأما الامانة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالا حياء بدءاً واعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها
من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى ﴿والذي يمتني ثم يحين﴾ على أن الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه
الصلاة والسلام للحياة الابدية بمعزل من أن يكون غير مطبوع عنده عليه الصلاة والسلام ﴿والذي أطعم أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين﴾ ذكره عليه الصلاة والسلام هضماً لنفسه وتعليماً للامة أن يحتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر
وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندرمه عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبيها لايه وقومه على أن
يتأملوا في أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه في طاعة
الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال أولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي
والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي مما لاسبيل اليه لانهما مع كونها
معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقابلة الجارية
بينه وبين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه الصلاة والسلام الى الشام وأما الأوليان فلانهما وقتها
مكتنفين بكسر الاصنام ومن البين أن جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادئ الامر وتعليق مغفرة الخطيئة
بيوم الدين مع أنها انما تغفر في الدنيا لان أثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويل له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم
تغفر ﴿رب اءب لي حكماً﴾ بعد ما ذكر عليه الصلاة والسلام لهم فنون اللطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من
مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم

والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق ﴿والحقني بالصالحين﴾ ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكامنين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كباثر الذنوب وصغائرها أو اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ أي جالها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى أمة من الامم الا وهى محبة له ومثنية عليه أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت أدعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي ابراهيم ﴿واجعلني﴾ في الآخرة ﴿من ورثة جنة النعيم﴾ وقد مر معنى الورثة في سورة مريم ﴿واغفر لأبي﴾ بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله ﴿انه كان من الضالين﴾ أي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ﴿ولا تخزني﴾ بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن بعض الراث أو بتعذبي لحفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه الصلاة والسلام أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزية بمعنى الحياء ﴿يوم يعثون﴾ أي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المفضية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بهويل اليوم ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾ بدل من يوم يعثون جيء به تأكيداً للتحويل وتمهيداً لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل أي لا ينفع مال وان كان مصروفاً في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحدا ﴿الا من أتى الله بقلب سليم﴾ أي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه الصلاة والسلام لاييه طالبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافر مع عليه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف أي الامال من أو بنو من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع أي الا حال من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل الاسلامه قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف مادل عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله الآية لأن غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التحويل والتفضيع أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فينتهجون بأنهم المحشورون اليها ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى أي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا ﴿وقيل لهم أينما كنتم﴾ في الدنيا ﴿تعبدون من دون الله﴾ أي أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف ﴿هل ينصرونكم﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أو ينتصرون﴾ بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تفرع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل ﴿فكذبوا فيها﴾ أي ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى الى أن يستقروا في قعرها ﴿هم﴾ أي آلهتهم ﴿والغاوون﴾ الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز الى أنهم يؤخرون عنها في الكبكة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غماً الى غمهم ﴿وجنود ابليس﴾ أي شياطينه الذين كانوا يغفونهم ويوسوسون

اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجهه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه ﴿أجمعون﴾ تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى ﴿قالوا﴾ الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبداء ﴿وهم فيها يختصمون﴾ أى قالوا معترفين بخطيئهم في انهما كهم في الضلالة متحسرين معيرين لانفسهم والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصاص مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبودهم على أن الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصاص بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق ﴿تالله ان كنا في ضلال مبين﴾ ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أى ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للشباع في اظهار ندمهم وتحسّرهم وبيان عظم خطيئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبي عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى ﴿اذ نسويكم رب العالمين﴾ ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لماسدل عليه الكلام أى ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعى من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أى تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة رب العالمين الذى أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقولهم ﴿وما أضلنا الا المجرمون﴾ بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير أن يستقلوا في تحققه أو يكون بسبب اضلال الغير كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤسائهم وكبرائهم كما في قوله تعالى ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السيلا وعن السدى رحمه الله الأولون الذين اقتدوا بهم وأياما كان فقيه أوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصي ﴿فالنا من شافعين﴾ كالمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ولا صديق حميم﴾ كما نرى لهم أصدقاء أو فالنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعا وأصدقاء على أن عدمهما كناية عن عداوتهما كما أن عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبي عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على أن المراد بعدمهما عدم أثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعا عادة كما أن افراد الصديق لقلته أو لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشديها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى ﴿فلو أن لنا كرة﴾ للتمنى كليت لما أن بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أى رجعة الى الدنيا وقيل هى على أصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ويأباه قوله تعالى ﴿فنكون من المؤمنين﴾ لتحتم كونه جوابا للتمنى مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البته بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقرعنى كما يستدعيه كون لو على أصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معاً من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان أصلا مع أنه المقصود حتما ﴿ان في ذلك﴾ أى فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتغل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه أمر عبادتها يوم القيامة من اعترافهم بخطيئهم الفاحش وندمهم وتحسّرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما أنزلت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيم ما غشيم من

ألوان العذاب وأنواع العقاب (آية) أى آية عظيمة لا يقادر قدرها موجهة على عبدة الاصنام كافة لاسيما على أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يحتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفاً أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجهه أو أن في ذكر نبئه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن تسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ماتلوه عليهم وحى صادق نازل من جهة الله تعالى موجهة للإيمان به قطعاً (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى أكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصررون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن ضمير أكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فما لاسيما اليه أصلاً لظهور أنهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه الصلاة والسلام الاطغيانا وكفرا حتى اجتروا على تلك العظيمة التي فعلوها به عليه الصلاة والسلام فكيف يعبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام (وان ربك هو العزيز الرحيم) أى هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنث ولذلك يصغر على قومية وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والاعصار واما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الادابة وبردة واذ في قوله تعالى (اذ قال لهم) ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام الى انتهائها (أخوهم) أى نسيهم (نوح ألا تتقون) الله حيث تعبدون غيره (انى لكم رسول) من جهته تعالى (أمين) مشهور بالامانة فيما بينكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه) أى على ما أنا متصدله من الدعاء والنصح (من أجر) أصلاً (ان أجرى) فيما أتولاه (الا على رب العالمين) والفاء في قوله تعالى (فاتقوا الله وأطيعون) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتماعا وقرئ ان أجرى بسكون الياء (قالوا أتؤمن لك واتبعك الأردلون) أى الأفلون جاهاً ومالا جمع الأردل على الصحة فانه بالغلبة صار جارياً مجرى الاسم كالا كبر والا كابر وقيل جمع أردل جمع رذل كالكلب والكلب وقرئ وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأى وقد كان ذلك منهم في بادىء الرأى كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً والأردل من حرما وجهلهم بأنها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والأردل من حرمه (قال وما على بما كانوا يعملون) جواب عما أشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أى وما وظيفتى الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم (ان حسابهم) أى ما يحاسبه أعمالهم والتفتيش عن كفياتها البارزة والكامنة (الا على ربى) فانه المطلع على السرائر والضمائر (لوتشعرون) أى بشئ من الاشياء أو لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعاً عنه وقوله (ان أنا الانذير مبين) كالعلة أى ما أنا الا رسول مبعوث لا نذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء أو الاذلاء

فكيف يتسنى لى طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء أو ما على الانذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما على استرضاء بعضكم بطرد الآخرين ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾ عما تقول ﴿لتكونن من المرجومين﴾ من المشتمين أو المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى فى أواخر الامر ومعنى قوله تعالى ﴿قال رب ان قومى كاذبون﴾ تموا على تكذيبى وأصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدحم دعائى الافرازا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله ﴿افتح بينى وبينهم فتحا﴾ أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح عليه السلام ﴿ونحنى ومن معى من المؤمنين﴾ أى من قصدهم أو من شؤم أعمالهم ﴿فأنجيناه ومن معه﴾ حسب دعائه ﴿فى الفلك المشحون﴾ أى المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ﴿ثم أغرقنا بعد﴾ أى بعد انجائهم ﴿الباقين﴾ أى من قومه ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ الكلام فيه كالذى مر خلا أن حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح أبعد من السداد وأبعد ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ انشعاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الاقصى ﴿اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ الكلام فى أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر فى صدر قصة نوح عليه السلام أى ألا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون ﴿انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين﴾ الكلام فيه كالذى مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وأن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجمعون على ذلك وان اختلفوا فى بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وأنهم متزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية ﴿أتبنون بكل ريع﴾ أى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها ﴿آية﴾ علما للمارة ﴿تعبثون﴾ أى بينائهم اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بوج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم أو قصورا عالية يفتخرون بها ﴿وتتخذون مصانع﴾ أى ما أخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا ﴿لعلكم تخلصون﴾ أى راجين أن تخلصوا فى الدنيا أى عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحمرون بنيانها ﴿واذا بطشتم﴾ بسوط أو سيف ﴿بطشتم جبارين﴾ متسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تأديب ولا نظر فى العاقبة ﴿فاتقوا الله﴾ واتركوا هذه الافعال ﴿وأطيعون﴾ فيما أذعواكم اليه فانه أنفع لكم ﴿واتقوا الذى أمدكم بما تعملون﴾ من أنواع النعماء وأصناف الآلاء أجمعها أو لاثم فصلها بقوله ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾ باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام أدخل فى ذلك ﴿وجنات وعيون انى أخاف عليكم﴾ ان لم تقوموا بشكر هذه النعم ﴿عذاب يوم عظيم﴾ فى الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ﴿قالوا سوا علينا أو عظمت أم لم تكن من الواعظين﴾ فانا لن نزعوى عما نحن عليه وتغيير الشق الثانى عن مقابلة المبالغة فى بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلا ﴿ان هذا ما هذا الذى جئنا به﴾ (الاخلق الاولين) أى عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذى نحن عليه من الموت والحياة الاعادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرىء خلق الاولين بفتح الخاء أى اختلاق الاولين كما قالوا أساطير الاولين أو ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على ما نحن عليه من الاعمال ﴿فكذبوه﴾ أى أصروا على ذلك ﴿فأهلكناهم﴾ بسببه بريح صرصر ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾ الله تعالى ﴿انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون

وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فيما هبنا آمين ﴿ انكارونني لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة أو تذكير للنعمة في تخليته تعالى اياهم وأسباب تنعمهم آمين وقوله تعالى ﴿ في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم ﴾ تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر أو لأن النخل أثى وطاع الاناث اللطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريح القنوأومتدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتا فارحين ﴾ بطرين أو حاذقين من الفراحة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرى فرحين وهو أبلغ ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ استعير الطاعة التي هي انقياد الأمر لامثال الأمر وارتمامه أو نسب حكم الأمر الى أمره مجازا ﴿ الذين يفسدون في الأرض ﴾ وصف موضع لاسرافهم ولذلك عطف ﴿ ولا يصلحون ﴾ على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن مخالطة الاصلاح ﴿ قالوا انما أنت من المسحرين ﴾ أى الذين سحروا حتى غلب على عقولهم أو من ذوى السحر أى الرئة أى من الانس فيكون قوله تعالى ﴿ ما أنت الا بشر مثنا ﴾ تأكيداً له ﴿ فأت بآية ان كنت من الصادقين ﴾ أى في دعواك ﴿ قال هذه ناقة ﴾ أى بعد ما أخرجه الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه الصلاة والسلام حسبما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود ﴿ لها شرب ﴾ أى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرى بالضم ﴿ ولكم شرب يوم معلوم ﴾ فاقنعوا بشربكم ولا تراحموا على شربها ﴿ ولا تمسوها بسوء ﴾ كضرب وعقر ﴿ فياخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ من تعظيم العذاب ﴿ ففقروها ﴾ أسند العقر الى كلهم لما أن عاقرها عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب ﴿ فأصبحوا نادمين ﴾ خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة لمباديه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة ﴿ فأخذهم العذاب ﴾ أى العذاب الموعود ﴿ ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك هو العزيز الرحيم ﴾ قيل في نفي الايمان عن أكثرهم في هذا المعرض ايماء الى أنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قرىشا انما عصمو امن مثله ببركة من آمن منهم وأنت خير بأن قرىشاهم المشهورون بعدم ايمان أكثرهم ﴿ كذبت قوم المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكر ان من العالمين ﴾ أى أتأتون من بين من عدداً من العالمين الذكر ان لا يشار ككم فيه غير لم أو أتأتون الذكر ان من أولاد ادم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهم أليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الأول كل ما يتكح من الحيوان وعلى الثاني الناس ﴿ وتذكرون ما خلق لكم ربكم ﴾ لأجل استمتاعكم وكلية من في قوله تعالى ﴿ من أزواجكم ﴾ للبيان ان أريد بما جنس الاناث وهو الظاهر وللتبويض ان أريد بها العضو المباح منهن تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضاً ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملة ما قيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات ﴿ قالوا لئن لم تنته يا لوط ﴾ أى عن تقبيح أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التي من جملة أحكامها التعرض لنا ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ أى من المنفيين من قريتنا وكأنهم كانوا يخرجون من أخرجه من بينهم على عذف وسوء حال ﴿ قال اني لعملكم من القالين ﴾ أى من المبغضين غاية البغض كأنه يقبل الفؤاد والكبد لشدة وهو أبلغ من أن يقال اني لعملكم قال لئلا لته على أنه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاعه ولعله عليه الصلاة والسلام أراد اظهار الكراهة في مساكنتهم والرجعة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلاً ﴿ رب نجني وأهلي مما يعملون ﴾ أى من شؤم عملهم وغائلته

﴿فنجيناها وأهلها جميعين﴾ أى أهل بيته ومن اتبعه في الدين باخراجهم من بينهم عند مشاركة حلول العذاب بهم ﴿الاعجوزا﴾ هى امرأة لوط استئثنت من أهلها فلا يضره كونها كافرة لأن لها شركة في الأهلية بحق الزواج ﴿في الغابرين﴾ أى مقدرها . ومنها من الباقين في العذاب لأنها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكتناهم أشد اهلاك وأفظعه ﴿وأمرنا عليهم مطرا﴾ أى مطرا غير معمول دقيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكتهم ﴿فساء مطر المذنين﴾ اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ﴿ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾ الأيكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا آمن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان أجنيا منهم ولذلك قيل ﴿اذ قال لهم شعيب ألا تتقون﴾ ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرى بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت ههنا وفي ص بغير ألف اتباعا للفظ اللافت ﴿انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أو فوا السكيل﴾ أى أتموه ﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾ أى حقوق الناس بالتطفيف ﴿وزنوا﴾ أى الموزونات ﴿بالقسطاس المستقيم﴾ بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والافعال وقرى بضم القاف ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم أى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انها كم فيها ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ بالقتل والغارة وقطع الطريق ﴿واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين﴾ أى وذوى الجبلة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرى بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة ﴿قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا﴾ ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من السحير والبشرية مناف للرسالة مبالغه في التكذيب ﴿وان نظنك لمن الكاذبين﴾ أى فيما تدعيه من النبوة ﴿فأسقط علينا كسفا من السماء﴾ أى قطعا وقرى بسكون السين وهو أيضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالربع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء اما السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد ﴿ان كنت من الصادقين﴾ فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما أخطروه بياهم فضلا أن يطلبوه ﴿قال ربى أعلم بما تعملون﴾ من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم فى وقته المقدر له لا بحالة ﴿فكذبوه﴾ أى قتموا على تكذيبه وأصرواعليه ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ حسبما اقترحوا أما ان أرادوا بالسماء السحاب فظاهر وأما ان أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايدان بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بأن ساط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلمت سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا . روى أن شعيبا عليه السلام بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكتهما بالصيحة والرجفة وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة ﴿انه كان عذاب يوم عظيم﴾ أى فى الشدة والهول وفضاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ﴿ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ هذا آخر القصص السبع التى أوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر فى مطلع

النعورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتينهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه مغرضين فقد كذبوا بالحق الآية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواج عن الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع عليهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعاً كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام ﴿وانه﴾ أى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذى هو من جملة ﴿لتنزيل رب العالمين﴾ أى منزل من جهته تعالى سمي به باللغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايدان بأن تنزله من أحكام تربيته تعالى ورأفته لكل كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴿نزل به﴾ أى أنزله ﴿الروح الأمين﴾ أى جبريل عليه السلام فانه أمين وحيه تعالى وموصله الى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وقرىء بتشديد الزاى ونصب الروح والأمين أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلاً به ﴿على قلبك﴾ أى روحك وان أريد به العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعاقب ثم تتصعد الى الدماغ فينتقمس بها لوح المخيلة ﴿لتكون من المنذرين﴾ متعلق بنزل به أى أنزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإشارته عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه الصلاة والسلام في سلك أولئك المنذرين المشهورين في حقبة الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر ﴿بلسان عربى مبين﴾ واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذرها وهو أيضاً متعلق بنزل به وتأخيرها للاعتناء بأمر الانذار والالمام الى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عليه الصلاة والسلام لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقاً بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى أن غاية الانزال كونه عليه الصلاة والسلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فساد كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار ما أنذر نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزاجر تأثيراً في قلوب المشركين ما أنذر إبراهيم عليه السلام لا تبتائهم وادعائهم أنهم على ملته عليه الصلاة والسلام ﴿وانه لفي زبر الأولين﴾ أى وان ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة فان أحكامه التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح ﴿أو لم يكن لهم آية﴾ الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه في زبر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى ﴿أن يعلمه علماء بنى اسرائيل﴾ لما مر مراراً من الاعتناء والتشويق الى المؤخر أى أن يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرىء تكن بالتأنيث وجعلت آية اسماً وأن يعلمه خبراً وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلاً من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا وقرىء تعلمه بالتاء ﴿ولو نزلناه﴾ كما هو بنظمه الرائق المعجز ﴿على بعض الأعجمين﴾ الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمى على التخفيف ولذلك جمع السلامة وقرىء الأعجميين وفي لفظ البعض إشارة الى كون ذلك واحداً من عرض تلك الطائفة كائناً من كان ﴿فقرأ عليهم﴾ قراءة صحيحة خارقة

للعادات «ما كانوا به مؤمنين» مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيמתهم في المكابرة وقيل المعنى ولونزلناه على بعض الاعمجين بلغة العجم فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكاكهم من اتباع العجم وليس بذلك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماذيبهم في المكابرة والعناد «كذلك سلكناه» أى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أى أدخلنا القرآن «في قلوب المجرمين» ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للشارة بانزاله وبعثه من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى «لا يؤمنون به» جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه «حتى يروا العذاب الأليم» الملحق الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان «فيأتيهم بغتة» أى فجأة في الدنيا والآخرة «وهم لا يشعرون» باتيانه «فيقولوا هل نحن منظرون» تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الايضاح والتلخيص له أو في موقع الحال أى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد أدلة الايمان وتأخذ مبادئ الهداية والارشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله تعالى أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين «أفبعذابنا يستعجلون» بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانذار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو أيعفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وإنما قدم الجار والمجرور للايدان بأن مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل «أفأريت» لما كانت الرؤية من أقوى أسباب الاخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أريت في معنى أخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهى متقدمة في المعنى على الهزمة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهزمة الصدارة كما هو رأى الجمهور أى فاخبرني «ان متعناهم سنين» متطاولة بطول الاعمار وطيب المعاش «ثم جاءهم ما كانوا يوعدون» من العذاب «ما أغنى عنهم» أى شيء أو أى اغناء أغنى عنهم «ما كانوا يمتعون» أى كونهم يمتعون ذلك التمتع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأياما كان فلا استفهام للانكار والنفي وقيل مانافية أى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاولة في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاول لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الاغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بأن تمتعهم ماذا أفادهم وأى شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يخبر بشيء من ذلك أصلا وقرى يمتعون من الامتاع «وما أهلكنا من قرية» من القرى المهلكة «الا لها منذرون» قد أذروا أهلها الزاما للحجة «ذكرى» أى تذكرة ومحلها نصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أى الالهة منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون باضمار ذو أو يجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة أو خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي

على أن معنى أن لكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر ﴿وما كنا ظالمين﴾ فهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعير عن ذلك بنى الظالمية مع أن أهلا بهم قبل الانذار ليس بظلم أصلا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴿وما تنزل به الشياطين﴾ رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقى الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الامين ﴿وما ينبغي لهم﴾ أى وما يصح وما يستقيم لهم ذلك ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك أصلا ﴿انهم عن السمع﴾ لكلام الملائكة ﴿لمعزولون﴾ لا تتفاه المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والاتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة طلبانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور فمن أين لهم أن يحوموا حول القرآن الكريم المنطوى على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴿فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين﴾ خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام مع ظهور استحالة صدوره المنهى عنه عنه عليه الصلاة والسلام تهيجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفًا لسائر المكلفين ببيان أن الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه ﴿وأذنر﴾ العذاب الذى يستتبعه الشرك والمعاصي ﴿عشيرتك الاقربين﴾ الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم أهم . روى أنه لما نزلت سعدا لصفاء وناداهم فخذوا فخذوا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبركم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقوا قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروى أنه قال يابني عبد المطلب يابني هاشم يابني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فاني لا أغنى عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فاني لا أغنى عنكن شيئا ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ أى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع أعم من اتبع لدين أو غيره أو للتبويض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان أو المصدقون باللسان فحسب ﴿فان عصوك﴾ ولم يتبعوك ﴿فقل انى برى مما تعملون﴾ أى بما تعمار . ومن أعمالكم ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الذى يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرى فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط ﴿الذى يراك حين تقوم﴾ أى الى النهجد ﴿وتقلبك فى الساجدين﴾ وترددك فى تصفح أحوال المهتجرين كما روى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزناير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أمتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعبه بحاله عليه الصلاة والسلام التى بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينهى عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه ﴿انه هو السميع﴾ لما نقوله ﴿العليم﴾ بما تنويه وتعمله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾ أى تنزل بجذف احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى ﴿تنزل على كل أفك أنيم﴾ قصر لتزهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيصه بهم

بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة عن أن يحوم حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف اتضح استحالة تنزيلهم عليه عليه الصلاة والسلام ﴿يلقون﴾ أى الا فاك كون ﴿السمع﴾ الى الشياطين فيلقون منهم أو هاما وأمارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى ﴿وأكثرهم كاذبون﴾ أى فيما قالوه من الأقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أى المسموع من الشياطين الى الناس وأكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والظاهر أن الاكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هه لاء قلبا يصدقون فيما يحكون عن الجنى وأما فى أكثره فهم كاذبون وما له وأكثر أقوالهم كاذبة لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الإطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافاك حتى يتمتع منه الصدق بل من يكثر الافاك فلا ينافيه أن يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين أى يلقون السمع أى المسموع من الملائكة الأعلى قبل أن رجحوا من بعض المغيبات الى أويلياتهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسميعهم وانصاتهم الى الملائكة الأعلى قبل الرجم كما جوزة الجمهور لما أن يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة النزول للقاء أو استئناف مبين للغرض من النزول مبنى على السؤال عنه ولا ريب فى أن القاء السمع الى الملائكة الأعلى بمعزل من احتمال أن يقارن النزول أو يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لها اللقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملائكة الأعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزيلهم المذكور قبله غير خلاق بجزالة التنزيل وأما على تقدير كون ضمير يلقون الافاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه فى معنى الجمع سواء أريد بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين أو القاء المسموع الى الناس ويجوز أن يكون استئناف اخبار بحالهم على كلا التقديرين لما أن كلا من تلقيهم من الشياطين والقاءهم الى الناس يكون بعد التنزيل وأن يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كأنه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثانى يحتمل الحالية من ضمير يلقون أى يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال أنهم فى أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ استئناف مسوق لابطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه الصلاة والسلام بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقى الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان أحوال المضادة لاحواله عليه الصلاة والسلام والمعنى أن الشعراء يتبعهم أى يحاربهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاؤون والضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة فى الافعال والاوال والأحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى ﴿ألم ترأنهم فى كل واديهيمون﴾ استشهاد على أن الشعراء انما يتبعهم الغاؤون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى أن حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا تختص برؤية راء دون راء أى ألم ترأن الشعراء فى كل واد من أودية القليل والقال وفى كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفى كل مسلك من مسالك النخى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين

من السبل بل يتحIRON في فيافي الغواية والسفاهة وتتيهون في تيه المجون والوقاحة دينهم تمزيق الأعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسب بالحرام والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والمهجة **﴿ وأنهم يقولون مالا يفعلون ﴾** من الأفاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك و يلتحق بهم و ينتظم في سلكهم من تزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشئ من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الأخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفار بحملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل أمر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفتوز الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائع أعجز كل منطق ماهر وبكت كل مفاق ساحر هذا وقد قيل في تزييه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون من الشعراء أن أتباع الشعراء الغاؤون وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في أن تعليل عدم كونه عليه الصلاة والسلام منهم بكون أتباعه عليه الصلاة والسلام غير غاوين ممالا يليق بشأنه العالی وقيل الغاؤون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبير وهيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرى والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرى يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشديها لبعه بعضد **﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾** استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة الموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بخارفها والافتتان بملذذاتها الفانية له وقع منهم في بعض الاوقات هجوم وقع ذلك منهم بطريق الاتصاف من هجاءهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبي سلمى والذين كانوا يناخون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافون هجة قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اجهم فوالذي نفسى بيده هو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك **﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾** تهديد شديد ووعيد أكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي أى منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرى أى منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهم الصلاة والسلام

سورة النمل

(مكية وهى ثلاث أو أربع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ طس ﴾ بالتفخيم وقرى بالامالة والكلام فيه كالذى مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحلّه على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا طس أى مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد

مروجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعها بالابتداء على أن مابعده خبره ضعيف لما ذكر هناك ﴿تلك﴾ إشارة إلى نفس السورة لأنها التي نوهت بذكر اسمها لا إلى آياتها لعدم ذرها صريحاً لأن إضافتها إليها تأتي إضافتها إلى القرآن كما سيأتي وما في اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعده منزلته في الفضل والشرف ومحلّه الرفع على الابتداء خبره ﴿آيات القرآن﴾ والجملة مستأنفة مقررة لما أفاده التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة فاتحة الكتاب أي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص ﴿وكتاب﴾ أي كتاب عظيم الشأن ﴿مبين﴾ مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب أو لسبيل الرشد والنهي أو لفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام أو ظاهر الإعجاز على أنه من أبان بمعنى بان ولقد نفخ شأنه الجليل بما جمع فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعاً في بابه ممتازاً عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربياً غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الإلهية فكأنه كلها وقدم الوصف الأول ههنا نظراً إلى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظراً إلى ما ذكره هناك من الوجه وما قيل من أن الكتاب هو اللوح المحفوظ وأبانه أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده إضافة الآيات إليه إذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة إذ هما باعتبار أبانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة إلى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا إلى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي وآيات كتاب مبين ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ في حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقما مقام الفاعل للبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الإشارة أي هادية ومبشرة أو الرفع على أنهما بدلان من الآيات أو خبران آخران لتلك أو لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾ صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لأنهما قريبتا الإيمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساثر الأعمال الصالحة وقوله تعالى ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب أو هو من تمتة الصلة والواو حالية أو عاطفة له على الصلة الأولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم أوحديون فيه ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ بيان لأحوال الكفرة بعد بيان أحوال المؤمنين أي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن ﴿زيناهم أعمالهم﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتهة للطبع محبوبة للنفس كما نبئ عنه قوله عليه الصلاة والسلام حفت النار بالشهوات أو الأعمال الحسنة ببيان حسناتها في أنفسها حالاً واستتباعاً لفنون المنافع مآلاً وإضافتها إليهم باعتبار أمرهم بها وإيجابها عليهم ﴿فهم يعمهون﴾ يتحIRON ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضرر أو في الضلال والاعراض عنها والفاء على الأول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه إيدان بكال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الأمور ﴿أولئك﴾ إشارة إلى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده أي أولئك الموصوفون بالكفر والعمه ﴿الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر ﴿وهم في الآخرة هم الآخسرون﴾

أى أشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب ﴿وانك لتلقى القرآن﴾ كلام مستأنف قد سبق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابرز كمال العناية بمضمونه أى لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أى أى حكيم وأى عليم وفى تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيب على علو طبقته عليه الصلاة والسلام فى معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما فى رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللشعار بأن ما فى القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى ﴿اذ قال موسى لأهله﴾ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بتلاوة بعض من القرآن الذى يلقاه عليه الصلاة والسلام من لدنه عز وجل تقريراً لما قبله وتحقيقاً له أى اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لأهله فى وادى طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فأصلد زنده فبداله من جانب الطور نار ﴿انى آنست نارا ساآتكم منها بخبر﴾ أى عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد فى المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح أنه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل أو للتعظيم مبالغة فى التسلية ﴿أو آتاكم بشهاب قبس﴾ بتوניהما على أن الثانى بدل من الأول أو صفة له لأنه بمعنى مقبوس أى يشعلة نار مقبوسة أى مأخوذة من أصلها وقرىء بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذى هو القبس الجامع لمنفعتى الضياء والاصطلاح لأن من النار ما ليس بقبس كالجر وكتا العدين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما فى سورة طه من صيغة الترجى والترديد للايذان بأنه ان لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناءً على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين ﴿اعلمكم تصطلون﴾ رجاء أن تستدفئوا بها والصلاة النار العظيمة ﴿فلما جاءها نودى﴾ من جانب الطور ﴿أن بورك﴾ معناه أى بورك على أن مفسرة لما فى النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولاضير فى فقدان التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره فى كثير من الأحكام ﴿من فى النار ومن حولها﴾ أى من فى مكان النار وهى البقعة المباركة المذكورة فى قوله سبحانه نودى من شاطىء الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرىء تباركت الأرض ومن حولها والظاهر عمومها لكل من فى ذلك الهادى وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكفاتهم أحياء وأمواتا ولاسيما تلك البقعة التى كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم دينى تنتشر بركاته فى أقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه الصلاة والسلام ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام من ذلك وايدان بأن ذلك مریده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون ومن أحكام تربيته تعالى للعالمين ﴿ياموسى انه أنا الله﴾ استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير اما للشأن وأنا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى ﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان لله تعالى ممدتان لما أريد اظهاره على يده من المعجزات أى أنا القوى القادر على ما لا تتاله الأوهام من الأمور العظام التى من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما فعله بحكمة بالغة وتدير رصين ﴿وألقي﴾ عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء أى نودى أن بورك وأن ألقي ﴿عصاك﴾ حسبما نطق به قوله تعالى وأن ألقي عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت

إليه أن حج وأن اعتمر وإن شئت أن حج واعتمر والفاء في قوله تعالى ﴿فلما رآها تهتز﴾ فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأيته أكبره بعد قوله تعالى أخرج عليهن كأنه قيل فآلقها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى ﴿كانها جان﴾ أي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية أما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير إليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جان على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ﴿ولى مدبرا﴾ من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به كما ينهى عنه قوله تعالى ﴿ياموسى لا تخف﴾ أي من غيرى ثقة بي أو مطلقا لقوله تعالى ﴿انى لا يخاف لدى المرسلون﴾ فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الأوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما في سائر الاحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أولا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه ﴿الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم﴾ استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة مما يحوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وإن صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من وكره القبلى والاستغفار وتسميتهما طلبا لقوله عليه الصلاة والسلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ﴿وأدخل يدك فى جيبك﴾ لأنه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لأنه يحجب أى يقطع ﴿تخرج يضاء من غير سوء﴾ أى آفة كبرص ونحوه ﴿فى تسع آيات﴾ فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجذب فى هواتفهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لأنه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على أنه استئناف بالارسال فيتعلق به ﴿الى فرعون وقومه﴾ وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ تعليل للارسال أى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ وظهرت على يد موسى ﴿مبصرة﴾ بيينة اسم فاعل أطلق على المفعول اشعارا بأنها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعنى لا تهتدى فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح سحره ﴿وجحدوا بها﴾ أى كذبوا بها ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ الواو للحال أى وقد استيقنتها أى علمتها أنفسهم علميا يقينيا ﴿ظلم﴾ أى للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها أى ظلم حيث حطوها عن رتبها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لأنفسهم وليس بذلك ﴿وعلوا﴾ أى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها واتصاها بما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيهها على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه عليه الصلاة والسلام يلقي القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه الصلاة والسلام من لدنه تعالى كقصه موسى عليه الصلاة والسلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لا ثقة به من علم الشرائع والأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما

كصنعة لهوس ومنطق الطير أو علما سديا عزيزا ﴿وقالا﴾ أي قال كل واحد منهما شكر المأوتيه من العلم ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بما آتانا من العلم ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ على أن عبارة كل منهما فضلتني إلا أنه غير عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازا فإن حكاية الأقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الأول قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قند أفلح المؤمنون وبهذه ظهر حسن موقع العطف بالواو إذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء العلم أو قى كل منهما لاعلى إيتاء ما أو قى نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشتعار بأن ما قاله بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشئ منة وأجبتة فأختصر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما علما فعملنا به وعلما وعرفا حق النعمة فيه وقالوا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما ويا بابه تدين الكثير بالمؤمنين فإن خلوصهم من العلم بالمرّة مما لا يمكن وفي تخصيصهما إلا أكثر بالذكر رمز إلى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكر أعلى العلم وجعل أساس الفضل ولم يعتبر أدونهما أو تيامن الملك الذي لم يؤت به غيرهما وتحرّض للعلما على أن يحمدا الله تعالى على ما آتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر ﴿وورث سليمان داود﴾ أي النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بليه وكانوا تسعة عشر ﴿وقال﴾ تشهيراً بالنعمة التي آتاه الله تعالى وتوحيها بها ودعا للناس إلى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي أوّتها ﴿يا أيها الناس علما منطق الطير وأوتينا من كل شئ﴾ المنطق في المعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطق الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذي عليه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويخيل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يامذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خير اتجدوه وصاح قرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الأعلى مل سماءه وأرضه وقال الحداة تقول كل شئ هالك إلا الله والقطة تقول من سكت سلم والبيغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكر والله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب تقول في البعد عن الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس وأراد عليه الصلاة والسلام بقوله علما وأوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تجبرا وتكبيرا بل تمهيدا لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له في أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شئ كثرة ما أوّيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شئ ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى وأوتيت من كل شئ وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما هممه من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ﴿ان هذا﴾ إشارة إلى ما ذكر من التعليم والائتاء ﴿لهو الفضل﴾ والاحسان من الله تعالى ﴿المبين﴾ الواضح الذي لا يخفى على أحد أو أن هذا الفضل الذي أوّيه هو الفضل المبين على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أناسيد ولد آدم ولا خفرا أي أقول هذا القول شكرا لا خفرا ولعله عليه الصلاة والسلام رتب على كلامه ذلك دعوة للناس

الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شئ من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو وما ينبي عن ذلك فمعنى قوله تعالى ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ جمع له عساكره ﴿من الجن والانس والطير﴾ بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظما دولته من الثقيلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايدان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الأمر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير ﴿فهم يوزعون﴾ أى يحبس أوائلهم على أوآخرهم أى يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد فى العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أوآخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضا لما أن أوآخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتفسير الريح فى الجو روى أن معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانسان وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثائة منكوحه وسبعائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابرسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام على كراسى الذهب والعلما على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم أحد بشئ الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لثلاث تمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسيحه واحدة يقبلها الله تعالى خيرا مما أوتى آل داود ﴿حتى اذا أتوا على وادى النمل﴾ حتى هى التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار الثنور قلنا حمل الآية وهى ههنا غاية لما ينبي عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كأنه قيل فساروا حتى اذا أتوا الخ وادى النمل واد بالشأم شير النمل على ما قاله مقاتل رضى الله عنه وبالطائف على ما قاله كعب رضى الله عنه وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مرا كبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالانبياء عليه قطعه من قولهم أتى على الشئ اذا أنفده وبلغ آخره ولعلمهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادى اذ حينئذ يخافهم ما فى الارض لا عند سيرهم فى الهواء وقوله تعالى ﴿قالت نملة﴾ جواب اذا كانوا لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بهما بمحضرتها من النمل لمرادها فتبعها فى الفرار فشبّه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هى قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ مع أنه لا يمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرىء نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو الأصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع فى السبع وقرىء بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشى وهى تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرىء مسكنكم وقوله تعالى ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾ نهى فى الحقيقة للنمل عن التأخر فى دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه الصلاة والسلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الأمر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيم عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله فى السعة وقرىء لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرىء لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله لا يحطمنكم وقوله تعالى ﴿وهم

لا يشعرون) حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الايدان بأنها عارفة بشؤون سليمان وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف أى فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرهما واهتمامهما الى تدبير مصالحهما ومصالح بنى نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده فى باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التى هى أبعدهما من ادراك أمثال هذه الأمور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روى أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم فى الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لثلاث يذعرن حتى دخلن مساكنهن (وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى اجعلنى أزع شكر نعمتك عندى وأكفه وأربطه بحيث لا ينفلت عنى حتى لا أنفك عن شكرك أصلا وقرى بفتح ياء أوزعنى (التي أنعمت على وعلى والدى) أدرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر (وأن أعمل صالحا ترضاه) اتما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فى جملتهم الجنة التى هى دار الصالحين (وتفقد الطير) أى تعرف أحوال الطير فلم ير الهدد فيما بينها (فقال مالى لا أرى الهدد أم كان من الغائبين) كأنه قال أولا مالى لا أراه لسائر ستره أو لسبب آخر ثم بداله أنه غاب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو غائب (لأعذبه عذابا شديدا) قيل كان تعذيبه للطير بتفريشه وتشميسه وقيل يجعله مع ضده فى قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه (أو لأذبحه) ليعتبر به أبنا جنسه (أوليا تبنى بسلطان مبین) بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على أحد الأولين على تقدير عدم الثالث وقرى ليا تبنى بنونين أو لاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشده فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبه خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجد الماء وكان الهدد قنائه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء فى الزجاجه فيجىء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهداب ويستخرجون الماء فتفقدته لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى (فمكث غير بعيد) أى زمانا غير مديد وقرى بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده عليه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب على به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذى قواك وأقدرك على الا رحمتى فتركته وقالت ثكلتك أمك ان نبى الله قد حلف ليعذبك قال وما استثنى قالت بلى قال أوليا تبنى بعذر مبین فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يحرها على الأرض تواضعاله فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فهداه اليه فقال يابى الله اذكر وقوفك بين يدى الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفاه عنه ثم سأله (فقال أحطت بمالم تحط به) أى علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرى أحطت بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير طباق ولا خفاء فى أنه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التى تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبین حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدى نبى الله سليمان عليه السلام تعدى عن طوره وتجاوز زاعن دائرة قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جنائية على جنائية فيحتاج الى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منه بطريق الالهام فكافه عليه

الصلاة والسلام بذلك مع ما أوتي عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه الصلاة والسلام في عباده وتنبيهها على أن في أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علما بمالم يحيط به لتحقار اليه نفسه ويتصاغر اليه عباده ويكون لطفاله في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الأمور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فغير عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبئ عن أمر بديع أقبل وإلى تلقى ما لا تعلمه أميل ثم أيده بقوله ﴿وجئتك من سبأ بنبا يقين﴾ حيث فسراهما نوع تفسير وأراه عليه الصلاة والسلام أنه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والا فماذا صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ما حكى عنه ما حكى من الحمد والشكر واستدعاء الازعاج حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه وسبأ منصرف على أنه اسم لحي سموا باسم أبيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه أول من سبي وقرىء بفتح الهمزة غير منصرف على أنه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وأما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبئهم قبل انباء الهدد ليس بأمر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحاله خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه الصلاة والسلام وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله عليه الصلاة والسلام وهناك وبين مجيء الهدد بالخبر أيضا قصيرة نعم اختصاص الهدد بذلك مع كون الجر أقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى ﴿انى وجدت امرأة تملكهم﴾ استئناف ببيان ما جاء به من النبا وتفصيل له اثر الاجمال وهى بلقيس بنت شراحيل بن مالك ابن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أباً ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايشار وجدت على رأيت لما أشير اليه من الايدان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام باراز نفسه فى معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على أنه اسم الحي أولاها المدلول عليهم بذكر مدينهم على أنه اسم لها ﴿وأوتيت من كل شئ﴾ أى من الاشياء التى يحتاج اليها الملوك ﴿ولها عرش عظيم﴾ قيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قواته من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أنيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها أو الى عروش أمثالها من الملوك وقد جوز أن لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وأياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه الصلاة والسلام لما مر من ترغيبه عليه الصلاة والسلام فى الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمة عليه الصلاة والسلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يرجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ أى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ التى هى عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصى ﴿فصدهم﴾ بسبب ذلك ﴿عن السبيل﴾ أى سبيل الحق والصواب فان تزوين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج

﴿فهم﴾ بسبب ذلك ﴿لا يهتدون﴾ اليه وقوله تعالى ﴿أن لا يسجدوا لله﴾ مفعول له اما للصد أو للتزيين على حذف اللام منه أى فصدهم لأن لا يسجدوا له تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أى زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو فى موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا له تعالى وقرئ ألا يا اسجدوا على التثنية والنداء والمنادى محذوف أى ألا يا قوم اسجدوا كما فى قوله الا يا اسلمى يا دارمى على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استثناء من جهة الله عز وجل أو من سليمان عليه السلام ويوقف على لا يهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وأياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين ها وقرئ هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب ﴿الذى يخرج الخبء فى السموات والارض﴾ أى يظهر ما هو مخبوء ومخفى فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ فى معرفته والاحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التى من جملتها ما أودعه الله تعالى فى نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض وأشار بعطف قوله ﴿ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ على يخرج الى أنه تعالى يخرج ما فى العالم الانسانى من الخفايا كما يخرج ما فى العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم أو للتثنية على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهى وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها ورائها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذى هو اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع الذى هو اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخبء بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سرهم وما تعلنون ﴿الله لا اله الا هو رب العرش العظيم﴾ الذى هو أول الاجرام وأعظمها وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكى من الهدد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التى اقتبسها من سليمان عليه السلام أو رده بيان لما هو عليه واظهار النص له فى الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها ﴿قال﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال ﴿سننظر﴾ أى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أى ستتعرف بالتجربة البتة ﴿أصدقت أم كنت من الكاذبين﴾ كان مقتضى الظاهر أم كذبت واثار ما عليه النظم الكريم للايدان بأن كذبه فى هذه المادة يستلزم انتظامه فى سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لاسيما بين يدي نبي عظيم الشأن لا يكاد يصدر الا عن له قدم راسخ فى الكذب والافك وقوله تعالى ﴿اذهب بكتابتى هذا فآلقه اليهم﴾ استئناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عليه الصلاة والسلام وقد قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما كتب كتابه فى ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه الصلاة والسلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الاقرباء على التصرف والتعرف لماعين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبق له عذر أصلا ﴿ثم تول عنهم﴾ أى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فانظر﴾ أى تأمل وتعرف ﴿ماذا يرجعون﴾ أى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام ﴿قالت﴾

أى بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وإنما طوى ذكره ايذاً ناكلاً بمسارعة الى اقامة ما أمر به من الخدمة واشعاراً باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره . روى أنه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتهت فرقة وقيل أتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى كما مر فلما رأته الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لا شراف قومها **﴿يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم﴾** وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوماً أو لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد **﴿انه من سليمان﴾** استئناف وقع جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان **﴿وانه﴾** أى مضمونه او المكتوب فيه **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدراً باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم على أن أن المفسرة **﴿أن لا تعلوا على﴾** أن مفسرة ولا ناهية أى لا تكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية محلها الرفع على أنها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمير يليق بالمقام أى مضمونه أن لا تعلوا او انصب باسقاط الخافض أى بأن لا تعلوا على وقرئ أن لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا تتجاوزوا حدكم **﴿واثنون مسلمين﴾** أى مؤمنين وقيل متقادين والاول هو الالىق بشأن النبي عليه الصلاة والسلام على أن الايمان مستتبع للانقياد حتماً . روى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على واثنون مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاءً للتقليد فان لقاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة **﴿قالت﴾** كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما فى حيزه من قولها **﴿يا أيها الملأ أقتونى فى أمرى﴾** أى أجيبنى فى أمرى الذى حزبنى وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى التى هى الجواب فى الحوادث المشككة غالباً تهويلاً للامر ورفعاً لمحلهم بالاشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها **﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾** أى من الامور المتعلقة بالملك **﴿حتى تشهدون﴾** أى الا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطف لهم واستماله لقلوبهم لتلايخالفوها فى رأى والتدبير **﴿قالوا﴾** استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا فى جوابها فقيل قالوا **﴿نحن أولو قوة﴾** فى الاجساد والآلات والعدد **﴿وأولوبأس شديد﴾** أى نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء فى الحرب **﴿والامر اليك﴾** أى هو موكل اليك **﴿فانظرى ماذا تأمرين﴾** ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمثل به وتتبع رأيك او أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأى والمشورة واليك الرأى والتدبير فانظرى ماذا ترين نكن فى الخدمة فلما أحست منهم الميل الى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت فى تزييف مقالاتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى **﴿قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية﴾** من القرى على منهاج المقاتلة والحراب **﴿أفسدوها﴾** بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال **﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾** بالقتل والاسرار والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال **﴿وكذلك يفعلون﴾** تأكيد لما وصفته من حالهم بطريق الاعتراض التذييل وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولوجئنا بمثله مدداً اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد

كلمات ربى ﴿وانى مرسله اليهم بهدية﴾ تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم وأنت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرية بحرف التحقيق للايدان بأنها مزعومة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنىها عاطف أى وانى مرسله اليهم رسلا بهدية عظيمة ﴿فناظرة بهم يرجع المرسلون﴾ حتى أعمل بما يقتضيه الحال. روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحلبن الاساور والاطواق والقرطه راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة للجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان وألف لبنه من ذهب وفضة وتاجا مكلالا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحفا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذارأى وعقل وقالت ان كان نبيا مزيين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا فهو نبى فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا ابن الذهب والفضة وفرشوه فى ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسى من جانبيه واصطفقت الشياطين صفوف فراسخ والانس صفوف فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طاق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم أمر بالارضه فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة يضاء الخيط بضيائها ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء يدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى ﴿فلما جاء سليمان﴾ أى الرسول ﴿قال﴾ أى مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرىء فلما جاؤا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمهما بلقيس وقومها ويؤيده الافراد فى قوله تعالى ارجع اليهم ﴿أتمدوننى بمال﴾ وهو انكار لامدادهم اياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى ﴿فما آتانى الله﴾ أى مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذى لا غاية وراءه ﴿خير مما آتاكم﴾ أى من المال الذى من جملة ما جئتم به فلا حاجة لى الى هديتكم ولا وقع لها عندى تعليل للانكار ولعله عليه الصلاة والسلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها كما أشير اليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ما جاؤه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرىء أتمدوننى بالادغام وبنون واحدة وبنون وحذف الباء وقوله تعالى ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التى أهدوها اليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبى عنه ما ذكر من حديث الحق والجرعة وتغيير زى الغلمان والجوارى وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على أن امداده عليه الصلاة والسلام بالمال منكرو قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل أنتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ﴿ارجع﴾ أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه لكل أى ارجع أيها الرسول ﴿اليهم﴾ أى الى بلقيس وقومها فلما أتيتهم أى فوالله لنأتينهم ﴿بجنود لا قبل لهم بها﴾ أى لا طاقة

لهم بمقاومتها ولا قدرتهم على مقابلتها وقرى بهم ﴿ولنخرجهم﴾ عطف على جواب القسم ﴿منها﴾ من سبأ ﴿أذلة﴾ أى حال كونهم أذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفى جمع القسلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى ﴿وهم صاغرون﴾ أى أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معاقبا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والافلتأتينهم الخ ﴿قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها﴾ قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا يحيى بلفظ يس اليه عليه الصلاة والسلام يروى أنه لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان عليه السلام انى قادمة اليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت اليه فى اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت فجعل عرشها فى آخر سبعة آيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب وولت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به من اجراء التعاجيب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات فى أول مجيئها وقيل لأنها اذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ ما لها بغير رضاها ﴿قال عفريت﴾ أى مارد خبيث ﴿من الجن﴾ بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا ﴿أنا آتيك به﴾ أى بعرشها ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أى من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لاحالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أى أنا أت به فى تلك المدة البتة ﴿وانى عليه﴾ أى على الاتيان به ﴿لقوى﴾ لا يثقل على حمليه ﴿أمين﴾ لا أخترل منه شيئا ولا أبدله ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب﴾ فصل عما قبله للايدان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين أو لاسقاط الأول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيداه الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك﴾ الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شئ وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما فى وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايدان بأنه أمر متحقق غنى عن الاخبار به وجىء بالفاء الفصيحة لادخاله على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما فى قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب ونظائره بل دالة على الشرطية حيث قيل ﴿فلما رآه مستقرا عنده﴾ أى رأى العرش حاضرا لديه كما فى قوله عز وجل فلما رأى أنه أكبره للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه أيضا عن التصريح به اذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ حذف ما حذف لما ذكر وللإيدان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام اياه شيئا أصلا وفى تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه

الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الايتان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه ﴿قال﴾ أي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخلص عباده ﴿هذا﴾ أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة أو التمكن من احضاره بالواسطة أو بالذات كإقيل ﴿من فضل ربّي﴾ أي تفضله على من غير استحقاق له من قبل ﴿ليبلوني أشكر﴾ بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه ﴿أم أكفر﴾ بأن أجد لنفسي مدخلا في البين أو أقصر في إقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفاضلة على العباد ﴿ومن شكر فأنما يشكر لنفسه﴾ لأنه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحيط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ﴿ومن كفر﴾ أي لم يشكر ﴿فان ربّي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر أيضا ﴿قال﴾ أي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه الصلاة والسلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثاني أمر لخدمته ﴿نكروا لها عرشها﴾ أي غير واهيته برجه من الوجوه ﴿نظر﴾ الجزم على أنه جواب الامر وقرىء بالرفع على الاستئناف ﴿أتهدي﴾ الى معرفته أو الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير ﴿أم تكون﴾ أي بالنسبة الى علمنا ﴿من الذين لا يهتدون﴾ أي الى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان أمرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه أمر حادث يظهر بالاختبار ﴿فلساجات﴾ شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام أي فلساجات بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه ﴿قيل﴾ أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة ﴿أهكذا عرشك﴾ لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل ﴿قالت كأنه هو﴾ فأنبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه الصلاة والسلام ﴿وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين﴾ من تنمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها واطهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانه رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى ﴿انها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى أن دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرىء أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بخذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملئه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفتنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لاشأنها أصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة

وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أي وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحته ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشؤها بين ظهراني الكفرة فما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف ﴿ قيل لها ادخلي الصرح ﴾ الصرح القصر وقيل صحن الدار . روى أن سليمان عليه السلام أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى اليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام الى ملك هو أشد وأقطع فقالوا ان في عقابها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختر عقلها بتذكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها ﴿ فلما رآته ﴾ وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الأمر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبرا ﴿ حسبته لجة وكشفت عن ساقها ﴾ وتشمرت لثلا تبتل أذيالها فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدا خلا أنها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه الصلاة والسلام وأمر الجن فبنوا لها سبلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذاتع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع وقرى ساقها حملا للبفر على الجمع في سوق وأسوق ﴿ قال ﴾ عليه الصلاة والسلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب ﴿ انه ﴾ أي ماتوهمته ماء ﴿ صرح بمرد ﴾ أي ملمس ﴿ من قوارير ﴾ من الزجاج ﴿ قالت ﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضا ﴿ رب اني ظلمت نفسي ﴾ بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني سليمان حيث ظنت أنه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد ﴿ وأسلمت مع سليمان ﴾ تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى ﴿ الله رب العالمين ﴾ من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه برؤية العالمين لاظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبد قبل ذلك من الشمس ﴿ ولقد أرسلنا ﴾ عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوقا لما سبق قوله من تقرير أنه عليه الصلاة والسلام يليق القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة أيضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا ﴿ الى ثمود أخاهم صالحا ﴾ وأن في قوله تعالى ﴿ أن اعبدوا الله ﴾ مفسرة لما في الارسل من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرى بضم النون اتباعا لها للباء ﴿ فاذا هم فريقان يختصمون ﴾ ففاجؤا التفرق والاختصاصام ذات زرق كفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿ قال ﴾ عليه الصلاة والسلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى أن قالوا له عليه الصلاة والسلام يا صالح اتتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ يا قوم لم تستعجلون بالسيئة ﴾ أي بالعقوبة السيئة ﴿ قبل الحسنه ﴾ أي التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه ﴿ لولا تستغفرون الله ﴾ هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها ﴿ لعلمكم ترجمون ﴾ بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول ﴿ قالوا اطيرنا ﴾ أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سائحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لها من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد أي تشاءمنا ﴿ بك وبمن معك ﴾ في دينك حيث تابعت علينا الشدايد وقد

كانوا قحطوا ولم ينزل في اختلاف واقتراق مذ اخترعتم دينكم ﴿قال طائركم﴾ أى سيحكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر ﴿عند الله﴾ وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ أى تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحقق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه ﴿وكان في المدينة﴾ وهى الحجر ﴿تسعة رهط﴾ أى أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين نفر أنه من الثلاثة أو من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسمائهم حسبما نقل عن وهب الهذيل ابن عبد رب وغنم بن غنم ورتاب بن مخرج ومصدع بن مخرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخزومة وسيط بن صدقة وشمعان بن صني وقدار بن سالف وهم الذين سعوافى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرفهم ﴿يفسدون في الأرض﴾ لافى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شئ مامن الاصلاح كما ينطق بقوله تعالى ﴿ولا يصلحون﴾ أى لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء ﴿قالوا﴾ استئناف بيان بعض ما فعلوا من الفساد أى قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه الصلاة والسلام وكان ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام الخ ﴿تقاسموا بالله﴾ اما أمر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى ﴿لنبيتهن وأهله﴾ أى لنباتين صالحا وأهله ليلا وقتلتهم وقرى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرى بيا الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض ﴿ثم لنقولن لولييه﴾ أى لولى صالح وقرى بالتاء والياء كما قبله ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ أى ما حضرنا هلاكم أو وقت هلاكم أو مكان هلاكم فضلا أن تتولى اهلاكم وقرى مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا ﴿وانا لصادقون﴾ من تمام القول أو حال أى نقول ما نقول والحال انا لصادقون في ذلك لأن الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا أو لانا ما شاهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذا الموضع ﴿ومكرونا مكرا﴾ أى أهلكناهم اهلاكا غير معهود ﴿وهم لا يشعرون﴾ أو جازيناهم مكرم من حيث لا يحتسبون ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرمهم﴾ شروع في بيان ما نرتب على ما باشروه من المكرو كيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أى فتفكر في أنه كيف كان عاقبة مكرمهم وقوله تعالى ﴿أنا دمرناهم﴾ اما بدل من عاقبة مكرمهم على أنه فاعل كان وهى تامة وكيف حال أى فانظر كيف حصل أى على أى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف والجملة مبنية لما في عاقبة مكرمهم من الابهام أى هى تدميرنا اياهم ﴿وقومهم﴾ الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت ﴿أجمعين﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبي عنه الأمر بالنظر في كيفية عاقبة مكرمهم من غاية الهول والفضاعة بحذف الجار أى لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرمهم خبرها كيف كان فالوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى أنا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرى أنا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف . روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤا بالليل شامري سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة مل دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا ﴿فذلك بيوتهم﴾ جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى ﴿خاوية﴾ أى خالية أو سافطة متهدمة ﴿بما ظلموا﴾ أى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرى خاوية بالرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف ﴿ان في

ذلك) أى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم (آية) لعبرة عظيمة (لقوم يعلمون) أى ما من شأنه أن يعلم من الاشياء أو لقوم يتصفون بالعلم (وأنجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) أى الكفر والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا فى صدر قصة صالح داخل معه فى حيز القسم أى وأرسلنا لوطا وقوله تعالى (اذ قال لقومه) ظرف للإرسال على أن المراد به أمر تمتد وقع فيه الإرسال وما جرى بينه وبين قومه من الأقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذهب منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أى وأنجينا لوطا وهو بعيد (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تعالى (وأنتم تبصرون) جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع وتبصرون من بصر القلب أى أتفعلونها والحال أنكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضهم من بعض لما كانوا يعلنون بها (أنكم لتأتون الرجال شهوة) تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفى التأكيد للايدان بأن مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد لكمال بعده من العقول وإيراد المفعول بعنوان الرجولية لترتبة التقييح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى علل بها الاتيان (من دون النساء) متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بقبحه أو تجهلون العاقبة أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون أى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم فى حيز الخطاب (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتك إنهم أناس يتطهرون) يتزهون عن أفعالنا أو عن الأقدار ويعدون فعلنا قدرا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه استهزا وقدم فى سورة الأعراف أن هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الأخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهى لأنه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) أى قدرنا أنها (من الغابرين) أى الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) غير معهود (فساء مطر المذنبين) قدم بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) اثر ما قص الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام قصص الأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم وبين على ألسنتهم حقيقة الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى فى مهاوى الردى وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما فى تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك لحوى ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أمره عليه الصلاة والسلام بأن يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التى لا مطلق ورائها لطامع ولا مطلق من دونها لطامح ويسلم على كافة الأنبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التى هى من جملة المعارف التى أوحيت اليه عليه الصلاة والسلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين وقيل هو أمر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على اهلاك كفره قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده (الله خير أما يشركون) أى الله الذى ذكرت شئونه العظيمة خير أم ما يشركون به تعالى من الأصنام ومرجع التردد الى التعريض بتبكييت الكفرة من جهة تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين أن ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ماحتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير الاخير ولا اله غيره وقرئ تشركون بالياء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الالبق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني على خطابهم

وجعله من جملة القول المأثور به يأباه قوله تعالى فأنبأنا الخ فانه صريح في أن التبكيك من قبله عز وجل بالذات وحمله على أنه حكاية منه عليه الصلاة والسلام لما أمر به بعبادته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وأمر في قوله تعالى ﴿أم من خلق السموات والأرض﴾ منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراء الأولى للاضراب والانتقال من التبكيك تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه أظن منه لمزيد التأكيد والتشديد وأما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيك وتكرير الالتزام كنظائر الآتية والهمزة لتقريرهم أي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منفعه من أحسن تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا على ماسبق في الاستفهام الأول خلا أن تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الأربعة الآتية والمعنى بل أمن خلق قطرى العالم الجسماني ومبدأى منافع ما بينهما ﴿وأنزل لكم﴾ التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الأولى لتشديد التبكيك والالزام أى أنزل لأجلكم ومنفعتكم ﴿من السماء ماء﴾ أى نوعا منه هو المطر ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أى بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط ﴿ذات بهجة﴾ أى ذات حسن ورونق يبتهج به النظر ﴿ما كان لكم﴾ أى ماصح وما أمكن لكم ﴿أن تنبتوا شجرها﴾ فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير أم ما تشركون وقرىء أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقدير صلتى الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فأنبأنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بأن انبت تلك الحدائق المختلفة الأصناف والأوصاف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبى عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها أو حالا وتوحيد وصفها الأول أعنى ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها ﴿إله مع الله﴾ أى أله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض أفعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة وهذا تبكيك لهم بنفى الألوهية عما يشركونه به تعالى فى ضمن النفي الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيكهم بنفى الخيرية عنه بما ذكر من التردد فان أحدا ممن له تمييز فى الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الألوهية عنه رأسا لاسيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الأربعة الآتية وقيل المراد نفي أن يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على أن التبكيك بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله بل بأشراكهم به تعالى فى العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الألوهية كأنه قيل أله آخر مع الله فى خواص الألوهية حتى يجعل شريكا له تعالى فى العبادة وقيل المعنى أغیره يقرن به ويجعل له شريكا فى العبادة مع تفردة تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيك مع تحقيق المنكر دون النفي كما فى الوجهين السابقين والأول هو الأظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والأو فى بحق المقام لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى رأسا لانفى معيته فى الخلق وفروعه فقط وقرىء أله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين قرىء ألهما باضمار فعل يناسب المقام مثل ألدعون أو أئشركون ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ اضراب وانتقال من تبكيكهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم أى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل أمر من الأمور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح

الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الاشرار وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة
﴿أم من جعل الأرض قرارا﴾ قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل
واحد والآخر أن كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر أدخل في الالتزام بجهة
من الجهات أى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب باءاء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه
منافعهم ﴿وجعل خلخالها﴾ أو ساطها ﴿أنهارا﴾ جارية ينتفعون بها ﴿وجعل لها رواسى﴾ أى جبالا ثوابت تمنعها
أن تتمد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها ينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى ﴿وجعل بين البحرين﴾
أى العذب والمالح أو خليجى فارس والروم ﴿حاجزا﴾ برزخا مانعا من الممازجة وقد مر في سورة الفرقان والجعل
في المواقع الثلاثة الأخيرة ابداعى وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق ﴿إله مع الله﴾ فى الوجود أو
فى ابداع هذه البدائع على مامر ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أى شيئا من الأشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من
الشرك مع كمال ظهوره ﴿أم من يجيب المضطر اذا دعاه﴾ وهو الذى أحوجته شدة من الشدائد وألجأته الى اللجأ
والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما هو المجهود وعن السدى رحمه الله تعالى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق
حتى يلزم اجابة كل مضطر ﴿ويكشف السوء﴾ وهو الذى يعترى الانسان مما يسوءه ﴿ويجعل لكم خلفاء الأرض﴾
أى خلفاء فيها بأن ورثكم سكنها والتصرف فيها من قبلكم من الأمم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط ﴿إله مع الله﴾
الذى يفيض على كافة الأنام هذه النعم الجسام ﴿قليلًا مائد كرون﴾ أى تذكر قليلًا أو زمانا قليلًا تتذكرون وما مزيدة
لتأكيد معنى القلة التى أريد بها العدم أو ما يجرى مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى وفى تذييل الكلام بنى التذكركم عنهم
ايدان بأن مضمونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبي وأنه من الواضح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ
تذكرون على الأصل وتذكرون ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام ﴿أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر﴾ أى فى ظلمات
الليالى فيهما على أن الاضافة للملابسة أو فى مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ﴿ومن يرسل الرياح
بشرابين يدي رحمته﴾ وهى المطر ولئن صح أن السبب الا كثرى فى تكون الريح معاودة الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة
لانكسار حرها وتمويجها للهواء فلا ريب فى أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل
للسبب قطعاً ﴿إله مع الله﴾ نفي لأن يكون معه اله آخر وقوله تعالى ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ تقرير وتحقيق له وإظهار
الاسم الجليل فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم أى تعالى وتزه بذاته المنفردة بالالوهية المستبعدة لجميع صفات الكمال ونعوت
الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون أى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقا
فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى أو عن اشراكهم ﴿أم من يبدأ الخلق ثم
يعيده﴾ أى بل آمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ أى بأسباب سماوية
وأرضية قدرتها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى عليها بنى أمر التكوين خير أم ما تشركونه به فى العبادة من جماد
لا يتوهم قدرته على شئ ما أصلا ﴿إله﴾ آخر موجود ﴿مع الله﴾ حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقوله تعالى ﴿قل
هاتوا برهانكم﴾ أمر له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم اثر تبكيت أى هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى
الها لا على أن غيره تعالى يقدر على شئ مما ذكر من أفعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعون صريحا ولا يلتزمون كونه من
لوازم الالوهية وان كان منها فى الحقيقة فطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفى اضافة البرهان

الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام أن لهم رهانا وأنى لهم ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ أى فى تلك الدعوى ﴿قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله﴾ بعد ما حقق تفرد تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من أمر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التيمية للدلالة على استحالة علم الغيب من أهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففهم من يعلم الغيب أو متصل على أن المراد بمن فى السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاق الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولاولى العلم من خلقه ومن موصولة أو موصوفة ﴿وما يشعرون أياً يبعثون﴾ أى متى يذنبون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن أهم الأمور عندهم وأيان مركبة من أى وآن وقرى بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاماً لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ماسياتى من الضمائر الخاصة بهم قطعاً وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم ﴿بل ادرك علمهم فى الآخرة﴾ لما نفي عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ فى تأكيدهم وتقريره بأن أضرب عنه وبن أنهم فى جهل أخش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون أحوال الآخرة مطلقاً مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى ادرك علمهم فى الآخرة تدارك وتابع علمهم فى شأن الآخرة التى مازك من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشئ مما سيكون فيها قطعاً لكن لا على معنى أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئاً فشيئاً بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومبادئه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلها لحظوها مجرى متابعتها الى الانقطاع ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو أسوأ منه وهو حيرتهم فى ذلك حيث قيل ﴿بل هم فى شك منها﴾ أى فى شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير فى أمر لا يجد عليه دليلاً فضلاً عن الأمور التى ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك الى بيان أن ما هم فيه أشد وأظلم من الشك حيث قيل ﴿بل هم منها عمون﴾ بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلىة وقرى بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفيه وقد فسره الحسن البصرى باضمحل علمهم وقيل كلنا الصيغتين على معناهما الظاهر أى تكامل واستحكم أو تم أسباب علمهم بأن القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون فى ذلك وقوله تعالى بل هم فى شك منها اضرب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضرب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو أشد منه وأظلم من العمى وأنت خير بأن تنزيل أسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوكة لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حيثئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر وأصل ادرك تدارك وبه قرأ أبى فابدلت التاء الا وسكنت فتعذرا لابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادرك وقرى بل ادرك وأصله افتعل وبل أدرك بهمزة تنوين وبل أدرك بألف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام وبل ادرك وبل أدرك وأم تدارك وأم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فمافية استفهام صريح أو مضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بلى فائبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذى هو أبلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضرب عن التفسير مبالغة فى النفي ودلالة على أن شعورهم بها أنهم لما كون فيها بل أنهم منها عمون أو رد وانكار لشعورهم ﴿وقال الذين كفروا﴾ بيان لجهلهم بالآخرة وعمهم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لدمهم بما فى حين صليته والإشعار بعلة حكمهم الباطل فى

قولهم ﴿أئذا كنا تراباً وآبأؤنا أئنا المخرجون﴾ أى أخرج من القبور إذا كنا تراباً كما ينبئ عنه مخرجون ولا سماع لأن يكون هو العامل في اذا لاجتماعه وانع لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم تراباً ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقاً وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية له وقوله تعالى وآبأؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة في أئنا للبالغة والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضاءها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لانكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا المخرجون على الخبر ﴿لقد وعدنا هذا﴾ أى الاخراج ﴿نحن وآبأؤنا من قبل﴾ أى من قبل وعده عليه الصلاة والسلام وتقديم الموعد على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث أخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى ﴿ان هذا الاأساطير الأولين﴾ تقرير اثر تقرير ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ بسبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما دعواهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذى تكررونه فان في مشاهدة عاقبتهم مافية كفاية لأولى الأبصار وفى التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ﴿ولا تحزن عليهم﴾ لاصرارهم على الكفر والتكذيب ﴿ولا تكن في ضيق﴾ في حرج صدر ﴿مما يمكرون﴾ من مكرهم فان الله تعالى يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو أيضاً مصدر ويجوز أن يكون المفتوح مخففاً من ضيق وقد قرئ كذلك أى لا تكن في أمر ضيق ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أى العذاب العاجل الموعود ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شرمة المؤمنين فى الاخبار بذلك ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ أى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهى لغة فيه ﴿بعض الذى تستعجلون﴾ وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهاراً للوقار واشعاراً بأن الرمز من أمثالم كالتصريح بمن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم الخ لكونه أدل على تحقق الوعد ﴿وان ربك لذو فضل على الناس﴾ أى لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصى التى من جملتها استعجال العذاب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بحلهم وقوعه كدأب هؤلاء ﴿وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ أى ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشئ اذا سترته ﴿وما يعلنون﴾ من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب وفيه ايدان بأن لهم قبائح غير ما يظهر منه وأنه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلان قدم سره فى سورة البقرة عند قوله تعالى أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿وما من غائبة فى السماء والارض﴾ أى من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للبالغة كما فى الرواية أو اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية ﴿الا فى كتاب مبين﴾ أى بين أو مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ﴿ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾ من جملته ما اختلفوا فى شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزاباً وركبوا من العتو والغلو فى الافراط والتفريط والتشبيه والتزييه ووقع بينهم التناكد فى أشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الأمر لو كانوا فى حيز الانصاف ﴿وانه لهدى ورحمة

للمؤمنين) على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا (ان ربك يقضى بينهم) أى بين
 بنى اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويؤيده أنه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد حكمه
 وقضاؤه (العليم) بجميع الاشياء التى من جماتها ما يقضى به والفاء فى قوله تعالى (فتوكل على الله) لترتيب
 الامر على ما ذكر من شتونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به أى فتوكل على الله الذى هذا شأنه
 فانه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه ويفوض جميع أموره اليه وقوله تعالى (انك على الحق المبين) تعليل
 صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين أو الفاصل بينه وبين الباطل أو بين الحق والمبطل
 فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأيدته لا محالة وقوله تعالى (انك
 لاتسمع الموتى) الخ تعليل آخر للتوكل الذى هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض
 عن التشبث بما سواه وقد علل أولا بما يوجهه من جهته تعالى أعنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجهه
 من جهته عليه الصلاة والسلام على أحد الوجهين أعنى كونه عليه الصلاة والسلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه
 الآخر أعنى اعانته تعالى وتأيدته للمحق ثم علل ثالثا بما يوجهه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن
 التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا
 وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من
 القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما
 ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر أشير الى بطلانه بالمرءة ثم بين بطلان مشعرى الاذن والعين كما فى
 قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه أنفسهم بالموتى
 لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمى مزيد مزية (ولاتسمع الصم الدعاء) أى الدعوة الى أمر من الامور وتقييد النفي بقوله
 تعالى (اذا ولوا مدبرين) لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعى
 مولون على أدبارهم ولا ريب فى أن الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان
 خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) هداية موصلة الى المطلوب
 كفى قوله تعالى انك لاتهدى من أحببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف
 وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للبالغة فى نفي الهداية وقرئ وما أنت تهدى العمى (ان
 تسمع) أى ما تسمع سمعا يجدى السامع نفعا (الامن يؤمن بآياتنا) أى من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع
 فى النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بأن يقال ان تهدى الامن يؤمن الخ لما أن طريق الهداية هو اسماع الآيات
 التنزيلية (فهم مسلمون) تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى
 بلى من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) بيان لما أشير اليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من بقية
 ما يستعجلونه من الساعة ومبادئها والمراد بالقول مانطق من الآيات الكريمة بمجىء الساعة وما فيها من فنون الاهوال
 التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايدان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول
 لما أن المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقترابه كما فى قوله تعالى
 أتى أمر الله أى اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذى لا يكادون يسمعون له ومصادقه (أخرجنا لهم دابة من
 الارض) وهي الجحاسة وفى التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد ايهامه بالتنوين التفخيم من الدلالة على غرابة شأنها

وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وریش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخالصة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها حية كأنه يشير إلى أنه رجل والمشهور أنها دابة وروى لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيها كل لون ما بين قرننها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضي الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى العين ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرًا طويلا فيبينا الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتسكت نكتة يبضا فتفشفو حتى يضى لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم في آفنه فتفشفو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى أبو هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال بثس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى ﴿تكلّمهم أن الناس كانوا أباياتنا لا يوقنون﴾ أى تكلّمهم بأنهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجىء الساعة ومبائها أو بجميع آياته التى من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التى من جملتها خروجها بين يدى الساعة والأول هو الحق كما استحيط به علما وقرىء بأن الناس الآية وإضافة الآيات الى نون العظمة لأنها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لأنها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف مخذوف أى بآيات ربنا و وصفهم بعدم الايقان بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للايذان بأنه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرىء ان الناس بالكسر على اضمار القول أو اجراء الكلام مجراه والكلام فى الاضافة كالذى سبق وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها أو تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضى والمستقبل فانه صريح فى كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق فى الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق أو مشركو مكة وقد روى عن وهب أنها تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرىء تكلّمهم من الكلم الذى هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا﴾ بيان اجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مبائها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير

ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا أى واذا ذكر لهم وقت حشرنا أى جمعنا من كل أمة من أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعية لان كل أمة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ﴿من يكذب بايتنا﴾ بيان للفوج أى فوجا مكذبين بها ﴿فهم يوزعون﴾ أى يحبس أو لهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد أطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار ﴿حتى اذا جاؤا﴾ الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب ﴿قال﴾ أى الله عز وجل وبنحلم على التكذيب والالتفات لترية المهابة ﴿أكذبتم بايتنا﴾ الناطقة بلفظكم هذا وقوله تعالى ﴿ولم تحيطوا بها علما﴾ جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحة ومؤكدة للانكار والتوبيخ أى أكذبتم بها بادية الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص فى أن المراد بالآيات فيما سلف فى الموضوعين هى الآيات القرآنية لانها هى المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لانفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم أى أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أى أم أى شئ كنتم تعملون بها أو أم أى شئ كنتم تعملون غير ذلك بمعنى أنه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع أنهم ما خلقوا الا للإيمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيثا ثم يكبون فى النار وذلك قوله تعالى ﴿ووقع القول عليهم﴾ أى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله ﴿بما ظلموا﴾ بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله ﴿فهم لا ينطقون﴾ لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه﴾ الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أى ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار ﴿والنهار مبصرا﴾ أى ليصروا بما فيه من الاضاءة طرق القلب فى أمور المعاش فبواقع فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس حاله ووصفا من أوصافه التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمشابة تأثير ضوء النهار فى الابصار ﴿ان فى ذلك﴾ أى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم الإشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل ﴿لآيات﴾ أى عظمة كثيرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد فى الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعين فى نفسه تبدل النوم الذى هو أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجاله ودليلا يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهاناً عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ اما معطوف على يوم نحشر منصوب بنصبه أو بمضمرة معطوف عليه والصورة هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دائرة فيه كعرض السماء والارض فيؤمر بالنفخ فيه

فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ هنا هي النفخة الثانية وبالفرع في قوله تعالى ﴿ففزع من في السموات ومن في الارض﴾ ما يعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب والضرورين الجليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه أعني ينفخ مضارعاً للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لثنية التهويل بتكرير التذكير ايذاناً بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولوروعى الترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر في قصة البقرة ﴿الا من شاء الله﴾ أى أن لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش ﴿وكل﴾ أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة ﴿أتوه﴾ حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ أياه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ أياه أى حاضروه ﴿داخرين﴾ أى صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى ﴿وترى الجبال﴾ عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وجل ﴿تحسبها جامدة﴾ أى ثابتة في أماكنها اما بدل منه أو حال من ضمير ترى أو من مفعوله وقوله تعالى ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ حال من ضمير الجبال في تحسبها أو في جامدة أى تراها رأى العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخايل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيد الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسيرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيزدها قاعاً صافصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلاً للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفرع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الآية فيختص أثرها بمن كان حياً عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز أن يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في أن ذلك مما ينبغي أن ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفرع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي أرادت بقوله تعالى ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فوق فيسير الله تعالى عندها الجبال قمر مر السحاب فتكون سرايا وترج الارض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة الموثقة في البحر أو كالقنديل المعلق ترججه الارواح

فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعاً والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ماسياً من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون ﴿صنع الله﴾ مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أى صنع الله ذلك صنعا على أنه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعاً قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل أمرها والايذان بأنها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو اليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادئ الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿الذي أتقن كل شيء﴾ أى أحكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى ﴿انه خير بما تفعلون﴾ تعليل لكون ما ذكر صنعا بحكماله تعالى ببيان أن عمله تعالى بطواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسو وترتيب أجزئتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجلال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ بيان لما أشير اليه باحاطة عمله تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزئتها عليها أى من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار أنه أضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة ﴿وهم﴾ أى الذين جاؤا بالحسنات ﴿من فزع﴾ أى عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذى فى قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رحمه الله تعالى حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ﴿يومئذ﴾ أى يوم اذ ينفخ في الصور ﴿آمنون﴾ لا يعترهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلاً وأما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التيب والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلية وان كان آمناً من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها أيضاً والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الاولى لاجمع الافراع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه أعظم الافراع وأكبرها كأن ما عده ليس بفزع بالنسبة اليه ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ قيل هو الشرك ﴿فكبت وجوههم فى النار﴾ أى كبوا فيها على وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ﴿هل تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ على الالتفات للتشديد أو على اضممار القول أى مقولاً لهم ذلك ﴿انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرماً﴾ أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال المبدأ والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا صلحوا أو فسدوا ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمر أنفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتناؤه عليه الصلاة والسلام بأمر دعوتهم أنه عليه الصلاة والسلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هى مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشریف لها بعد تشریف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعللة الامر وموجب الامثال به كما فى قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى

أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنهم مع كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاف خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي أجبر أفراد الفجور وأشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله أنى يؤفكون وقرى حرمها بالتخفيف وقوله تعالى ﴿وله كل شيء﴾ أى خلقا وملكا وتصرفا من غير أن يشاركه شيء فى شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على أن افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفضيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أى أثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد أى الذين أسلبوا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أى أوأظب على تلاوته لتكشف لى حقائقه الرائعة المخزونة فى تضاعيفه شيئا فشيئا أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة أخرى فعنى قوله تعالى ﴿فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه﴾ حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياى فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى ﴿ومن ضل﴾ بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه أو بمخالفتى فيما ذكر ﴿فقل﴾ فى حقه ﴿انما أنا من المذنبين﴾ وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس على من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط ﴿وقل الحمد لله﴾ أى على ما أفاض على من نعمائه التى أجلها نعمة النبوة المستتعبة لقنون النعم الدينية والدينية ووفقى لتحمل أعبائها وتبلغ أحكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى ﴿سيرىكم آياته﴾ من جملة الكلام المأمور به أى سيرىكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشرط وقد عد منها وقعة بدر وبأباه قوله تعالى ﴿فتعرفونها﴾ أى تعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيرىكم فى الآخرة وقوله تعالى ﴿ومار بك بغافل عما تعملون﴾ كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبى عنه اضافة الرب الى ضمير النبى عليه الصلاة والسلام وتخصيص الخطاب أولا به عليه الصلاة والسلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا أى ومار بك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيئات فيجازى كلانكم بعمله لا بحاله وقرى عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى ومار بك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم البتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهو دوصالح وارايم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

سورة القصص

(مكية وقيل الاقوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين. وهى ثمان وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ قدم ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى أشباهه ﴿تتلو عليك﴾ أى نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز أن تكون التلاوة مجازا من التنزيل ﴿من نبأ موسى وفرعون﴾ مفعول تتلوى بعض نبيهما ﴿بالحق﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تتلوا ومن مفعوله أو وصفه لمصدره أى تتلو عليك

بعض نبيهما ملتبسين أو ملتبسا بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق ﴿لقوم يؤمنون﴾ متعلق بتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به ﴿ان فرعون علا في الارض﴾ استئناف جار مجرى التفسير للجمل الموعود وتصديره بحرف التأكد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده أى انه تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان ﴿وجعل أهلها شيعا﴾ أى فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله تعالى ﴿يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم﴾ بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا غاية حمقه اذ لصدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه ﴿انه كان من المفسدين﴾ أى الراسخين في الافساد ولذلك اجتراً على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ونريد أن نمن﴾ أى تفضل ﴿على الذين استضعفوا في الارض﴾ على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبا أو حال من يستضعف بتهدير مبتدأ أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المرادله لما أن تعلق الارادة للن تعلق استقبالي على أن منه الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جازا جزاؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم الساقطة المبينة لها ﴿ونجعلهم أئمة﴾ يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثته معهودة فيما بينهم كما بني عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زمانا لا نخطا رتبها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روافده أعنى قوله تعالى ﴿ونمكن لهم في الارض﴾ الخ أى نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيفما يشاؤون وأصل التمكين أن تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ﴿ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ أى من أولئك المستضعفين ﴿ما كانوا يحذرون﴾ ويجهلون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يدمولود منهم وقرى يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية ﴿وأوحينا الى أم موسى﴾ بالهام أو روبا ﴿أن أرضعيه﴾ ما أمكنك اخفاؤه ﴿فاذا خفت عليه﴾ بأن يحس به الجيران عند بكائه وينمو اعليه ﴿فألقيه في اليم﴾ في البحر وهو النيل ﴿ولا تخافي﴾ عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ﴿ولا تحزني إنا رادوه اليك﴾ عن قريب بحيث تأمين عليه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وإيثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أى انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روى أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بنى اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعنى حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيها وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك في قلبى محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فألقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخر جوا وهى لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله تعالى اليها ما أوحى وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردى مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى

﴿فالتقطه آل فرعون﴾ فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر باللقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايدانا بكالسرعة الامثال أى فألقته في الم بعد ما جعلته في التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أى أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بنى اسرائيل من سبط موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كانت عمته حكا السهيلي وأقبلت بنت فرعون في جوارحها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون اتئوني به فابتدروا بالسفن فأحضره بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فأعياهم فظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فألقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن أن هذا هو الذى نخذ منه رمى في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام في قوله تعالى ﴿ليكون لهم عدوا وحزنا﴾ لام العاقبة أبرز مدخولها في معرض العلة لا لتقاطم تشبيهها في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرى حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن ايدانا بقوة سببته لحزنهم ﴿ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أى فى كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو فى أن قتلوا لأجله ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون الف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم على أيديهم فالجملية اعتراضية لتأكيد خطيئهم أوليان الموجب لما ابتلوا به وقرى خاطين على أنه تخفيف خاطئين أو على أنه بمعنى متعددين الصواب الى الخطأ ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ أى لفرعون حين أخرجته من التابوت ﴿قرة عين لى ولك﴾ أى هو قرة عين لنا لما أنهما لما رآياه أحياه أو لما ذكر من بره ابنته من البرص بريقه وفى الحديث أنه قال لك لالى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها ﴿لا تقتلوه﴾ خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده ﴿عسى أن ينفعنا﴾ فان فيه مخايل اليمين ودلائل النجاة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة ﴿أو تتخذوه ولدا﴾ أى تبناه فانه خليف بذلك ﴿وهم لا يشعرون﴾ حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله تعالى ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطيئهم وقيل حال من أحد ضميرى تتخذوه على أن الضمير للناس أى وهم لا يعلمون أنه لغيرنا وقد تبيناه ﴿وأصبح فراد أم موسى فارغا﴾ صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله تعالى وأقدتهم هواً أى خلا لا عقول فيها ويعضده أنه قرى فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسببها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرى مؤسى بالهمز اجراء للضممة فى جارة الواو مجرى ضممتها فهمزت كما فى وجوه ﴿ان كادت لتبدي به﴾ أى انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح بتبنيه ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالصبر والثبات ﴿لتكون من المؤمنين﴾ أى

المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لابتني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿وقالت لأخته﴾ مريم والتعبير عنها بأخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتنال بالامر ﴿تصيه﴾ أي اتبعي أثره وتتبعي خبره ﴿فبصرت به﴾ أي أبصرت به ﴿عن جنب﴾ عن بعد وقرى بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها تقصه وتعرف حاله أو أنها أخته ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾ أي منعناه أن يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه أعنى الثدي ﴿من قبل﴾ أي من قبل قصها أثره ﴿فقالت﴾ عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أي لأجلكم ﴿وهم لها صحنون﴾ لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه وأهله فغذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفلها فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعمله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي الا قبلنى فقرره في يدها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى ﴿فرددناه الى أمه كي تقر عينها﴾ بوصول ولدها اليها ﴿ولا تحزن﴾ بفراقه ﴿ولتعلم أن وعد الله﴾ أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين ﴿حق﴾ لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الامر كذلك فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد عليها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ﴿ولما بلغ أشده﴾ أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى أنه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين ﴿واستوى﴾ أي اعتدل قده أو عقله ﴿آتيناه حكما﴾ أي نبوة ﴿وعلم﴾ بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبأه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لأنه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه ﴿نجزي المحسنين﴾ على احسانهم ﴿ودخل المدينة﴾ أي مصر من قصر فرعون وقيل منف أوحابين أو عين شمس من نواحيها ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيولة وقيل بين العشاءين ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ أي من شايعة على دينه وهم بنو اسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ أي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ أي سأله أن يغثه بالاعانة كما ينبي عنه تعديته بعلى وقرى استعانه ﴿على الذي من عدوه فوكره موسى﴾ أي ضرب القبطى بجمع كفه وقرى فلكره أي فضربه صدره ﴿فقضى عليه﴾ فقتله وأصله أنهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾ لأنه لم يكن مأمورا بقتل الكفار أو لأنه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم وله كان من محقرات الصغائر ﴿انه عدو مفضل مبين﴾ ظاهر العداوة والاضلال ﴿قال﴾ توسطه بين كلاميه عليه الصلاة والسلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الأول ﴿رب انى ظلمت نفسى﴾ أي بقتله ﴿فاغفر لى﴾ ذنبى ﴿فغفر له﴾ ذلك ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ أي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم ﴿قال رب بما أنعمت على﴾ اما قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك على بالمغفرة لا توبن ﴿فلن أكون﴾ بعد هذا أبدا ﴿ظهير اللبزمين﴾ واما استعطاف أى بحق انعامك على اعصمى فلن أكون معينا لمن تؤدي معاوته الى الجرم

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فابتلى به مرة أخرى وهذا يؤيد الأول وقيل معناه بما أنعمت على من القوة أعين أولياءك فإن أستعملها في مظاهرة أعدائك ﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾ يترصد الاستقادة أو الاجناد ﴿فاذا الذى استنصره بالأمس يستصرخه﴾ أى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ ﴿قال له موسى انك لغوى مبين﴾ أى بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر ﴿فلما أن أراد﴾ موسى ﴿أن يبطش بالذى هو عدو لهما﴾ أى لموسى وللإسرائيلى اذ لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل على الإطلاق وقرى يبطش بضم الطاء ﴿قال﴾ أى الإسرائيلى ظانا أنه عليه الصلاة والسلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته إياه غويا ﴿ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس﴾ قالوا لما سمع القبطى قول الإسرائيلى علم أن موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطى ﴿ان تريد﴾ أى ماتريد ﴿الا أن تكون جبارا فى الارض﴾ وهو الذى يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لأمر الله تعالى ﴿وماتريد أن تكون من المصلحين﴾ بين الناس بالقول والفعل ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة﴾ أى كائن من آخرها أو جاء من آخرها ﴿يسعى﴾ أى يسرع صفة لرجل أو حال منه على أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقييل وقيل شمعون وقيل شمعان ﴿قال ياموسى ان الملائمة يأترون بك ليقتلوك﴾ أى يتشاورون بسبكك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأمر ﴿فاخرج﴾ أى من المدينة ﴿انى لك من الناصحين﴾ اللام للبيان لما أن معمول الصلة لا يتقدمها ﴿فخرج منها﴾ أى من المدينة ﴿خائفا يترقب﴾ لحوق الطالبين ﴿قال رب نجنى من القوم الظالمين﴾ خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ أى نحو مدين وهى قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن إبراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام ﴿قال عسى رى أن يهدىنى سواء السبيل﴾ توكلنا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بوبرق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس ويده عنزة فانطلق به الى مدين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها ﴿وجد عليه﴾ أى فوق شفيرها ﴿أمة﴾ جماعة كثيفة ﴿من الناس يسقون﴾ أى مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أى فى موضع أسفل منهم ﴿امرأتين تزدودان﴾ أى تمنعان مامعهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم ﴿قال﴾ عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ﴿ما خطبكما﴾ ما شأنكما فيما أتتا عليه من التأخر والذود ولم لا تبشران السقى كدأب هؤلاء ﴿قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء﴾ أى عادتنا أن لانسقى حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ربيها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لأننا لانسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفلسها اذهى التى دعت موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه الصلاة والسلام انما راحهما لكونهما على الذيادة للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مباينين بهما ومارحهما لكون مذكودهما غنيا ومسقيهم ابلا مثلا وقرى لانسقى من الاسقاء و يصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال وأما الرعاء فجمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام فى توليها للسقى بأنفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا نرجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير

السقى الى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء ﴿فسقى لها﴾ رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفاً روى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم في السقى لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فان الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقى لهما وقدر وى أنه دفعهم عن الماء الى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما ﴿ثم تولى الى الظل﴾ الذي كان هناك ﴿فقال رب انى لما أنزلت الى﴾ أى أى شئ أنزلته الى ﴿من خير﴾ جل أو قل وحمله الا كثرون على الطعام بمعونة المقام ﴿فقير﴾ أى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب حتى بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت الى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقير فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام اظهرا للتبجح والشكر على ذلك ﴿فجاءته احدهما﴾ قيل هى كبراهما واسمها صفورا أو صفراء وقيل صفراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا الى أبيهما روى أنهما لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رجنا فسق لنا فقال لاحدهما اذهبي فادعيه لى وقوله تعالى ﴿تمشى﴾ حال من فاعل جاءت وقوله تعالى ﴿على استحياء﴾ متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى أى جاءته تمشى كائنة على استحياء فعناه انها كانت على استحياء حالتى المشى والمجي معا لا عند المحي فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة أى شديدة الحياة وقيل قد استترت بكم درعها ﴿قالت﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فلماذا قالت له عليه الصلاة والسلام فقيل قالت ﴿ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ أى جزاء سة يك لنا أسندت الدعوة الى أبيها وعللتها بالجزاء لثلا يوم كلامها ربة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى أنه عليه الصلاة والسلام أجابها فانطلقا وهى أمامه فألزقت الريح ثوبها بحسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعنى الى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام ﴿فلما جاءه وقص عليه القصص﴾ أى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام انما أجاب المستدعية من غير تلثم ليتبرك بروية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا لياخذ بمعر وفه أجرا حسبا صرحت به ألا يرى الى ما روى أن شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لاسيما فى دار نبى من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه الصلاة والسلام أن يقبل الاجر لا لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر ﴿قالت احدهما﴾ وهى التى استدعته الى أبيها وهى التى زوجها من موسى عليهما السلام ﴿يا أبت استأجره﴾ أى لرى الغنم والقيام بأمرها ﴿ان خير من استأجرت القوى الامين﴾ تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار واللبالغة فى ذلك جعل خير اسم لان وذكر الفعل على صيغة الماضى للدلالة على أنه أمين مجرب روى أن شعيبا عليه السلام قال لها وما أعلك بقوته وأماته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر

ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه ﴿قال انى أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني﴾ أى تكون أجيراً لى أو تثنى من أجرت كذا اذا أثبتته اياه فقوله تعالى ﴿ثماني حجج﴾ على الاول ظرف وعلى الثانى مفعول به على تقدير مضاف أى رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد أنه يقال أجرت دارى ومملوكى غير ممدود وأجرت ممدودا والاول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثانى محذوفا والمعنى على أن تأجرنى نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول ﴿فان أتممت عشرة﴾ فى الخدمة والعمل ﴿فمن عندك﴾ أى فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندى بطريق الالتزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لانشاء وتحقيق له بالفعل ﴿وما أريد أن أشق عليك﴾ بالزام اتمام العشر أو المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ويوزع رأيك فى مزاولته ﴿ستجدنى ان شاء الله من الصالحين﴾ فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى ﴿قال ذلك بينى وبينك﴾ مبتدأ وخبر أى ذلك الذى قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لأننا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى ﴿أيما الأجلين﴾ أى أكثرهما أو أقصرهما ﴿قضيت﴾ أى وفيتك بأداء الخدمة فيه ﴿فلا عدوان على﴾ تصریح بالمراد وتقرير لامر الخيرة أى لا عدوان على بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لسكلا الاجلين بصدد المشاركة مع عدم تحقق العدوان فى أكثرهما رأساً للقصد الى التسرية بينهما فى الانتفاء أى كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو أيما الاجلين قضيت فلا اثم على يعنى كالا اثم على فى قضاء الاكثر لا اثم على فى قضاء الاقصر فقط وقرئ أى الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها فى القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام أى وشياعها وقرئ أىما بسكون الياء كقول من قال

تنظرت نصرا والسماكين أيهما على من الغيث استهلت مواطره

﴿والله على ما نقول﴾ من الشروط الجارية بيننا ﴿وكيل﴾ شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه أصلاً وليس ما حكى عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام فى انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزم عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالاً من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك الشريعة تفصيلاً روى أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصاه فبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفاً ففطن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فلم يعلم أن له شأنًا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ليلا وقيل أودعها شعيباً ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفنوها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاخصمها فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاها الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ما كانت الاعصا من الشجر اعترضها اعترضاً وعن الكلبي رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ

على يمينك فان الكلا وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كنفها ومشى على أثرها فاذا عشب و ريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فخاربه العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملائى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن فقرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاً فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاً فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما قضى موسى الاجل﴾ فصيحة أى ففعلوا العقدين و باشر موسى ما التزمه فلما أتم الاجل ﴿وسار بأهله﴾ نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه فى ذلك فأذن له فخرج بأهله ﴿آنس من جانب الطور﴾ أى أبصر من الجهة التى تلى الطور ﴿نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعل آتيكم منها بخبر﴾ أى بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه ﴿أو جذوة﴾ أى عود غليظ سواء كانت فى رأسه نارا أو لا قال قائلهم

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذوى غير خوار ولا دعر

وألقي على قيس من النار جذوة شديدا عليها حرها وانها بها

وقال

ولذلك بين بقوله تعالى ﴿من النار﴾ وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات ﴿لعلكم تصطلون﴾ أى تستدفئون ﴿فلما أتاها﴾ أى النار التى آنسها ﴿نودى من شاطىء الوادى الايمن﴾ أى أتاه النداء من الشاطىء الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام ﴿فى البقعة المباركة﴾ متصل بالشاطىء أو صلة لنودى ﴿من الشجرة﴾ بدل اشتمال من شاطىء لانها كانت نابتة على الشاطىء ﴿أن ياموسى انى أنا الله رب العالمين﴾ وهذا وان خالف لفظا لما فى طه والنمل لكنه موافق له فى المعنى المراد ﴿وأن ألقى عصاك﴾ عطف على أن ياموسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى ﴿فلما رآها تهتز﴾ فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها أى فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز ﴿كانها جان﴾ أى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ﴿ولى مدبرا﴾ أى منهزما من الخوف ﴿ولم يعقب﴾ أى لم يرجع ﴿ياموسى﴾ أى قيل ياموسى ﴿أقبل ولا تخف انك من الآمنين﴾ من المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون ﴿اسلك يدك فى جيبك﴾ أى أدخلها فيه ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أى عيب ﴿واضمم اليك جناحك﴾ أى يدك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالها فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر هو أن يكون ذلك فى وجه العدو و اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويحوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه ﴿من الرهب﴾ أى من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات ﴿فذلك﴾ اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك ﴿برهانان﴾ حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم أبهر الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابض ويقال للمرأة البيضاء برها وبرهرة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلان لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى ﴿من ربك﴾ متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان أى كائنانه تعالى ﴿الى فرعون ومثله﴾ واصلان ومتهيان اليهم

﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين ﴿قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون﴾ بمقابلتها ﴿وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ﴾ أى معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدف وقرى ردا بالتحفيف ﴿يصدقنى﴾ بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة ﴿انى أخاف أن يكذبون﴾ ولسانى لا يطاوعنى عند الحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرى يصدقنى بالجزم على أنه جواب الامر ﴿قال سنشد عضدك بأخيك﴾ أى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدها بشدة العضد ﴿ونجعل لكنا سلطانا﴾ أى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذلك ﴿فلا يصلون اليك﴾ باستيلاء أو محاجة ﴿بآياتنا﴾ متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع أخر أى اذهب بآياتنا أو بنجعل أى نسلطك بآياتنا أو بمعنى لا يصلون أى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله تعالى ﴿أتىهم ومن اتبعكم الغالبون﴾ بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان أظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره فى سورة طه ﴿قالوا ما هذا الا سحر مفترى﴾ أى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله أو سحر تعملة ثم تفتريه على الله تعالى أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أصناف السحر ﴿وما سمعنا بهذا﴾ أى السحر أو ادعاء النبوة ﴿فى آياتنا الاولين﴾ أى واقعا فى أيامهم ﴿وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يريد به نفسه وقرى قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوافق السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أى العاقبة المحموده فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيئات الغواة وقرى يكون بالياء التحتانية ﴿انه لا يفلح الظالمون﴾ أى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من الغيرى﴾ قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان ﴿فأوقدلى يا هامان على الطين﴾ أى اصنع آجرا ﴿فاجعل لى﴾ منه ﴿صرحا﴾ أى قصرا رفيعا ﴿لعلى أطلع الى اله موسى﴾ كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال ﴿وانى لأظنه من الكاذبين﴾ أو أراد أن يبنى له رسدا يترصد منه أو ضاع الكواكب فىرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم بنفى المعلوم كفى قوله تعالى قل أنتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من انتفاءها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذها على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه يافى وسط الكلام ﴿واستكبر هو وجنوده فى الارض﴾ أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ بغير استحقاق ﴿وظنوا أنهم الينا لا يرجعون﴾ بالبعث للجزاء وقرى بفتح الياء وكسر الجيم من رجوع رجوعا والاول من رجوع رجعا وهو الانسب بالمقام ﴿فأخذناه وجنوده﴾ عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات ﴿فنبذناهم فى اليم﴾ قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الأخذ وتهويله واستحتمار المؤخرين المنبوذين ما لا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ ويدها للناس ليعتبروا بها ﴿وجولناهم﴾

أى صيرناهم فى عهدهم ﴿ أمة يدعون ﴾ الناس ﴿ الى النار ﴾ الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى أى قدوة يقتدى بهم أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم أمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فلا نسب حينئذ أن يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الاطاف الصارفة عن ذلك ﴿ ويوم القيامة لا ينصرون ﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه ﴿ وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ﴾ طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون خلفا عن سلف ﴿ وبوم القيامة هم من المقبوحين ﴾ من المطرودين المبعدين وقيل من الموسوهين بعلامة منكورة كزرقعة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال أبو عبيدة من المقبوحين من المهاجرين ويوم القيامة اما متعاق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى أو بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم من القالين ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ أى التوراة ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ﴾ هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائنا بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطلاس آثارها وأحكامها المؤدى الى اختلال نظام العالم وفساد أحوال الامم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الامم الحالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها ﴿ بصائر للناس ﴾ أى أنوارا لقلوبهم تبصرها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر ﴿ وهدى ﴾ أى هداية الى الشرائع والاحكام التى هى سبيل الله تعالى ﴿ ورحمة ﴾ حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أى ذا بصائر الخ وقيل على العلة أى آتيناها الكتاب للبصائر والهدى والرحمة ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ ليكونوا على حال يرجى منه التذكرو وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلمكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى ﴿ وما كنت بجانب الغربى ﴾ شروع فى بيان أن انزال القرآن الكريم أيضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها وحيث اتفنى كلاهما تبين أنه بوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم بكفل مريم الآية أى وما كنت بجانب الجبل الغربى أو المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربى على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع ﴿ اذ قضينا الى موسى الامر ﴾ أى عهدنا اليه وأحكمنا أمر نبوته بالوحي وايتاء التوراة ﴿ وما كنت من الشاهدين ﴾ أى من جملة الشاهدين للوحي وهم السبعون المختارون للبيقات حتى تشاهد ماجرى من أمر موسى فى ميقاته وكتبة التوراة له فى الألواح فتخبره للناس ﴿ ولكننا أنشأنا قرونا ﴾ أى ولكننا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة ﴿ فتناول عليهم العمر ﴾ وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لاسيما على آخرهم فافتضى الحال التشريع الجديد فأوحينا اليك فحذف المستدركا كتفاءذ كرما بوجهه ويدل عليه وقوله تعالى ﴿ وما كنت ثابا فى أهل مدين ﴾ نفى لاحتمال كون معرفته عليه الصلاة والسلام للقصة بالسماع ممن شاهدها أى

وما كنت مقيما في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى ﴿تتلو عليهم﴾ أى تقرأ على أهل مدين بطريق التعلم منهم ﴿آياتنا﴾ الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاوي أو خبر ثان لكنت ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ اياك وهو وحيد اليك تلك الآيات ونظائرهما ﴿وما كنت بجانب الطور اذ نادينا﴾ أى وقت نداءنا موسى انى أنا الله رب العالمين واستنبأنا اياه وارسالنا له الى فرعون ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أى ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منالك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذلك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب الاشعار بعلّة الرحمة وتشريفه عليه الصلاة والسلام بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجب من جهته تعالى كما اكتفى عنه في الأول بذكر ما يوجب من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيحا على ما هو المقصود واشعارا بأنه المراد فيهما أيضاً والله در شأن التنزيل وقوله تعالى ﴿لتنذر قوما﴾ متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عليه الصلاة والسلام بالقرآن حتما لما أنه المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر وقرى رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ صفة لقوما أى لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسمعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببني اسرائيل ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين قضاء الامر والثواء في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحي الالهى ولو ذكر أولانفى ثوائه عليه الصلاة والسلام في أهل مدين ثم نفى حضوره عليه الصلاة والسلام عند النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ أى عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أى بما اقترعوا من الكفر والمعاصى ﴿فيقولوا﴾ عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لامتناع المعطوف عليه وانما ذكره في حيزها للايدان بأنه السبب الملجئ لهم الى قولهم ﴿ربنا لولا أرسلت الينا رسولا﴾ أى هلا أرسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات ﴿فتتبع آياتك﴾ الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية ﴿ونكون من المؤمنين﴾ بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التى قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية ﴿فلسا جاعهم﴾ أى أهل مكة ﴿الحق من عندنا﴾ وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلاة والسلام ﴿قالوا﴾ تعنتا واقترحا ﴿لولا أوتى﴾ يعنونه عليه الصلاة والسلام ﴿مثل ما أوتى موسى﴾ من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل﴾ رد عليهم واطهار لكون ما قالوه تعنتا محضاً لا طلباً لما يرشدهم الى الحق أى ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتى موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى ﴿قالوا﴾ استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ﴿سحران﴾ خبر لمبتدا محذوف أى هما يعنون ما أوتى محمد وما أوتى موسى عليهما السلام سحران ﴿تظاهرا﴾ أى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطاً منهم الى رؤساء اليهود في عيدهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا انا نجده في التوراة بتعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى ﴿وقالوا انا بكل﴾ أى بكل واحد من الكتابين ﴿كافرون﴾ تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لتغايب عتوهم وتماديهم في الكفر والظلمان وقرى ساحران تظاهرا يعنون موسى

ومحمد صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل ألا ترى الى قوله تعالى ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما ﴾ مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتوهما سحرين فانه نص فيما ذكره وقوله تعالى ﴿ أتبعه ﴾ جواب للامر أى ان تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح حجته لأن الاتيان بما هو أهدي من الكتابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيك والاحكام ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ أى فى أنهما سحران مختلفان وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم ﴿ فان لم يستجيبوا لك ﴾ أى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب أهدي منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذاناً بأنه عليه الصلاة والسلام على كمال أمن من أمره كأن أمره عليه الصلاة والسلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاهم الى أمر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعى باللام فيجذف الدعاء عند ذلك غالباً ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاه ﴿ فاعلم انما يتبعون أهواءهم ﴾ الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه ﴾ استنفهام انكارى للنفى أى لا أضل ممن اتبع هواه ﴿ بغير هدى من الله ﴾ أى هو أضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفى الاصل لا لنفى المساوى كما مر فى نظائره مراراً وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقريع والاشباع فى التشنيع والتضليل والافقارته لهدايته تعالى بينة الاستحالة ﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين ﴿ ولقد وصلناهم القول ﴾ وقرىء بالتخفيف أى أنزلنا القرآن عليهم متواصلاً بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعاً وعداً ووعيداً قصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح ﴿ لعلمهم يتذكرون ﴾ فيؤمنون بما فيه ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله ﴾ أى من قبل ايتاء القرآن ﴿ هم به يؤمنون ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام ﴿ واذا يتلى ﴾ أى القرآن عليهم ﴿ قالوا آمنا به انه الحق من ربنا ﴾ أى الحق الذى كنا نعرف حقيقته وهو استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم وقوله تعالى ﴿ انا كنا من قبله ﴾ أى من قبل نزوله ﴿ مسلمين ﴾ بيان لكون ايمانهم به أمراً متقدماً العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب المتقدمة وأنهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن ﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من المنعوت ﴿ يؤتون أجرهم مرتين ﴾ مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن ﴿ بما صبروا ﴾ بصبرهم وثباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين ﴿ ويدرون بالحسنة السيئة ﴾ أى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام وأتبع السيئة الحسنة تمحها ﴿ وبنارزقناهم ينفقون ﴾ فى سبيل الخير ﴿ واذا سمعوا اللغو ﴾ من اللاغين ﴿ أعرضوا عنه ﴾ عن اللغو تكملاً كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراماً ﴿ وقالوا ﴾ لهم ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم ﴾ بطريق الم�اركة والتوديع ﴿ لا نبتغى الجاهلين ﴾ لانطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم ﴿ انك لا تهدي ﴾ هداية موصلة الى البغية لاحالة ﴿ من أحببت ﴾ من الناس ولا تقدر على أن تدخله فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ أن يهديه فيدخله فى الاسلام ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت فى أبى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخى قد علمت انك لصديق ولكنى أكره أن يقال خرج عند الموت ولو لا أن يكون عليك وعلى بنى أيك غضاضة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق

لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك وليكني سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف
﴿ وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ﴾ نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي
عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن أكلة رأس أن
يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى ﴿ أولم نمكن لهم حرماً آمناً ﴾ أى ألم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرماً
أمن لحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله وهم آمنون ﴿ يحجى اليه ﴾ وقرئ تجبى أى يجمع ويحمل اليه
﴿ ثمرات كل شئ ﴾ من كل أوب والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة ﴿ رزقا
من لدنا ﴾ فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة أصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أى جهلة لا يفتنون له ولا يفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى
من لدنا أى قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على أنه مصدر مؤكد لمعنى يحجى أحوال من ثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة ثم بين أن الأمر
بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ أى وكثير من أهل
قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم ﴿ فقلك
مساكنهم ﴾ خاوية بما ظلموا ﴿ لم تسكن من بعدهم ﴾ من بعد تدميرهم ﴿ الا قليلاً ﴾ أى الا زماناً قليلاً اذ
لا يسكنها الا المارة يوماً أو بعض يوم أو لم يبق من يسكنها الا قليلاً من شؤم معاصيهم ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾
منهم اذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها
ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو باضار زمان مضاف اليه أو بجعله مفعولاً لبطرت بتضمين معنى كفرت
﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة أى وما صح وما استقام بل
استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة أو ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الانذار بل
كانت عادته أن لا يهلكها ﴿ حتى يبعث فى أمها ﴾ أى فى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها لكون أهلها أظن وأنبل
﴿ رسولاً يتلو عليهم آياتنا ﴾ الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لازام الحجة وقطع المعدرة بأن
يقولوا له لا أرسلنا رسولاً فتبع آياتك والالتفات الى نون العظيمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
﴿ وما كنا مهلكي القرى ﴾ عطف على ما كان ربك وقوله تعالى ﴿ الا وأهلها ظالمون ﴾ استثناء مفرغ من أعم
الاحوال أى وما كنا مهلكين لأهل القرى بعد ما بعثنا فى أمها رسولاً يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من
الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية
لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل ﴿ وما أوتيتهم من شئ ﴾
من أمور الدنيا ﴿ فتنازع الحياة الدنيا وزينتها ﴾ أى فهو شئ شأنه أن يتمتع ويتزين به أياماً قلائل ﴿ وما عند الله ﴾
وهو الثواب ﴿ خير ﴾ فى نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة عن شوائب الألم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم ﴿ وأبقى ﴾
لأنه أبدى ﴿ أفلا تعقلون ﴾ ألا تفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير
وقرئ بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم ﴿ أفمن وعدناه وعداً حسناً ﴾ أى
وعداً بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعد ﴿ فهو لاقية ﴾ أى مدركة لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى
ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحقيقه البتة وعظفت بالفاء المنبهة عن معنى السببية ﴿ كمن فتناه متاع الحياة

الدنيا) الذي هو مشوب بالآلام منغص بالآ كدار مستتبع للتحرر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى أى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ﴿ثم هو يرم القيامة من المحضرين﴾ عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكدا لانكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره أو أحضرناه يوم القيامة النار أو العذاب وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ﴿ويوم يناديهم﴾ منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا أو باضمارا ذكر ﴿فيقول﴾ تفسير للنداء ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أى الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما ﴿قال﴾ استئناف مبنى على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقليل قال ﴿الذين حق عليهم القول﴾ وهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤسائهم الذين اتخذوهم أربابا من دون الله تعالى بأن أطاعوهم في كل ما أمرهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت مقتضاه وتحقيق مؤداه وهو قوله تعالى لا ملأن جهمهم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لا ملأن جهمهم منك ومن تبعك منهم ومسارعهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا واما لأن العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء إنما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا أنه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا﴾ أى هم الذين أغويناهم فحذف الرافع الى الموصول ومرادهم بالاشارة ببيان أنهم يقولون ما يقولون بمحض منهم وأنهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى ﴿أغويناكم كما غوينا﴾ هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له أى ما أكرهناهم على الغي وانما أغويناكم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالء فغوا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الاشارة وأغويناكم الخبر ﴿تبرأنا اليك﴾ منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ﴿ما كانوا ايانا يعبدون﴾ أى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم ايانا ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ اما تكلم بهم أو تبكيثا لهم ﴿فدعوهم﴾ لفرط الحيرة ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ﴿ورأوا العذاب﴾ قد غشيهم ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ لوجه من وجوه الخيل يدفعون به العذاب أو الى الحق لما لقوا اما لقوا وقيل لولتمنى أى تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ عطف على ما قبله سئلوا أولا عن اشرأكم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك ﴿فعميت عليهم الانباء يومئذ﴾ أى صارت كالعمى عنهم لانهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا أخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل أو جميع الانباء وهى داخله فيه دخولا أوليا واذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤل فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم ﴿فهم لا يتسألون﴾ لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بأن الكل سواء في الجهل

﴿فأما من تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحا﴾ أى جمع بين الايمان والعمل الصالح ﴿فعسى أن يكون من
المفلحين﴾ أى الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام أوللترجى من قبل
التائب بمعنى فليتوقع الافلاح ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ أن يخلقه ﴿ويختار﴾ ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه
ولا منع له أصلا ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب
فيه وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى أنه نزل في قول الوليد
ابن المغيرة قلولا نزل هذا القرن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل
معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخير والصلاح ﴿سبحان الله﴾ أى تنزه بذاته تنزهها خاصا به من أن ينازعه أحد أو يزاحم
اختياره اختيار ﴿وتعالى عما يشركون﴾ عن اشراكهم أو عن مشاركة ما يشركونه به ﴿وربك يعلم ماتكن صدورهم﴾
كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده ﴿وما يعلنون﴾ كالطعن فيه ﴿وهو الله﴾ أى المستحق للعبادة ﴿لا اله الا هو﴾ لا أحد يستحقها الا هو ﴿له الحمد فى الأولى والآخرة﴾ لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق
كافة يحمد المومنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده
ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴿وله الحكم﴾ أى القضاء النافذ فى كل شىء من غير مشاركة فيه لغيره ﴿واليه ترجعون﴾
بالبعث لا الى غيره ﴿قل﴾ تقرير الما ذكر ﴿أرايتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان جعل الله عليكم الليل سرمدا﴾ دائما
من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزبدة كما فى دلامص من الدلاص يقال درع دلاص أى ملسا لينة ﴿الى يوم
القيامة﴾ باسكان الشمس تحت الارض أو تحريكها حول الأفق الغائر ﴿من إله غير الله﴾ صفة لاله ﴿يأتىكم بضياء﴾
صفة أخرى له عليها يدور أمر التبيك والالزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله تعالى فمن يأتىكم
بماء معين ونظائرهما خلا أنه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لا يراد التبيك والالزام على
زعمهم وقرئ بضياء بهمزتين ﴿أفلا تسمعون﴾ هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تدعوا له وتعملوا بموجبه
﴿قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة﴾ باسكانها فى وسط السماء أو بتحريكها على مدار فوق الأفق
﴿من إله غير الله يأتىكم بليل تسكنون فيه﴾ استراحة من متاعب الأشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه
مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما يئط به من المنافع ﴿أفلا تبصرون﴾ هذه المنفعة الظاهرة التى لا تخفى على من له
بصر ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ أى فى الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ فى النهار بأنواع المكاسب
﴿ولعلمكم تشكرون﴾ ولكى تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل أولكى تعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها ﴿ويوم
ينادىهم﴾ منصوب باذكر ﴿فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون﴾ تقرير اثر تقريره للشعار بأنه لاشىء أجلب
لغضب الله عز وجل من الاشرار كما لاشىء أدخل فى مرضاته من توحيد سبجانه وقوله تعالى ﴿ونزعنا﴾ عطف على
ينادىهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حال من فاعله باضمار قد والاتفات الى نون العظمة لابرز كمال الاعتناء
بشأن النزع وتهويله أى أخرجنا ﴿من كل أمة﴾ من الأمم ﴿شهداء﴾ نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴿فقلنا﴾ لكل أمة من تلك الأمم ﴿هاتوا برهانكم﴾ على صحة ما كنتم تدبون به
﴿فعلوا﴾ يومئذ ﴿أن الحق لله﴾ فى الالهية لا يشاركه فيها أحد ﴿وضل عنهم﴾ أى غاب عنهم غيبة الضائع ﴿ما كانوا
يفترون﴾ فى الدنيا من الباطل ﴿ان قارون كان من قوم موسى﴾ كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب
عليه السلام وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن

صورته وقيل كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرود فمالي وروى أنه لما جاوز بهم موسى عليه السلام البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرود وجدقارون في نفسه وحسد هما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجي كل واحد بعصاه فخرمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل إليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا فاذا بعصاهم هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ماهو بأعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى ﴿فبغى عليهم﴾ فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل وقيل حسد هم وذلك ما ذكر منه في حق موسى وهرون عليهما السلام ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أي الأموال المدخرة ﴿ما ن مفتاحه﴾ أي مفاتيح صناديقه وهو جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدتها المفتاح بالفتح ﴿لتنوء بالعصبة أوى القوة﴾ خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولى آتى ونائبه الحمل اذا أنقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما مر في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴿اذ قال له قومه﴾ منصوب بتنوء وقيل يبغى ورد بأن البغى ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بأن الايتاء أيضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرع ويجوز أن يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما أوتيته وتكون الجملة مقرر لبعيجه ﴿لاتفرح﴾ أى لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لاحالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا فقيل ﴿ان الله لا يحب الفرحين﴾ أى يخاف الدنيا ﴿وابتغ﴾ وقرئ واتبع ﴿فما آتاك الله﴾ من الغنى ﴿الدار الآخرة﴾ أى ثواب الله تعالى فيها يصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ﴿ولاتنس﴾ أى لا تترك ترك المنسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك ﴿وأحسن﴾ أى الى عباد الله تعالى ﴿كما أحسن الله اليك﴾ فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله اليك بالانعام ﴿ولاتبغ الفساد فى الارض﴾ نهى عما كان عليه من الظلم والبغى ﴿ان الله لا يحب المفسدين﴾ لسوء أفعالهم ﴿قال﴾ مجيبا لناصحيه ﴿انما أوتيته على علم عندى﴾ كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله اليك لانبائه عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله أى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم فى موقع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم النجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندى صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أو فى ظنى ورأى ﴿أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا﴾ توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة فى التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجب منه فالمعنى ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتروا به أو لدعائه العلم وتعظمه به بنى هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يبق به نفسه مصارع الهالكين ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله بمن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص أولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لاحالة ﴿نخرج على قومه﴾ عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى ﴿فى زينته﴾ اما متعلق بخروج أو

بمحذوف هو حال من فاعله أى فخرج عليهم كائناً فى زينتته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية يبض عليهم الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رأت فيه المعصفر ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ من المؤمنين جرياً على سنن الجبلية البشرية من الرغبة فى السعة واليسار ﴿يأبى لنا مثل ما أوتى قارون﴾ وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه فى سبل الخير وقيل كان المتمنون قوماً كفاراً ﴿انه لذو حظ عظيم﴾ تعليل لتمنيهم وتاكيد له ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أى بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغى وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيهاً على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضى الاعراض عن الأولى والاقبال على الثانية حتماً وأن تمنى المتمنين ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغى ﴿ويلكم﴾ دعاء بالهلاك شاع استعماله فى الزجر عما لا يرتضى ﴿ثواب الله﴾ فى الآخرة ﴿خير﴾ مما تتمنونه ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى ﴿ولا يلقاها﴾ أى هذه الكلمة التى تكلم بها العلماء أو الثواب فانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة ﴿الصابرون﴾ أى على الطاعات وعن الشهوات ﴿خففنا به وبداره الأرض﴾ روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقربته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فخسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفصح موسى عليه السلام بين بنى اسرائيل فجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل ألف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوءة ذهباً فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجماً فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال بنى اسرائيل يزعمون أنك فحرت بفلانة فأحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلاً على أن أرميك بنفسى فخر موسى ساجداً لربه يبكى ويقول يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى إليه أن مرا الأرض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليزِم مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذهم فأخذتهم إلى الأعناق وهم ينادونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت إليهم لشدة غيظه ثم قال خذهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله ﴿فما كان له من فئة﴾ جماعة مشفقة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ بدفع العذاب عنه ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فاتصر أى منعه فامتنع ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه﴾ منزلته ﴿بالأمس﴾ منذ زمان قريب ﴿يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾ أى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضى القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما أشبه الأمر أن الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويك وأن وتقديره ويك اعلم أن الله وانما يستعمل عند التنبيه على الخطأ والتندم والمعنى أنهم قد تذهبوا على خطئهم فى تمنيههم وتندموا على ذلك ﴿لولا أن من الله علينا﴾ بعدم اعطائه إيانا ما تمنينا ما اعطانا مثل ما أعطاه إياه وقرى لولا من الله علينا ﴿لخسف بنا﴾ كما خسف به وقرى لخسف بنا على البناء للفعول و بنا هو القائم مقام الفاعل وقرى لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرى لانخسف بنا ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ لنعمة الله تعالى أو المكذبون برسوله وبما وعدوا من ثواب الآخرة ﴿تلك الدار الآخرة﴾ إشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التى سمعت خبرها

وباغك وصفها ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ أى غلبة وتسلطاً ﴿ولافساداً﴾ أى ظلماً وعدواناً على العباد كدأب فرعون وقارون وفي تعليق الموعود بترك أراذلهم ما يزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها ﴿والعاقبة﴾ الحميدة ﴿للمتقين﴾ أى الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الأفعال والأقوال ﴿من جاء بالحسنة فله﴾ بمقابلتها ﴿خير منها﴾ ذاتاً ووصفاً وقدرًا ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتعجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم ﴿الما كانوا يعملون﴾ أى الامثال ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ﴿ان الذي فرض عليك القرآن﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به ﴿لرادك الى معاد﴾ أى معاد معاد تمتد اليه أعناق الهمم وترنو اليه أحداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على أنه تعالى قد وعده وهو بمكة في أذية وشدة من أهلها أنه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين باغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده وهو ولد آباءه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له أشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه ﴿قل ربني أعلم من جاء بالهدى﴾ وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه أعلم أى يعلم وقيل بأعلم على أنه بمعنى عالم ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ وما يستحقه من العذاب والاذلال يعنى بذلك نفسه والمشركون وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى ﴿وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب﴾ أى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه ﴿الارحمة من ربك﴾ ولكن ألقاه اليك رحمة منه ويجوز أن يكون استثناءً محمولا على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة أى لأجل الترحم ﴿فلا تكونن ظهيرا للكافرين﴾ بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ﴿ولا يصدنك﴾ أى الكافرون ﴿عن آيات الله﴾ أى عن قراءتها والعمل بها ﴿بعد اذ أنزلت اليك﴾ وفرضت عليك وقرئ يصدنك من أصد المنقول من صد اللزوم ﴿وادع﴾ الناس ﴿الى ربك﴾ الى عبادته وتوحيده ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بمساعدتهم في الأمور ﴿ولا تدع مع الله الها آخر﴾ هذا وما قبله للتنبيح والالهاب وقطع أطماع المشركين عن مساعدته عليه الصلاة والسلام لهم واطهار أن المنهى عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلاً ﴿لا اله الا هو﴾ وحده ﴿كل شئ هالك الا وجهه﴾ الا ذاته فان ما عداه كائن ما كان يمكن في حد ذاته عرصة للهلاك والعدم ﴿له الحكم﴾ أى القضاء النافذ في الخلق ﴿واليه ترجعون﴾ عند البعث للجزاء بالحق والعدل . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا

سورة العنكبوت

(مكية وهي تسع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم) الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح السكرية خلا أن ما بعده لا يَحتمل أن يتعلق به تعلقا عريا (أحسب الناس) الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شئ أو انتفاء شئ عن شئ بحيث يحصل منها مفعول لاها ما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرفها كما في الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة

للموصول الاسمي أو الحر في فان كلامها صالحة لأن يسبك منها مفعولاه لأن قوله تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة أن يقال أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا أو أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصل متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشبهه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والأموال ليميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار وروى أنها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مجمع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وأمرأته وهو أول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مجمع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الامة ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ متصل بقوله تعالى أحسب أو بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلفا والمعنى أن الأمم الماضية قد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي عليه الصلاة والسلام قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ﴿ فليعلن الله الذين صدقوا ﴾ أى في قولهم آمنا ﴿ وليعلن الكاذبين ﴾ في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات إلى الاسم الجليل لادخال الروعة وترية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير أى فوالله ليتعلقن عليه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذى أظهره والذين هم كاذبون فيه مستمررون على الكذب ويترتب عليه أجزيتهن من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن أو ليجازين وقرئ وليعلن من الاعلام أى وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم بسمه يعرفون بها يوم القيامة كيباض الوجوه وسوادها ﴿ أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ﴾ أى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوى أعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتتاله على مسند ومسند اليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسابانهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بانكار ما هو أبطل من الحسبان الاول وهو حسابانهم أن لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصرروا على المعاصى ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطعم في ذلك كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أى بس الذى يحكمونه حكمهم ذلك أو بس حكما يحكمونه حكمهم ذلك ﴿ من كان يرجو لقاء الله ﴾ أى يتوقع ملاقة جزائه ثوابا أو عقابا أو ملاقة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاءه تعالى عبارة عن الوصول إلى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضى من أفعاله أو بضده لما سخطه ﴿ فان أجل الله ﴾ الاجل عبارة عن غاية زمان تمتد عيذت الامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال أى فان الوقت الذى عينه تعالى لذلك ﴿ لآت ﴾ للاحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يشبهه لأن أجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزاء أيضا البتة واتيانه وقته موجب لا تبيان اللقاء حتما

والجواب محذوف أى فليختر من الاعمال ما يؤدى الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما فى قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يوجب القربة والزلفى **﴿وهو السميع﴾** لا قول العباد **﴿العليم﴾** بأحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد **﴿ومن جاهد﴾** فى طاعة الله عز وجل **﴿فإنما يجاهد لنفسه﴾** لعود منفعتها اليها **﴿إن الله لغنى عن العالمين﴾** فلا حاجة له الى طاعتهم وإنما أمرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾** الكفر بالايان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات **﴿ولنجزيهم أحسن الذى كانوا يعملون﴾** أى أحسن جزاء أعمالهم لا جزاء أحسن أعمالهم فقط **﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾** أى بإيتاء والديه وإيلائهما فعلا ذاك حسن أو ما هو فى حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى بحرى بحرى أمر معنى وتصرفا غير أنه يستعمل فيما كان فى الماء وره نفع عائد الى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقتلنا أحسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمرة على تقدير قول مفسر للتوصية أى وقتلنا أولهما أو فعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا **﴿وان جاهدك لتشرك بى ما ليس لك به علم﴾** أى بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها لا يذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه **﴿فلا تطعهما﴾** فى ذلك فانه لاطاعة المخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمم فيما قبل وفى تعليق النهى عن طاعتهم بمجاهدتهما فى التكليف اشعار بان موجب النهى فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية **﴿الى مرجعكم﴾** أى مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عقى **﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾** بأن أجازى كلا منكم بعمله ان خيرا غير وان شرا فشر والآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عند اسلامه حيث حلفت أمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية أن لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التى فى سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزل المدينة فخرج أبو جهل والحريث أخواه لأمه أسماة فنزلا بعياش وقالاه ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وقتلناه فى الذروة والغارب واستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن أقسم مالى بينى وبينك فما زالاه حتى أطاعهما وعصى عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه أما اذا عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بغير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطى لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهباه الى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم الجنة﴾** أى فى زمرة الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى حق إبراهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين أوفى مدخل الصالحين وهو الجنة **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى فى الله﴾** أى فى شأنه تعالى بأن عذبتهم الكفرة على الايمان **﴿جعل فتنة الناس﴾** أى ما يصيبه من أذيتهم **﴿كعذاب الله﴾** فى الشدة والهول فيرتد عن الدين مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى أصلا **﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾** أى فتح وغنيمة **﴿ليقولن﴾** بضم اللام نظرا الى معنى من كما أن الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح **﴿انا كنا معكم﴾** أى مشايعين لكم فى

الدين فأشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتُمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي بأعلم منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاختفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق ولما لحق من قوله تعالى ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ أي بالاخلاص ﴿وليعلمن المنافقين﴾ سواء كان كفرهم بأذية الكفرة أولا أي ليجزيهم بما لهم من الايمان والنفاق ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ بيان حملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالأذية والوعيد وصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان جنائيتهم وفيما سبق لبيان جنائية من أضلوه واللام للتبليغ أي قالوا مخاطبين لهم ﴿اتبعوا سيلنا﴾ أي أسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه أو اتبعونا في طريقتنا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أي ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ وقرئ من خطيآتهم أي وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا أن يحملوا كلها على أن من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض أوحال ﴿انهم لكاذبون﴾ حيث أخبروا في ضمن وعدم الحمل بأنهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى أنبئني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ﴿وليحملن أثقالهم﴾ بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعتهم لمخاطبيهم أصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايدان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمرة أي وبالله ليحملن أثقال أنفسهن كاملة ﴿وأثقالا﴾ آخر ﴿مع أثقالهم﴾ لما تسبوا بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير أن ينقص من أثقالهن أضلوه شيء ما أصلا ﴿وليسألن يوم القيامة﴾ سؤال تقرير وتبكيت ﴿عما كانوا يفترون﴾ أي يختلقونه في الدنيا من الأكاذيب والباطيل التي من جملتها ذنبهم هذا ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما﴾ شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأذية أهمم اثريان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيذا للانكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أهمم من فنون المكارة وصبروا عليها فلا أن يصبر هؤلاء أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما بعث على رأس أربعين سنة ودعا قومه تسعة وأربعين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعة وأربعين وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخيل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبتيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة وظهار ركاكة رأى الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما في التكرير من نوع بشاعة ﴿فأخذهم الطوفان﴾ أي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء ﴿وهم ظالمون﴾ أي والحال أنهم مستمررون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعوا واعمالهم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتبادية ﴿فأنجيناه﴾ أي نوحا عليه السلام ﴿وأصحاب السفينة﴾ أي ومن ركب فيها معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث ﴿وجعلناهم

أى السفينة أو الحادثة والقصة ﴿آية للعالمين﴾ يتعظون بها ﴿إبراهيم﴾ نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم ﴿اذ قال لقومه﴾ على الاول ظرف للارسال أى أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتغال من إبراهيم ﴿اعبدوا الله﴾ أى وحده ﴿واتقوه﴾ أن تشركوا به شيأ ﴿ذلكم﴾ أى ما ذكر من العبادة والتقوى ﴿خير لكم﴾ أى مما أتم عليه ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أى الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو ان كنتم تعلمون شيئاً من الأشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كافى فى الحكم بخيرية ما ذكره من العبادة والتقوى ﴿انما تعبدون من دون الله آوثاناً﴾ بيان لبطلان دينهم وشره فى نفسه بعد بيان شره بالنسبة الى الدين الحق أى انما تعبدون من دونه تعالى أو ثنائى فى نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك ﴿وتخلقون افكا﴾ أى وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله تعالى أو تعملونها وتحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للكثير فى الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرس وقرئ أفكا على أنه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقا ذا افك ﴿ان الذين تعبدون من دون الله﴾ بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يحديهم نفعا ﴿لا يملكون لكم رزقا﴾ أى لا يقدرّون على أن يرزقوكم شيأ من الرزق ﴿فابتغوا عند الله الرزق﴾ كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿واعبدوه﴾ وحده ﴿واشكروا له﴾ على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدى بالشكر للعتيد ومستجلين لليزيد ﴿اليه ترجعون﴾ أى بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون من رجوع رجوعا ﴿وان تكذبوا﴾ أى تكذبون فى فيما أخبرتكم به من أنكم اليه ترجعون بالبعث ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ تعليل للجواب أى فلا تضرونى بتكذيبكم فان من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرم تكذيبهم شيئا وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم ﴿وما على الرسول الا البلاغ المبين﴾ أى التبليغ الذى لا يبق معه شك وما عليه أن يصدق قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك أصلا ﴿أولم يروا كيف يبدى الله الخلق﴾ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أى ألم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا بجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ﴿ثم يعيده﴾ عطف على أولم يروا لا على يبدى لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدى بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ﴿ان ذلك﴾ أى ما ذكر من الاعادة ﴿على الله يسير﴾ اذ لا يفتقر فعله الى شىء أصلا ﴿قل سيروا فى الارض﴾ أمر لإبراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أى سيروا فيها ﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغيرة وأخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين فى أقطارها ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والآخرة

وقرىء النشأة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرأفة ومحلهما النصب على أنها مصدر مؤكد لينشىء بحذف الزوائد والاصل الانشأة أو بحذف العامل أى ينشىء فينشأون النشأة الآخرة كما فى قوله تعالى وأنبأنا نبأنا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض داخلة معها فى حيز القول واطهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدأ لا براز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ﴿ان الله على كل شىء قدير﴾ تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لا يتصور أن يتردد فى قدرته عليها ولا فى وقوعها بعد ما أخبر به ﴿يعذب﴾ أى بعد النشأة الآخرة ﴿من يشاء﴾ أن يعذبه وهم المنكرون لهاحتما ﴿ويرحم من يشاء﴾ أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب ﴿والله تفلون﴾ عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة ﴿وما أتم بمعجزين﴾ له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم ﴿فى الأرض ولا فى السماء﴾ أى بالتوارى فى الأرض أو الهبوط فى مهاوينا ولا بالتحصن فى السماء التى هى أفسح منها لو استطعتم الرقى فيها كما فى قوله تعالى ان استطعتم أن تفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا أو القلاع الذاهبة فيها وقيل فى السماء صفة لمحدوف معطوف على أتم أى ولا من فى السماء ﴿ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ أى بدلائله التكوينية والتزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا وأوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ﴿ولقائه﴾ الذى تنطق به تلك الآيات ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه ﴿يثسوا من رحمتى﴾ أى يأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضى للدلالة على تحققه أو يثسوا منها فى الدنيا لانكارهم البعث والجزاء ﴿وأولئك لهم عذاب اليم﴾ وفى تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتكثير العذاب وصفه بالايم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم مالا يخفى اى أولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وبالأس من رحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره فى الشدة والايلام ﴿فما كان جواب قومه﴾ بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى ﴿الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه﴾ وقرىء بالرفع على العكس وقدم ما فيه فى نظاره وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذى استقر عليه جوابهم بعد اللثاى والتى فى المرة الاخيرة والافقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل مالا يحصى ﴿فأنجاه الله من النار﴾ الفاء فصيحة أى فألقوه فى النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه عليه الصلاة والسلام بردا وسلاما حسبما بين فى مواضع أخر وقدم فى سورة الانبياء بيان كيفية لقائه عليه الصلاة والسلام فيها وإنجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار فى موضع أصلا ﴿ان فى ذلك﴾ أى فى إنجائه منها ﴿لآيات﴾ بينة عجيبة هى حفظه تعالى اياه من حرها واختادها فى زمان يسير وإنشاء روض فى مكانها ﴿لقوم يؤمنون﴾ وأما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون ﴿وقال﴾ أى ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم ﴿انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا﴾ أى لتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واثلافكم وثانى مفعولى اتخذتم محذوف أى أوثانا آلهة ويجوز أن يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة أو بجعلها نفس المودة مبالغة أى اتخذتم أوثانا سبب المودة بينكم أو مودودة أو نفس المودة وقرىء مودة منونة منصوبة ناصبة الظرف وقرئت بالرفع والاضافة على أنها خبر مبتدا محذوف أى هى مودودة أو نفس المودة

أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أو ثانا أو خبران على أن مامصدرية أو موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول
وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى
أن اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحياة وقد أجريتم أحكامه حيث فعلتم في ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا مني
كما ينبي عنه قوله تعالى وانصر و آلهتكم ﴿ثم يوم القيامة﴾ تنقلب الامور و يتبدل التواد تباعضا والتلاطف تلاعنا
حيث ﴿يكفر بعضكم﴾ وهم العبداء ﴿ببعض﴾ وهم الاوثان ﴿ويلعن بعضكم بعضا﴾ أى يلعن كل فريق منكم
ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ﴿ومأواكم النار﴾ أى هي منزل لكم الذى تأوون اليه ولا ترجعون
منه أبدا ﴿ومالك من ناصرين﴾ يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من النار التى أقيمتونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى
مقابلة الجمع أى مالا أحد منكم من ناصر أصلا ﴿فأمن له لوط﴾ أى صدقه فى جميع مقالاته لافى نبوته وما دعا اليه من
التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغى أن يحمل على ما ذكرنا أو على
أن يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهى التى لا يرتقى اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام
﴿وقال انى مهاجر﴾ أى من قومي ﴿الى ربى﴾ الى حيث أمرنى ربى ﴿انه هو العزيز﴾ الغالب على أمره فيمنعنى
من أعدائى ﴿الحكيم﴾ الذى لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى أنه هاجر
من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ﴿ووهبنا له
اسحق ويعقوب﴾ ولدا ونافلة حين أيس من عجوز عاقر ﴿وجعلنا فى ذريته النبوة﴾ فكثرت منهم الانبياء ﴿والكتاب﴾
أى جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة ﴿وآتيناه أجره﴾ بمقابلة هجرته اليها ﴿فى الدنيا﴾ باعطاء الولد
والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانما أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر ﴿وانه فى الآخرة لمن
الصالحين﴾ أى الكاملين فى الصلاح ﴿ولوطا﴾ منصوب اما بالعطف على نوحا أو على ابراهيم والكلام فى قوله تعالى
﴿اذ قال لقومه﴾ كالذى مر فى قصة ابراهيم عليه السلام ﴿أنكم لتأتون الفاحشة﴾ أى الفعلة المتناهية فى القبح وقرئ
أنتم ﴿ماسبقكم بها من أحد من العالمين﴾ استئناف مقرر لكل قبحها فان اجماع جميع أفراد العالمين على التحاشى
عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ﴿أنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل﴾ وتعرضون
للسابلية أى بالفاحشة حيث روى أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء بالاعراض عن الحرث
واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال ﴿وتأتون فى ناديتكم﴾ أى تفعلون فى مجلسكم الجامع
لاصحابكم ﴿المنكر﴾ كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس
رضى الله عنهما هو الحذف بالخصى والرمى بالبندق والفرقة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب
والفحش فى المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديتهم بذلك العمل ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين﴾ أى فما كان جوابا من جهتهم شئ من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة أى
لم يصدر عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما فى سريرة الاعراف
من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوه من قريبتكم الآية وما فى سورة النمل من قوله تعالى فما كان
جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم الآية فهو الذى صدر عنهم بعد هذه المرة وهى المرة الاخيرة من
مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف ﴿قال رب انصرنى﴾
أى بانزال العذاب الموعود ﴿على القوم المفسدين﴾ بابتداء الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال

العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استئزال العذاب عليهم ﴿ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى﴾
 أى بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قالوا﴾ أى لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة
 الحجر ﴿إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ أى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ﴿ان أهلها كانوا
 ظالمين﴾ تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وأنواع المعاصي ﴿قال ان فيها لوطا﴾ فكيف
 تهلكونها ﴿قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله﴾ أرادوا أنهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم
 يتعرض له ابراهيم عليه السلام من أتباعه المؤمنين وأنهم معتنون بشأنهم أتم اعتناء حسبما ينبى عنه تصدير الوعد بالنتيجة
 بالقسم أى والله لننجينه وأهله ﴿الا امرأته كانت من الغابرين﴾ أى الباقيات في العذاب أو القرية ﴿ولما أن جاءت
 رسلنا﴾ المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام ﴿لوطا سئى بهم﴾ اعتراه المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض
 لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال ﴿وضاق بهم ذرعا﴾ أى ضاق بشأنهم وتدير أمرهم
 ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك أن طويل الذراع ينال
 مالا يناله قصير الذراع ﴿وقالوا﴾ ريثما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعانوا أنه قد عجز عن مدافعة قومه
 بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى أن قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد ﴿لاتخف﴾ أى من قومك علينا
 ﴿ولا تحزن﴾ أى على شئ وقيل باهلا كنا اياهم ﴿انا منجوك وأهلك﴾ مما يصيبهم من العذاب ﴿الا امرأتك
 كانت من الغابرين﴾ وقرى لننجينك ومنجوك من الانجاء وأياما كان فحل الكاف الجر على المختار ونصب أهلك باضمار
 فعل أو بالعطف على محله باعتبار الاصل ﴿انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء﴾ استئناف مسوق لبيان
 ما أشير اليه بوعده النتيجة من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يقلق المعذب أى يزججه من قولهم ارتجز اذا
 ارتجس واضطرب وقرى منزلون بالتشديد ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم المستمر ﴿ولقد تركنا منها﴾
 أى من القرية ﴿آية بينة﴾ هى قصتها العجيبة وآثار ديارها الحربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية بعدها
 وقيل الماء الاسود على وجه الارض ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما
 بتركنا أو بينة ﴿والى مدين أخاهم شعيبا﴾ متعلق بمضمر معطوف على أرسلنا فى قصة نوح عليه السلام أى وأرسلنا
 الى مدين شعيبا ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿وارجوا اليوم الآخر﴾ أى توقعوه وما يقع فيه من فنون الاحوال
 وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف
 ﴿ولا تعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ أى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود وأخذت الذين
 ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاورها من الارض ﴿فأصبحوا
 فى دارهم﴾ أى بلدهم أو منازلهم والافراد لا من اللبس ﴿جاثمين﴾ باركين على الركبتين ﴿وعادا وثمود﴾
 منصوبان باضمار فعل ينبى عنه ما قبله أى أهلكنا وقرى ثمودا بتأويل الحى ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أى وقد
 ظهر لكم املا كنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام واياها منه ﴿وزين لهم الشيطان
 أعمالهم﴾ من فنون الكفر والمعاصي ﴿فصدحهم عن السبيل﴾ السوى الموصل الى الحق ﴿وكانوا مستبصرين﴾
 متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك أو متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم الصلاة
 والسلام لهم ولكهم لجواحتي لقوا ما لقوا ﴿وقارون وفرعون وهامان﴾ معطوف على عادا قيل تقديم قارون لشرف
 نسبه ﴿ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين﴾ مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا

فاته ولم يدركه ولقد أدركم أمر الله عز وجل أى ادراك قدار كوانحو الدمار والهلاك ﴿فكلا﴾ تفسير لما ينبى عنه عدم سبقهم بطريق الابهام أى فكل واحد من المذكورين ﴿أخذنا بذنبه﴾ أى عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول ﴿فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا﴾ تفصيل للاخذ أى ريحا عاصفا فيها حصبا وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كمدن ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وما كان الله ليظلمهم﴾ بما فعل بهم فان ذلك محال من جهة تعالى ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من أنواع الكفر والمعاصى ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أى فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتا﴾ فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك أوهن من هذا لأن له حقيقة وارتفاعا فى الجملة أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثل بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب فى الاستعمال التأنيث وتأوّه كئا طاغوت ويجمع على عنكب وعنكبوتات وأما العكب والعكب والاعكب فأسماء الجوع ﴿وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ حيث لا يرى شئ يدانيه فى الوهن والوهى ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أى شيا من الاشياء لجزموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم أوهى من ذلك ويجوز أن يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان أوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم ﴿ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ﴾ على اضممار القول أى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشئ مفعول يدعون أو مصدرية وشئ عبارة عن المصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ تعليل على المعنيين فان اشراركم لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وأن الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شئ البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وأن من هذه صفاته قادر على مجازاتهم ﴿وتلك الأمثال﴾ أى هذا المثل وأمثاله ﴿نضربها للناس﴾ تقريرا لما بعد من أفهامهم ﴿وما يعقلها﴾ على ما هى عليه من الحسن واستتباع الفوائد ﴿الا العالمون﴾ الراسخون فى العلم المتدبرون فى الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام أنه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أى محقا مراعى للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذى لا يحيد عنه مستتبعة بالنافع الدينية والدينية على أنه حال من مفعوله فانها مع اشتغالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤنه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لآية للؤمنين﴾ دالة لهم على ما ذكر من شؤنه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد فى خلقهما للكل لأنهم المنتفعون بذلك ﴿اتل ما أوحى اليك من الكتاب﴾ تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيرا للناس وحملهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق ﴿وأقم الصلاة﴾ أى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه الصلاة والسلام باقامتها متضمنا لامر الأمة بها علل بقوله تعالى ﴿ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ كأنه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهىها عنهما أنها سبب للاتقاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلى عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الصلاة منتهى ومزدرجر عن معاصى الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنه عن

المنكر لم يزد به صلاته من الله تعالى الا بعد أو قال الحسن وقتادة من لم تنبه صلاته عن الفحشاء والمنكر فضلاته وبال عليه
وروى أنس رضي الله عنه أن أتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئاً من الفواحيش
الاركة فوصف له عليه الصلاة والسلام حاله فقال ان صلاته ستهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ﴿ولذكر الله أكبر﴾
أى وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بأن ما فيها من ذكر
الله تعالى هو العمد في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر
وذكر نبيه عنهما ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكر كم اياه بطاعته
﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ من
اليهود والنصارى ﴿الا بالتى هي أحسن﴾ أى بالخصلة التى هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكرم
والمشغبة بالنصح والسورة بالإنارة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدى الى إعطاء الدنيا وقيل منسوخ بآية السيف
﴿الا الذين ظلموا منهم﴾ بالافراط فى الاعتداء والعناد أو باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب
حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم ﴿وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا﴾ من القرآن ﴿وأنزل اليكم﴾ أى وبالذى أنزل
اليكم من التوراة والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبي عليه الصلاة والسلام
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقاً لم
تكذبوهم ﴿والهنا والهكم واحد﴾ لاشريك له فى الالهية ﴿ونحن له مسلمون﴾ مطيعون خاصة وفيه تعريض
بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴿وكذلك﴾ تجريد الخطاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذلك إشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل أى
مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب ﴿أنزلنا اليك الكتاب﴾ أى القرآن الذى من جملة هذه
الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ من الطائفتين ﴿يؤمنون به﴾ أريد بهم عبد
الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤثروا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم بايتاء
الكتاب للايذان بأن من بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤثروا
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ﴿ومن هؤلاء﴾ أى ومن
العرب أو أهل مكة على الأول أو ممن فى عصره عليه الصلاة والسلام على الثانى ﴿من يؤمن به﴾ أى بالقرآن
﴿وما يمجّد بآياتنا﴾ عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى
وأضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يمجّد بها ﴿الا الكافرون﴾ المتوغلون فى الكفر المصممون
عليه فان ذلك يصدّهم عن التأمل فيما يؤدّيههم الى معرفة حقيقتها وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه ﴿وما كنت تتلو من
قبله﴾ أى ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئاً من كتاب ﴿ولا تحطه﴾ أى ولا تقدر على أن تحطه
﴿ييمينك﴾ حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تحطه ﴿إذا لارتاب المبطون﴾ أى لو كنت ممن
يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى
شأنك من شأرب أصلا وتسميتهم مبطلين فى ارتياهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين فى اتباعهم للاحتمال المذكور
مع ظهور نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك ﴿بل هو﴾ أى القرآن ﴿آيات بينات﴾ واضحات ثابتة راسخة ﴿فى صدور

الذين أتوا العلم من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ مع كونها كما ذكر ﴿الظالمون﴾ المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾ مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرى آية ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً ﴿وانما أنا نذير مبين﴾ ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات ﴿أولم يكفهم﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ﴿أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارسها وممارستها ﴿يتلى عليهم﴾ في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لاتزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك ﴿ان في ذلك﴾ الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور ﴿لرحمة﴾ أى نعمة عظيمة ﴿وذكري﴾ أى تذكرة ﴿لقوم يؤمنون﴾ أى لقوم مهمهم الايمان لا التعتك كاولئك المقترحين وقيل ان ناساً من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عمجاه به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزات ﴿قل كفى بالله بئى وبيدكم شهيداً﴾ بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والارض ﴿أى من الأمور التى من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرر لما قبله من كفايته تعالى شهيداً﴾ والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى ﴿وكفروا بالله﴾ مع تعاضد موجبات الايمان به ﴿اولئك هم الخاسرون﴾ المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتى هى أحسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب ونحو ذلك ﴿ولولا أجل مسمى﴾ قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح ﴿لجاءهم العذاب﴾ المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالأجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بأجلهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به ﴿ولياتينهم﴾ جملة مستأنفة مبينة لما أشير اليه في الجملة السابقة من مجي العذاب عند محل الأجل أى والله لياتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الأجل ﴿بغثة﴾ أى فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ أى باتيانهم ولعل المراد باتيانهم كذلك أنه لا يأتينهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤولهم فان ذلك اتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتينهم وهم غارون آمنون لا يخطر ونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بيانا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل ﴿يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ استئناف مسوق لغاية تجميلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أى يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم وانما جىء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها وتزايلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيط بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولا م

الكافرين امل للعهد و وضع الظاهر موضع المضمير للاشعار بعلّة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولاً ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ ظرف لمضمّر قد طوى ذكره ايذاناً بغاية كثرة وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا ينفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ أي من جميع جهاتهم ﴿ويقول﴾ أي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب ﴿يا عبادي الذين آمنوا﴾ خطاب تشرّيف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشادهم الى الطريق الاسلام ﴿ان أرضى واسعة فايأى فاعبدون﴾ أي اذالم يتسهّل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان أرضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاختصاص ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم اليّنا ترجعون﴾ جملة مستأنفة جيء بها حثاً على المسارعة في الامثال بالأمر أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكرهه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرىء يرجعون ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم﴾ لنزلهم ﴿من الجنة عرفاً﴾ أي علالي وهو مفعول ثان للتبوءة وقرىء لنبوئهم من الثواب بمعنى الاقامة فانتصاب عرفاً حيث اما باجرائه مجرى لنزلهم أو بنزع الخافض أو بتشبيه الظرف الموقت بالمهم كافي قوله تعالى لا قعدن لهم صراطك المستقيم ﴿تجرى من تحتها الانهار﴾ صفة لغرفاً ﴿خالدين فيها﴾ أي في الغرف أو في الجنة ﴿نعم أجر العاملين﴾ أي الأعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرىء فنعم ﴿الذين صبروا﴾ اما صفة للعاملين أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ روى أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أو لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها ﴿الله يرزقها واياكم﴾ ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في أنه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة ﴿وهو السميع﴾ المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا ﴿العليم﴾ المبالغ في العلم فيعلم ضمائمكم ﴿ولئن سألتهم﴾ أي أهل مكة ﴿من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه ﴿فأني يؤفكون﴾ انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أن يبسطه له ﴿من عباده ويقدره﴾ أي يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير مبهم حسب ايهام مرجعه أو يقدر لمن يبسطه له على التعاقب ﴿ان الله بكل شئ عليم﴾ فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له أو فيعلم أن كلاماً من البسط والقدر في أي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الارض من بعد موتها ليقولن الله﴾ معترفين بأنه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد

يتوهم منه القدرة على شيء أصلاً ﴿قل الحمد لله﴾ على أن جعل الحق بحيث لا يجترى المبطلون على جحوده وأنه أظهر حججك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أى شيئاً من الأشياء فلذلك لا يملكون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقامهم ذلك ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ إشارة تحقير وازدراء للعالمية وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شر بهاء ﴿الالهو ولعب﴾ أى الاكياس يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويتبعون به ساعة ثم يتفرون عنه ﴿وان الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ أى لهى دار الحياة الحقيقية لا متنازع طريان الموت والفناء عليها وهى فى ذاتها حياة للبالغه والحيوان مصدر حى سمي به ذوالحياة وأصله حيوان فقلبت الياء الثانية واوا لما فى بناء فعلاً من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة فى هذا المقام المقتضى للبالغه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أى لما أثر واعليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال ﴿فاذا ركبوا فى الفلك﴾ متصل بمادل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعذب بنفسه كما فى قوله تعالى والخيول والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هنا وفى أمثاله بكلمة فى للايدان بأن المركوب فى نفسه من قبيل الأمكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر فى سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشرار فاذا ركبوا فى البحر ولقوا شدة ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى كاتنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو ﴿فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون﴾ أى فاجؤا المعادة الى الشرك ﴿ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا﴾ أى يفاجئون الاشرار ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التى حقها أن يشكروها ﴿فسوف يعلمون﴾ أى عاقبة ذلك وغائلته حينئذ ون العذاب ﴿أولم يروا﴾ أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿أنا جعلنا﴾ أى بلدهم ﴿حراماً آمناً﴾ مصوناً من النهب والتعدى سالماً أهله من كل سوء ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ أى والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلاً وسبياً اذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أى أبعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضوعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ بأن زعم أن له شريكاً أى هو أظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالاً على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوى وقد مر مراراً ﴿أو كذب بالحق لما جاءه﴾ أى بالرسول أو بالقرآن وفى لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب أثر ذى أثر ﴿أليس فى جهنم مثوى للكافرين﴾ تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألسن خير من ركب المطايا أى ألا يستوجبون الثواب فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة ﴿والذين جاهدوا فىنا﴾ أى فى شأننا ولوجها خالصاً أطلق المجاهدة ليعم جهاد الأعداء الظاهرة والباطنة ﴿لنهديهم سبلنا﴾ سبل السير اليها والوصول الى جانبنا أولئذينهم هداية الى سبل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ﴿وان الله مع المحسنين﴾ معية النصر والمعونة . عنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم

(مكية الا قوله فسبحان الله الآية . وهي ستون أو تسع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ألم﴾ الكلام فيه كالذي مر في أمثاله من الفواتح الكريمة ﴿غلبت الروم في أدنى الارض﴾ أى أدنى أرض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى أطراف الشام أو في أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الاردن وفلسطين وقرئ أدنى الارض ﴿وهم﴾ أى الروم ﴿من بعد غلبهم﴾ أى من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهى لغة كالجلب والجلب ﴿سيغلبون﴾ أى سيغلبون فارس ﴿في بضع سنين﴾ روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشتتوا بالمسلمين وقالوا أتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناجلك عليه فناجبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايدة في الخطر ومادة في الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديدية وقيل كان النصر للفريقين يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى جفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدقه وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبرت عن الغيب الذى لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوها بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل ﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ أى في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخر لا يس الا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبل وبعدا بمعنى أولا وآخر (ويومئذ) أى يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وتعليقه من له كتاب على من لا كتاب له وغيط من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهر صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتقاتلوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والأول هو الانسب لقوله تعالى ﴿ينصر من يشاء﴾ أى من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى الله الامر من قبل ومن بعد ﴿وهو العزيز﴾ المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائنا من كان ﴿الرحيم﴾ المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أى فريق كان والمراد بالرحمة هى الدنيوية

أما على القراءة المشهورة فظاهر لما أن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الآخروية وأما على القراءة الأخيرة فلا أن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعدا ﴿لا يخلف الله وعده﴾ أى وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه وظهر الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أى ما سبق من شؤنه تعالى ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ وهو ما يشاهدونه من زخارفها ولاذها وسائر أحوالها الموافقة لشيء واتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهما كهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من أفعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهر التحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم أى يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا ﴿وهم عن الآخرة﴾ التى هى الغاية القصوى والمطلب الاسنى ﴿هم غافلون﴾ لا يخطر ونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدى الى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتى والجملة معطوفة على يعلمون وإيرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون أحوالها التى هى مبادئ العلم بأمور الآخرة وأشعارا بأن العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان ﴿أو لم يتفكروا﴾ انكار واستقبح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ﴿فى أنفسهم﴾ ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه فى غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ﴿ما خلق الله السموات والارض وما بينهما﴾ الخ متعلق اما بالعلم الذى يؤدى اليه التفكير ويدل عليه أو بالقول الذى يترتب عليه كما فى قوله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا أى أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو أقصر والنظر عليه ولم يحدثوا التفكير فى قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التى هم من جملتها ملتبسة بشئ من الاشياء ﴿الا﴾ ملتبسة ﴿بالحق﴾ أو يقره لوهذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق أن يثبت لاحالة لا يتناهى على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل و وحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التى من جملتها احيائهم بعد الفناء بالحياة الأبدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم غب ما تبين المحسن من المسمى وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب فى المصنوعات من الآيات والدلائل والأمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عملا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقد مر تحقيقه فى أوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق أى وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهى اليه لاحالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى فى أنفسهم صلة للتفكر على معنى أو لم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب المخلوقات اليهم وهم أعلم بشئوننا وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة

على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الاحسان واحسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وأنت خير بأن أمر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمنزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى ﴿وان كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون﴾ تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والاعراض عن التفكير فيما يرشدكم الى معرفتها من خلق السموات والأرض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث ﴿أولم يسيروا﴾ توبيخ لهم بعدم اتعاضهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم وما آلمهم والهزمة لتقرير المنى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أقعدوا فى أما كنهم ولم يسيروا ﴿فى الأرض﴾ وقوله تعالى ﴿فينظروا﴾ عطف على يسيروا داخل فى حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد ساروا فى أنظار الأرض وشاهدوا ﴿كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى ﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ الخ يان لمبدأ أحوالهم وما آلمها يعنى أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة ﴿وأثاروا الأرض﴾ أى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك ﴿وعمروها﴾ أى عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرهما يبعد عمارة لها ﴿أكثر مما عمروها﴾ أى عمارة أكثر كما وكيفاً وزماناً من عمارة هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتااعها مع ضعف حالهم وضيق عطشهم اذ مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والقلب فى أكناف الأرض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس ﴿وجاءتهم رسالهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ أى فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن اهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس من الظلم فى شىء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابراره فى معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الانفال وسورة آل عمران ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بأن اجتروا على اقتراف ما يوجب من المعاصى العظيمة ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤا﴾ أى عملوا السيئات وضع الوصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعله الحكم ﴿السوأى﴾ أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات وأفظعها التى هى العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن أو مصدر كاللشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأى وهى مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو أدخل فى الجزالة وقوله تعالى ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ علة لما أشير اليه من تعذيبهم الدنيوى والآخرى أى لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى ﴿وكانوا بها يستهزؤن﴾ عطف على كذبوا داخل معه فى حكم العلية وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدد هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل ﴿الله يبدأ الخلق﴾ أى ينشئهم ﴿ثم يعيده﴾ بعد الموت بالبعث ﴿ثم اليه ترجعون﴾ الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة فى التهيب وقرئ بالياء ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ التى هى وقت إعادة الخلق ورجعهم اليه ﴿يلس المجرمون﴾ أى يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فأبلس اذا سكت وأيس من أن يحتج وقرئ بفتح اللام من أبلسه اذا أخفه وأسكته ﴿ولم يكن

لهم من شركائهم شفعاء ﴿ وكانوا بشركائهم كافرين ﴾ أى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم
 وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وليس بذلك اذ ليس فى الاخبار به فائدة يعتد بها
 ﴿ ويوم تقوم الساعة ﴾ أعيد لهويله وتفطيع ما يقع فيه وقوله تعالى ﴿ يؤذئذ يتفرقون ﴾ تهويل له اثر تهويل وفيه
 رمز الى أن التفرق يقع فى بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم
 لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريق المؤمنين والكافرين كما فى
 قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى ﴿ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 فهم فى روضة يحبرون ﴾ تفصيل وبيان لأحوال ذينك الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة
 وتكثيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الخبرة كل نعمة
 حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارفعن ابن عباس وبجاهد يكرمون وعن قتادة
 ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبی صلى الله
 عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم أعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال عليه
 الصلاة والسلام يا أعرابى ان فى الجنة لنهر أحافته الأبرار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلاق
 بمثلا قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى
 الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك
 الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لوسمها أهل الدنيا لما توارطوا طربا ﴿ وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾
 التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ﴿ ولقاء الآخرة ﴾ صرح بذلك مع اندراجة فى تكذيب الآيات للاعتناء
 بأمره وقوله تعالى ﴿ فأولئك ﴾ إشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته
 تعالى وبلقاء الآخرة للايدان بكال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم فى سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب
 العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر أى أولئك الموصوفون بما فصل من القبائح ﴿ فى العذاب
 محضرون ﴾ على الدوام لا يغيبون عنه أبدا ﴿ فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد فى
 السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ﴾ اثر ما بين حال فريق المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين
 المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينبجى من الثانى ويفضى الى الأول من تنزيه الله عز
 وجل عن كل مالا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقدير الأول على الثانى لما أن التخلية
 متقدمة على التخلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أى نزوه عما ذكر
 سبحانه أى تسبيحه اللائق به فى هذه الأوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى وجوبه على المميزين
 من أهل السموات والأرض فى معنى الأمر به على أبلغ وجه وآكده وتوسطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه
 والاشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبى عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك
 وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياها وان كانت مثل
 زبد البحر وقوله عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم
 القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله عليه الصلاة والسلام كلمتان خفيفتان على اللسان

ثقيلتان في الميزان سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب لما أنه لا يجي منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك أنه ليس من الاوقات التي تختلف فيها أحوال الناس وتغيير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تغيير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا أما في المساء والصباح فظاهر وأما في الظهيرة فلأنها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقبولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتغالها عليهما وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى أنها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في أى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجبور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره من خمس صلوات كل يوم ليلة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفين الأول في قليل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وقرئ حيناً تمسون وحيناً تصبحون أى تمسون فيه وتصبحون فيه ﴿يخرج الحي من الميت﴾ كالانسان من النطفة والطير من البيضة ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ النطفة والبيضة من الحيوان ﴿ويحي الارض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يسها ﴿وكذلك﴾ ومثل ذلك الاخراج ﴿تخرجون﴾ من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿ومن آياته﴾ الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم أظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ﴿أن خلقكم﴾ أى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه الصلاة والسلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا ﴿من تراب﴾ لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أتم عليه فى ذاتكم وصفاتكم ﴿ثم اذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض وهذا يحمل ما فصل فى قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية ﴿ومن آياته﴾ الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ﴿أن خلق لكم﴾ أى لا جلكم ﴿من أنفسكم أزواجا﴾ فان خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهم من أنفسكم على ما عرفته من التحقيق أو من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى ﴿لتسكنوا اليها﴾ أى لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر ﴿وجعل بينكم﴾ أى بين الأزواج اما على تغليب الرجال على النساء فى الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور رأى جعل بينكم وبينهن كما مر فى قوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله وقيل أو بين أفراد الجنس أى بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى ﴿مودة ورحمة﴾ فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعاً أى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم تواداً وتراحماً من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرق من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة

منا ﴿ان في ذلك﴾ أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشارة اليه للاشعار ببعده منزله ﴿لآيات﴾ عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها ﴿لقوم يتفكرون﴾ فى تضاعيف تلك الافاعيل المتينة المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبى عنه قوله تعالى وهن آياته بل هى مشتملة على آيات شتى ﴿ومن آياته﴾ الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء ﴿خلق السموات والارض﴾ اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الالمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ أى لغاتكم بأن علم كل صنف لغته وألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه ﴿وألوانكم﴾ ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الاعضاء وهياكلها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والامور المتلاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شىء من ذلك لاحالة وان كانا فى غاية التشابه وانما نظم هذا فى سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقة بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للابدان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تنمات خلقهم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنه والالوان ﴿لآيات﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها ﴿للعالمين﴾ أى المتصفين بالعلم كما فى قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرى بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية ﴿وابتغواكم من فضله﴾ فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى الملوين وان كان الاغلب وقوع الأول فى الأول والثانى فى الثانى أو منامكم بالليل وابتغواكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة فى ذلك خلا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمان والزمان مع ما وقع فيه كشىء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أى شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون فى تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شئونه تعالى ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ الفعل اما مقدر بأن كما فى قول من قال الا أيهذا الزاجرى أحضر الوغا أى أن أحضر أو منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعبدى خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحدوف أى آية يريكم بها البرق كقول من قال

وما الدهر الا تارتان فنهما أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أى فنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أو ومن آياته شىء أو سحب يريكم البرق ﴿خوفا﴾ من الصاعقة أو للسافر ﴿وطمعا﴾ فى الغيث أو للقيم ونصبيهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان آرائهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه أو للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو آراء خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغبا للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها ﴿وينزل من السماء ماء﴾ وقرى بالتخفيف ﴿فيحيى به الارض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ فانها من الظهور بحيث يكفى فى ادراكها مجرد العقل عند استعماله فى استنباط أسبابها وكيفيتها تكونها ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره﴾ أى بإرادته تعالى

لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادئ والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تيمات انشاءهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد تر ونيها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرجت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل ﴿ ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا اتم تخرجون ﴾ فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هياتهما بأمره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم أى بعد انقضاء الاجل من الارض وأتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادى فطلع الى لا تخرجون لأن ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها ﴿ وله ﴾ خاصة ﴿ من في السموات والارض ﴾ من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه ﴿ كل له قانتون ﴾ أى مقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شئونه تعالى ﴿ وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى ﴿ وهو أهون عليه ﴾ أى بالاضافة الى قدركم والقياس على أصولكم والافهما عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذلك وأما ما قيل من أن الانشاء بطريق التفضل الذى يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذى لا بد من فعله حتما فكان أقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بأهوية الفعل أقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضاءها لتعلق قدرته به بل أسهلية تاتييه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب أو بطريق الاختيار ﴿ وله المثل الأعلى ﴾ أى الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التى ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسر بقول لا اله الا الله أراد به الوصف بالواحدانية ﴿ في السموات والارض ﴾ متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلاق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره فى الأعلى ﴿ وهو العزيز ﴾ القادر الذى لا يعجز عن بدء ممكن واعادته ﴿ الحكيم ﴾ الذى يجرى الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة ﴿ ضرب لكم مثلا ﴾ يتبين به بطلان الشرك ﴿ من أنفسكم ﴾ أى منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الامور اليكم وأعرها عنكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى ﴿ هل لكم ﴾ الخ تصوير للثل أى هل لكم ﴿ مما ملكت أيمانكم ﴾ من العبيد والاماء ﴿ من شركاء فيما رزقناكم ﴾ من الأموال وما يجرى مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام فقوله تعالى ﴿ فأنتم فيه سواء ﴾ تحقيق لمعنى الشراكة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا معطوفا على أتم لأنه عام للفريقين بطريق التغليب أى هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم في البشرية وأحكامها أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو

مستعار لكم فأنتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم ﴿تخافونهم﴾ خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل في سواء أى تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم ﴿حكيفتكم أنفسكم﴾ أى خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أى لا ترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم بما ليكمكم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التى هى من خصائصه الذاتية مخلوقة بل مصنوع مخلوقة حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك التفصيل الواضح ﴿نفصل الآيات﴾ أى نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابرار لا وابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان ﴿لقوم يعقلون﴾ أى يستعملون عقولهم في تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحققة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا ﴿أهواءهم﴾ الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه أو ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿بغير علم﴾ أى جاهلين بطلان ما أتوا مكبين عليه لا يوليهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل عليه بطلانه ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أى خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه أى لا يقدر على هدايته أحد ﴿وما لهم﴾ أى لمن أضله الله تعالى واجمع باعتبار المعنى ﴿من ناصرين﴾ يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعائه وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ماهو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع ﴿فأقم وجهك للدين﴾ تمثيل لقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه فان من اهتم بشئ محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه أى تقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى ﴿حنيفا﴾ حال من المأمور أو من الدين ﴿فطرة الله﴾ الفطرة الخنقة وانتصابها على الاغراء أى الزموا أو عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيين والافراد في أقم لما أن الرسول عليه الصلاة والسلام امام الامة فأمره عليه السلام مستتبع لأمرهم والمراد بازومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أى فطر الله فطرة وقوله تعالى ﴿التي فطر الناس عليها﴾ صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التى هى عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها وما اختاروا عليها ديناً آخر ومن غوى منهم فباغوا شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن رب العزة كل عبادى خلقت حنفاً فاجتالهم الشياطين عن دينهم وأمرهم أن يشركوا بى غيرى وقوله عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى ﴿لا تبدل خلق الله﴾ تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى أوله جوب الامثال به أى لاصحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأساً ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعاً فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال

به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ﴿ذلك﴾ إشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له وأولى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء أوالى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر ﴿الدين القيم﴾ المستوى الذى لا عوج فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك فيصدون عنه صدودا ﴿منيبين اليه﴾ حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لعمومه للامة حسبا أشير اليه وما بينهما اعتراض أى راجعين اليه من أناب اذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى ﴿واتقوه﴾ أى من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين﴾ المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾ بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الالتئام الى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به ﴿وكانوا شيعا﴾ أى فرقا تشايح كل منها امامها الذى أضلها ﴿كل حزب بما لديهم﴾ من الدين المعوج المؤسس على رأى الزائغ والزعيم الباطل ﴿فرحون﴾ مسرورون ظن انهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده ﴿واذا مس الناس ضر﴾ أى شدة ﴿دعوا ربهم منيبين اليه﴾ راجعين اليه من دعاء غيره ﴿ثم اذا أذاقهم منه رحمة﴾ خلاصا من تلك الشدة ﴿اذافريق منهم ربهم﴾ الذى كانوا دعوه منيبين اليه ﴿يشركون﴾ أى فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم الى البر ففهمهم مقصداً أى مقيم على الطريق القصد أو متوسط فى الكفر لا نزجاره فى الجملة ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى كقوله تعالى ﴿فتمتعوا﴾ غير أنه التفت فيه للبائنة وقرئ وليتمتعوا ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة تتمتعكم وقرئ بالياء على أن تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة فى قوله تعالى ﴿أم أنزلنا عليهم﴾ للايدان بالاعراض عنهم وتعيد جناياتهم لغيرهم بطريق المباشرة ﴿سلطانا﴾ أى حجة واضحة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان ﴿فهو يتكلم﴾ تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق ﴿بما كانوا به يشركون﴾ باشراكهم به تعالى أو بالأمر الذى بسببه يشركون ﴿واذا أذقنا الناس رحمة﴾ أى نعمة من صحة وسعة ﴿فرحوا بها﴾ بطرا وأشرا لا حمدا وشكرا ﴿وان تصبهم سيئة﴾ شدة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بشؤم معاصيهم ﴿اذا هم يقنطون﴾ فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون ﴿أولم يروا﴾ أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ فله لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالؤمنين ﴿ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة ﴿فأت ذا القرنى حقه﴾ من الصلة والصدقة وسائر المبرات ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ ما يستحقانه والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أولم بسط له كما تؤذ به الفاء ﴿ذلك خير للذين يريدون وجه الله﴾ ذاته أو وجهته ويقصدون بمعرفة فهم اياه تعالى خالصا أوجهة التقرب اليه لاجهة أخرى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم ﴿وما آتيتم من ربا﴾ زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ آتيتم بالقصر أى غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا ﴿ليروا فى أموال الناس﴾ ليزيدوا زكوا فى أموالهم ﴿فلا يروا عند الله﴾ أى لا يبارك فيه وقرئ لتربوا أى لتزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا ﴿وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله﴾ أى تبغون به وجهه تعالى خالصا ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أى ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة

مالا يخفى ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء﴾ أثبت له تعالى لوازم الألوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ وقد جوز أن يكون الموصل صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بالتأكيـد وقرىـء تشركون بصيغة الخطاب ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة وبحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قاييل أخاء هابيل وفي البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ أى بعض جزائه فان تسماه في الآخرة واللام للعللة وأول العاقبة وقرىـء لئذيقهم بالنون ﴿لعلهم يرجعون﴾ عما كانوا عليه ﴿فل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ ليشاهدوا آثارهم ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشو الشرك فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ أى البليغ الاستقامة ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له﴾ لا يقدر أحد على رده ﴿من الله﴾ متعلق بيأتى أو بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه ﴿يومئذ يصدعون﴾ أصله يتصدعون أى يتفرون فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أى وبال كفره وهو النار المؤبدة ﴿ومن عمل صالحا فلا لنفسهم يمهدون﴾ أى يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ متعلق يصدعون وقيل يمهدون أى يتفرون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الإثابة بطريق التفضل لا الوجوب وأشار الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى ﴿انه لا يحب الكافرين﴾ فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح﴾ أى الشمال والصبأ والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرىـء الريح على ارادة الجنس ﴿مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة يرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشرن بها وليذيقكم أو بمحذوف يفهم من ذكر الارسل تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر آخر لاتعلق له بمنافعكم ﴿ولتجرى الفلك﴾ بسوقها ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ بتجارة البحر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولتشكروا نعمة الله فيها ذكر من الغايات الجليلة ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم﴾ كأرسلناك الى قومك ﴿فجاؤهم بالبينات﴾ أى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك بيناتك والفاء في قوله تعالى ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ فصيحة أى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصل للتنبية على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى ﴿وكان حتما علينا نصر المؤمنين﴾ مزيد تشریف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم واشعار بأن الانتقام من الكفرة لأجله وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ماسبق وما لحق من أحوال الرياح

وأحكامها لانداز الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم
المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من الانتقام ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ استئناف
مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح ﴿فتثير سحابا فيبسطه﴾ متصلا تارة ﴿في السماء﴾ في جوها
﴿كيف يشاء﴾ سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ﴿ويجعله كسفا﴾ تارة أخرى
أى قطعاً وقرى بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من
خلاله﴾ في التارتين ﴿فاذا أصاب به من يشاء من عباده﴾ أى بلادهم وأراضيهم ﴿اذا هم يستبشرون﴾ فاجؤا
الاستبشار بمجيء الخصب ﴿وان كانوا﴾ ان مخففة من ان وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى وان الشأن كانوا
﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ أى المطر ﴿من قبله﴾ تكرير للتأكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه
وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن
يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة ينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب
زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية ﴿لمبلسين﴾ خبر كانوا واللام فارقة أى
آيسين ﴿فانظر الى آثار رحمة الله﴾ المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على
سرعة ترتبها عليه وقرى أثر بالتوحيد وقوله تعالى ﴿كيف يحيي﴾ أى الله تعالى ﴿الأرض بعد موتها﴾ في حين نصب
بنزع الخافض وكيف معاق لا نظر أى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأياما كان
فالمراد بالأمر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من أمر البعث وقرى
يحيى بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ﴿ان ذلك﴾ العظيم الشأن الذى ذكر بعض شؤنه ﴿لحيى الموتى﴾ لقادر على
احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى
النباتية أو لحييهم البتة وقوله تعالى ﴿وهو على كل شىء قدير﴾ تذييل مقرر لمضمون ما قبله أى مبالغ فى القدرة على جميع
الاشياء التى من جملتها احيائهم لما أن نسبة قدرته الى الكل سواء ﴿ولئن أرسلنا ريثا فرأوه﴾ أى الاثر المدلول عليه بالآثار
أو النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير ﴿مصفرا﴾ بعد خضرته وقد جوز أن يكون الضمير للسحاب
لأنه اذا كان مصفرا لم يطر ولا يخفى بعده واللام فى ائن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصيحة واللام فى
قوله تعالى ﴿لظلوا﴾ لام جواب القسم السادم مسددا لجوابين أى والله لئن أرسلنا ريثا فاحاروا أو باردة فضربت زرعهم بالصفار
فرأوه مصفرا ليلظن ﴿من بعده يكفرون﴾ من غير تلعم وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم وسرعة تلطم بين طرفى الافراط
والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم
القطر ولا يأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا
على بلائه اذا اعتري زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الأمر وأبوا ما يجديهم وأتوا بما يريدهم ﴿فانك لا تسمع
الموتى﴾ لما أنهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ﴿ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين﴾ تقييد الحكم بما
ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصالتى سوء نواياهم عن الحق واعراضهم عن الاصفاء
اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الأصم المقبل الى المتكلم ربما يظن من أوضاعه وحركاته
لشىء من كلامه وان لم يسمعه أصلا وأما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرى بالياء المفتوحة ورفع الصم
﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ سمواعيا اما لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرى

تهدي العمى ﴿ان تسمع﴾ أى ما تسمع ﴿الامن يؤمن بآياتنا﴾ فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقاها بالقبول أو الامن يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا ﴿فهم مسلمون﴾ منقادون لما تأمرهم به من الحق ﴿الله الذى خلقكم من ضعف﴾ مبتدأ وخبر أى ابتداءكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا أى خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم ﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ اذا أخذ منكم السن وقرى بضم الضاد فى الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتكبر مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر ﴿يخاق ما يشاء﴾ من الأشياء التى من جملة ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة ﴿وهو العليم القدير﴾ المبالغ فى العلم والقدرة فان التردد فيها ذكر من الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أى القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة ﴿يقسم المجرمون مالبشوا﴾ أى فى القبور أو فى الدنيا والأول هو الأظهر لان لبشهم مغيا يوم البعث كما سيأتى وليس لبشهم فى الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم أى أربعون سنة أو أربعون ألف سنة ﴿غير ساعة﴾ استقلوا مدة لبشهم نسيانا أو كذبا أو تخمينا ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق ﴿وقال الذين أوتوا العلم والايمان﴾ فى الدنيا من الملائكة والانس ﴿لقد لبثتم فى كتاب الله﴾ فى علمه أو قضائه أو ما كتبه وعينه أو فى اللوح أو القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ ﴿الى يوم البعث﴾ ردوا بذلك ما قالوه وأيدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على أنهم لبشوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها وكتبوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا ﴿فهذا يوم البعث﴾ الذى كنتم توعدون فى الدنيا ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ أنه حق فستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما فى قول من قال

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ثم القبول فقد جئنا خراسانا

﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ أى عذرهم وقرى تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يدعون الى ما يقتضى اعتبارهم أى ازالة عتبتهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتب فلان فأعتبته أى استرضاني فأرضيته ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾ أى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبية الشأن لصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ﴿ولئن جهنم بآية﴾ من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ان أتم الامبطلون﴾ أى مزورون ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب الحق ﴿فاصبر﴾ على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة ﴿ان وعد الله حق﴾ وقد وعدك بالنصرة واطهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ﴿ولا يستخفنك﴾ لا يحملنك

على الخفة والقلق ﴿الذين لا يوقنون﴾ بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم إياها وايدانهم لك بأباطيلهم التي من جعلتها قولهم إن أتم المبطون فانهم شاكون ضالون ولا يستبعد منهم أمثال ذلك وقرىء بالتون المخففة وقرىء ولا يستحقنك من الاستحقاق أى لا يفتنك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين وأياما كان فظاهر النظم الكريم وإن كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهى له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجر منكم شئنا أن قوم على أن لا تعدلوا . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الأجر عشر حسنات بعد ذلك ملك يسبح الله تعالى بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان

(مكية وقيل إلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة فإن وجوبهما بالمدينة)

(وهو ضعيف لانه ينافي شرعيتها بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام)

(وهي أربع أو ثلاث وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم تلك آيات الكتاب﴾ سلف بيانه في نظائره ﴿الحكيم﴾ أى ذى الحكمة لاشتتاله عليها أو هو وصف له بنعته تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعول كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل ﴿هدى ورحمة﴾ بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الإشارة ولابتداء محذوف ﴿للحسنين﴾ أى العاملين للحسنات فإن أريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى ﴿الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله الإملى الذى يظن بك الـظن كأن قد رأى وقد سمعا

وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبيها لإظهار فضلها وإناقتها على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون الموصول صفة للحسنين والوجه الأخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقدر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ﴿ومن الناس﴾ محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى ﴿من يشتري لهو الحديث﴾ موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذى يشتري أو فريق يشتري على أن مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآيات وهو الحديث ما يلهى عما يعنى من المهمات كالأحاديث التى لا أصل لها والأساطير التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبيينة إن أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعية إن أريد به الأعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحرث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والإكاسرة وقيل كان

يشترى القيان ويحملن على معاشرته من أراد الاسلام ومنعه عنه ﴿ليضل عن سبيل الله﴾ أى دينه الحق الموصل اليه تعالى أو عن قرأه كتابه الهادى اليه تعالى وقرىء ليضل بفتح الياء أى ليثبت ويستمر على ضلاله أوليزداد فيه ﴿بغير علم﴾ أى بحال ما يشتره أو بالتجارة حيث استبدل الشر بالخير المحض ﴿ويتخذها﴾ بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤث وهو دين الاسلام أو القرآن أى ويتخذها ﴿هزوا﴾ مهزوا به وقرىء ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى ﴿أو لئلا﴾ إشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايدان بعيد منزلتهم فى الشرارة أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء الاضلال ﴿لهم عذاب مهين﴾ لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه ﴿واذا تتلى عليه﴾ أى على المشتري أفرد الضمير فيه وفيما بعده كالضائر الثلاثة الأول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها ﴿آياتنا﴾ التى هى آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ﴿ولى﴾ أعرض عنها غير معتد بها ﴿مستكبرا﴾ مبالغاً فى التكبر ﴿كأن لم يسمعها﴾ حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والأصل كأنه لحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كأنك لم تجزع على ابن طريف ﴿كأن فى أذنيه وقرا﴾ حال من ضمير لم يسمعها أى مشبها حاله حال من فى أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استثنافين وقرىء فى أذنيه بسكون الذال ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أى فأعلمه بأن العذاب المفرط فى الايلام لاحق به لاحالة ذكر البشارة للتهكم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها أى الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبهها ﴿لهم﴾ بمقابلة ما ذكر من ايمانهم وأعمالهم ﴿جنات النعيم﴾ أى نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبران والأحسن أن يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿خالدين فيها﴾ حال من الضمير فى لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام ﴿وعند الله حقا﴾ مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثانى لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم فى معنى وعندهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فادال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم ﴿وهو العزيز﴾ الذى لا يغلبه شئ ليمنعه من انجاز وعده أو تحقيق وعيده ﴿الحكيم﴾ الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿خلق السموات بغير عمد﴾ الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الاثر الك وتبكيك أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع اهاب وهو ما يعمد به أى يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته أى بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ﴿ترونها﴾ استئناف جىء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أى خلقها بغير عمد مرئية على أن التقيد للرمز الى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترونها هى عمد القدرة ﴿وألقى فى الأرض رواسى﴾ بيان لصنعه البديع فى قرار الأرض اثر بيان صنعه الحكيم فى قرار السموات أى ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام فى سورة الرعد ﴿أن تميد بكم﴾ كراهة أن تميل بكم فان بساطة أجزائها تقتضى تبدل أحيائها وأوضاعها لا متنازع اختصاص كل منها لذاته أولشئ من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ من كل نوع من أنواعها ﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ هو المطر ﴿فأنبتنا فيها﴾ بسبب ذلك الماء ﴿من كل زوج كريم﴾ من كل صنف كثير

المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعائين لابرار مزيد الاعتناء بأمرها ﴿هذا﴾ أى ما ذكره من السموات والأرض وما تعلق بهما من الأمور المعدودة ﴿خلق الله﴾ أى مخلوقه ﴿فأرونى ماذا خلق الذين من دونه﴾ مما اتخذتموه شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأرونى متعلق به وقوله تعالى ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾ اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعى للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحققة لاستحالة أن يفهموا منها شيئاً فهتدوا به الى العلم بطلان ما هم عليه أو يتأثروا من الالزام والتبكيك فيزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم باشر اكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحدود وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وقيل كان قاضياً بنى إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيماً وأن داود عليه السلام قال له يوماً كيف أصبحت فقال أصبحت في يدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ إذا طابا وأخبث شئ إذا خبثا ومعنى ﴿أن اشكر الله﴾ أى اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن آتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ﴿ومن يشكر﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامثال بالامر أى ومن يشكر له تعالى ﴿فانما يشكر لنفسه﴾ لأن منفعة التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عايتها ﴿ومن كفر فإن الله غنى﴾ عن كل شئ فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر ﴿حميد﴾ حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكوراً لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فآثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعاً ﴿واذ قال لقمان لابنه﴾ أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان ﴿وهو يعظه يابنى﴾ تصغير اشفاق وقرى يابنى باسكان الياء وبكسرهما ﴿لا تشرك بالله﴾ قيل كان ابنه كافراً فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسماً ﴿ان الشرك لظلم عظيم﴾ تعليل للنهى أو للاتهاء عن الشرك ﴿ووصينا الانسان بوالديه﴾ الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيذا لما فيها من النهى عن الشرك وقوله تعالى ﴿حملته أمه﴾ الى قوله في عامين اعترض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى ﴿وهنا﴾ حال من أمه أى ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى تهن وهنا وقوله تعالى ﴿على وهن﴾ صفة للبصر أى كائنا على وهن أى تضعف ضعفاً فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرى وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا وهن يوهن وهنا ﴿وفصاله في عامين﴾ أى فطامه في تمام عامين وهى مدة الرضاع عند الشافعى وعند أبى حنيفة رحمهما الله تعالى هى ثلاثون شهراً وقد بين وجهه في موضعه وقرى وفصله ﴿أن اشكر لى ولوالديك﴾ تفهيم لوصينا وما بينهما اعترض مؤكداً للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك ﴿الى المصير﴾ تعليل لوجوب الامثال أى الى الرجوع لا الى غيرى

فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والشكر (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به) أى بشركته له تعالى فى استحقاق العبادة (علم فلا قطعهما) فى ذلك (وصاحبهما فى الدنيا معروفا) أى صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب الى) بالتوحيد والاخلاص فى الطاعة (ثم الى مرجعكم) أى مرجعك ومرجعهما ومرجع من أناب الى (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازى كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى (يابنى) الخ شروع فى حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما فى مطلعها من النهى عن الشرك وتأكيده بالاعتراض (انها ان تلك مثقال حبة من خردل) أى ان الخصلة من الاساءة أو الاحسان ان تلك مثالا فى الصغر كحبة الخردل وقرى برفع مثقال على أن الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لاضافة المثقال الى الحبة كما فى قول من قال كما شرقت صدر الفتاة من الدم أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة (فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض) أى فتكن مع كونها فى أقصى غايات الصغر والقامة فى أخفى مكان وأحرزه بكوف الصخرة أو حيث كانت فى العالم العلوى أو السفلى (يأت بها الله) أى يحضرها ويحاسب عليها (ان الله لطيف) يصل علمه الى كل خفى (خير) بكنهه وبعد ما أمره بالتوحيد الذى هو أول ما يجب على الانسان فى ضمن النهى عن الشرك ونبيه على كمال علم الله تعالى وقدرته أمره بالصلاة التى هى أكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له (يابنى أقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما أصابك) من الشدائد والمحن لاسيما فيما أمرت به (ان ذلك) اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الفضل (من عزم الأمور) أى مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الأمور لمزيد مزيها مصدر أطلق على المفعول وقد جوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الأمر أى جد والجملة تعليل لوجوب الامثال بما سبق من الامر والنهى وايدان بأن ما بعدها ليس بمثابته (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوى منه عنقه وقرى ولا تصاعر وقرى ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه وأعلاه (ولا تمش فى الأرض مرحا) أى فرحا مصدر وقع موقع الحال أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى ترح مرحا أو لأجل المرح والبطر (ان الله لا يحب كل مختال فخور) تعليل للنهى أو موجه وتأخير الفخور مع لونه بمقابلة المصعر خذه عن المختال وهو بمقابلة المشى مرحا رعاية الفواصل (واقصد فى مشيك) بعد الاجتناب عن المرح فيه أى توسط بين الديب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة فى عمر رضى الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد به ما فوق ديب المتفاوت وقرى بقطع الهمزة من أقصد الراى اذا سد دسهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (ان أنكر الأصوات) أى أوحشها (لصوت الحمير) تعليل للامر على أبلغ وجه وآكده مبنى على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق وافراط فى التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الاجناس وقوله تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض) رجوع الى سنن ما ساف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسما

يريد كعامة مافى الأرض من الأشياء المستخرجة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان أو لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل فى استعماله كجميع مافى السموات من الأشياء التى نيطت بها مصالح العباد معاشا أو معادا وأما جعله منقادا للامر مذلا على أن معنى لكم لاجلكم فان جميع مافى السموات والأرض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخر آله بحسب الظاهر فهو فى الحقيقة مسخر لله تعالى ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ محسوسة ومعقولة ومعروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها فى الفاتحة وقرئ: أصبغ بالصاد وهو جار فى كل سين قارت الغين أو الخاء أو القاف كما تقول فى سلخ صلخ وفى سقر صقر وفى سالغ صالغ وقرئ: نعمة ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله ﴾ فى توحيدِهِ وصفاته ﴿ بغير علم ﴾ مستفاد من دليل ﴿ ولا هدى ﴾ من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ ولا كتاب منير ﴾ أنزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد ﴿ وإذا قيل لهم ﴾ أى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى ﴿ اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ يريدون به عبادة الأصنام ﴿ أولو كان الشيطان يدعوهم ﴾ أى آباءهم لأنفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أى أتبعوهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيأثم عليه من الشرك ﴿ الى عذاب السعير ﴾ فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله ﴾ بأن فوض اليه مجامع أموره وأقبل عليه بكلية وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ: بالتشديد ﴿ وهو محسن ﴾ أى فى أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذائق والوصفى وقد مر فى آخر سورة النحل ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ أى تعلق بأوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى الى شاهر جبل فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلى منه ﴿ والى الله ﴾ لالى أحد غيره ﴿ عاقبة الأمور ﴾ فيجازه أحسن الجزاء ﴿ ومن كفر فلا يحزنك كفره ﴾ فانه لا يضرك فى الدنيا ولا فى الآخرة وقرئ: فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاى وليس بمستفيض ﴿ لينا مرجعهم ﴾ لا الى غيرنا ﴿ فتنبئهم بما عملوا ﴾ فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع فى الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الاول باعتبار لفظها ﴿ ان الله عليم بذات الصدور ﴾ تعليل للتنبيه المعبر بها عن التعذيب ﴿ تمتعهم قليلا ﴾ تمتعاً وزماناً قليلا فان مايزول وان كان بعد أمد طويل بالنسبة الى مايدوم قليل ﴿ ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ﴾ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ أو يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ لغاية وضوح الامر بحيث اضطرروا الى الاعتراف به ﴿ قل الحمد لله ﴾ على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضا ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ شيئا من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون أن ذلك يلزمهم ﴿ لله مافى السموات والأرض ﴾ فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿ ان الله هو الغنى ﴾ عن العالمين ﴿ الحميد ﴾ المستحق للحمد وان لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ﴿ ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام ﴾ أى لو أن الاشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الآحاد ﴿ والبحر يمده من بعده ﴾ أى من بعد نفاده ﴿ سبعة أبحر ﴾ أى والحال أن البحر المحيط بسعته يمده البحر السبعة مداً لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ﴿ مانفدت كلمات الله ﴾ ونفدت تلك الأقلام والمداد كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى وقرئ: يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى البحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هى المجاورة للجبال

ومنايع المياه الجارية واليه تنصب الانهار العظام أولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايشار جمع القلة في الكلمات للايدان بأن ما ذكر لا يني بالقليل منها فكيف بالكثير ﴿ان الله عزيز﴾ لا يعجزه شيء ﴿حكيم﴾ لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفذ كلمانه المؤسسة عليهما ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة﴾ أى الا خلقها وبعثها في سهولة التأتى اذلا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما أمرنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿ان الله سميع﴾ يسمع كل مسموع ﴿بصير﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخاق والبعث ﴿المتر﴾ قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل أحد ممن يصالح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق أى ألم تعلم علماقو يا جاري يا جري الرؤية ﴿أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ أى يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن يلاج أحد الملوك في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه ولا تجددا وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير الى ذلك حيث قيل ﴿كل يجري﴾ أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخلفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا ﴿أجل مسمى﴾ قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز أن يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته عليه الصلاة والسلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والا جل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبه على كيفية ايلاج أحد الملوك في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانهما متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الأرض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض أجزاء الليل اليه الى أن يبلغ المدار الذي هو أقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القوس التي هي فوق الأرض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض أجزائه الى الليل الى أن يبلغ المدار الذي هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى ﴿وأن الله بما تعملون خبير﴾ عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل أعماله ودقائقها ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايدان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الله هو الحق﴾ أى بسبب بيان أنه تعالى هو الحق الهيته فقط ولا جله لكونها ناطقة بحقيقة التوحيد ﴿وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ أى ولا جله لبيان بطلان الهية ما يدعون من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرىء بالتاء والتصریح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقيقة الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لا براز كمال الاعتناء بأمر التوحيد وللايدان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستبعا فقط بل بطريق الاستقلال أيضا ﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ أى وبيان أنه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى أى بيان هذا وقيل ذلك أى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ تعالى به بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت الهيته وأنت خير بأن حقيقته تعالى وعلوه وكبرياءه

وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعاً فلا مساغ
لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر ضرورة أن الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها
يقتضيها ﴿لم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله﴾ باحسانه في تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته
وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجرى أو بمقدر هو حال من فاعله أى ملتبسة بنعمته تعالى وقرىء الفلك
بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ﴿ليرىكم من آياته﴾ أى بعض دلائل وحدته
وعلمه وقدرته وقوله تعالى ﴿ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ تعليل لما قبله أى ان فيما ذكر لآيات عظيمة في
ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكير في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر
على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن ﴿واذا غشيهم﴾ أى علامهم وأحاط بهم ﴿موج كالظلل﴾ كما
يظل من جبل أو سحاب أو غيرها وقرىء كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ لزوال ما ينازع
الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد ﴿فلما نجاهم الى البر فنههم مقتصد﴾ أى مقيم على القصد
السوى الذى هو التوحيد أو متوسط في الكفر لا نزجاره في الجملة ﴿وما يحدد بآياتنا الا كل ختار﴾ غدارفانه نقض
للعهد الفطرى أو رفض لما كان في البحر والختار أشد الغدر وأقبحه ﴿كفور﴾ مبالغ في كفران نعم الله تعالى ﴿يا أيها
الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده﴾ أى لا يقضى عنه وقرىء لا يجزى من أجزأ اذا أغنى والعائد
الى الموصوف محذوف أى لا يجزى فيه ﴿ولا مولود﴾ عطف على والد أو هو مبتدأ خبره ﴿هو جازع والده شيئاً﴾
وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة
﴿ان وعد الله﴾ بالثواب والعقاب ﴿حق﴾ لا يمكن اخلافه أصلاً ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور﴾ أى الشيطان المبالغ في الغرور بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ﴿ان الله
عنده علم الساعة﴾ علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة وإنى
قد ألقيت حباتى فى الأرض فتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر أم أثنى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه
الصلاة والسلام مفاتيح الغيب خمس وتلاهذه الآية ﴿وينزل الغيث﴾ فى ابانه الذى قدره والى محله الذى عينه فى علمه
وقرىء ينزل من الانزال ﴿ويعلم ما فى الارحام﴾ من ذكر أو أنثى تام أو ناقص ﴿وماتدرى نفس﴾ من النفوس
﴿ماذا تكسب غدا﴾ من خير أو شر وربما تعزم على شئ منهما فتفعل خلافه ﴿وماتدرى نفس بأى أرض تموت﴾
كالاتدرى فى أى وقت تموت . روى أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه
يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فمر الريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل
ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظرى اليه تعجباً منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو
عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايدان بأنه ان أعمل حيله وبذل فى التعرف وسعه لم يعرف ما هو
لاحق به من كسبه وعافيته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرىء بأية أرض وشبهه سيئويه تأنيثها بتأنيث كل
فى كلتهن ﴿ان الله عليم﴾ مبالغ فى العلم فلا يعزب عن علمه شئ من الاشياء التى من جملتها ما ذكر ﴿خبير﴾ يعلم
بواطنها كما يعلم ظواهرها . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة وأعطى
من الحسنات عشرة بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة

(مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿الم﴾ اما اسم للسورة فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أى هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما سرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى ﴿تنزيل الكتاب﴾ على الاول خبر بعد خبر على أنه صدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدا محذوف أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم أى المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا أن ما يجعل عنوانا للوضع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذا لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى ﴿لاريب فيه﴾ خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى ﴿من رب العالمين﴾ متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور أى كائنا منه تعالى لا بتنزيل لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والوجه حيثئذ أنه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ﴿أم يقولون افتراه﴾ فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد أن يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيذا للحكم بنفى الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وأبطل حيث جىء بأمر المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم أضرب عنه الى بيان حقيقة ما أنكره حيث قيل ﴿بل هو الحق من ربك﴾ باضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه الصلاة والسلام ثم أيد ذلك ببيان غايته حيث قيل ﴿لتنذروا ما أتاكم من نذير من قبلكم لعلمهم يهتدون﴾ فان بيان غاية الشئ وحكمته لاسيما عند كونها غاية حميدة مستتعة لمنافع جليلة فى وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشئ ويؤكد له المحالة ولقد كانت قرىش أضل الناس وأحوجهم الى الهداية برسالة الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه الصلاة والسلام أى ما أتاكم من نذير من قبل انذارك أو من قبل زمانك والترجى معتبر من جهته عليه الصلاة والسلام أى لتنذرهم راجيا لاهتدائهم أو لرجاء اهتدائهم واعلم أن ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر الوجوه فلا تأييد أصلا لأن قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين وأيا ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر ﴿الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ مر بيانه فيما سلف ﴿مالك من دونه من ولى ولا شفيع﴾ أى مالك اذا جاو زتم رضاه تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم ويحيركم من بأسه أى مالك سواء ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير ﴿أفلا تتذكرون﴾ أى ألا تسمعون هذا الموعظ فلا تتذكرون بها أو تستمعونها فلا تتذكرون بها فلا نكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثانى على عدم التذكر مع تحقق ما يوجب من السماع ﴿يدبر الامر من السماء الى الارض﴾ قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها وأحكامها الى الارض ﴿ثم يعرج اليه﴾ أى ثبت فى علمه موجودا بالفعل ﴿فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ أى فى برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين

تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية بأبوابها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لآلف آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الأمر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمورة من الطاعات منزلا من السماء الى الأرض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والأعمال الخالص وأنت خير بأن قلة الأعمال الخالصة لا تقتضى بطء عرجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ﴿ذلك﴾ اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ فيدبر أمرهما حسبما تقتضيه الحكمة ﴿العزیز﴾ الغالب على أمره ﴿الرحيم﴾ على عبادته وهما خبران آخران وفيه ايماء الى أنه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان ﴿الذى أحسن كل شئ خلقه﴾ خبر آخر أو نصب على المدح أى حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة وأوجبه المصلحة لجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن أى يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإيقان وقرئ خلقه على أنه بدل اشتغال من كل شئ والضمير للبدل منه أى حسن خالق كل شئ وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لا حسن على تضمنينه معنى أعطى أى أعطى كل شئ خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الأول وكل شئ مفعوله الثانى والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمنين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شئ مما يحتاجون اليه وقال أبو البقاء عرف مخلوقاته كل شئ يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴿وبدأ خلق الانسان﴾ من بين جميع المخلوقات ﴿من طين﴾ على وجه بديع تحار العقول فى فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منظوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبع لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿ثم جعل نسله﴾ الخ أى ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه ﴿من سلاله من ماء مهين﴾ هو المني الممتن ﴿ثم سواه﴾ أى عدله بتكميل أعضائه فى الرحم وتصويرها على ما ينبغي ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ أضافه اليه تعالى تشريفا له وايدانا بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنه مناسبة الى حضرة الربوبية وأن أقصى ما تنتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى وأخرى بالنسبة الى أمره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ الجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بحزالة النظم الكريم أى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها فى أنفسها نعمة جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدينية الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلامها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على أن القلة بمعنى النفي كما ينبي عنه ما بعده أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية أحوال الانسان

من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبي عن استعدادهم للضمير وصلاحيته له من الجزالة مالا غاية ورائه ﴿وقالوا﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعدد جنائياتهم لغيرهم بطريق المباشرة ﴿أنذا ضللنا في الأرض﴾ أي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا تميز منه أو غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا أنتن وقيل من الصلة وهي الأرض أي صرنا من جنس الصلة قيل القائل أبي ابن خلف ولرضاهم بقوله أسند القول الى الكل والعامل في اذا ما يدل عليه قوله تعالى ﴿أننا اني خلق جديد﴾ وهو نبعث أو يحدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا على الخبر وأياما كان فالعنى على تأكيد الانكار لا انكار التأكيده المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقضائها الصدارة ﴿بل هم بلبقاء ربهم كافرون﴾ اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا ﴿قل﴾ بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل ﴿يتوفاكم ملك الموت﴾ لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبله أي يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئا أو لا يترك منكم أحدا على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم ﴿الذى وكل بكم﴾ أي يقبض أرواحكم واحصاء آجالكم ﴿ثم الى ربكم ترجعون﴾ بالبعث للحساب والجزاء ﴿ولو ترى اذ المجرمون﴾ وهم القائلون أنذا ضللنا في الأرض الآية أو جنس المجرمين وهم من جملتهم ﴿ناكسو رؤسهم عند ربهم﴾ من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ﴿ربنا﴾ أي يقولون ربنا ﴿أبصرنا وسمعنا﴾ أي صرنا بمن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا ﴿فارجعنا﴾ الى الدنيا ﴿نعمل﴾ عملا ﴿صالحا﴾ حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى ﴿انا موقنون﴾ ادعاء منهم لصحة الافتدة والافتداع على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا أصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهاراً لثباتهم على الايقان وكال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوهم من الرجعة وأتى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له بما يصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم الى النار لا محالة فالعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنارها في الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل أي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما ينبي عنه صلة اذ والمضى فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا فظيحا لا يقدر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتماد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها

فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا الخ أى ونقول لو شئنا أى لو تعاقت مشيئتنا تعلقا فعليا بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه الى دار الجزاء ﴿ولكن حق القول مني﴾ أى سبقت كلمتي حيث قالت لا بليس عند قوله لا غوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لا ملائكة جنة منك ومن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى ﴿لأملأن جنة والناس أجمعين﴾ كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين أتم من جملتهم حيث صرتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاه لكم وانما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتى من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى أزالا بصرف اختيارهم فيما سيأتى الى الغي وايتارهم له على الهدى فلوأريدت هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولعلم الله فيهم خيرا لا سمعهم فمن توهم أن المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعظمهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايتاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى ﴿فذوقوا﴾ لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجوع الى الدنيا أو على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ للايذان بأن تعذيبهم ليس بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضا بسبب موجب له من قبلهم كأنه قيل لارجع لكم الى الدنيا أوحق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكير فيه والاستعداد له بالكلية ﴿انانسيناكم﴾ أى تركناكم في العذاب ترك المنسى بالمرة وقوله تعالى ﴿وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون﴾ تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى للذوق والاشعار بأن سببه ليس بمجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي إيهام المذوق أولا ويانه ثانيا بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبي عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿انما يؤمن بآياتنا﴾ استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجها عملا صالحا لورجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبا ينطق به قوله تعالى ولوردوا العادوا الما نهوا عنه وانما يؤمن بها ﴿الذين اذا ذكروا بها﴾ أى وعظوا ﴿خروا سجدا﴾ آثرذى أثير من غير تردد ولا تلغم فضلا عن التسويف الى معانة مناطقت به من الوعد والوعيد أى سقطوا على وجوههم ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي أجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتمام بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلية التسييح والتحميد وبأنهم يفعلونها بما لحظ ربوبيته تعالى لهم ﴿وهم لا يستكبرون﴾ أى والحال أنهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسييح والتحميد ﴿تسجافى جنوبهم﴾ أى تنهوا وتنجح ﴿عن المضاجع﴾ أى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتجدون بالليل

قال أنس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الأنصار كننا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي عليه الصلاة والسلام وعن أنس أيضا رضي الله عنه أنه قال نزلت في أناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهي صلاة الأوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء بن أبي رباح الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي عليه الصلاة والسلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسر حون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى ﴿يدعون ربهم﴾ حال من ضمير جنوبهم أي داعين له تعالى على الاستمرار ﴿خوفا﴾ من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته ﴿وطمعا﴾ في رحمته ﴿ومما رزقناهم﴾ من المال ﴿ينفقون﴾ في وجوه البر والحسنة ﴿فلا تعلم نفس﴾ من النفوس لأملاك مقرب ولأنبي مرسل فضلا عن عداهم ﴿ما أخفى لهم﴾ أي لا أولئك الذين عدت نعوتهم الجليلة ﴿من قرأ أعين﴾ مما تقر به أعينهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأ أعين وقرئ ما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرأت أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية علق عنها الفعل ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي جزوا جزاء أو أخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا﴾ أي أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت أحواله ﴿لا يستون﴾ التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بامارة على أبلغ وجه وآ سده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى ﴿أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى﴾ تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا وأضيفت الجنة الى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وأياما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيتهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا ﴿نزلا﴾ أي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب واتصابه على الحالة ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا من الاعمال الصالحة أو بأعمالهم ﴿وأما الذين فسقوا﴾ أي خرجوا عن الطاعة ﴿فأواهم﴾ أي ملجأهم ومنزلهم ﴿النار﴾ مكان جنات المأوى للمؤمنين ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها﴾ استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى أنه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهبون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا وكله في الدلالة على أنهم مستقرون فيها وانما الاعداد من بعض طبقاتها الى بعض ﴿وقيل لهم﴾ تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ﴿ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به﴾ أي بعذاب النار ﴿تكذبون﴾ على الاستمرار في الدنيا ﴿ولندينقنهم من العذاب الأدنى﴾ أي عذاب الدنيا وهو ما نحنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ﴿دون العذاب الأكبر﴾ الذي هو عذاب الآخرة ﴿لعلهم﴾ لعل الذين

يشاهدونه وهم في الحياة ﴿يرجعون﴾ يتوبون عن الكفر روى أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ﴿ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها﴾ بيان اجمالى لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغم الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها

أى هو أظلم من كل ظالم وان كان سبب التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوى وقد مر مرارا ﴿انا من المجرمين﴾ أى من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته ﴿منتقمون﴾ فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أى التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجاسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على أن آتائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كآتيائها لموسى عليه والسلام ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ من لقاء الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب أو من لقاءك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بنى موسى رجلا آدم طوا الا جعدا كانه من رجال شنوأة ﴿وجعلناه﴾ أى الكتاب الذى آتيناك موسى ﴿هدى لبني اسرائيل﴾ قيل لم يتعبد بما فى التوراة ولدا سمعيل ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون﴾ بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والأحكام الى طريق الحق أو يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه ﴿بأمرنا﴾ اياهم بذلك أو بتوفيقنا له ﴿لما صبروا﴾ هى لما التى فيها معنى الجزاء نحو أحسنت اليك لما جئتني والضمير للأئمة تقديره لما صبروا وجعلناهم أئمة أو هى ظرف بمعنى الحين أى جعلناهم أئمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاسات الشدائد فى نصره الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرى لما صبروا أى لصبرهم ﴿وكانوا بآياتنا﴾ التى فى تضاعيف الكتاب ﴿يقنون﴾ لا معانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل تلك الهداية ﴿ان ربك هو يفصل﴾ أى يقضى ﴿بيتهم﴾ قيل بين الأنبياء وأممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين ﴿يوم القيامة﴾ فيميز بين الحق والمبطل ﴿فما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمور الدين ﴿أولم يهدلهم﴾ الهمة للانكار والواو للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قيل فلان يعطى فى أن المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى ﴿كم أهلكنا﴾ أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أو ولم يبين لهم ما آل أمرهم كثرة اهلا كنا ﴿من قبلهم من القرون﴾ مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرى نهدلهم بنون العظمة وقد جوز أن يكون الفاعل على القراءة الاولى أيضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم أهلكنا الخ استثناء مينا لكيفية هدايته تعالى ﴿يمشون فى مساكنهم﴾ أى يمررون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثارها لا أنهم والجملة حال من ضميرهم وقرى يمشون للتكثير ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من كثرة اهلا كنا للامم الخالية العاتية أو فى مساكنهم ﴿آيات﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها ﴿أفلا يسمعون﴾ هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ ﴿أولم يروا أناس سبق الماء الى الأرض الجرز﴾ أى التى جرز نباتها أى قطع وأزيل بالمرقة وقيل هو اسم موضع باليمن ﴿فخرج به﴾ من تلك الأرض ﴿زرعا أكل منه﴾ أى من ذلك الزرع ﴿أنعامهم﴾ كالتبن والقصيل واله رق وبعض الجبوب المخصوصة بها وقرى يأكل بالياء ﴿وأنفسهم﴾ كالجبوب التى يقتاتها الانسان والثمار ﴿أفلا يبصرون﴾ أى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ﴿ويقولون﴾ كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح

لنا على المشركين أو يفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذبا واستهزاء ﴿مضى هذا الفتح﴾ أى النصر أو الفصل بالحكومة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى أن الله تعالى ينصركم أو يفصل بيننا وبينكم ﴿قل﴾ تبكىنا لهم وتحقيقا للحق ﴿يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون﴾ يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس بما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمرا يينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكفى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتهم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر وأما على الاخيرين فالوصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر ﴿فأعرض عنهم﴾ ولا تبال بتكذيبهم ﴿واتنظر﴾ النصر عليهم وهلاكهم ﴿انهم منتظرون﴾ قيل أى الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر أن يقال انهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجلهم المذكرة وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقأ بأن ينتظر هلاكهم أو فان الملائكة ينتظرونه . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحى ليلة القدر وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام

سورة الاحزاب

(مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا ايها النبي اتق الله﴾ فى ندائه عليه الصلاة والسلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ﴿ولا تطع الكافرين﴾ أى المجاهرين بالكفر ﴿والمنافقين﴾ المضمرين له أى فيما يعود بوهن فى الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا العور السلى قدموا عليه عليه الصلاة والسلام فى المواعدة التى كانت بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وتدعك وربك فشق ذلك على النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله فى نقض العهد ونبد المواعدة ولا تساعد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك ﴿ان الله كان عليا حكيما﴾ مبالغا فى العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمر الا بما فيه مصلحة ولا ينهى الا عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجمله تعليل للأمر والنهى مؤكدا لوجوب الامتثال بهما ﴿واتبع﴾ اى فى كل ما أتى وتذر من أمور الدين ﴿ما يوحى اليك من ربك﴾ من الآيات التى من جملتها هذه الآية الأمر بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الروبوة لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر ﴿ان الله كان بما تعملون خبيرا﴾ قيل الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقيل له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن يسكون للكل على ضرب

من التغليب وأيا ما كان فالجملة تعابيل للامر وتأكيده لموجبه أما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل ان الله خير بما تعملونه من الامثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا وأما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خير بما يعمل به كلا الفريقين فيرشدك الى مافيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المسكائد والمقاسد ويأمر بك بما ينبغي لك أن تعمله في دفعها وردّها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما ﴿وتوكل على الله﴾ أى فوض جميع أمورك اليه ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ حافظا موكولا اليه كل الامور ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ شروع في القاء الوحي الذي أمر عليه الصلاة والسلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وتنبيهها على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعي ابنا أى بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبي في جوف واحد وقيل هور دما كانت العرب تزعم من أن الليب الاريب له قلبان ولذلك قيل لاني معمر أو جميل بن أسيد الفهري ذوالقلبين أى ما جمع الله تعالى قلبي في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية ولا أمومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفى الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الامومة ونفى الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفى الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الامومة ونفى الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لا بطلان ما كانوا عليه من اجراء أحكام الامومة على المظاهر منها واجراء أحكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت على كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من ليك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضى الطلاق أو الحرمة الى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكنية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج وللتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرىء اللاي وقرىء اللا وقرىء تظاهرون بحذف احدى التائين من تظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظاهرون من أظهر بمعنى تظاهر وتظاهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظاهرون من ظهر ظهورا وأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعل بمعنى فاعل كتنقي وأتقياء كأنه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلا وأسراء ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام أى دعاءكم بقولكم هذا ابني ﴿قولكم بأفواهكم﴾ فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم ﴿والله يقول الحق﴾ المطابق للواقع ﴿وهو يهدي السبيل﴾ أى سبيل الحق لا غير فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله عز وجل ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ أى انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى ﴿هو أقسط عند الله﴾ تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل أى الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه ﴿فان لم تعلموا آباءهم﴾ فنسبوهم اليهم ﴿فاخوانكم﴾ فهم اخوانكم ﴿في الدين ومواليكم﴾ وأولياؤكم فيه أى فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية ﴿وليس عليكم جناح﴾ أى اثم ﴿فيما أخطأتم به﴾ أى فيما فعلتموه من ذلك مخطين بالسوء أو النسيان أو سبق اللسان ﴿ولكن ما تعدمت قلوبكم﴾ أى ولكن الجناح فيما تعدمت قلوبكم بعد النهي أو ما تعدمت قلوبكم فيه الجناح ﴿وكان الله غفورا رحيم﴾ لغفوه

عن الخطي " وحكم النبي بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره » (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى فى كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه أثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها روى أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آبائنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ " وهو أب لهم أى فى الدين فان كل نبي أب لأمته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة » (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزلة الأمهات فى التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالأجنابات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها السنا أمهات النساء » (وأولوا الارحام) أى ذوو القرابات » (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين » (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله تعالى » (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لأولى الارحام أو صلة لأولى أى أولوا الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة » (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) استثناء من أعم ما تقدّر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع » (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى كان مذكرا من الآيتين ثابتا فى اللوح أو القرآن وقيل فى التوراة » (واخذنا من النبيين ميثاقهم) أى اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق » (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) وتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم فى النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مزييتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لآبانه خطره الجليل » (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الأول بعينه وأخذه هو أخذه والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيما لشأنه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى » (ليسأل الصادقين عن صدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبى عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة أى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من أول الأمر بأنهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه أى ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم أو عن تصديقهم اياهم تبييتا لهم كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من أن المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى » (وأعد للكافرين عذابا أليما) عطف على ما ذكر من المضمر لآعلى أخذنا كما قيل والتوجيه بأن بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لا ثبات المؤمنين أو بأن المعنى أن الله تعالى أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لأجل اثبات المؤمنين تعسف ظاهر مع أنه مفضل الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فأناب المؤمنين وأعد للكافرين الآية » (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها أى كائنة عليكم (اذ جاء تك جنود) ظرف لنفس النعمة أو لثبوتها لهم وقيل منصوب بأذكروا على أنه بدل اشتغال من نعمة الله والمراد

بالجنود الاحزاب وهم قریش و غطفان و يهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبا لهم ضرب الخندق على المدينة بإشارة سليمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فحاربهم فغلبهم وفتح الخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقصر ولا نقدر أن نذهب إلى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا أن فوارس من قریش منهم عمرو بن عبدود وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب قد ركبا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فحاربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما يرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام قال لا حاجة لي إليه قال فاني أدعوك إلى النزال قال يا ابن أخي والله لا أحب أن أقولك قال علي لكني والله أحب أن أقولك خمي عمرو وعند ذلك وكان غيوراً مشهوراً بالشجاعة واقتحم عن فرسه فغمره أو ضرب وجهه ثم أقبل علي على قنات ولا تتجاوز ولا فضر به علي رضي الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزممت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلاً من بني عثمان بن عبد الدار ونوفل ابن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله أيضاً علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا﴾ عطف على جاءكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي بقيتها في آخر القصة ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألقابعت الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالتجأ التجأ فانهزموا من غير قتال ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من حفر الخندق وترتيب مبادئ الحرب وقيل من التجأ إليهم ورجائكم من فضله وقرى بالياء أي بما يعمل الكفار أي من التحرز والمخاربة أو من الكفر والمعاصي ﴿بصيرا﴾ ولذلك فعل ما فعل من نصرهم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿اذ جاءكم﴾ بدل من اذ جاءكم ﴿من فوقكم﴾ من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ﴿ومن أسفل منكم﴾ أي من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قریش ومن شائعهم من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف ﴿واذ زاغت الأبصار﴾ عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير أي حين مالت عن سندها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ لأن الرنة تنتفخ من شدة الفرع فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الخلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيها وان لم تباع الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ لمن يظهر الإيمان على الإطلاق أي تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده في أعلاء دينه كما يعرب عنه ماسيحي عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية أو يمتحنهم بخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم بما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرى الظنون بغير ألف وهو القياس وزيادتها

لمراعاة الفواصل كما تزداد في القوافي ﴿هنالك﴾ ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أى في ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض ﴿ابتلى المؤمنين﴾ أى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخاض من المناق و الراسخ من المتزلزل ﴿وزلزلوا زلزالا شديدا﴾ من الهول والفرع وقرئ بفتح الزاى ﴿واذ يقول المنافقون﴾ عطف على اذ زاعت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أى ضعف اعتقاد ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ من اعتلاء الدين والظفر ﴿الا غرورا﴾ أى وعد غرور وقيل قولاً باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال يعذنا محمد بفتح كنوز كسرى وقصر وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور ﴿واذ قالت طائفة منهم﴾ هم أوس بن قيطى وأتباعه وقيل عبد الله ابن أبى وأشياعه ﴿يا أهل يثرب﴾ هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام أن تسمى بها كراهة لها وقال هى طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه الصلاة والسلام وندأهم اياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها ﴿لا مقام لكم﴾ لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أى لا قيام أو لا موضع قيام لكم ﴿فارجعوا﴾ أى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويحاً لمقالمهم وايداناً بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم فى دين محمد عليه الصلاة والسلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك أو فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلبوه الى أعدائه أو لا مقام لكم فى يثرب فارجعوا كفاراً ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنه عليه الصلاة والسلام فى الرجوع بمثلين بأمرهم وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو استئناف مبنى على السؤال عن كيفية الاستئذان ﴿ان بيوتنا عورة﴾ أى غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى المعسكر والعورة فى الأصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق ﴿وما هى بعورة﴾ والحال أنها ليست كذلك ﴿ان يريدون﴾ ما يريدون بالاستئذان ﴿الافرا﴾ من القتال ﴿ولو دخلت عليهم﴾ أسند الدخول الى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو أسند الى الجار والمجرور ﴿من أقطارها﴾ أى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم محتلة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد ﴿ثم سئلوا﴾ من جهة طائفه أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة ﴿الفتنة﴾ أى الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة ﴿لا توها﴾ لا أعطوها غير مباين بمآدها من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لا توها بالقصر أى لفعلوها وجاؤها ﴿وما تلبسوا بها﴾ بالفتنة أى ما لبسوها وما أخروها ﴿الايسير﴾ ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبسوا بالمدينة بعد الارتداد الايسير والاول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحيزة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم اذا دعوا الى الحق فعلوا بشئ يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثرذى أثير من غير صارف يلوهم ولا عاطف

يُثْنِيهِمْ فَقَرَضَ الدُّخُولَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْعَسَاكِرِ الْمَذْكُورَةِ وَاسْنَادَ سُؤَالِ الْفِتْنَةِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى الْكُفْرِ إِلَى طَائِفَةِ أُخْرَى
 مَعَ أَنَّ الْعَسَاكِرَ هُمُ الْمَعْرُوفُونَ بِعِدَاوَةِ الدِّينِ الْمُبَاشِرُونَ لِقِتَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصْرُونَ عَلَى الْأَعْرَاضِ عَنِ الْحَقِّ الْمَجْدُونَ فِي
 الدَّعَاءِ إِلَى الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ بِمَعْزَلِ مِنَ التَّقْرِيبِ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا دُبَارَ﴾ فَإِنْ بَنَى حَارِثَةُ
 عَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَحَدٍ حِينَ فَشَلُوا أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهِ وَقِيلَ لَهُمْ قَوْمُ غَابُوا عَنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَأَمَّا
 أُعْطِيَ اللَّهُ أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْفُضِيلَةِ فَقَالُوا إِنَّ أَشْهَدَنَا اللَّهَ قِتَالًا لِنَقَاتِلَنَّ ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ مَطْلُوبًا
 مُقْتَضًى حَتَّى يُوَفَّى بِهِ وَقِيلَ مَسْئُولًا عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ وَبِمَجَازِي عَلَيْهِ ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾
 فَإِنَّهُ لَا بَدَ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ حَتْفِ أَنْفٍ أَوْ قَتْلِ سَيْفٍ فِي وَقْتٍ مُعَيَّنٍ سَبَقَ بِهِ الْقَضَاءُ وَجَرَى عَلَيْهِ الْقَلَمُ ﴿وَإِذْ لَا تَمْتَعُونَ
 إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ وَإِنْ نَفَعَكُمْ الْفِرَارُ مِثْلًا فَتَعْتَمِدُوا بِالتَّأَخِيرِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّمَتُّعَ إِلَّا تَمَتُّعًا قَلِيلًا أَوْ زَمَانًا قَلِيلًا ﴿قُلْ مَنْ ذَا
 الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أَيْ أَوْ يَصِيْبُكُمْ بِسُوءٍ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً فَاخْتَصَرَ الْكَلَامَ
 أَوْ حَمَلَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ لِلسَّافِي الْعَصْمَةِ مِنْ مَعْنَى الْمَنْعِ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ يَنْفَعُهُمْ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾
 يَدْفَعُ عَنْهُمْ الضَّرَرَ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ﴾ أَيْ الْمُسْبُطِينَ لِلنَّاسِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ
 ﴿وَالْقَاتِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ﴾ مِنْ مُنَافِقِي الْمَدِينَةِ ﴿هَلُمُّوا إِلَيْنَا﴾ وَهُوَ صَوْتُ سَمَى بِهِ فَعَلَ مُتَعَدِّ نَحْوَ احْضُرْ أَوْ قَرِّبْ وَيَسْتَوِي
 فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمَاعَةُ عَلَى لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَمَّا بَنُو تَمِيمٍ فَيَقُولُونَ هَلُمُّ يَارْجُلُ وَهَلُّوْا يَارْجُلُ أَيْ قَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ إِلَيْنَا وَهَذَا
 يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ خَارِجُونَ مِنَ الْمَعْسَكِ مُتَوَجِّهُونَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ أَيْ الْحَرَابَ
 وَالْقِتَالَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أَيْ أَتَيْنَا أَوْ زَمَانًا أَوْ بَأْسًا قَلِيلًا فَانْهَمُوا يَعْتَدِرُونَ وَيُسَبِّطُونَ مَا امْكُنَ لَهُمْ وَيَخْرُجُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَوْمَهُمْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ وَلَا تَرَاهُمْ يَبَارِزُونَ وَيَقَاتِلُونَ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا اضْطُرُّوا إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا وَقِيلَ إِنَّهُ
 مِنْ تَمَتُّعٍ كَلَامُهُمْ مَعْنَاهُ وَلَا يَأْتِي أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ حَرْبَ الْأَحْزَابِ وَلَا يَقَاوِمُونَهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿أَشْحَةُ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ بِخِلَافِ
 عَلَيْكُمْ بِالْمَعَاوَنَةِ أَوْ النِّفْقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الظُّفْرِ وَالْغَنِيمَةِ جَمْعُ شَحِيحٍ وَنَصَبُهُ عَلَى الْحَالِيَةِ مِنْ فَاعِلٍ يَأْتُونَ أَوْ مِنَ الْمَعُوقِينَ
 أَوْ عَلَى الذَّمِّ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ فِي أَحْدَاقِهِمْ ﴿كَالَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾
 صِفَةُ لِمَصْدَرٍ يَنْظُرُونَ أَوْ حَالٍ مِنْ فَاعِلِهِ أَوْ لِمَصْدَرٍ تَدُورُ أَوْ حَالٍ مِنْ أَعْيُنِهِمْ أَيْ يَنْظُرُونَ نَظْرًا كَأَنَّهَا كُنْظَرُ الْمَغْشَى عَلَيْهِ
 مِنْ مَعَالِجَةِ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ حَذَرًا وَخُورًا وَلَوْ أَنَّ بَكَ أَوْ يَنْظُرُونَ كَأَنَّهُمْ كَالَّذِي الْخُورُ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ دُورَانَا كَأَنَّهَا كَدُورَانِ
 عَيْنِهِ أَوْ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَأَنَّهُ كَعَيْنِهِ ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وَحَبِزَتِ الْغَنَائِمُ ﴿سَلْقُوكُمْ﴾ ضَرْبُكُمْ ﴿بِالسِّنَةِ حَدَادَ﴾
 وَقَالُوا وَفَرَّاقِمْتَنَا قَدْ شَاهَدْنَاكُمْ وَقَاتَلْنَا مَعَكُمْ وَبِمَكَانِنَا غَلَبْتُمْ عِدُوَكُمْ وَبَنَانَصَرْتُمْ عَلَيْهِ وَالسَّلْقُ الْبَسْطُ بِقَهْرِ الْيَدِ أَوِ الْبَلْسَانِ
 وَقَرَى صَلَقُوكُمْ ﴿أَشْحَةُ عَلَى الْخَيْرِ﴾ نَصَبٌ عَلَى الْحَالِيَةِ أَوْ الذَّمِّ وَيُؤَيِّدُهُ الْقِرَاءَةُ بِالرَّفْعِ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُوصُوفُونَ بِمَا
 ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِ السُّوءِ ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ بِالْإِخْلَاصِ ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَيْ أَظْهَرَ بَطْلَانَهَا إِذْ لَمْ يَثْبُتْ لَهُمْ أَعْمَالُ
 فَتَبْطُلُ أَوْ أَبْطَلُ تَصْنَعُهُمْ وَنَفَاقَهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مُسْتَبْعًا لِمَنْفَعَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ أَصْلًا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الْإِحْبَاطُ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾
 هِينًا وَتَخْصِصَ يَسْرَهُ بِالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ تَعَالَى يَسِيرٌ لِبَيَانِ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَقِيقَةُ بَأْنٍ يَظْهَرُ حُبُوطُهَا لِكَمَالِ تَعَاوُذِ
 الدُّوَاعَى وَعَدَمِ الصَّوَارِفِ بِالْكَلِيَّةِ ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ أَيْ هُوَ لَا لِمَجْلِبِهِمْ يَظُنُّونَ أَنَّ الْأَحْزَابَ لَمْ يَنْهَزْ مَوْا
 فَفَرُّوا إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ كَرَّةً ثَانِيَةً ﴿يُودِدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ تَمَنَّوْا أَنَّهُمْ
 خَارِجُونَ إِلَى الْبَدْوِ وَحَاصِلُونَ بَيْنَ الْأَعْرَابِ وَقَرَى بِدَى جَمْعُ بَادٍ كَغَاوِزٍ وَغَزَى ﴿يَسْأَلُونَ﴾ كُلُّ قَادِمٍ مِنْ جَانِبِ الْمَدِينَةِ
 وَقَرَى يَسْأَلُونَ أَيْ يَتَسَاءَلُونَ وَمَعْنَاهُ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَاذَا سَمِعْتُمْ مَاذَا بَلَغْتُكُمْ أَوْ يَتَسَاءَلُونَ الْأَعْرَابَ كَمَا يَقَالُ رَأَيْتَ

الهلل وتراءىناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت اليه فاعلاما من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره ﴿عن أنبيائكم﴾ عما جرى عليكم ﴿ولو كانوا فيكم﴾ هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ﴿ماقاتلوا الا قليلا﴾ رياء وخوفا من التعير ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ خصلة حسنة حقها أن يؤتى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد وهو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون مناحيدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والآخرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿وذكر الله﴾ أي وقرن بالرجاء ذكر الله ﴿كثيرا﴾ أي ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الاتساع برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ بيان لما صدر عن خالص المؤمنين عند اشتباه المشركين واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم حسبا وصفوا لهم ﴿قالوا هذا﴾ مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيته فانهما من أحكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ فان ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى ألا أن نصر الله قريب وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة والسلام ان الأحزاب سائر ون اليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة ﴿وصدق الله ورسوله﴾ أي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم ﴿وما زادهم﴾ أي مارأوه ﴿الا إيمانا﴾ بالله تعالى وبمواعيده ﴿وتسليما﴾ لاوامره ومقاديره ﴿من المؤمنين﴾ أي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع الرسول عليه الصلاة والسلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله عنهم نذروا أنهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني اذا قال لك الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره أي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كما أنهم خاطبوه خطاب من قال لكرمائه نحررتي الاعداء ان لم تنحري وقالوا له سنفي بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكن مكذوبا ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والتحب النذر وهو أن يلتزم الانسان شيئا من أعماله ويوجهه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغيبة بما ليس منها ولا

يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا أو كان مستعارا للالتزامه على ماسياتي ﴿ومنهم﴾ أى وبعضهم أو وبعض منهم ﴿من ينتظر﴾ أى قضاء نجه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فانهم مستمررون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا هذا ويجوز أن يكون النحب مستعارا للالتزام الموت شهيدا اما بتزليل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتزليل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح وأياما كان في وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكامل اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من أن النحب استعير للموت لانه كندرا لازم في رقبة كل حيوان ففسخ للاستعارة وذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية ﴿وما بدلوا﴾ عطف على صدقوا وفاعله فاعله أى وما بدلوا عهدهم وما غيره ﴿تبديلا﴾ أى تبديلا لا أصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقيون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للإيدان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمتظرين خاصة بناء على أن المحتاج الى البيان حالهم وقد روى أن طلحة رضى الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام أوجب طلحة الجنة وفي رواية أوجب طلحة وعنه عليه الصلاة والسلام في رواية جابر رضى الله عنه من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضى الله عنها من سره أن ينظر الى شهيد يمشى على الارض وقد قضى نجه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى أنه من الاولين حكما ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلك لبيان ماهو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً ﴿ويعذب المنافقين﴾ بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ﴿ان شاء﴾ تعذيبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء عاقبة الحسن وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزى الآية فتأمل وباللغة التوفيق ﴿ان الله كان غفورا رحيم﴾ أى لمن تاب وهو اعترض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تمتة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزى الله كأنه قيل اثر حكاية الأمور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون منازلهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريق أهل الايمان وأهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرهما الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها أى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لترية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى ﴿بغيطهم﴾ حال من الموصول أى ملتبسين به وكذا قوله تعالى ﴿لم ينالوا خيرا﴾ بتداخل أو تعاقب أى غير ظافرين بخير أو الثانية بيان للاولى أو استئناف ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بما ذكر من ارسال الريح والجنود

﴿وكان الله قويا﴾ على أحداث كل ما يريد ﴿عزيزا﴾ غالبا على كل شيء ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم ﴾ أى عاونوا الأحزاب المردودة ﴿من أهل الكتاب﴾ وهم بنو قريظة ﴿من صياصيمهم﴾ من حصونهم جميع صيصية وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك ﴿وقذف فى قلوبهم الرعب﴾ الخوف الشديد بحيث أسلوا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبا ينطق به قوله تعالى ﴿فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال أنزع لأمك والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة وأنا عاهد اليهم فأذن فى الناس أن لا يصلوا العصر الا بنى قريظة فحاصروهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونساءهم فكبر النبي عليه الصلاة والسلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة وأسر سبعائة وقرىء تأسرون بضم السين كما قرىء الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول فى الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما فى قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة الفواصل ﴿وأورثكم أرضهم وديارهم﴾ أى حصونهم ﴿وأموالهم﴾ نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال عليه الصلاة والسلام انكم فى منازلكم فقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خست يوم بدر فقال عليه الصلاة والسلام لا إنما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله ﴿وأرضاءم تطووها﴾ أى أورثكم فى علمه وتقديره أرضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح الى يوم القيامة وقيل خير ﴿وكان الله على كل شيء قديرا﴾ فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضى التى تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا﴾ أى السعة والتنعيم فيها ﴿وزيبتها﴾ وزخارفها ﴿فتعالين﴾ أى أقبلن بارادتك واختيارك لاحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى ﴿أمتعن﴾ بالجزم جوابا للامر وكذا ﴿وأسر حكن﴾ أى أعطكن المتعة وأطلقكن ﴿سراحا جميلا﴾ طلاقا من غير ضرار وقرىء بالرفع على الاستئناف روى أنهم سأله عليه الصلاة والسلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فشكرهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعدواختلف فى أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار أو لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على أنهم ان أردن الدنيا فارقهن عليه الصلاة والسلام كما ينبى عنه قوله تعالى فتعالين أمتعن وأسرحكن وذهب آخرون الى أنه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف فى حكم التخيير فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء أصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلاقه بائنة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبى ليلى وسفيان وروى عن زيد بن ثابت أنها ان اختارت زوجها يقع طلاقه واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلاقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن على رضى الله عنه أنها ان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها لا يقع شيء أصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روى عن عائشة رضى الله عنها

خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فينشد بحسبها الاقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم ﴿وان كنتن تردن الله ورسوله﴾ أي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايدان بجلالة محله عليه الصلاة والسلام عنده تعالى ﴿والدار الآخرة﴾ أي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا ﴿فان الله أعد للمحسنات منكن﴾ بمقابلة احسانهن ﴿أجرا عظيما﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتدين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل ﴿يانسأ النبي﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام لانها التي بدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام ﴿من يأت منكن بفاحشة﴾ بكبيرة ﴿مبينة﴾ ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرى بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرى تأت بالفوقانية ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ أي يعذبن ضعفى عذاب غيرهن أي مثليه لان الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا يعاتب به الامم وقرى يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ووضعت بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب ﴿وكان ذلك على الله يسيرا﴾ لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي عليه الصلاة والسلام بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ﴿ومن يقنت منكن﴾ وقرى بالتاء أي ومن يدم على الطاعة ﴿لله ورسوله وتعمل صالحا توفى أجرها مرتين﴾ مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرى يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى ﴿وأعتدنا لها﴾ في الجنة زيادة على أجرها المضاعف ﴿رزقا كريما﴾ مرضيا ﴿يانسأ النبي لستن كأحد من النساء﴾ أصل أحد وحدث بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف ﴿ان اتقيتن﴾ مخالفة حكم الله تعالى ورضارسوله أو ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ عند مخاطبة الناس أي لا تجبن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي فجور ووربة وقرى بالجزم عطفًا على محل فعل النهى على أنه نهى لمرضى القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطاع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب ﴿وقان قولا معروفا﴾ بعيدا عن الريية والاطاع بحمد وخشونة من غير تخذيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا ﴿وقرن في بيوتكن﴾ أمر من قريقر من باب علم وأصله اقرن فحذفت الراء الاولى وألقت فتحتها على ما قبلها كما في قولك ظنن أو من قاريقار اذا اجتمع وقرى بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر وأصله أقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد أو من قريقر حذفت احدى راءى اقرن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظنن ﴿ولا تبرجن﴾ أي لا تتبخترن في مشيكن ﴿تبرج الجاهلية الاولى﴾ أي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود

وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام لا في الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر ﴿وأقمن الصلوة وآتين الزكاة﴾ أمرن بهما لانا فتهما على غيرهما وكونهما أصلي الطاعة البدنية والمالية ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ أى في كل ما تأتقن وما تذرن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ أى الذنب المندس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء أو المدح ﴿أهل البيت﴾ مراد بهم من حواهم بيت النبوة ﴿ويطهركم﴾ من أوضار الاو زار والمعاصي ﴿تطهيرا﴾ بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بيّنة وحجة نيرة على كون نساء النبي عليه الصلاة والسلام من أهل بيته قاضية بطلان رأى الشيعة في تخصيصهم أهلية البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم وأما ما تمسكوا به من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود وجلس فأنت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فأتى ما يدل على كونهم من أهل البيت لا على أن من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالاته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص ﴿واذ كرن مايتلى في بيوتكن﴾ أى اذ كرن للناس بطريق العظة والتذكير مايتلى في بيوتكن ﴿من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منظومة على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما أنعم عليهم حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع أنه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالى لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما الصلاة والسلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلما وتعلما ﴿ان الله كان لطيفا خبيرا﴾ يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته ﴿ان المسلمين والمسلمات﴾ أى الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث ﴿والمؤمنين والمؤمنات﴾ المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين ﴿والقاتنين والقاتنات﴾ المداومين على الطاعات الفأمين بهما ﴿والصادقين والصادقات﴾ في القول والعمل ﴿والصابرين والصابرات﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ﴿والمصدقين والمتصدقات﴾ بما وجب في مالهم ﴿والصائمين والصائمات﴾ الصوم المفروض ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ عن الحرام ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ بقلوبهم وأستهم ﴿أعد الله لهم﴾ بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة ﴿مغفرة﴾ لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحة ﴿وأجرا عظيما﴾ على ما صدر عنهم من الطاعات والآيات وعدلن ولأمثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روى أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة أم سلمة وروى أنه لما نزل في نساء النبي عليه الصلاة والسلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فيناشي فنزلت وعطف الاناث على الذكور لا اختلاف الجنسين وهو ضروري وأما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله

تعالى مسلمات مؤمنات وفائده الدلالة على أن مدار اعداد ما أعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ أى ماصح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات ﴿ اذا قضى الله ورسوله أمرا ﴾ أى اذا قضى رسول الله وذكرا لله تعالى لتعظيم أمره عليه الصلاة والسلام أو الاشعار بأن قضاءه عليه الصلاة والسلام قضاء الله عز وجل لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبنت هي وأخوها عبد الله وقيل في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهبت نفسها للنبي عليه الصلاة والسلام فزوجها من زيد فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا رسول الله فزوجنا عبده ﴿ أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ أن يختاروا من أمرهم ما شاؤا بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه عليه الصلاة والسلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فى أمر من الأمور ويعمل فيه برأيه ﴿ فقد ضل ﴾ طريق الحق ﴿ ضلالاً مبيناً ﴾ أى بين الانحراف عن سنن الصواب ﴿ واذا نقول ﴾ أى واذا ذكر وقت قولك ﴿ للذى أنعم الله عليه ﴾ بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التى من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وإيراده بالعنوان المذكور ليبان منافاة حاله لما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من اظهار خلاف ما فى ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء أو الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور فى حق زيد ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ أى زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقع فى نفسه حالة جلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحانه الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد فقطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحتها فأتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك ﴿ واتق الله ﴾ فى أمرها فلا تطلقها اضراها وتعللاً بتكبرها ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾ وهو نكاحها ان طلقها أو ارادة طلاقها ﴿ وتخشى الناس ﴾ تعييرهم اياك به ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قاله الناس واظهار ما ينافى اضماره فان الأولى فى أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر الى ربه ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً ﴾ بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك ﴿ زوجناكها ﴾ وقرئ زوجتكم والمراد الأمر بتزويجها منه عليه الصلاة والسلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى ته لى نكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن وقيل كان زيد السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه ﴿ لكيلا يكون على المؤمنين حرج ﴾ ضيق ومشقة ﴿ فى أزواج أدعيائهم ﴾ أى فى حق تزويجهم ﴿ اذا قضوا منهن وطراً ﴾ فان لهم فى رسول الله أسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه عليه الصلاة والسلام وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل ﴿ وكان أمر الله ﴾ أى ما يريد تكوينه من الأمور أو مأموره الحاصل بكن ﴿ مفعولاً ﴾ مكوناً لمحاللة اعتراض تذييل مقرر لما قبله ﴿ ما كان على النبي من حرج ﴾ أى ماصح وما استقام فى الحكمة أن يكون له ضيق ﴿ فيما فرض الله له ﴾ أى قسم له وقدر من قولهم فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العساكر لا عطياتهم ﴿ سنة الله ﴾ اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تراباً وجندلاً مؤكداً لما قبله من نبي الحرج أى سن الله ذلك سنة ﴿ فى الذين خلوا ﴾ مضوا ﴿ من قبل ﴾ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم فى باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود

عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية واسلمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ أى قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجارين مجرى الواحد لليسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه ﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرئ رسالة الله ﴿ويخشونه﴾ فى كل ما يأتون ويذرون لاسيما فى أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم ﴿ولا يخشون أحدا الا الله﴾ فى وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بمصدر عنه عليه الصلاة والسلام من الاحتراز عن لائمة الخاق بعد التصريح فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ كافيا للبخاوف فينبغى أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى ﴿ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم﴾ أى على الحقيقة حتى ثبت بينه وبينه ما ثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومها بكونه عليه الصلاة والسلام أبأ للظاهر والقاسم وابراهيم لأنهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له عليه الصلاة والسلام لا لهم ﴿ولكن رسول الله﴾ أى كان رسولا لله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب حياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا اولاد بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم - وى التقريب والاختصاص ﴿وخاتم النبيين﴾ أى كان آخرهم الذى ختموا به وقرئ بكسر التاء أى كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وأياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين كما يروى أنه قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته ﴿وكان الله بكل شئ عليما﴾ ومن جملة هذه الاحكام والحكم التى بينها لكم وكنتم منها فى شك مريب ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ﴿ذكرنا كثيرا﴾ يعم الأوقات والأحوال ﴿وسبحوه﴾ ونزهوه عما لا يليق به ﴿بكرة وأصيلا﴾ أى أول النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الأوقات بل لاثبات فضلها على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجها فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ﴿هو الذى يصلى عليكم﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبها تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى ﴿وملائكته﴾ عطف على المستكن فى يصلى لمكان الفصل المعنى عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن ادبهما معنى مجازى عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقى له أو الترحم والانعطاف المعنوى المأخوذ من الصلاة المشتمة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود ولا ريب فى أن استغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابى الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ﴿ليخرجكم من الظلمات الى النور﴾ متعلق يصلى أى يعتنى بأمورهم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زميرتهم رحيما

ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة أو كان بكم رحيا
على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمهر مدحا لهم واشعارا بعله الرحمة وقوله تعالى ﴿تحياتهم يوم يلقونه سلام﴾
بيان للأحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم الى الطاعة أى
ما يحبون به على أنه مصدر أضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم
عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة بشاره لهم بالجنة أو تكملة لهم كما فى قوله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم أو اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى ﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ بيان
لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل اشارة الجملة الفعلية على
الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلا وأجرهم أجر كريم أو ولهم أجر كريم للمبالغة فى الترغيب والتشويق الى الموعود
بيان أن الأجر الذى هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل
﴿يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا﴾ على من بعثت اليهم ترأب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتحمل منهم الشهادة بما صدر
عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم
وهو حال مقدرة ﴿ومبشرا ونذيرا﴾ تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار ﴿وداعيا الى الله﴾ أى الى
الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وأفعاله ﴿بأذنه﴾ أى بتيسيره أطلق عليه مجازا لما
أنه من أسبابه وقيد به الدعوة ايدانا بأنها أمر صعب المنال وخطب فى غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من
جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجه عن القبل المعبوده وادخال للاعناق فى قلادة غير معهودة
﴿وسراجا منيرا﴾ يستضاء به فى ظلمات الجهل والغويا ويهتدى بأنواره الى مناهج الرشده والهداية
﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين
منهم ﴿بان لهم من الله فضلا كبيرا﴾ أى على مؤمنى سائر الامم فى الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق
التفضل والاحسان ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ نهى عن مداراتهم فى أمر الدعوة واستعمال لين الجانب فى
التبليغ والمسامحة فى الانذار كنى عن ذلك بالنهى عن طاعتهم مبالغة فى الزجر والتنفير عن المنهى عنه بنظمه فى سلكها
وتصويره بصورتها ومن حمل النهى على التهيج والالهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل ﴿ودع أذانهم﴾ أى لا تبال
بأذيتهم لك بسبب تصلبك فى الدعوة والانذار ﴿وتوكل على الله﴾ فى كل ما تاتى وما تذر من الشؤون التى من جملتها
هذا الشأن فانه تعالى يكفيكم ﴿وكفى بالله وكيلا﴾ موكولا اليه الامور فى كل الاحوال واظهار الاسم الجليل فى
موضع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذليل ولما وصف عليه الصلاة والسلام بنعوت خمسة
قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر
عليه وهو الامر بالتبشير حسبا ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهى عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة فى انذارهم كما
تحققته وقوبل الداعى الى الله بأذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل
السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهتدى الخلق
من ظلمات الغى الى نور الرشاد حقيق بأن يكتفى به عن كل ماسواه ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أى تجمعهن وقرىء تمسوهن بضم التاء ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ بأيام
يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تعتدونها﴾ تستوفون عددها من عدت الدراهم فاعتدها وحقيقته عددا لنفسه وكذلك كثرته

فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على أن العدة حق الازواج كما أشعر به قوله تعالى فما لكم وقرى تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلو الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابات للتنبه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطقه ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازا حة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب ﴿فتعوهن﴾ أى ان لم يكن مفروضاً لها في العقد فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي أخرى غير مستحبة ﴿وسرحوهن﴾ أخرجوهن من منازلكن اذ ليس لكن عليهن عدة ﴿سراحاً جميلاً﴾ من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السنى لانه انما يتسنى في المدخول بهن ﴿يا أيها النبي انا أحللت لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أى مهورهن فانها أجور الابضاع وابتاؤها اما اءطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وأياما كان تقييد الاحلال له عليه الصلاة والسلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديرى الدخول وعدمه بل لا يثار الا فضل والاولى له عليه الصلاة والسلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى ﴿وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾ ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه الصلاة والسلام خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فغذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء ﴿وامرأة مؤمنة﴾ بالنصب عطفا على مفعول أحللتنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرى بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى أحللتها لك أيضاً ﴿ان وهبت نفسها للنبي﴾ أى ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبي عنه تنكيرها لكن لا مطلقاً بل عند ارادته عليه الصلاة والسلام استنكاحها كما نطق به قوله عز وجل ﴿ان أراد النبي أن يستنكحها﴾ أى أن يتملك بضعها كذلك أى بلا مهر فان ذلك جار منه عليه الصلاة والسلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصاً في كون تملكها بلفظ الهبة لم يصلح أن يكون مناطاً للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجاباً أو سلباً واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وياراده عليه الصلاة والسلام في الموضوعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للكرمة والايذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه الصلاة والسلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى ﴿خالصة لك﴾ أى خلص لك احلالها خالصة أى خلوصاً فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة أو خلص لك احلال ما أحللتنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى ﴿من دون المؤمنين﴾ على الاول أن الاحلال المذكور في المسألة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثانى أن احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المحدود على الوجه المعهود وقرى خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ذلك خلوص لك وخصوصاً أو هى أى تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أى على المؤمنين ﴿فى أزواجهم﴾ أى فى حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من

شروط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عليه الصلاة والسلام تكرمة له وتوسعة عليه أى قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم فى حق أزواجهم ﴿وما ملكت أيما نهم﴾ وعلى أى حد وأى صفة يحق أن يفرض عليهم فقرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه الصلاة والسلام لا باعتبار اختصاصه به عليه الصلاة والسلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثانى الذى هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره ﴿وكان الله غفورا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رحيما﴾ ولذلك وسع الامر فى مواقع الحرج ﴿ترجى من تشاء منهم﴾ أى تؤخرها وتترك مضاجعتها ﴿وتؤوى اليك من تشاء﴾ وتضم اليك من تشاء منهم وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهم وتمسك من تشاء وقرى ترجى بالهمزة والمعنى واحد ﴿ومن ابتغيت﴾ أى طلبت ﴿من عزلت﴾ طلقت بالرجعة ﴿فلا جناح عليك﴾ فى شئ مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق أو يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق فاما أن يخلى المعزولة أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهم سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لمن ماشاء كما شاء وكانت مما آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وأرجى خمسها وآوى أربعا وروى أنه كان يسوى بينهن مع ما أطلق له وخير الاسودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنهن وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ﴿أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتين كلهن﴾ أى أقرب الى قرّة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضيلا منك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرى تقر بضم التاء ونصب أعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرى بالنصب على أنه تأكيد لهن ﴿والله يعلم ما فى قلوبكم﴾ من الضمائر والخواطر فاجتهدوا فى احسانها ﴿وكان الله عليما﴾ مبالغا فى العلم فيعلم كل ما تبدونه وتحفونه ﴿حليما﴾ لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال ﴿لا يحل لك النساء﴾ بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى ولوجود الفصل وقرى بالتاء ﴿من بعد﴾ أى من بعد التسع وهو فى حقّه كالاربع فى حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترتك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما توتيتهن من الوصل والهجران ﴿ولا أن تبدل﴾ أى تبدل بمحذوف احدى التائين ﴿بهن﴾ أى هؤلاء التسع ﴿من أزواج﴾ بأن تطلق واحدة منهم وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق أراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفى عليه الصلاة والسلام عنهن وهن عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وصفية بنت حيى الخيرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي أحللناهن لك بالصفة التى تقدم ذكرها من الاعرايات والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح وبأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبديل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذى ليس من الوظائف البشرية ﴿ولو أعجبك حسنهن﴾ أى حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج انوغله فى التنكير قيل تقديره مفروضا أعجبك بهن وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم وقيل هى أسما بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب أى هى من أعجبه عليه الصلاة والسلام حسنهن واختلف فى أن الآية محكمة أو منسوخة قيل

بقوله تعالى ترجى من تشاء منهم وتؤوى اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا أحللتنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال أنس رضي الله عنه مات عليه الصلاة والسلام على التحريم ﴿الامام ملك يمينك﴾ استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء وقيل منقطع ﴿وكان الله على كل شيء رقيبا﴾ حافظا مهمينا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي عليه الصلاة والسلام اثر بيان ما يجب مراعاته عليه عليه الصلاة والسلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى ﴿الا أن يؤذن لكم﴾ استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من أعم الاوقات أى لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بأن النجاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك أن يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى ﴿الى طعام﴾ متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعره قوله تعالى ﴿غير ناظرين اناه﴾ أى غير منتظرين وقته أو ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على أن الاستثناء واقع على الوقت والحال معاً عند من يجوزه أو من المجرور وفي لكم وقرىء بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساخلة عند البصريين وقرىء بالامالة لأنه مصدر أى الطعام أى أدرك ﴿ولكن اذا دعيتم فادخلوا﴾ استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه ﴿فاذا طعمتم فانثروا﴾ ففارقوا ولا تلبثوا لأنه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي عليه الصلاة والسلام فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم والامام جاز لا حد أن يدخل بيوته عليه الصلاة والسلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لأمرهم ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أى لحديث بعضهم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أى ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين الخ ﴿ان ذلكم﴾ أى الاستئناس الذى كنتم تفعلونه من قبل ﴿كان يؤذى النبي﴾ لتضييق المنزل عليه وعلى أهله واجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصدده عن الاشتغال بما يعنيه ﴿فيستحي منكم﴾ أى من اخرجكم لقوله تعالى ﴿والله لا يستحي من الحق﴾ فانه يستدعى أن يكون المستحي منه أمرا حقا متعلقا بهم لا أنفسهم وما ذاك الا اخرجهم فينبغي أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للشاكلة وقرىء لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها ﴿واذا سألموهن﴾ الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام ﴿متاعا﴾ أى شيئا يتمتع به من الماعون وغيره ﴿فاسألوهن﴾ أى المتاع ﴿من وراء حجاب﴾ أى ستر روى أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصاب يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت ﴿ذلكم﴾ أى ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب ﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ أى أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية ﴿وما كان لكم﴾ أى وما صح وما استقام لكم ﴿أن تؤذوا رسول الله﴾ أى أن تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا﴾ أى من بعد وفاته أو فراقه ﴿ان ذلكم﴾ اشارة الى ما ذكر من ايدائه عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايدان بعدم منزلته في الشر والفساد ﴿كان عند الله عظيما﴾ أى أمرا عظيما وخطبا

هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمة حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ﴿ان تبدوا شيئا﴾ مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم ﴿أو تخفوه﴾ في صدوركم ﴿فان الله كان بكل شيء عليما﴾ فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن﴾ استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والحال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أبا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق لأنه اكتفى عن ذكرهما بذكر أبناء الاخوة وأبناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهما وبين الفر يقين عين ما بينهما وبين العم والحال من العمومة والخوة لما أنهن عمات لأبناء الاخوة وخالات لأبناء الاخوات وقيل لأنه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما ﴿ولانسائهن﴾ أي نساء المؤمنات ﴿ولاماملكت أيمانهن﴾ من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدم في سورة النور ﴿واتقين الله﴾ في كل ماتأتن وماتذرن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه ﴿ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت في علمه الاحوال ﴿ان الله وملائكته بالرفع عطفًا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملًا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأى البصريين﴾ يصلون على النبي ﴿قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد أن الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يبركون وقال أبو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعائهم فينبغي أن يراد بها في يصلون معنى مجازى عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له أى يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ اعتنوا أتم أيضا بذلك فانكم أولى به ﴿وسلبوا تسليما﴾ قائلين اللهم صل على محمد وسلم أو نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وقوله عليه الصلاة والسلام من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله و يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال وكل الله تعالى في ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على الا قال ذاك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلى على الا قال ذاك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه الصلاة والسلام أن يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع وأما الصلاة عليه في الصلاة بأن يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه الله أن الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا وأما الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فنجوز تبعًا وتكره استقلالاً لأنه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ﴿ان الذين يؤذون

الله ورسوله ﴿أريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذى في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يدالله مغلوله وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقيل قول الذين ياحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه الصلاة والسلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وأن ايذائه عليه الصلاة والسلام ايذاء له سبحانه ﴿لعنهم الله﴾ طردهم وأبعدهم من رحمته ﴿في الدنيا والآخرة﴾ بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئاً منها ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿عذاباً مهيناً﴾ يصيبهم في الآخرة خاصة ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾ يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل وتقييده بقوله تعالى ﴿بغير ما اكتسبوا﴾ أى بغير جنائية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق وأما أذى هؤلاء فمنه ومنه ﴿فقد احتملوا بهتاناً وأثماً مبيناً﴾ أى ظاهراً بيناً قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون علياً رضى الله عنه ويسمعونه مالا خير فيه وقيل في أهل الافك وقال الضحاك والكبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضاً جهلاً أو تجاهلاً لاتحاد الكل في الزى واللباس والظاهر عمومهم لكل ما ذكر ولما سيأتى من أراجيف المرجفين ﴿يا أيها النبي﴾ بعد ما بين سوء حال المؤذنين زجرأ لهم عن الايذاء أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يأمر بعض المتأذنين منهم بما يدفع ايذاهم في الجملة من الستر والتميز عن مواقع الايذاء ف قيل ﴿قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ الجلابيب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل يتستر به أى يغطي بها وجوههن وأبدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبويض لما مر من أن المعهود التلغف يعضها وارخاء بعضها وعن السدى تغطي إحدى عينيها وجهتها والشق الآخر الا العين ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من التغطى ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يعرفن﴾ ويميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهن وايذائهم ﴿فلا يؤذين﴾ من جهة أهل الرية بالتعرض لهن ﴿وكان الله غفوراً﴾ لما سلف منهم من التفريط ﴿رحيماً﴾ بعباده حيث يراعى من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات ﴿أئن لم ينته المنافقون﴾ عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للايذاء ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ عما هم عليه من الزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه ﴿والمرجفون في المدينة﴾ من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملفقة المستتبعة للاذية وأصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة ﴿لنغرينك بهم﴾ لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو بما يضطرمهم الى الجلاء ولنحرصنك على ذلك ﴿ثم لا يجاورونك﴾ عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه الصلاة والسلام أعظم ما يصيبهم ﴿فيها﴾ أى في المدينة ﴿الا قليلاً﴾ زماناً أو جواراً قليلاً ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ﴿ملعونين﴾ نصب على الشتم أو الحال على أن الاستثناء وارد عليه أيضاً على رأى من يجوز كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى ﴿أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أى سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وهى أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا في توهين أمرهم بالارجاف ونحوه أينما

ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أصلا لا بتبائها على أساس الحكمة التي عليها يدور ذلك التشريع ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه الصلاة والسلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى ﴿وما يدريك﴾ خطاب مستقل له عليه الصلاة والسلام غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المحي عن قريب أي شيء يعلمك بوقت قيامها أي لا يعلمك به شيء أصلا ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أي شيئا قريبا أو تكون الساعة في وقت قريب واتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة في معنى اليوم أو الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيك للمتعتنين والاطهار في حيز الاضمار للنهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير اليه ﴿ان الله لعن الكافرين﴾ على الاطلاق أي طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿سعييرا﴾ نارا شديدة الانتقاد يقاسونها في الآخرة ﴿خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا﴾ يحفظهم ﴿ولا نصيرا﴾ يخلصهم منها ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لا ذكر أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كلهم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة أو من حال الى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بخذف احدى التائين من تتقلب وتقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الاعضاء فقيه مزيد تفضيع للامر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى ﴿يقولون﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿يأيتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ فلا نبتي بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل في يوم ﴿وقالوا﴾ عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشني بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ﴿ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والافهم في مقام التحقير والاهانة ﴿فأضلونا السبيلا﴾ بما زينا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق كما في وأطعنا الرسولا ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ أي مثلي العذاب الذي آتيتاه لانهم ضلوا وأضلوا ﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾ أي شديدا عظيما وقرئ كثير أو تصدير الدعاء بالنداء مكررا للبالغ في الجوار واستدعاء الاجابة ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ أي فأظهر براءته عليه الصلاة والسلام بما قالوا في حقه أي من مضمونه ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بأن دفع اليها مالا عظيما فأظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بأن أقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل قارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هرون عند خروجه معه الى الطور فأتته الملائكة وهروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياء الله تعالى فأخبرهم ببرأته وقيل قذفوه بغيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على براءته بأن فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة ﴿وكان عند الله وجيها﴾ ذا قرينة ووجهة وقرئ وكان عبد الله

وجيها ﴿يأياها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أى فى كل ماتأتون وما تذرون لاسيما فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿وقولوا﴾ فى كل شأن من الشئون ﴿قولا سديدا﴾ قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والاثابة عليها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فى الأوامر والنواهي التى من جملتها هذه التكليفات ﴿فقد فاز﴾ فى الدارين ﴿فوزا عظيما﴾ لا يقادر قدره ولا يباغ غايته ﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان ما ل الخارجين عنها من العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك بيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الايدان بأن ماصدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد قبول والالتزام وعبر عنها بالأمانة تنبها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين واثمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير اخلال بشئ من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لظاهر مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة فى قبولها لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتحويل أمرها وترية نغامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التى يستعمل فيها القوى الجسمانية التى أشدها وأعظمها مافيهن من القوة والشدة والمعنى أن تلك الأمانة فى عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التى هى مثل فى القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لأبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سنه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه ﴿وحملها الانسان﴾ أى عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعدادها أو بتكليفه اياها يوم الميثاق أى تكلفها والتزمها مع مافيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبولها بموجب استعدادها الفطرى أو عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى ﴿انه كان ظلوما جهولا﴾ اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايدان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغيا فى الجمل أى بحسب غالب أفراد الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترفهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الأول أشير بقوله عز وجل ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ أى حملها الانسان ليعذب الله بعض أفراد الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضاله من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض أفراد ترتب الاغراض على الأفعال المعللة بها أبرز فى معرض الغرض أى كان عاقبة حمل الانسان لها أن يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراد لحياتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثانى أشير بقوله تعالى ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ أى كان عاقبة حملها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراد أى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافهم لما فرط منهم من فرطات قلبا يخلوعها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والاثابة والاتفات الى الاسم الجليل أو لتحويل الخطب وترية المهابة والظهار فى موقع الاضمار ثانيا لابرار مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه والله تعالى أعلم وجعل الأمانة التى شأنها أن تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التى هى من أفعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام

على تقرير الوعد الكريم الذى ينبى عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بحمل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بأن من قام بحقوق مثل هذا الأمر العظيم الشأن وراعاها فهو جدير بأن يفوز بخير الدارين بأباه وصفه بالظلم والجمل أولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالأمانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها فيكون الإباء امتناعا عن الخيانة وأتينا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمتها وقوتها أبين الخيانة لأمانتها وأتينا بما أمرناهن به كقوله تعالى أتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يأت بما أمرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خاق هذه الاجرام خاق فيها فهما وقال لها انى فرضت فریضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونار لمن عصانى فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فریضة ولا نبغى ثوابا ولا نعقابا ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحملة ما يشق عليها جهولا وبوخامة عاقبته وقيل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية هذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف (وكان الله غفورا رحیما) مبالغا فى المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأتاب بالفوز على طاعاتهم . قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله وماملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر والله أعلم

سورة سبا

(مكية وقيل الا ويرى الذين أوتوا العلم الآية وهى خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والامانة جميع ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتيهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر فى آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراد به تعالى على ما بين فى فاتحة الكتاب ببيان تفرد به تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ماسواه من الموجودات التى من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها فى حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذى مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراد به تعالى وقوله تعالى (وله الحمد فى الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الآخرى به تعالى ثم بيان اختصاص الدينوى به على أن الجار متعلق اما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه فى الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه فى الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضا فيها بل ليعم النعم الآخرى كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤا من الجنة وقوله تعالى الذى أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدينوى كما فى قوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا أى لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتى الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثانى على وجه التلذذ والاعتباط وقد ورد فى الخبر أنهم يلهمون

التسبيح كما يلمون النفس ﴿وهو الحكيم﴾ الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة ﴿الخبير﴾
 بيوطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى ﴿يعلم ما يلج في الارض﴾ الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي
 نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أى يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدقائق والاموات ونحوها ﴿وما يخرج
 منها﴾ كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها ﴿وما ينزل من السماء﴾ كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ
 وما نزل بالتشديد ونون العظمة ﴿وما يعرج فيها﴾ كالملائكة وأعمال العباد والابخرة والادخنة ﴿وهو الرحيم﴾
 للحامدين على ما ذكر من نعمه ﴿الغفور﴾ للفرطين في ذلك بلطفه وكرمه ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾
 أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لأنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنبي آتياها نبي وجودها بالكلية لا عدم
 حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون بآتيانها ولان وجود الامور الزمانية
 المستقبلية لاسيما أجزاء الزمان لا يكون الا بالآتيان والحضور وقيل هو استبطاء لا آتيانها الموعود بطريق الهز والسخرية
 كقولهم متى هذا الوعد ﴿قل بلى﴾ رد لكلامهم واثبات لما نقوه على معنى ليس الامر الا آتيانها وقوله تعالى
 ﴿وربى لتأتينكم﴾ تأكيد له على اتم الوجوه وأكملها وقرئ لآتيتكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى
 ﴿عالم الغيب﴾ الخ امداد للتأكيد وتسديد له اثر تسديد وكسر لسورة تكبيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلال
 نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما أن ذلك في حكم الاستشهاد على
 الامر ولا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلا كانت الشهادة أكد وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت
 وأولى لاسيما اذا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذى أشهر
 أفراده وأدخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر
 بهذه المرتبة من اليقين أن لا يبقى للبعادين عذرا أصلا فانهم كانوا يعرفون أماتته وزاھته عن وصمة الكذب فضلا
 عن اليقين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ﴿لا يعزب
 عنه﴾ أى لا يبعد وقرئ بكسر الزاى ﴿مقال ذرة﴾ مقدار أصغر نملة ﴿في السموات ولا في الارض﴾ أى كائنة
 فيهما ﴿ولا أصغر من ذلك﴾ أى من مثقال ذرة ﴿ولا أكبر﴾ أى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى
 ﴿الا في كتاب مبين﴾ هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفي
 الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح في حيز الجر لا امتناع الصرف لما أن
 الاستثناء يمنع الا أن يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزة للبطل العين له فيكون المعنى
 لا ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا في اللوح ﴿ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات﴾ علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان
 لما يقتضى آتيانها ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايدان
 يمد منزلتهم في الفضل والشرف أى أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿مغفرة﴾ لما فرط
 منهم من بعض فرطات قلبا يخلو عنها البشر ﴿ورزق كريم﴾ لا تعب فيه ولا من عليه ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾
 بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها ﴿معاجزين﴾ أى مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين أى مثبطين عن
 الايمان من أرادته ﴿أولئك لهم عذاب﴾ الكلام فيه كالذى مر آنفا ومن في قوله تعالى ﴿من رجز﴾ للبيان قال قتادة
 رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب أى أولئك الساعون لهم عذاب من جنس
 سوء العذاب شديد الايلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ أى يعلم أولو العلم من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايهم من علماء الامة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم ﴿الذى أنزل اليك من ربك﴾ أى القرآن ﴿هو الحق﴾ بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الأول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثانى ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسروق للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفا على يحزى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة معانيته أنه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولى العلم من لم يؤمن من الاخبار أى ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ﴿ويهدى﴾ عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويله كما فى قوله تعالى صفات وية بضن أى وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك الحق وهاديا ﴿الى صراط العزيز الحميد﴾ الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذى أنزل على اضممار مبتدأ أى وهو يهدى كما فى قول من قال نجوت وأرهمهم مالكا ﴿وقال الذين كفروا﴾ هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يعنون به النبى عليه الصلاة والسلام وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قائلهم الله تعالى ﴿ينبئكم﴾ أى يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم من الانباء ﴿اذا مرقم كل مرق﴾ أى اذا متم ورمزت أجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا ﴿انكم لفي خلق جديد﴾ أى مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا للاشباع فى الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لانفسه لما أن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساخ الثوب اذا قطعه ثم شاع ﴿أفترى على الله كذبا﴾ فيما قاله ﴿أم به جنة﴾ أى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد﴾ جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هم فى كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذى هو الجنون حقيقة وفيما يودى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقرولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجهه ويستتبعه للسارعة الى بيان ما يسوؤهم ويفت فى أعضادهم والاشعار بغاية سرعة تربه عليه كأنه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذى هو وصف الضلال للبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترأوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى ﴿أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ استئناف مسوق لتحويل ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام وأنه من العظام الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أظنع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ﴿ان نشأ﴾ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به أى أفعلا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جنائياتهم ﴿نخسف بهم الأرض﴾ كما خسفناها بقارون ﴿أو نسقط عليهم كسفا﴾ أى قطعنا ﴿من السماء﴾ كما أسقطناها على

أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هي وإن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله وكسفا بسكون السين ﴿ان في ذلك﴾ أى فيما ذكر من السماء والأرض من حيث احاطتهما بالنظر من جميع الجوانب أو فيما تلى من الوحي الناطق بما ذكر ﴿لاية﴾ واضحة ﴿لكل عبد منيب﴾ شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما أو فى الوحي المذكور ينزجر عن تعاطى القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ أى آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه الصلاة والسلام أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتكثيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما فى قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديره على المقعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبه فاذا وردها يتمكن عندها فضل تمكن ﴿يا جبال أوبى معه﴾ من التأويب أى رجعى معه التسييح أو النوحه على الذنب وذلك اما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة أو بأن يتمثل له ذلك وقرئ أوبى من الاوب أى ارجعى معه فى التسييح كما رجع فيه وكان كلما سبج عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسيح معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتخزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وهو يدل من آتيناه باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا ﴿والطير﴾ بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخر ناله الطير لان آتيناه اياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف أى تسييح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى مالا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والاول هو الوجه وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه مامن حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير متمتع على ارادته من الفخامة العربية عن غاية عظمة شأنه تعالى وكال كبرياء سلطانه مالا يخفى على أولى الالباب ﴿والناله الحديد﴾ أى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احما بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة الى قوته التى آتيناه اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ﴿أن اعمل﴾ أمرناه أن اعمل على أن أن مصدرية حذف عنها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لا يخفى ﴿سابغات﴾ واسعات وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بنى اسرائيل يخرج متكررا فيسأل الناس ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريغ داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء ﴿وقدر فى السرد﴾ السرد نسج الدروع أى اقتصد فى نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر فى مساميرها فلا تعملها دقا ولا غلاظا ورد بأن دروعه عليه الصلاة والسلام لم تكن مسمرة كما ينبنى عنه إلا به الحديد وقيل معنى قدر فى السرد لا تصرف جميع

أوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى ﴿واعملوا الصالحات﴾
عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولاهله ﴿انني بما تعملون بصير﴾ تعليل للامر
أول وجوب الامثال به ﴿ولسليمان الريح﴾ أي وسخر ناله الريح وقرى برفع الريح أي ولسليمان الريح مسخرة
وقرى الريح ﴿غدوها شهر ورواحها شهر﴾ أي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة امام استأنفة أحوال
من الريح وقرى غدوتها وروحها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أي من دمشق فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون
رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه
بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بيناه ومبذاه وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه
فبايتون بالشأم ان شاء الله تعالى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود
عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من ينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام
وقوله تعالى ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه﴾ اما جملة من مبتدا وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال
متقدمة ﴿بأذن ربه﴾ بأمره تعالى كما ينهى عنه قوله تعالى ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أي ومن يعدل منهم عما
أمرناه به من طاعة سليمان وقرى يزغ على البناء للمفعول من أزاعه ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ أي عذاب النار
في الآخرة روى عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى
﴿يعملون له ما يشاء﴾ تفصيل لما ذكره من عملهم وقوله تعالى ﴿من محاريب﴾ الحيطان لما يشاء أي من قصور
حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد ﴿وتماثيل﴾ وصور الملائكة
والانبياء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حيثما في المساجد ليراه الناس ويعبدوا مثل عباداتهم
وحرمه التصاوير شرع جديد وروى أنهم عملوا أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط
الاسدان ذراعيهما وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما ﴿وجفان﴾ جمع جفنة وهي الصحيفة ﴿كالجواب﴾ كالحياض
الكبار جمع جابية من الجابية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرى بآثبات الياء قيل كان يقعد على
الجفنة ألف رجل ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ حكاية
لما قيل لهم وشكرا نصب على أنه مفعول له أو مصدر لا عملوا لان العمل للمنع شكر له أو لفعله المحذوف أي اشكروا
شكرا أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعملوا شكرا ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه
ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك
قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى أنه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تاتي ساعة
من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أي على سليمان عليه السلام ﴿مادهم﴾
أي الجن أو آله ﴿على موته الا دابة الأرض﴾ أي الأرض أضيفت الى فعلها وقرى بفتح الراء وهو تأثر الخشب من فعلها
يقال أرضت الأرض الخشب أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوارح أسنانه أكلت أكلأ ﴿تأكل منسأته﴾ أي
عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرى منسأته بألف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة
وباخر اجها بين بين عند الوقوف ومنسأته على مفعالة كميضأة في ميضأة ومنسأته أي من طرف عصاه من سأة القوس وفيه
لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرى أكلت منسأته ﴿فلما خرت بينت الجن﴾ من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك
أي علمت الجن علمنا بعد التباس الأمر عليهم ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي أنهم لو كانوا

يعلمون الغيب كما يزعمون لعلو ماوته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيرها الى أن خر أو من دين الشيء إذا ظهر وتجلي أي ظهرت الجن وأن مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تيننت الجن على البناء للبعول على أن المتبين في الحقيقة هو أن مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تيننت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تيننت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس في موضع نسيه الله موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروا حتى اذا حان أجله وعلم به سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك وهم فيما أمروا به من الاعمال حتى أكلت الارضة عصاه فخرميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فربه يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا عصاه قد أكلتها الارضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربعة مئين من ملكه (لقد كان لسبا) بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثنى احوال الشاكرين لها أي لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرئ بقاب الهمزة الفاعل ولله اخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرئ بكسر السكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع أي مواضع سكنهم وهي بالين يقال لها ما رب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال (آية) دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازى للمحسن والمسي معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف أي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أي بلدكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ السكل بالنصب على المدح قبل كان أطيب البلاد هوا وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل يديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهوام شيء (فأعرضوا) عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قبل أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم الى الله تعالى وذكرهم بعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم (فأرسانا عليهم سيل العرم) أي سبل الامر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملائكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الاعمي الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سددهم فبقية فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم

بسكون الرأ قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليم بالصلاة والسلام ﴿وبدلناهم بجنتيهم﴾ أي أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلها ﴿جنتين ذواتي أكل حط﴾ أي ثمر بشع فإن الخط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحادض والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الحشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك أو كل شجر ذي شوك والتقدير أكل كل حط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرئ أكل حط بالاضافة وتخفيف أكل ﴿وأثل وشيء من سدر قليل﴾ معطوفان على أكل لا على حط فإن الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرئ وأثلا وشيا عطفًا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فضيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البديل جنتين للشاكلة والتمكيم ﴿ذلك﴾ إشارة الى مصدر قوله تعالى ﴿جزيناهم﴾ أو الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايدان بعد رتبته في الفضاعة ومحله على الاول نصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني نصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك الجزء الفطيع جزيناهم لاجزاء آخر أو ذلك التبديل جزيناهم لا غيره ﴿بما كفروا﴾ بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسول ﴿وهل نجازي الا الكفور﴾ أي وما نجازي هذا الجزء الا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازي على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ حكاية لما أوتوا من النعم البادية في مسائرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكلمة لقصتهم وبيان لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معالما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزئها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين ﴿قرى ظاهرة﴾ متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو رابكة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في أخرى والرائح منها يبيت في أخرى الى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أوتوا من أنواع النعم وتوفيرا لها في الحضر والسفر ﴿سيروا فيها﴾ على ارادة القول أي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ﴿ليالي وأياما﴾ أي متى شئتم من الليالي والأيام ﴿آمنين﴾ من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفرهم وامتدت ليالي وأياما كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعمارهم وأيامها لا تلقون فيها الا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مبادئه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ وقرئ ياربنا بطروا النعمة وشموا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مغاوير وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتناولوا فيها على الفقراء فجعل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها دأع ولا يحجب وقرئ بعد وربنا بعد بين

أسفارناو بعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفع به كما يقال سير فرسخان و بعد بين أسفارنا وقرى ر بنا بعد بين أسفارنا و بين سفرناو بعد بر فعر بنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها أو دنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه ﴿وظلموا أنفسهم﴾ حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها ﴿جعلناهم أحاديث﴾ أى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومألهم ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أى فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفى عبارة التزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى أى مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الأمثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشأم وأنمار يثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وأصل قصتهم على ما رواه السكبي عن أبى صالح أن عمرو بن عمرو بن عامر من أولاد سبا وبينهما اثنا عشر أبوا هو الذى يقال له مزقيا ابن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتفريق سيل العرم الجنتين وعن أبى زيد الانصارى أن عمرا رأى جرزا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهنته فباع أملاكه وسار بقومه وهم أولف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وماحولها فى قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشأم فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشأم وانخرعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن عامر وهو لحنى فولى أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم أولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحو لهم فأذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفى سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن سبا فقال عليه الصلاة والسلام هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحير وأنمار منهم بحيلة وخنعم وأربعة منهم سكنوا الشأم وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هاجت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج يثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فالفوا الاوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف آخر منهم بالشأم وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتوخ وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسبان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضر موت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاة فختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى أعلم ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصتهم ﴿آيات﴾ عظيمة ﴿لكل صبار شكور﴾ أى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المستفعدون بها ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه﴾ أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرى بالتخفيف أى صدق فى ظنه أو صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لأنه نوع من القول وقرى بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواءهم وبرفعهما والتخفيف

على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهما كهم في الشهوات أو ببني آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لأضلنهم ولأغوينهم ﴿فاتبعوه﴾ أى أهل سبأ أو الناس ﴿الافريقا من المؤمنين﴾ الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الافريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ أى تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى ﴿الانعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة أى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علما بمن يؤمن بالآخرة متميزا بمن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء أو الا ليمتيز المؤمن من الشاك أو الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه بمبالغة ﴿وربك على كل شىء حفيظ﴾ أى محافظ عليه فان فعلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان ﴿قل﴾ أى للمشركين اظهارا لبطان ما هم عاينه وتبكيتهما ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الأول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفة أعتى قوله تعالى ﴿من دون الله﴾ مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لأنه لا ياتى مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه والمعنى ادعوه فيما يهملكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلمهم يستجيون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال ﴿لا يملكون مثقال ذرة﴾ من خير وشر ونفع وضر ﴿فى السموات ولا فى الارض﴾ أى فى أمر ما من الامور وذكروهما للتعميم عرفا ولأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أو لأن الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم ﴿وما لهم﴾ أى لآلهتهم ﴿فيهما من شرك﴾ أى شركة لخلقها ولا ملكا ولا تصرفا ﴿وماله﴾ أى لله تعالى ﴿منهم﴾ من آلهتهم ﴿من ظهير﴾ يعينه فى تدبير أمرهما ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ أى لا توجد رأسا كما فى قوله ولا ترى الضب بها ينحجر لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وانما علق النبي بنفعها لا بوقوعها تصريحاً بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى ﴿الا لمن أذن له﴾ استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا تنفع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كائنه لمن أذن له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن فى الشفاعة لجحد لا يعقل ولا ينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أو لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها فى حال من الاحوال الا كائنه لمن أذن له أى لاجله وفى شأنه من المستحقين للشفاعة وأما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حيث حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلا أن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى وقرئ أذن له مبنيًا للمفعول ﴿حتى اذا فرغ عن قلوبهم﴾ أى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفريع عن قلوبهم بألف منزل والتفريع ازالة الفرع ثم ترك ذكر الفرع وأسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما يبنى عنه ماقبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقبل يترصدون فى موقف

الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة **﴿ قالوا ﴾** أى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بأمره **﴿ ماذا قال ربكم ﴾** أى فى شأن الاذن **﴿ قالوا ﴾** أى الشفعاء لأنهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة **﴿ الحق ﴾** أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا أى ما قاله الحق **﴿ وهو العلى الكبير ﴾** من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظيمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لأحد من أشراف الخلاق أن يتكلم الا بأذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفى الوجع عنها وأفى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شئ وهو من الاسناد المجازى لأن الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاذه فأسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء وأصله فرغ الوجع عنها أى اتقى عنها وفى ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ ارتفع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها **﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض ﴾** أمر عليه الصلاة والسلام بتبكيك المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرازق هو الله تعالى فافهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلغثمون أحيانا فى الجواب مخافة الالتزام قيل له عليه الصلاة والسلام **﴿ قل الله ﴾** اذ لا جواب سواه عندهم أيضا **﴿ وانا أوياكم على هدى أو فى ضلال مبين ﴾** أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى أدنى المراتب الامكانية لعل أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الألد وقرئ وانا أوياكم اما على هدى أو فى ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بأن الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس فى ظلام لا يرى شيا أو محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج منها **﴿ قل لا تسألون عما أجرنا ولا نسأل عما تعملون ﴾** وهذا أبلغ فى الانصاف وأبعد من الجدال والاعتساف حيث أسند فيه الاجرام وان أريد به الزلة وترك الاولى الى أنفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر **﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾** يوم القيامة عند الحشر والحساب **﴿ ثم يفتح بيننا بالحق ﴾** أى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحققين الجنة والمبطلين النار **﴿ وهو الفتاح ﴾** الحاكم الفصيل فى القضايا المتعلقة **﴿ العلم ﴾** بما ينبغى أن يقضى به **﴿ قل أرونى الذين ألحقتم ﴾** أى ألحقتموهم **﴿ به شركاء ﴾** أريد بأمرهم بارادة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطيئهم العظيم واطلاهم على بطلان رأيهم أى أرونيها لا نظر بأى صفة ألحقتموها بالله الذى ليس كمثل شئ فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيك لهم بعد الزام الحجة عليهم **﴿ كلا ﴾** ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة **﴿ بل هو الله العزيز الحكيم ﴾** أى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التى هى أخس الاشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما الله عز وعلا وللشأن كما فى قل هو الله أحد **﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس ﴾** أى الا ارسلنا عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم أو الا جامعهم فى الابلاغ فى حال من الكاف والتاء للبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور **﴿ بشيرا ونذيرا ﴾** ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهاهم على ما هم عليه من

الغى والضلال ﴿ويقولون﴾ من فرط جهلهم وغاية غيهم ﴿متى هذا الوعد﴾ بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعد بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ﴿ان كنتم صادقين﴾ مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ﴿قل لكم ميعاد يوم﴾ أى وعد يوم أو زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار أعنى للتعظيم ﴿لا تستأخرون عنه﴾ عند مفاجأته ﴿ساعة ولا تستقدمون﴾ صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز أن يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره ﴿وقال الذين كفروا لن تؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه﴾ أى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنهم يجدون نعمة فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيامة ﴿ولوترى اذ الظالمون﴾ المنكرون للبعث ﴿موقوفون عند ربهم﴾ أى فى موقف المحاسبة ﴿يرجع بعضهم الى بعض القول﴾ أى يتحاورون ويتراجعون القول ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ بدل من يرجع الخ أى يقول الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ فى الدنيا واستبعوهم فى الغى والضلال ﴿لولا أتم﴾ أى لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان ﴿لكننا مؤمنين﴾ باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا ﴿أنحن صددناكم عن الهدى بعداذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين أنهم هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين فى الاجرام ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا﴾ اضربا عن اضربهم وابطالا له ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فخذف المضاف اليه وأقيم مقامه الظرف اتساعا أو جعل ليهم ونهارهم ما كرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين أى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف اليه أو مكر عظيم على أنه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الاغواء مكرادائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكركم الاغواء فى الليل والنهار على ماسبق من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية أى بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار أى مكرادائما وقوله تعالى ﴿اذ تأمرونا﴾ ظرف للمكر أى بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا ﴿أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ على أن المراد بمكرهم اما نفس أمرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأى نعمة واما أمور آخر مقارنة لامرهم داعية الى الامثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أى أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير أو أظهرها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم ﴿وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا﴾ أى فى أعناقهم والاضمار فى موضع الاضمار للتنويه بذهمهم والتنبية على موجب أغلالهم ﴿هل يجوزون الا ما كانوا يعملون﴾ أى لا يجوزون الا جزءا ما كانوا يعملون أو الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار ﴿وما أرسلنا فى قرية﴾ من القرى ﴿من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا بأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قال مترفوها مثل ما قال مترفوا أهل مكة فى حقه

عليه الصلاة والسلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولو لأن المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهموها وعلى ذلك رأى الركيك بنوا أحكامهم ﴿وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعزيين﴾ أما بناء على انتفاء العذاب الآخرى رأسا أو على اعتقاد أنه تعالى أكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها ﴿قل﴾ ردا عليهم وحسباً لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقاً للحق الذي عليه يدور أمر التكوين ﴿إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أن يبسطه له ﴿ويقدر﴾ على من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لاحد من القر يقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه أخرى يفعل كلام من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرى ﴿ويقدر بالتشديد﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات﴾ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى ﴿كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلويح والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أى وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التي تقر بكم عندنا قرينة فإن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلاؤه سواء في حكم التأنيث أو بالخصلة التي تقر بكم وقرى بالذى أى بالشئ الذى ﴿الامن آمن وعمل صالحا﴾ استثناء من مفعول تقر بكم أى وما الاموال والا اولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى الا أموال من الخ ﴿فأولئك﴾ إشارة الى من واجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايدان بعلم ترتبهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى فأولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح ﴿لهم جزاء الضعف﴾ أى ثابت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لأولئك وفيه تأكيد لتكرار الاسناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لأولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية وإضافة الجزاء الى الضعف من إضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرة أضعافا ففوقها وقرى جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء ﴿بما عملوا﴾ من الصالحات ﴿وهم فى الغرفات﴾ أى غرفات الجنة ﴿آمنون﴾ من جميع المكاهرة وقرى بفتح الراء وسكونها وقرى فى الغرفة على إرادة الجنس ﴿والذين يسعون فى آياتنا﴾ بالرد والظعن فيها ﴿معاجزين﴾ سابقين لانبيائنا أو زاعمين أنهم يفوتونا ﴿أولئك فى العذاب محضرون﴾ لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا ﴿قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده﴾ أى يوسع عليه تارة ﴿ويقدر له﴾ أى يضيقه عليه تارة أخرى فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى ﴿وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه﴾ عوضا اما عاجلا واما آجلا ﴿وهو خير الرازقين﴾ فان غيره واسطة فى إيصال رزقه لاحقيقة لرازيته ﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾ أى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله يوم ظرف لمضمر متأخر سيأتى تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ﴿ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ تقرى بالمشركين وتبكيئنا لهم على نهج قوله تعالى أأنتم قلت للناس اتخذونى وأمى الخ واقناطاهم عما علقوا به أطاعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم

أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون ﴿قالوا﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقولون متزهين عن ذلك ﴿سبحانك أنت ولينا من دونهم﴾ والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق أى أنت الذى نواليه من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك برائتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ الضمير الاول للانس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا﴾ من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد اظهارة العجزهم وقصورهم عند عبادتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفناء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضرر الى البعض المهيمن للمبالغة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدهم فى الاستحالة والاتقاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضرر مع أنه لا بحث عنه أصلا ما لتعميم العجز أو لخلع عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على تقدير تركها أو لان المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الإطلاق لان عقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكى وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ﴿ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون﴾ يكون من الاحوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ بيان لبعض آخر من كفرانهم أى اذا تتلى عليهم بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك ﴿قالوا ما هذا﴾ يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الارجل يريد أن يصدمك عما كان يعبد آباؤكم﴾ فيستبعم بما يستدعيه من غير أن يكون هناك دين الهى واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد ﴿وقالوا ما هذا﴾ يعنون القرآن الكريم ﴿الافك﴾ أى كلام مصروف عن وجهه لامصداق له فى الواقع ﴿مفترى﴾ باسناده الى الله تعالى ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ أى لأمر النبوة أو الاسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بأن يراد بالاول معناه وبالثانى نظمه المعجز ﴿لما جاءهم﴾ من غير تدبر ولا تأمل فيه ﴿ان هذا الاسحر مبين﴾ ظاهر سحرية وفي تكرير الفعل والتصريخ بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لسان المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها﴾ فيها دليل على صحة الاشارة كما فى قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس ﴿وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير﴾ يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى

﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا ﴿وما بلغوا معشار ما آتيناهم﴾ أى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى ﴿فكذبوا رسلى﴾ عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ ﴿فكيف كان نكير﴾ أى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك ﴿قل انما أعظمكم بواحدة﴾ أى ما أرشدكم وأنصح لكم الابخصلة واحدة هى ما دل عليه قوله تعالى ﴿أن تقوموا لله﴾ على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدا محذوف أى هى أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن الماراة والتقليد ﴿مثنى وفردى﴾ أى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفى تقديم مثنى ايدان بأنه أوثق وأقرب الى الاطمئنان ﴿ثم تفكروا﴾ فى أمره عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيقته وقوله تعالى ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا بحجوز لا يبال باقتضاحه عنده طالبت به بالبرهان وظهور عجزه ومؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأزهمهم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للحكالات البشرية وجب أن تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تفكروا ففعلوا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تفكروا أى شئ به من آثار الجنون ﴿ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ هو عذاب الآخرة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث فى نسف الساعة ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ أى أى شئ سألتكم من أجر على الرسالة ﴿فهو لكم﴾ والمراد نفى السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شئاً ان أعطيتنى شئاً فخذ وقيل ما موصولة أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه الصلاة والسلام قرباهم ﴿ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد﴾ مطلع يعلم صدق وخلوص نيته وقرى ان أجرى بسكون الياء ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾ أى يلقيه وينزله على من يحتج به من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه أو يرمى به فى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق ﴿علام الغيوب﴾ صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان لان أو خبر مبتدا محذوف وقرى بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرى بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب ﴿قل جاء الحق﴾ أى الاسلام والتوحيد ﴿وما يبدى الباطل وما يعيد﴾ أى زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد

أفقر من أهله عبيد فليس يبدى ولا يعيد

وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد أو لا يبدى خيرا لأهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها ﴿قل ان ضللت﴾ عن الطريق الحق ﴿فانما أضل على نفسى﴾ فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قبول الشرطية بقوله تعالى ﴿وان اهتديت فبما يوحي الى ربي﴾ لأن الاهتداء بهدائه وتوفيقه وقرى ربي بفتح الياء ﴿انه سميع قريب﴾ يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى اخفائها ﴿ولوترى اذ فرغوا﴾ عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنهما

ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا هائلا
 ﴿فلا فوت﴾ فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ من ظهر الأرض أو من
 الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قليبها أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت
 على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ بالعطف على محله أى فلا فوت هنا وهناك أخذ ﴿وقالوا آمنا
 به﴾ أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم ﴿وأنى لهم التناوش﴾ التناوش التناول
 السهل أى ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا ﴿من مكان بعيد﴾ فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل
 بعيد وهو تمثيل لحلمهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشئ من غلوة تناوله
 من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشئ اذا طلبته وعن أبي عمر والتناوش
 بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى وقد حدثت بعد الأمور أهور

﴿وقد كفروا به﴾ أى بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذى أنذرهم اياه ﴿من قبل﴾ أى من قبل ذلك
 فى أو ان التكليف ﴿ويقذفون بالغيب﴾ ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عليه الصلاة
 والسلام من المطاعن أو فى العذاب المذكور من بت القول بنفيه ﴿من مكان بعيد﴾ من جهة بعيدة من حاله عليه
 الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم الى الشعر والسحر والكذب وان أبعد شئ مما جاء به الشعر
 والسحر وأبعد شئ من عادته المعروفة فيما بين الدانى والقاضى الكذب ولعله تمثيل لحلمهم فى ذلك بحال من يرمى شئاً
 لا يراه من مكان بعيد لا بحال اللوهم فى لحوقه وقرئ ويقذفون على أن الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف
 على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلاً لحلمهم بحال القاذف فى تحصيل ماضيعوه من الايمان
 فى الدنيا ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ بأشمام الضم للحاء ﴿كما فعل
 بأشباعهم من قبل﴾ أى بأشباعهم من كفره الامم الدارجة ﴿انهم كانوا فى شك مريب﴾ أى موقع فى الرية أودى
 رية والاول منقول بمن يصح أن يكون مريباً من الاعيان الى المعنى والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر
 والله أعلم. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصالحا

سورة الملائكة

(مكية وهى خمس وأربعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ مبدعها من غير مثال يحتذى ولا قانون ينتجيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق
 طولاً كأنه شق العدم باخراجها منه وإضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة
 جعله بدلاً منه وهو قليل فى المشتق ﴿جاعل الملائكة﴾ الكلام فى إضافته وكونه نعتاً أو بدلاً كما قبله وقوله تعالى
 ﴿رسلاً﴾ منصوب به على الوجه الثانى من الإضافة بالاتفاق وأما على الوجه الاول فكذلك عند الكسائى وأما عند
 البصريين فبمضمرة يدل هو عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عندهم الامعرفاً باللام وقال أبو سعيد
 السيرافى اسم الفاعل المتعدى الى اثنين يعمل فى الثانى لان بإضافته الى الاول تعذر إضافته الى الثانى فتعين نصبه له وعلل

بعضهم ذلك بأنه بالإضافة أشبه المعروف باللام فعمل عمله وقرىء جاعل بالرفع على المدح وقرىء الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والإلهام والوفا الصادقة أو بينه تعالى وبين خلقه أيضا حيث يصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا أما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرىء رسلا بسكون السين ﴿أولى أجنحة﴾ صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ صفات لأجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقوا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقوا آخر لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلقون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياة من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستائة جناح وروى أنه سأله عليهما السلام أن يترا أى له فى صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج عليه الصلاة والسلام فى ليلة مقمرة فأتاه جبريل عليهما السلام فى صورته فغشى عليه عليه الصلاة والسلام ثم أفاق وجبريل مسنده واحدة يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وأنه ليتضائل الا حايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير ﴿يزيد فى الخلق ما يشاء﴾ استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة فى عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لأمر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كل ناطق بأنه تعالى يزيد فى أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيد به بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التى لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام من تخصيص بعض المعانى بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى ﴿ان الله على كل شى قدير﴾ تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاءه ايجابا بيانا ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بأنها أنفس الخزائن التى يتنافس فيها المتنافسون وأعزها منالاً وتذكيرها للإشاعة والابهام أى أى شى يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به ﴿فلا ممسك لها﴾ أى لا أحد يقدر على امساكها ﴿وما يمسك﴾ أى أى شى يمسكها ﴿فلا مرسل له﴾ أى لا أحد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بأن رحمته سبقت غضبه ﴿من بعده﴾ أى من بعد امساكها ﴿وهو العزيز﴾ الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك ﴿الحكيم﴾ الذى يفعل كل ما يفعل حسب مقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين وبعد ما بين سبحانه أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون لأحد فى ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا أو كائنة عليكم ان جعلت اسما أى راعوها واحفظوها بمعركة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليا ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة اليجاد ونعمة الابقاء نفى أن يكون

في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة أن يحجب عنه بنعم فقال ﴿هل من خالق غير الله﴾ أى هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى ﴿يرزقكم من السماء والارض﴾ أى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لاحتلاله من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورة لأن معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازية معان غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من أنه مفسر لمضممر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أى هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناها نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع أنه المراد حتما ألا يرى الى قوله تعالى ﴿لا اله الا هو﴾ فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود تعين أن يكون ذلك أيضا كذلك قطعاً والفاء في قوله تعالى ﴿فأنى تؤفكون﴾ لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين تفردته تعالى بالالهوية والخالقية والرازية فنأى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى ﴿وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾ تلوين للخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابي الناس مسارعة الى تسليته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية أولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا أى وان استمروا على أن يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما أقمت عليهم الحجة وألقمتمهم الحجر فتأس بأولئك الرسل في المصاهرة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتكثير الرسل للنفخيم الموجب لمزيد التسليّة والنوجه الى المصاهرة أى رسل أولو شأن خطير وذو عدد كثير ﴿والى الله ترجع الامور﴾ لا الى غيره فيجازى كلامك ومنهم بما أتم عليه من الأحوال التى من جعلتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ايهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل فى التحويل ﴿يا أيها الناس﴾ رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير ﴿ان وعد الله﴾ المشار اليه يرجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء ﴿حق﴾ ثابت لا محالة من غير خلف ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيمهم عن الاغترار بها وان توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجر منكم شقاقى ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ وعفوه وكرمه تعالى ﴿الغرور﴾ أى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بأن يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان أمكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرئ الغرور بالضم على أنه مصدر أوجع غار كقعود جمع قاعد ﴿ان الشيطان لكم عدو﴾ عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به ﴿فاتخذوه عدوا﴾ بمخالفتكم له فى عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه فى مجامع أحوالكم وقوله تعالى ﴿انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطايعهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحايين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم والقائهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون ﴿الذين كفروا لهم﴾ بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته ﴿عذاب شديد﴾ لا يقادر قدره

مديد لا يباغ مداه ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم﴾ بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته
عداوة الشيطان ﴿مغفرة﴾ عظيمة ﴿وأجر كبير﴾ لا غاية لها ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا﴾ اما تقرير
لماسبق من التباين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حالهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب
ما بعد ما على ما قبلها أى أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه
واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ماسبق عليه وقوله
تعالى ﴿فان الله يضل﴾ الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئته تعالى أى فانه تعالى يضل ﴿من يشاء﴾
أن يضل لا استحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين ﴿ويهدى من يشاء﴾ أن يهديه
بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهييه عليه الصلاة والسلام عن التحسر
والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا أى أبعد
كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ دلالة بينة واما
تمهيد لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى دعوتهم اليه ببيان
استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية الحسن عندهم أى أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا
فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتعب نفسك فى دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى
فان الله يضل من يشاء الخ على أنه بمن شاء الله تعالى أن يضل فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا
تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له أى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه
عليه الصلاة والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للنأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك
عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته
واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ﴿ان الله عليم بما يصنعون﴾ أى من القبائح تعليل لما قبله على
الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد . عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة ﴿والله الذى
أرسل الرياح﴾ مبتدأ وخبر وقرئ الرياح وصيغة المضارع فى قوله تعالى ﴿فتثير سحابا﴾ لحكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان احداثها لتلك الخاصة ولذلك أسند
اليها أو للدلالة على استمرار الاثارة ﴿فسقناه الى بلد ميت﴾ وقرئ بالتخفيف ﴿فأحيينا به الأرض﴾ أى بالمطر
النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما فى الذهن كما فى الخارج أو بالسحاب فانه سبب السبب ﴿بعد
موتها﴾ أى يبسها ویراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبى عن اختصاصهما
به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع وتكميل المائلة بين احياء الارض وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى ﴿كذلك
النشور﴾ فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الاحياء الذى
تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدورية وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما أصلا سوى الالف فى الأول دون
الثانى وقيل فى كيفية احياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه أجساد الخلق ﴿من كان يريد العزة﴾
هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين
كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم كما فى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أيتبعون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها ﴿فله العزة جميعا﴾ أى له

تعالى وحده لا غيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله تعالى إياهما أو صعودا للكتابة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتماد به كقوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أى إليه يصل الكلم الطيب الذى به يطالب العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطى طلبته بالذات والمستكن فى يرفعه للكلم فإن مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أول العمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية إلا به وقرئ يصعد من الأصعاد على البنائين والمصعد هو الله سبحانه أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحياها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله الا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فساير بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصادقه قوله عز وجل إليه يصعد الكلم الطيب الخ ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ وأهلهم باعديان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المخدوف أى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قریش بالنبي عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداولهم الرأى فى احدى الثلاث التى هى الاثبات والقتل والاخراج ﴿لهم﴾ بسبب مكراتهم ﴿عذاب شديد﴾ لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ﴿ومكر أولئك﴾ وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بمأثم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترمى أمرهم فى الطغيان وبعدهم نزلتهم فى العدوان أى ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه الصلاة والسلام ﴿هو يبور﴾ أى هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قلب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التى اكتفوا فى حقه عليه الصلاة والسلام بواحدة منهم ﴿والله خلقكم من تراب﴾ دليل آخر على صحة البعث والنشور أى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا كما بتحقيقه مرارا ﴿ثم من نطفة﴾ أى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ﴿ثم جعلكم أزواجا﴾ أى أصنافا أو ذكر انا وانا وانا عن قتادة جعل بعضكم زواجا لبعض ﴿وماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه﴾ الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته ﴿وما يعمر من معمر﴾ أى من أحد وانما سمي معمر باعتبار مصيره أى وما يمد فى عمر أحد ﴿ولا ينقص من عمره﴾ أى من عمر أحد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فأربعون واليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم ﴿الا فى كتاب﴾ عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ﴿ان ذلك﴾ أى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه عن الأسباب فكذلك البعث

﴿ وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ﴾ مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لغذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرى مسيغ كسيد مسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى ﴿ ومن كل ﴾ أى من كل واحد منهما ﴿ تأكلون لما طريا وتستخرجون ﴾ أى من المالح خاصة ﴿ حاية تلبسونها ﴾ اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما اكتملة للمثيل والمعنى كما أنهما وان اشتركا في بعض القوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية وحيازته لكامله اللائق دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست لوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان ﴿ وترى الفلك فيه ﴾ أى في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل أحد تنأتى منه الرؤية دون المتفاعلين بالبحرين فقط ﴿ مواخر ﴾ شواق للماء بحريها مقبلة ومدبرة بريخ واحدة ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الأفعال المذكورة أى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ﴿ ولعلمكم تشكرون ﴾ أى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجى للايدان بكونه مرضيا عند الله تعالى ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾ بزيادة أحدهما ونقص الآخر باضافة بعض أجزاء كل منهما الى الآخر ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن ايلاج أحد الملوك في الآخر متجدد حيناً فحيناً وأما تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير اليه بقوله تعالى ﴿ كل يحمر ﴾ أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جريانا مستمرا ﴿ لأجل مسمى ﴾ قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والأجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايدان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم العظيم الشأن الذى أبدع هذه الصنائع البديعة ﴿ الله ربكم له الملك ﴾ وفيه من الدلالة على أن ابداعه تعالى لتلك البدائع بما يوجب ثبوت تلك الاخبار له مالا يخفى ويجوز أن يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرى يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفاقة النواة وهو مثل في القلة والحقارة ﴿ ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جليلة حال ما يدعون به بأنه جماد ليس من شأنه السماع ﴿ ولو سمعوا ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ ما استجابوا لكم ﴾ لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤن منكم وما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ أى يمحذون بأشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ أى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى ما يدعون لهم من الالهية ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ﴾ فى أنفسكم وفيما يعن لكم من أمرهم أو خطب لم وتعريف الفقراء للبالغة فى فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة

احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا ﴿ والله هو الغني الحميد ﴾ أى المستغنى على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ﴿ ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴾ ليسوا على صفتكم بل مستمررون على الطاعة أو بعالم آخر غير ماتعرفونه ﴿ وما ذلك ﴾ أى ما ذكر من الازهاب بهم والاتيان بآخرين ﴿ على الله بعزير ﴾ بمتعذر ولا متعسر ﴿ ولا تزر وازرة ﴾ أى لا تحمل نفس آثمة ﴿ وزر أخرى ﴾ اثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها وأماما في قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شئ ﴿ وان تدع مثقلة ﴾ أى نفس أثقلها الأوزار ﴿ الى حملها ﴾ لحمل بعض أوزارها ﴿ لا يحمل منه شئ ﴾ لم تجب بحمل شئ منه ﴿ ولو كان ﴾ أى المدعو المفهوم من الدعوة ﴿ ذا قرين ﴾ ذا قرابة من الداعي وقرى ذو قرين وهذا نفى للحمل اختيارا والأول نفى له اجبارا ﴿ انما تنذر ﴾ استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر أى انما تنذر بهذه الانذارات ﴿ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ أى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس فى خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم ﴿ وأقاموا الصلوة ﴾ أى راعوها كما ينبغي وجعلوها مانرا منصوبا وعلماء مرفوعا أى انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والعناد ﴿ ومن تزكى ﴾ أن تطهر من أضرار الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات ﴿ فانما يتركى لنفسه ﴾ لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرىء من ازكى فانما يتركى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلاة لانها من معظم مبادئ التزكى ﴿ والى الله المصير ﴾ لالى أحد غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيهم على تركيهم أحسن الجزاء ﴿ وما يستوى الأعمى والبصير ﴾ أى الكافر والمؤمن ﴿ ولا الظلمات ولا النور ﴾ أى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ﴿ ولا الظل ولا الحرور ﴾ أى ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفى الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا ﴿ وما يستوى الأحياء ولا الأموات ﴾ تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع فى الطرفين تحقيقا للتباين بين أفراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ﴿ ان الله يسمع من يشأ ﴾ أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات واشباع فى اقناطه عليه الصلاة والسلام من ايمانهم ﴿ ان أنت الا نذير ﴾ ما عليك الا الانذار وأما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك اليه فى المطبوع على قلوبهم ﴿ انا أرسلناك بالحق ﴾ أى محققين أو محقا أنت أو ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز أن يتعلق بقوله ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾ أى بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق ﴿ وان من أمة ﴾ أى ما من أمة من الامم الدارجة فى الازمنة الماضية ﴿ الا خلا ﴾ أى مضى ﴿ فيها نذير ﴾ من نبى أو عالم يذره ولا اكتفاء بذكر ملعلم بأن النذارة قرينة البشارة لاسيما وقد اقترنا آنفا ولأن الانذار هو الانسب بالمقام ﴿ وان يكذبوك ﴾ أى تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم ﴿ فقد كذب الذين من قبلهم ﴾ من الامم العاتية ﴿ جاءتهم رسالهم بالبينات ﴾ أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم ﴿ وبالزبر ﴾ كصحف ابراهيم ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ﴿ ثم أخذت الذين كفروا ﴾ وضع الموصول موضع ضميرهم لذهمهم بمافى حيز الصلة والاشعار بعة الاخذ ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى انكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها ﴿ ألم تر ﴾ استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف

أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والحيوان والروية قلبية
 أي ألم تعلم ﴿ أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ﴾ بذلك الماء والالتفات لظاهر كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من
 الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ﴿ ثمرات مختلفا ألوانها ﴾ أي أجناسها أو أصنافها على أن كلامها ذوا أصناف
 مختلفة أو هيئاتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ﴿ ومن الجبال
 جدد ﴾ أي ذو جدد أي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخططة السوداء على ظهره وقرى جدد بالضم جمع جديدة
 بمعنى الجدة وجدد بفتحين وهو الطريق الواضح ﴿ بيض وحمرة مختلف ألوانها ﴾ بالشدة والضعف ﴿ وغرايب سود ﴾
 عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرايب وهو تأكيد
 لمضمرة يفسره ما بعده فإن الغريب تأكيد للسود كاللحاق للصفر والقاني للآحمر ومن حق التأكيد أن يتبع
 المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائدات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من
 التكرار باعتبار الإضمار والظاهر ﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه ﴾ أي ومنهم بعض مختلف
 ألوانه أو وبعضهم مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وأراد الجملتين اسميتين مع
 مشاركتيهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمرة منهما على تباين الناس في الأحوال الباطنة لما أن
 اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما إخراج
 الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق
 الاستفهام التقريرى المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فإنها مشاهدة غنية
 عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى ﴿ كذلك ﴾ مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف
 أي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك أي باختلاف الثمار والجبال وقرى ألوانا وقرى
 والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ تكملة
 لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم
 وتباين مراتبهم أما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل
 واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أي انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته
 الجليلة وأفعاله الجليلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشئونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما
 قال عليه الصلاة والسلام أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة
 بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو آخر انعكس الامر
 وقرى برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ﴿ ان الله عزيز غفور ﴾
 تعليل لجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للبصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ﴿ ان الذين يتلون كتاب
 الله ﴾ أي يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل
 جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فان صيغة
 المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سأتى من توفية الاجور وزيادة الفضل
 وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام
 والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيقتها قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها

لماذا كر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعاً لما أن الباقي مشروعاً وليس إلا حكمها لكن لا من حيث أنه حكمها بل من حيث أنه حكم القرآن وأما تلاوتها فيمعرزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر ﴿ وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ﴾ كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿ يرجون تجارة ﴾ تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر أن وقوله تعالى ﴿ لن تبور ﴾ أى ان تكسد ولن تهلك بالخسران أصلاً صفة لتجارة جى بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ﴿ ليوفيهم أجورهم ﴾ متعلق بـلن تبور على معنى أنه ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم أجور أعمالهم ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمحل عليه ما عد من أفعالهم المرضية أى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على أن اللام للعاقبة ﴿ انه غفور شكور ﴾ تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أى غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم أى مجازيهم عليها وقيل هو خبر أن الذين يرجون حال من واو أنفقوا ﴿ والذى أوحينا اليك من الكتاب ﴾ وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعض وقيل اللوح ومن للابتداء ﴿ هو الحق مصدق لما بين يديه ﴾ أى أحقه مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام ﴿ ان الله بعباده خبير بصير ﴾ محيط بيوطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينال في النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخير للتنبيه على أن العمدة هى الأمور الروحانية ﴿ ثم أورثنا الكتاب ﴾ أى قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضى لتقرره وتحققه وقيل أورثناه من الامم السالفة أى أخرناه عنهم وأعطيناه ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ وهم عليه الامة من الصحابة ومن بعدهم بمن يسير سيرتهم أو الامة بأسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتناء الى أفضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثته الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية ﴿ فنهى ظالم لنفسه ﴾ بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لأمرا الله ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ يعمل به في أغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيئ ﴿ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ﴾ قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعلما وفي قوله تعالى باذن الله أى تيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام وأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلاوة رتبته وبعد منزلته في الشرف ﴿ هو الفضل الكبير ﴾ من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى ﴿ جنات عدن ﴾ اما بدل من الفضل الكبير بتزليل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره ﴿ يدخلونها ﴾ وعلى الاول هو مستأنف وجع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقاً لكن فيه تحذيراً لهما من التقصير وتحريضا على السعى في ادراك

شأوا السابقين وقرى جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرى يدخلونها على البناء للمفعول
 ((يحلون فيها)) خبر ثان أو حال مقدرة وقرى يحلون من حليت المرأة فهي حالية ((من أساور)) هي جمع أسورة جمع
 سوار ((من ذهب)) من الاولى تبعية والثانية بيانية أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر
 أفرادها ((ولؤلؤا)) بالنصب عطف على محل من أساور وقرى بالجر عطف على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من
 ذهب في صفاء اللؤلؤ ((ولباسهم فيها حرير)) وتغيير الأسلوب قد مر سره في سورة الحج ((وقالوا)) أى يقولون
 وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ((الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن)) وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن
 عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش
 وقيل حزن زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرى الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكانى بأهل لا اله الا الله يخرجون من
 قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ((ان ربنا لغفور)) أى للمذنبين
 ((شكور)) للطيعين ((الذى أحلنا دار المقامة)) أى دار الإقامة التى لا انتقال عنها أبدا ((من فضله)) من انعامه
 وتفضله من غير أن يوجب شيئا من قبلنا ((لا يمسسنا فيها نصب)) تعب ((ولا يمسسنا فيها لغوب)) كلال والفرق
 بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصرح بنفى الثانى مع استلزام نفي الاول
 له وتكرير الفعل المنفي للبالغة في بيان انتفاء كل منهما ((والذين كفروا والهم نار جهنم لا يقضى عليهم)) لا يحكم عليهم
 بموت ثان ((فيموتوا)) ويستريحوا ونصبه باضمار أن وقرى فيموتون عطف على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن
 لهم فيعتذرون ((ولا يخفف عنهم من عذابها)) بل كلما خبت زيد اسعارها ((كذلك)) أى مثل ذلك الجزاء
 الفطيع ((ينجزى كل كفور)) مبالغ في الكفر أو الكفران لاجزاء أخف وأدنى منه وقرى ينجزى على البناء للمفعول
 واسناده الى الكل وقرى يجازى ((وهم يصطرون فيها)) يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل
 فى الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ((ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل)) باضمار القول وتقييد العمل
 الصالح بالوصف المذكور للتجسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه
 وأنهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى ((أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر)) جواب من
 جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة أى ألم نمهلكم
 أو ألم نوخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر أى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكير قيل هو أربعون سنة
 وعن ابن عباس رضى الله عنهما ستون سنة وروى ذلك عن على رضى الله عنه وهو العمر الذى أعذر الله فيه الى ابن آدم
 قال عليه الصلاة والسلام أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى ((وجاءكم النذير)) عطف
 على الجملة الاستفهامية لانها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لانه فى معنى قد شرحنا
 الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مامعه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب
 والاقتصار على ذكر النذير لانه الذى يقتضيه المقام والفاء فى قوله تعالى ((فذوقوا)) لترتيب الامر بالذوق على ما
 قبلها من التعمير ونجى النذير وفى قوله تعالى ((فما للظالمين من نصير)) للتعليل ((ان الله عالم غيب السموات والارض))
 بالاضافة وقرى بالتون ونصب غيب على المفعولية أى لا يخفى عليه خافية فيما فلا تخفى عليه أحوالهم ((انه عليم
 بذات الصدور)) قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها ((هو الذى

جعلكم خلائف في الارض ﴿ يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى أنه تعالى جعلكم خلفاء في أرضه وألقى اليكم مقاليد التصرف فيها وساطحكم على ما فيها وأباح لكم منافعتها أو جعلكم خلفاء من قبلكم من الامم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا للتشكر به بالتوحيد والطاعة ﴿ فن كفر ﴾ منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها ﴿ فعليه كفره ﴾ أي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا ﴾ بيان لو بال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم أي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة ﴿ قل ﴾ تبكيتم لهم ﴿ أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ﴾ أي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه ﴿ أروني ماذا خلقوا من الارض ﴾ بدل اشتغال من أرايتم كأنه قيل أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الارض ﴿ أم لهم شرك في السموات ﴾ أي أم لهم شركة مع الله سبحانه في خالق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالهية ذاتية ﴿ أم آتيناهم كتابا ﴾ ينطق بأننا اتخذناهم شركاء ﴿ فهم على بينة منه ﴾ أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون ضمير آتيناهم للشركيين كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه إيماة الى أن الشرك أمر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل ﴿ بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغورا ﴾ لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغيير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للتابع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليه ﴿ ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ﴾ استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله أي يمسكهما كراهة زوالهما أو يمنعهما أن تزولا لأن الامساك منع ﴿ ولئن زالتا ان أمسكهما ﴾ أي ما أمسكهما ﴿ من أحد من بعده ﴾ من بعد امساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء ﴿ انه كان حلما غفورا ﴾ غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث أمسكهما وكاتنا جديرتين بأن تهذا هذا حسبما قال تعالى تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولولنا انما وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم ﴿ باع قر يشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلكم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الامة التي يقال لها إحدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ وأي نذير أشرف الرسل عليهم الصلوة والسلام ﴿ ما زادهم ﴾ أي النذير أو مجيئه ﴿ الا نفورا ﴾ تباعدا عن الحق ﴿ استكبارا في الارض ﴾ بدل من نفورا أو مفعول له ﴿ ومكر السيئ ﴾ أصله وأن مكر السيئ أي المكر السيئ ثم ومكر السيئ ثم ومكر السيئ وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكوتا أو وقفة خفيفة وقرئ مكراسيئا ﴿ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون ﴾ أي ما ينظرون ﴿ الاسنة الاولين ﴾ أي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ بان يضع موضع العذاب غير العذاب ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلا ﴾ بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيد الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتقامهما ﴿ أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ استشهاد على ما قبله من جريان سنته

تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مساهيرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الأمم الماضية العاتية والهمزة للانكار والتنفى والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أى أقعدوا فى مساكنهم ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴿وكانوا أشد منهم قوة﴾ وأطول أعمارا فما نفعمهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ أى ليسبقه ويفوته ﴿فى السموات ولا فى الارض﴾ اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى ﴿انه كان عليا قديرا﴾ أى مبالغا فى العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبتها لتعليل لذلك ﴿ولو يؤاخذ الله الناس جميعا﴾ ﴿بما كسبوا﴾ من السيئات كما فعل بأولئك ﴿ماترك على ظهرها﴾ أى على ظهر الارض ﴿من دابة﴾ من نسيمة تدب عليها من بنى آدم وقيل ومن غيرهم أيضا من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما ويعضد الأول قوله تعالى ﴿ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى﴾ وهو يوم القيامة ﴿فاذا جاء أجالهم﴾ فإن الله كان بعباده بصيرا ﴿فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم ان خيرا نخير وان شرا فشر﴾ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم

سورة يس

(مكية . وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية)

(تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآياتها ثلاث وثمانون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يس﴾ اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الأكثر فحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمرة وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب أى هذه يس أو اقرأ يس ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الأول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف فى فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لقائيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظى ذكر سيبويه فى باب أسماء السور من كتابه وقيل هما حر كناية كما فى حيث وأين حسبا يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجبر وقيل الفتح والكسر تحريك للجد فى الحرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه يا انسان فى لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل أصله يا أنيسين فاقصر على شطره كما قيل من الله فى أيمن الله ﴿والقرآن﴾ بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم ﴿الحكيم﴾ أى المتضمن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة أو المتصف بها على الاسناد المجازى وقد جوز أن يكون الأصل الحكيم قائلة مخذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة كما مر فى صدر سورة لقمان ﴿انك لمن المرسلين﴾ جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير اليه بقوله تعالى فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم وفى تخصيص القرآن بالاقسام به أولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالة الله عليه الصلاة والسلام من حيث نظم المعجز

المنطوى على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحجة أيضاً لما أن الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية ثبوته فيكون شاهداً به ودليلاً عليه قطعاً وقوله تعالى ﴿على صراط مستقيم﴾ خبر آخر لان أو حال من المستكن في الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكاملها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان أن شريعته عليه الصلاة والسلام أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التكرير التفضيحي والوصف اثرياً أن أنه عليه الصلاة والسلام من جملة المرسلين بالشرائع ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ نصب على المدح وقرى بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأياماً كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عرافته في كونه منزلاً من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واطهاراً لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الايمان به ترهيباً وترغيباً واشعاراً بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر أى نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيدي لمضمون الجملة القسمية ﴿لتنذر﴾ متعلق بتنزيل على الوجوه الأول وبعامله المضمر على الوجه الأخير أى لتنذره كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه من المرسلين أى انك مرسل لتنذر ﴿قوما ما أنذر آباؤهم﴾ أى لم ينذر آباؤهم الا قربون لتطاول مدة الفترة على أن مانافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار أو الذى أنذره أو شيئاً أنذره آباؤهم الا بعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر أو انذار آباؤهم الا قدمين على أنها مصدرية فيكون نعمتاً لمصدر مؤكد أى لتنذر انذاراً كأننا مثل انذارهم ﴿فهم غافلون﴾ على الوجه الأول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين أى لم تنذر آباؤهم فهم جميعاً لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيد انك من المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام أو ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أى عما أنذر آباؤهم الا قدمون لا امتداد المدة واللام في قوله تعالى ﴿انقد حق القول على أكثرهم﴾ جواب القسم أى والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلوهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لا بليس عند قوله لا غوينهم أجمعين لا ملأن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد وقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك لتعليل له بتبعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم انما هو لكونهم من جملة أولئك المصرين على تبعية ابليس أبداً واذا قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر أن قوله تعالى ﴿فهم لا يؤمنون﴾ متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى ﴿انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم ﴿ففى الى الأذقان﴾ أى فالأغلال منتهية الى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يظأطئون رؤسهم له ﴿فهم مقمحون﴾ رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون الى جهته ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ اما تتممة التمثيل وتكميل له أى تكميل أى وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن وراءهم سداً كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم

بسبب ذلك لا يقدرّون على ابصار شيء ما أصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعاً كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات وقرىء سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرىء فأعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه فأناؤه وهو عليه الصلاة والسلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده اثنتان يده الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعفى الله تعالى بصره ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل أى مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبا من تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى ﴿لا يؤمنون﴾ استئناف مؤكدا لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل ﴿انما تنذر﴾ أى انذارا مستتبعا للآثر ﴿من اتبع الذكر﴾ أى القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصّر على اتباع خطوات الشيطان ﴿وخشى الرحمن بالغيث﴾ أى خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه في سريره ولم يعتر برحمته فانه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم ﴿فبشره بمغفرة﴾ عظيمة ﴿وأجر كريم﴾ لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية ﴿ان نحن ننجي الموتي﴾ بيان لشأن عظيم ينطوى على الانذار والتبشير انظروا اجماليا أى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن أحيائهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أى ما أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها ﴿وآثارهم﴾ التى أبقوها من الحسنات كعلم علموه أو كتاب ألفوه أو حبس وقفوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادئ الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التى أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هى آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار وقرىء ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم ﴿وكل شيء﴾ من الاشياء كائنا ما كان ﴿أحصيناه في امام مبين﴾ أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرىء كل شيء بالرفع ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية﴾ ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على أحد الوجهين أى بينا لكم أحوالا بديعة هى فى الغرابة كالأهوال فالمعنى على الاول اجعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء فى الغلو فى الكفر والاصرار على تكذيب الرسل أى طبق حالهم بحالهم على أن مثلا مفعول ثان لا ضرب وأصحاب القرية مفعوله الاول آخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثانى اذكر وبين لهم قصة هى فى الغرابة كالمثل وقوله تعالى أصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف أو بيان له والقرية انطاكية ﴿اذ جاءها المرسلون﴾ بدل اشتمال من أصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى فى قوله ﴿اذ أرسلنا اليهم اثنين﴾ بناء على أنه كان بأمره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى وبولس وقيل غيرهما ﴿فكذبوها﴾ أى فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوها فى الرسالة ﴿فمرزنا﴾ أى

قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرى بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعززه (ثالث) هو شمعون (فقالوا) أى جميعا (انا اليكم مرسلون) مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما أن تكذيبها تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألها فأخبراه قال أمعك آية فقالا نشفى المريض ونبرى الأكمة والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فأمن حبيب وفشا الخبر وشفى على أيديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لها أأنا اله سوى آلهتنا قالوا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متكررا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاها فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالوا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قال ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذا بندقتين فوضعاها فى حدقيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا لا يصير ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمننا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وانى أحذرکم ما أتم فيه فأمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فأمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم فى العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة فى الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن أحد سوى حبيب ولو أن الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا فى ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا أن يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة مائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار (قالوا) أى أهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة (ما أتم الا بشر مثلنا) من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لا تنقاس النفى المقتضى لاعمال ما بالا (وما أنزل الرحمن من شئ) مما تدعونه من الوحي والرسالة (ان أتم الا تكذبون) فى دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار (وما علينا) أى من جهة ربنا (الا البلاغ المبين) أى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهده فلا مؤاخذه لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ما علينا شئ نطالب به من جهتم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شئ تطالبون منا حتى تصدقونا بذلك (قالوا) لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (انا تطيرنا بكم) تشاء منا بكم جريا على ديدن الجسلة حيث كانوا يقيمون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها ران كان مستتبعا لسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأمواهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى أنه حبس عنهم القطر فقالوه (لئن لم

تقتهوا) أى عن مقاتلكم هذه (لنرجنكم) بالحجارة (وليمسكنكم منا عذاب أليم) لا يقادر قدره (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) لا من قبلنا وهو سوء عتيدتكم وقبح أعمالكم وقرى طيركم (أن ذكرتم) أى وعظمت بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرى بألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى تطيرتم لأن ذكرتم وأن ذكرتم وإن ذكرتم بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) اضرب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد أى ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك أنام الشؤم أو فى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءتم بمن يجب إكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرها ولم يؤمن بنبي غيره عليه الصلاة والسلام أحد قبل مبعثه وقيل كان فى غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعياً كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) تعرض لغنوان رسالتهم حثاً لهم على اتباعهم كما أن خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) تكرير للتأكيد وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التزدد عن الغرض الدنيوى والاهتداء إلى خير الدنيا والدين (ومالى لأعبد الذى فطرني) تلمظ فى الارشاد بإيراده فى معرض المناصحة لنفسه ومحاض النصيح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريرهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبى عنه قوله (واليه ترجعون) مبالغة فى التهديد ثم عاد إلى المساق الاول فقال (أأخذ من دونه آلهة) إنكار ونفى لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله (ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) أى لا تنفعني شيئاً من النفع (ولا ينقدون) من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب إليه بعضهم ربما يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرى ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردنضراً أى يجعلنى مورداً للضر (انى اذا) أى اذا اتخذت من دونه آلهة (لنى ضلال مبين) فان اشرأك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر غيره ولا خير الاخير ضلال بين لا يخفى على أحد من له تمييز فى الجملة (انى آمنتم بربكم) خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكرهموا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وإنما أكد لظهار صدوره عنه بكال الرغبة والنشاط وأضاف الرب إلى ضميرهم روما لزيادة التقرير وإظهار الاختصاص والافتداء بهم كأنه قال بربكم الذى أرسلكم أو الذى تدعوننا إلى الايمان به (فاسمعون) أى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافهم بذلك اظهاراً للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبية على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام أرباباً وقيل للناس جميعاً (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى إلى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللبالغة فى المسارعة إلى بيانه والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسنى بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى

وجعاني من المكرمين) فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وإنما تنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك عن اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه الاسعادة وقرى من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر أى بأى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفيينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم (وما كنا منزلين) وما صح في حكمتنا أن نزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما أنا قدرنا لكل شئ سبياحيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند أى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة وغيرها (ان كانت) أى ما كانت الاخذة أو العقوبة (الاصيحة واحدة) صاحبها جبريل عليه السلام وقرى الاصيحة بالرفع على أن كان تامة وقرى الازقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح (فاذا هم خامدون) ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى حقها أن تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى (ما يأتيتهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسروا عليهم المتحسرون أو قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقليين وقد جوز أن يكون تحسروا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى ونصبها لطلوها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرى يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول ويا حسره على العباد باجاء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) أى ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تران زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أى ألم يروا كثرة أهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرى بالكسر على الاستئناف وقرى ألم يروا من أهلكنا والبدل حيث تبدل اشتغال (وان كل لما جميع لدينا محضرون) بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الاو جميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرى لما بالتخفيف على أن ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ (وآية لهم الارض الميتة) بالتخفيف وقرى بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة أو بمضمهر هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها وقوله تعالى (أحييناها) استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدا ولهم خبر والارض الميتة مبتدا موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدا وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها

هو الارض وأحييناها صفحتها لان المراد بها الجنس لا المينة والاول هو الاول لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض ﴿وأخرجنا منها حبا﴾ جنس الحب ﴿فنه يأكلون﴾ تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب﴾ أى من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعدون الحب فان الدال على الجنس شعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمر ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿وجرفنا فيها﴾ وقرى بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى ﴿من العيون﴾ أى بعضا من العيون خذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأى الاخفش ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ متعاقب بجعلنا وتأخير عن تفجير العيون لأنه من مبادئ الثمار أى وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادئ ثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير بحرى اسم الإشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر يخلقه تعالى وقرى بضمين وهى لغة فيه أو جمع ثمار وبضمة وسكون ﴿وما علمته أيديهم﴾ عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر يخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الأول قراءة عملت بلاها فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها ﴿أفلا يشكرون﴾ انكار واستقبح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أیرون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها ﴿سبحان الذى خلق الأزواج كلها﴾ استئناف مسوق لتزبيته تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه المبرجة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلاصهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التباعد عن السوء اعتقاد أو قولا أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا أبعدهما وأمعن ومثله فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أصبح سبحانه أى أنزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزهه عن كل ما لا يليق به تنزهها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبرأته عن كل ما لا يليق به بما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين المؤمنين أن يقبلوه ويعتقدوا مضمونه ولا يتخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج الاصناف والأنواع ﴿مما تنبت الأرض﴾ بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها ﴿ومن أنفسهم﴾ أى خلق الأزواج من أنفسهم أى الذكور والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ أى والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما يتعلق بذلك شئ من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما أطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ينط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه ﴿وآية لهم الليل﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر كما مر وقوله تعالى ﴿نسلخ منه النهار﴾ جملة مبنية لكيفية كونه آية أى نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السليخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والأغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الالهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة ﴿فاذا هم مظلون﴾ أى داخلون فى الظلام مفاجأة وفيه رمز الى أن الأصل هو الظلام والنور عارض ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر

المسافر اذا قطع مسيره أولكبد السماء فان حر كتهافيه توجد أبطأ بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال
والشمس حيرى لها بالجو تدويم أولا استقر ازلها على نهج مخصوص أولتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان
لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل
أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرى الى مستقر لها وقرى لا مستقر لها أى لا سكن لها فانها متحركة دائما
وقرى لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
الا يذان بعلمور تبتة و بعد منزلته أى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التى تحار فى فهمها العقول والأفهام
(تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب
باضمار فعل يفسره الظاهر وقرى بالرفع على الابتداء أى قدرنا له (منازل) وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه
ذا منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجهة
الزبرة الصرفة العوا السماء الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلغ سعد
السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها
لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منزله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس (حتى عاد
كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلمون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرى كالعرجون وهما لغتان كالزبون والزيون
(القديم) العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فضاء عدا (لا الشمس يذغى لها) أى يصح ويتسهل (أن تترك
القمر) فى سرعة السير فان ذلك يحل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى الآثار والمنافع أو فى المكان بأن تنزل الى
منزله أو فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها (ولا
الليل سابق النهار) أى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان
الشمس فيكون عكسا للأول وايراد السابق مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) أى وكلهم على أن
التنوين عوض عن المضاف اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التشكاث العارض لها بتكاثر
مطالعهما فان اختلاف الأحوال يوجب تعددا ما فى الذات أو الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها (فى فلك
يسبحون) يسبحون بانسباط وسهولة (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم الى تجارتهم أو صديانهم
ونسائهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم فى
السفن أشق واستمسكهم فيها أبعد (فى الفلك المشحون) أى المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل
ذرياتهم فيها حمل آبائهم الأقدمين وفى أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص أعقابهم بالذكر دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان
وأدخل فى التعجب الذى عليه يدور كونه آية (وخلقنا لهم من مثله) مما يماثل الفلك (مايركبون) من الابل
فانها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد
ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسما يعرب عنه قوله
عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملابسهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن
ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وان نشأ نفرقهم) الخ من تمام
الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرى نفرقهم
بالتشديد وفى تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بأنه قد تكامل ما يوجب اهلاكم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق

مشيئته تعالى به أى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جىء به فى خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل والفلك فكأنها نوع منه أو مع ماير كيون من السفن والزوارق ﴿فلا صريح لهم﴾ أى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتأثم الصريح ﴿ولا هم ينقذون﴾ أى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى ﴿الارحمة منا ومتاعا﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للبائع المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ أى لنوع من الرحمة وتمتيع ﴿الى حين﴾ أى الى زمان قدر فيه أجالهم كما قيل

ولم أسلم لكى أبقي ولكن سلمت من الحمام الى الحمام

﴿واذا قيل لهم اتقوا﴾ بيان لا عراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أى اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا ﴿ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكروه من حيث لا تحسبون ومن حيث لا تحسبون أو من الوقائع النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر ﴿لعلكم ترحمون﴾ اما حال من واو اتقوا أو غاية له أى راجين أن ترحموا أو كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرقتهم أن مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى ﴿وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ انفهاما بينا أما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فعبارة النص وأما اذا كان بغيرها فبدل لآله لانهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلا نعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتحويل ما اجتروا عليه فى حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوايغ آلائه الموجبة للقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التى من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التى من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدايته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان به تعالى وإثارة على أن يقال الا أعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتى أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتغالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أى ما تأتيتهم من آية من آيات ربهم فى حال من أحوالهم الا حال اعراضهم عنها أو ما تأتيتهم آية منها فى حال من أحوالها الا حال اعراضهم عنها ﴿واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾ أى أعطاكم بطريق التفضل والانعام من أنواع الأموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك وتنبيهها على عظم جنايتهم فى ترك الامثال بالأمر وكذلك من التبعية أى اذا قيل لهم

بطريق النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فإن ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره ﴿قال الذين كفروا﴾ بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة ﴿الذين آمنوا﴾ تهكم بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى ﴿أنظعم﴾ حسبنا تعظوننا به ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ أى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة إذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم التي زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأنعام يوهمون أنه تعالى لما لم يشأ أطعمهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك وما هو إلا لفرط جهالتهم فإن الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ﴿ان أتم الا فى ضلال مبين﴾ حيث تأمرونا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز أن يكون جوابا لهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ أى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ﴿ما ينظرون﴾ جواب من جهته تعالى أى ما ينظرون ﴿الا صيحة واحدة﴾ هى النفخة الاولى ﴿تأخذهم﴾ مفاجأة ﴿وهم يخضمون﴾ أى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شئ من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون فلا يعترفوا بعدم ظهور علائقهم ولا يزعموا أنها لا تأتيتهم وأصل يخضمون يختضمون فسكنت التاء وأدغمت فى الصاد ثم كسرت الحاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وفتح الحاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبلاساكن على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وان لم يكن الأول حرف مد وقرئ يخضمون من خصمه اذا جادله ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ فى شئ من أمورهم ان كانوا افيما بين أهلهم ﴿ولا الى أهلهم يرجعون﴾ ان كانوا فى خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا ﴿ونفخ فى الصور﴾ هى النفخة الثانية بينها وبين الآء الى أربعون سنة أى ينفخ فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع ﴿فاذا هم من الاجداث﴾ أى القبور جمع جدث وقرئ بالفاء ﴿الى ربهم﴾ مالك أمرهم على الاطلاق ﴿ينسلون﴾ يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين ﴿قالوا﴾ أى فى ابتداء بعثهم من القبور ﴿يا ويلنا﴾ احضر فهذا أو انك وقرئ يا ويلتنا ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ وقرئ من أهبنا من هب من نومه اذا اتبه وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وقيل أصله هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز واشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد أن للكفار هجمة يحدون فيها طعم النوم فاذا صبح بأهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وأبى ابن كعب وقتادة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر فى جنبها مثل النوم فيقبلون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراد الكل ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ جملة من مبتدا وخبر وما موصولة بخدوفة العائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤا لهم تذكيرا للكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على أن الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه وأرسل اليكم الرسل فصدقكم فيه وليس الأمر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا

صفة لمقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ﴿ان كانت﴾ أى ما كانت النفخة التى حكيت آنفا ﴿الاصيحة واحدة﴾ حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام فى الصور ﴿فاذا هم جميع﴾ أى مجموع ﴿لدينا محضرون﴾ من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الأسباب ما لا يخفى ﴿فاليوم لا تظلم نفس﴾ من النفوس برة كانت أو فاجرة ﴿شيئا﴾ من الظلم ﴿ولا تجزون الا ما كنتم تعملون﴾ أى الاجزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شئ واحد أو الابد بما كنتم تعملونه أى بمقابله أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده أنه تعالى يوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريرا لهم وقوله تعالى ﴿ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكفون﴾ من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال أعدائهم اثريان سوء حالهم مما يزيدهم مساة على مساة وفى هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه لكونه أهم عنده من الكل اما لا يجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساة والغم والمراد ههنا هو الأول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتقاءه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به اقتصاص الأبدان أو السماع وضرب الأوتار أو التزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق أو شغلهم عن أهاليهم فى النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكر وه فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الأمور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفا كيون خبر آخر لها أى انهم مستقرون فى شغل وأى شغل فى شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فاترون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحقيقها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساة المخاطبين بذلك وقرئ فى شغل بسكون الغين وفى شغل بفتحيتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكفون للبالغة وفكفون بضم الكاف وهى لغة كنطس وفا كفين وفكفين على الحال من المستكن فى الظرف وقوله تعالى ﴿هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكفهم وتكميلهما بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل أو هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار أخبارا مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الأول والثانى مستأنف على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكن فى الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن فى خبران ومتكئون خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا فى ظلال أو هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة فى ظلال والأرائك جمع أريكة وهى السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى ﴿لهم فيها فاكهة﴾ الخ بيان لما يتمتعون به فى الجنة من الماء كل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أى لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما فى

قوله تعالى ﴿ولهم ما يدعون﴾ موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين أو مبهم ايذانا بأنه التحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به رومًا لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه أو هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وأياما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائن ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأياما كان ففيه دلالة على أنهم في أقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما أشير إليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتقاء بمعنى الترامى وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنى على وقال الزجاج هو من الدعاء أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالا احتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى ﴿سلام﴾ على التقدير الأول بدل من ما يدعون أو خبر لمبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿قولا﴾ مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام أو ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا ﴿من﴾ جهة ﴿رب رحيم﴾ أى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضى الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وأما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك أى ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حيثئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أى لهم سلام أى تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما يقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية أى لهم مرادهم سلاما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين ﴿وامتازوا اليوم﴾ عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى وبشر الذين آمنوا والآية وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل اثر بيان كونهم فى شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقرؤا بذلك عينا وامتازوا عنهم ﴿أيها المجرمون﴾ الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافريت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وأما ما قيل من أن المضمر فليمتازوا فبمعزل من السداد لما أن المحكى عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدى نفعا لأن مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسب ما مر يسانه وأسقط كونها مترتبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدى لاضمار شئ يتعلق به اخر اجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرءة ﴿ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾ من جملة ما يقال لهم بطريق التقرير والالزام والتبكيك بين الامر بالامتنان وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة

والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بني آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم وينبذ لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها لوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ أعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء واحدها بالحاء مكان العين وأحسد بالادغام وهي لغة بني تميم ﴿ انه لكم عدو مبين ﴾ أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهي ﴿ وأن اعبدوني ﴾ عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والأمر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم أعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التولية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد ولينصل به قوله تعالى ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ فانه إشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لا تعبدن لهم صراطك المستقيم والتشكيك للتفخيم واللام في قوله تعالى ﴿ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ﴾ جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقرير ببيان أن جنائياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاعتاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوصا بزيادة التوبيخ والتقرير لتضاعف جنائياتهم والجلل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جملة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جبلا بالياء وهو الصنف من الناس أي وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا أو صنفا كثيرا ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لاجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى ﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾ للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي كنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها الضلال لهم أفلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى ﴿ هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقرير والالزام والتبكيك عند اشرافهم على شفير جهنم أي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى قال اذهب فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لا ملأن جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى ﴿ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴾ أمر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الخ أي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفرهم المستمر في الدنيا وقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ أي ختما يمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايدان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ نختم ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ يروى أنهم يمحذون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرتهم فيحلفون ما كانوا مشركين فيثبت نختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لأجيز على شاهدة الامن نفسي فيختم على

فيه ويقال لاركانه انطق فتتطرق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على الماضي لا فائدة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قديفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجلهم بالخير ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمنين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية ﴿فأني يصرون﴾ الطريق وجهة السلوك ﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾ بتغيير صورهم وإبطال قواهم ﴿على مكاتهم﴾ أي مكانهم إلا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم أي لمسخناهم مسخا يحمدهم مكانهم لا يقدر أن يبرحوه بأقبال ولا دبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى ﴿فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ أي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قرده وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل ليبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاعتاظ بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس الإعدام تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جنائياتهم المستدعية لها الفعلناها ولكننا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى أمثالهم ﴿ومن نعمه﴾ أي نطل عمره ﴿تنكسه في الخلق﴾ أي قلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولا فلا يزال يزداد ضعفه وتتناقص قوته وتنقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ تنكسه من الثلاثي المجرد وتنكسه من الانكاس ﴿أفلا يعقلون﴾ أي أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وأن عدم إيقاعهما عدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله ﴿وما علمناه الشعر﴾ رد وإبطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعر أي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فإين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشؤن واختلط بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿وما ينبغي له﴾ وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لا يهتدى للخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهى وأما قوله عليه الصلاة والسلام أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله عليه الصلاة والسلام هل أنت الاصبغ دميت وفي سبيل الله ما لقيت فن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد إليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن أي وما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا ﴿إن هو﴾ أي ما القرآن ﴿الا ذكر﴾ أي عظة من الله عز وجل وإرشاد للثقلين كما قال تعالى إن هو الا ذكر للعالمين ﴿وقرآن مبين﴾ أي كتاب سماوى بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في

المحاريب وتبلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بمسافيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا ﴿لينذر﴾ أى القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذره أى علمه ولينذر مبنيًا للفعول من الانذار ﴿من كان حياً﴾ أى عاقلاً متأملاً فإن الغافل بمنزلة الميت أو مؤمناً فى علم الله تعالى فإن الحياة الابدية بالايمن وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ﴿ويحق القول﴾ أى تجب كلمة العذاب ﴿على الكافرين﴾ المصرين على الكفر وفى ايرادهم بمقابلة من كان حياً اشعار بأنهم خلوه عن آثار الحياة وأحكامها التى هى المعرفة أموات فى الحقيقة ﴿أولم يروا﴾ الهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبة للمعطوف أى ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علماً يقينياً متأخراً للمعاينة ﴿أنا خلقناهم﴾ أى لأجلهم وارتفاعهم ﴿بما عملت أيدينا﴾ أى بما تولينا أحداثه بالذات وذكر الأيدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالأحداث والاعتناء به ﴿أنعاما﴾ مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع أن حقه التقدم عليهما مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فإن ماحقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترتبة له فيتمكن عند روده عليها فضل تمكن لاسيما عند كون المقدم منبثاً عن كون المؤخر أمراً نافعاً خطيراً كما فى النظم الكريم فإن الجار الأول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثانى المفصح عن كونه من الأمور الخطيرة يزيدان النفس شوقاً اليه ورغبة فيه ولأن فى تأخيره جمعا بينه وبين أحكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى ﴿فهم لها مالكون﴾ الآيات الثلاث أى فليكنها اياهم واشار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار ماليتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله أى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالاتفاق بها لا يراحمهم فى ذلك غيرهم أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما فى قول من قال

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير ان نفرا

والأول هو الاظهر ليكون قوله تعالى ﴿وذللناها لهم﴾ تأسيساً لنعمة دلى حياها لا تنمة لما قبلها أى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم فى شئ مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿فمنها ركوبهم﴾ الخ فإن الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أى فبعض منها ركوبهم أى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تمام الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالخواب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم أى ذور ركوبهم ﴿ومنها يأكلون﴾ أى وبعض منها يأكلون لحمه ﴿ولهم فيها﴾ أى فى الأنعام بكلا قسميها ﴿منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل كالجلود والأصواف والأوبار وغيرها والحرثاة بالثيران ﴿ومشارب﴾ من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل فى سورة النحل ﴿أفلا يشكرون﴾ أى أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها ﴿واتخذوا من دون الله﴾ أى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا تفرد به تلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة ﴿آلهة﴾ من الأصنام وأشركوها به تعالى فى العبادة ﴿لعلهم ينصرون﴾ رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الأمور أو يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ الخ استئناف سيق ليان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم ﴿وهم﴾ أى المشركون ﴿لهم﴾ أى لآلهتهم ﴿جند محضرون﴾ يشيعونهم عند مساقم الى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فإن الفاء فى قوله تعالى ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ لترتيب النهى على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتب الشر على

مارتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلاوة وأما كونهم معدن لخدمتهم وحفظهم فمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكن في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام عن التأثر منه بطريق السكينة على أبلغ وجه وآكده فان النهي عن أسباب الشئ ومبادئه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبي عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وأنهم شركاء لله سبحانه في العبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ: يحزنك بضم الياء وكسر الزاي من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى ﴿انا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ تعليل صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعاً أي انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شئ منها وفيه فضل تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للبالغه في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو أو مباديه مضمرة في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة ﴿أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهدة كما أن ماسبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والاسلام وأما ما قيل من أنه تسليية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتعبة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة أي ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علماً يقينياً أنا خلقناه من نطفة الخ أو هي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيداً للتذكير السابق وتمهيداً لانكار ما هو أحق منه بالانكار والتعجب لما أن المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معاشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب في أن علم الانسان بأحوال نفسه أهم واحاطته بها أسهل وأكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك أدخل كأنه قيل ألم يعلو اخلقه تعالى لأسباب معاشهم ولم يعلو خلقه تعالى لانفسهم أيضاً مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى أن المنكر الاول بعيد قبيح والثاني أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الأولى على أنها متقدمة في الاعتبار وأن تقدم الهمزة عليها لاقتضاءها الصدارة في الكلام كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لأن مدار الانكار متعلق بأحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً وقوله تعالى ﴿فاذا هو خصيم مبين﴾ أي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب كأنه قيل أولم ير أنا خلقناه من أحسن الأشياء وأهمها ففاجأ خصومتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص ابن وائل والوليد ابن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف ألا ترون الى ما يقول محمد أن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولا خصمته وأخذ عظماء باليا فجعل يفته ييده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان

ماء مهينا رجل ميمز منطق قادر على الخصام ميمز معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو من متهات شواهد صحة البعث قوله تعالى ﴿ وضرب لنا مثلاً ﴾ معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب وأما على التقدير الأول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصوصتنا وضرب لنا مثلاً أى أورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الأمر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام أو قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدّها من قبيل المثل وأنكرها أشد الانكار وهي احيائنا اياها وجعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى ﴿ ونسى خلقه ﴾ أى خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ماضيه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه وقوله تعالى ﴿ قال ﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل أى مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال ﴿ من يحيى العظام ﴾ منكر الاله أشد النكير مؤكداً له بقوله تعالى ﴿ وهي رميم ﴾ أى بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه أمر عجيب في نفس الامر حقيق اغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلاً ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احيائه تعالى لها فانه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الانكار مع أنه في نفس الامر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الانكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبراً للوثق لأنه اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس ﴿ قل ﴾ تبكيئنا له بتذكير مانسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها ﴿ يحييها الذى أنشأها أول مرة ﴾ فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها ﴿ وهو بكل خلق عليم ﴾ مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتنة المتبددة لكل شخص من الاشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على أن عليه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كانشائه للنبشآت وقوله تعالى ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴾ بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة أى خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على أن الجعل ابداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظراً الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظراً الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتندح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى ﴿ فاذا أنتم منه توقدون ﴾ فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المسائية المضادة لها بكيفية كان أقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطراً عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والارض ﴾ الاستئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك ويزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر

يقتضيه المقام أى أليس الذى أنشأها أول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿بقادر على أن يخلق مثلهم﴾ فى الصغر والقامة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسى أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقرىء يقدر وقوله تعالى ﴿بلى﴾ جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الانكارى من تقرير ما بعد النفى وايدان بتعين الجواب نطقوا به أو تلغثموا فيه مخافة الالتزام وقوله تعالى ﴿وهو الخلاق العليم﴾ عطف على ما يفيد الإيجاب أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفاً وبما ﴿انما أمره﴾ أى شأنه ﴿إذا أراد شيئاً﴾ من الاشياء ﴿أن يقول له كن﴾ أى أن يعلق به قدرته ﴿فيكون﴾ فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراد به بأمر الأمر المطاع المأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شئ ما وقرىء فيكون بالنصب عطف على يقول ﴿فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ﴾ تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا فى شأنه تعالى وقدم تحقيق معنى سبحان والفاء للإشارة الى أن ما فصل من شأنه تعالى موجبة لتزججه وتنزيهه أكل إيجاب كما أن وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بأنها مقتضية لذلك أتم اقتضاء والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهوت وقرىء ملكة كل شئ وملكه كل شئ وملك كل شئ ﴿واليه ترجعون﴾ لالى غيره وقرىء ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى . عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لأعلم ما روى فى فضائل يس وقرأتها كيف خصت بذلك فاذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلباً وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأياماً مسلم قرىء عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأياماً مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحياه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها ألا وهى سورة يس

سورة والصفات

(مكية وآياتها مائة واحدة أو اثنتان وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصفات صفا﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول أو الصفات أنفسها أى الناظرات لها فى سلك الصفوف بقيامها فى مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وقيل الصفات أقدامها فى الصلاة وقيل أجنحتها فى الهواء ﴿فالزاجرات زجرا﴾ أى الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصى وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتى وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما أى

صفا بديعا وزجرا بليغا وأما ذكرنا في قوله تعالى ﴿فالتاليات ذكرا﴾ فمفعول التاليات أى التاليات ذكرنا عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضا مصدر مؤكدا لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للمصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وان أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فبه للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصفات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصفات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواظع والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصفات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادهم الصفات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسييحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتب الصفات في الفضل أو ترتب موصوفاتها فيه كالذى سلف وأما الدلالة على الترتب في الوجود كما في قوله

يا لهف زبانة للحرث الصابح فالغائم فالآيب

فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصفات الطير من قوله تعالى والطيور صافات والزاجرات كل ما يزرع عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرىء بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ﴿ان الحكم لو احد﴾ جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذى هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيدها وتسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعنى قوله تعالى ﴿رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق﴾ فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان أو خبر لمبتدأ محذوف أى مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتحددتها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغربا هما ﴿انا زينا السماء الدنيا﴾ أى القربى منكم ﴿بزينة﴾ عجيبة بديعة ﴿الكواكب﴾ بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أى ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بأنفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأى زينة وقرىء بالاضافة على أنها يانية لما أن الزينة مهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانها لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بأن زانت الكواكب اياها وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسنها وأصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين فى رأى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة فى سطح سماء الدنيا بصور بديعة وأشكال رائعة ولا يقدح فى ذلك ارتكاز الثوابت فى الفلك الثامن وماعدا القمر فى الستة المتوسطة ان ثبت ذلك ﴿وحفظا﴾ منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا ﴿من كل

شيطان مارد) أى خارج عن الطاعة برمى الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظا
 من كل شيطان مارد زينها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله
 تعالى (لا يسمعون الى الملائكة الا على) كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية
 الحفظ وما يعتريهم فى أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم
 استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الاصل لئلا يسمعون لحذف اللام كما حذف من قولك جئتكم أن تكرمنى
 فبقى أن لا يسمعون ثم يحذف أن ويهدر عملها كما فى قول من قال ألا أي هذا الزاجرى احضر الوغى لما أن كل
 واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فمن أنكر المنكرات التى يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل
 عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملائكة الا على الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه أشرف
 الملائكة عليهم الصلاة والسلام أى لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف (ويقدفون)
 يرمون (من كل جانب) من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) علة للقدف أى للدحور وهو
 الطرد أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكده لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال أى قدفا دحورا مبالغا
 فى الطرد وقد جوز أن يكون صدرا كالقبول والهلوع (ولهم عذاب واصب) أى ولهم فى الآخرة غير ما فى الدنيا
 من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى وأعدنا لهم عذاب السعير (الا من خطف
 الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب
 عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف
 (فأتبعه شهاب) أى تبعه ولحقه وقرئ فأتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء (ثاقب) مضى فى الغاية كأنه
 يثقب الجو بضوئه يرمم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم قالوا وانما يعود من
 يسلم منهم حيا طمعا فى السلامة ونيل المراد كراكب السفينة (فاستفتهم) فاستخبر مشركى مكة (أهم أشد خلقا)
 أى أقوى خلقه وأهين بنية أو أصعب خلقا وأشق إيجادا (أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما
 والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه وبحيئه بعد ذلك لا سيما
 قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى (انا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
 من الأمم كعاد وثمود ولأن المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ
 لازم ولا تب (بل عجبت) أى من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث (ويسخرون) من
 تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم
 يسخرون منها أو عجبت من أن ينكروا البعث من هذه أفاعيله ويسخروا بمن يحوزه والعجب من الله تعالى اما على
 الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظام الشئ وقيل انه مقدر
 بالقول أى قل يا محمد بل عجبت (واذاذكروا) أى ودأبهم المستمر أنهم اذا وعظوا بشئ من المواعظ (لا يذكرون)
 لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا يتفجعون به لغاية بلاذتهم وقصور فكرهم (واذا رآوا آية) أى
 معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر أو يستدعى بعضهم من
 بعض أن يسخر منها (وقالوا ان هذا) أى ما يرونه من الآيات الباهرة (الاسحر مبين) ظاهر سحرته (أنذا
 متنا وكنا ترابا وعظاما) أى كان بعض أجزاءنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البادية

والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى ﴿أئنا لمبعوثون﴾ أى نبعث لانفسه لأن دونه خطوب بالو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا نكير الهمزة في أئنا للبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما بوجهه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضاءها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الأولى وبطرح الثانية فقط ﴿أو آباؤنا الأولون﴾ رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيويه أى وآباؤنا الأولون أيضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما أشه كنا ولا آباؤنا وأياما كان فرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرئ أو آباؤنا ﴿قل﴾ تبيكتنا لهم ﴿نعم﴾ والخطاب في قوله تعالى ﴿وأنتم داخرون﴾ لهم ولا باتهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أى كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه ﴿فانما هى زجرة واحدة﴾ هى اما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمرة أو تعليل لنهى مقدر أى اذا كان كذلك فانما هى الخ أو لا تستصعبوه فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه اذا صاح عليها وهى النفخة الثانية ﴿فاذا هم﴾ قائمون من مرأقدهم أحياء ﴿ينظرون﴾ يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وقالوا﴾ أى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر ﴿ياويلنا﴾ أى هلاكنا احضر فهذا أو ان حضورك وقوله تعالى ﴿هذا يوم الدين﴾ تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أى اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا وانما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون فى الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى ﴿هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون﴾ كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا﴾ خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم ﴿وأزواجهم﴾ أى أشباههم ونظرائهم من العصاة عابد الصنم مع عبدة وعابد الكوكب مع عبدة كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرنائهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على دينهم ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ من الأصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وأنت خير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جئ به لتعليل الحكم بما فى حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص ﴿فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾ أى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم ﴿وقفوهم﴾ احبسوهم فى الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى ﴿انهم مسئولون﴾ ايذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الأمر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى ﴿مالكم لاتناصرون﴾ بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أى لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وقرئ لاتتناصرون ولا تناصرون بالادغام ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ متقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلمهم مستسلم غير منتصر ﴿وأقبل﴾ حينئذ ﴿بعضهم﴾

على بعض) هم الاتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساؤلوا فقل قالوا أى الاتباع للرؤساء أو الكل للقرناء (انكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأمتها وعن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السائح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمي يميناً ويقيم بالسائح أو عن القوة والقسر فتقسر ونا على الغنى وهو الاوفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يخلفون أنهم على الحق (قالوا) استئناف كما سبق أى قال الرؤساء أو القرناء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمسكنكم منه وآثرتم الكفر عليه (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين للطغيان مصرين عليه (حق علينا) أى لزمنا وثبت علينا (قول ربنا) وهو قوله تعالى لا ملأن جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين (انا لذا نقون) أى العذاب الذى ورد به الوعيد (فأغويناهم) فدعوناكم الى الغنى دعوة غير ماجة فاستجبتم لنا باختياركم واستجابكم الغنى على الرشد (انا كنا غاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا فى الغواية (فانهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) حسبا كانوا مشتركين فى الغواية (انا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية (نفعل بالمجرمين) المتناهين فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم) بطريق الدعوة والتلقين (لا اله الا الله يستكبرون) عن القبول (ويقولون ائنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة (انكم) بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والاستكبار (لذا نقوا العذاب الاليم) والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرى بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرى لذا نقون العذاب على الاصل (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى الاجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو الا بما كنتم تعملونه منها (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من ضمير ذائقو وما بينهما اعتراض جى به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون الا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون أضعافا مضاعفة مما لا وجه له أصلا لاسيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذا نقون العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (اولئك) اشارة اليهم للايذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادة الله تعالى عن عداهم امتياز بالغا منتظمون بسببه فى سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) اما خبره وقوله تعالى (رزق) مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاوئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هى خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى (معلوم) أى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى (فواكه) اما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمرا أى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل

الجنة كلها فواكه أى ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقهم محكمة محفوظة من التحال المحوج الى البدل وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها ﴿وهم مكرمون﴾ عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم وقيل مكرمون فى نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرى مكرمون بالتشديد ﴿فى جنات النعيم﴾ أى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أحوال من المستكن فى مكرمون أو خبر ثان لا وائلك وقوله تعالى ﴿على سرر﴾ محتمل للحالية والخبرية فقوله تعالى ﴿متقابلين﴾ حال من المستكن فيه أو فى مكرمون وقوله تعالى ﴿يطاف عليهم﴾ اما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكامن مجالس أنسهم أحوال من الضمير فى متقابلين أو فى أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون ﴿بكأس﴾ ببناء فيه خمر أو بخمر فإن الكأس تطلق عن نفس الخمر كما فى قول من قال وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

﴿من معين﴾ متعلق بمضمر هو صفة لكأس أى كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء اذ انبع وصف به الخمر وهو للماء لأنها تجري فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال تعالى وأنهار من خمر ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾ صفتان أيضا لكأس ووصفها بلذة اما للبالغة كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذم معنى اللذيد ووزنه فعل قال

ولذ كطعم الصر خدى تركته بأرض العدمان خيفة الحدثان يريد به النوم ﴿لا فيها غول﴾ أى غائلة كما فى خمر الدنيا من غاله اذا أفسده وأهلكه ومنه الغول ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للبطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنزف مع اندراجها فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أو صداع أو رخمار أو عريضة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرى ينزفون بكسر الزاى من أنزف الشارب اذا نفذ عقله أو شرابه وقرى ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف بضم الزاى فيهما ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم ﴿عين﴾ نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شهن بيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأذى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الابدان ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتسألون﴾ معطوف على يطاف أى يشربون فيتحدثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتسألون عن الفضائل والمعارف وعمما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما ﴿قال قائل منهم﴾ فى تضاعيف محاوراتهم ﴿انى كان لى﴾ فى الدنيا ﴿قرين﴾ مصاحب ﴿يقول﴾ لى على طريقة التوسيع بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ﴿أنتك لمن المصدقين﴾ أى بالبعث وقرى بتشديد الصاد من التصديق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ﴿أئذ امتنا وكننا ترابا وعظاما أئنا لمدينون﴾ أى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون يقال دانه أى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال أين مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أنتك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث ﴿قال﴾ أى ذلك القائل بعدما حكى جلسائه مقالة

قرينه في الدنيا ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أى الى أهل النار لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قبل ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى أهل النار ﴿فأطاع﴾ أى عليهم ﴿فراه﴾ أى قرينه ﴿في سواء الجحيم﴾ أى في وسطها وقرى فاطع على لفظ المضارع المنصوب وقرى مطلعون فاطع وفأطع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طاع عاينا فلان واطع وأطاع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فاطع أنا أيضا أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعتهم كما هو ديدن الجلساء فكانهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرى مطلعون بكسر النون أرادهم مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التاخي ﴿قال﴾ أى القائل مخاطبا لقرينه ﴿تالله ان كدت لتردين﴾ أى لتهلكنى بالاغواء وقرى لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هى المخففة من ان وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف واللام فارقة أى تالله ان الشأن كدت لتردين ﴿ولولا نعمة ربى﴾ بالهداية والعصمة ﴿لكنت من المحضرين﴾ أى من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى ﴿أفأنا نحن بميتين﴾ رجوع الى محاوره جاسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجيحا وابتهاجا بما أتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدريقتيه نظم الكلام أى نحن مخلدون منعمون فأنحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرى بمائتين ﴿الا موتنا الاولى﴾ التى كانت في الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون فاذا جىء بالموت على صورة كبش أملح فذبح ونودى يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واعتباطا بها ﴿وما نحن بمعدين﴾ كالكفار فان النجاة من العذاب أيضا نعمة جليلة مستوجبة للحدث بها ﴿ان هذا﴾ أى الأمر العظيم الذى نحن فيه ﴿لهو الفوز العظيم﴾ وقيل هو من قول الله عز وجل تقرير ألقولهم وتصديقا له وقرى هو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ أى لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون للتحفظ الدينى السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضا يحتمل أن يكون من كلام رب العزة ﴿أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم﴾ أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز أى أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزل أم شجرة الزقوم التى حاصلها الألم والنغم ويقال النزل لما يقام ويهيا من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة ﴿انا جعلناها فتنه للظالمين﴾ محنة وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها فى النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق ﴿انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾ منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وقرى نابتة فى أصل الجحيم ﴿طلعها﴾ أى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركتة له فى الشكل والظلوع من الشجر قالوا أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر ﴿كأنه رؤس الشياطين﴾ فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه

بالخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها أعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمرة رؤس الشياطين ﴿فانهم لا تكون منها﴾ أى من الشجرة أو من طلعتها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه ﴿فماثلون منها البطون﴾ لغلبة الجوع أو للقسر على أكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ﴿ثم ان لهم عليها﴾ على الشجرة التي ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبى عنه كلمة ثم ويجوز أن تكون لما في شرابهم من مز يد الكراهة والبشاعة ﴿لشوبا من حميم﴾ شرابا من غساق أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعائهم وقرى بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به ﴿ثم ان مرجعهم﴾ أى مصيرهم وقد قرى كذلك ﴿لالى الجحيم﴾ لالى دركاتها أو الى نفسها فان الزقوم والجحيم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقامهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فىأ تكون منها الى أن يمتثلوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده أنه قرى ثم ان منقلبهم ﴿انهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير أن يكون لهم ولا لأبائهم شىء يتمسك به أصلا أى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أو لا مع ظهور كونهم على الباطل بأذى تأمل والامراع الاسراع الشديد كأنهم يزعمون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ﴿ولقد ضل قبلهم﴾ أى قبل قومك قرىش ﴿أكثر الاولين﴾ من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ أى أنبياء أولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبة الوخيمة وتكرير القسم لابرار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ من الهول والفضاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما الرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم أهلكوا اهلا كما فظيحا استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى ﴿الا عباد الله المخلصين﴾ أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرى المخلصين بكسر اللام أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى ﴿ولقد نادانا نوح﴾ نوع تفصيل لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما أشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولييان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووقفهم للايمان كما أشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى ﴿فلنعم المجيبون﴾ أى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه أحقابا ودهورا فلم يزدحم دعاؤه الافرا و نفورا فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن نحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه واجمع دليل العظمة والكبرياء ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ أى من الغرق وقيل من أذية قومه ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فحسب حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير أبنائه وأزواجهم أو هم الذين بقوا متناقلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج ﴿وتركنا عليه فى

(الآخرين) من الامم (سلام على نوح) أى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة
 أنزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة وقيل ثمة قول مقدر أى فقلنا وقيل ضمن تركنا
 معنى قلنا وقوله تعالى (في العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه النجاة واستمرارها أبدا في
 العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام
 من التكرمة السنية من اجابة دعائه أحسن اجابة وابقاء ذريته وبقية ذكره الجليل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر
 بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى
 ما ذكر من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
 اليه لا يذان بعور تبتة وبعده منزلة في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها أى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي
 الكاملين في الاحسان لاجزاء أدنى منه وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته
 وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما مالا يخفى (ثم أغرقنا الآخرين) أى المغايرين لنوح وأهله وهم
 كفار قومه أجمعين (وان من شيعة) أى ممن شايعه في أصول الدين (لإبراهيم) وان اختلفت فروع
 شرائعهما ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى أو أكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى
 سنته أو ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابة المكذبين وما كان بينهما الانيان هود وصالح عليهم السلام
 وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستائة وأربعون سنة (اذ جاء ربه) منصوب باذكر أو متعلق بما في الشيعة من
 معنى المشايعة (بقلب سليم) أى من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المحي
 به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الأولى أو
 ظرف لجاء أو لسليم أى أى شئ تعبدونه (أنفكا آلهة دون الله تريدون) أى تريدون آلهة من دون الله افكاً أى
 للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافئهم بأنهم على افك وباطل في
 شركهم ويجوز أن يكون افكاً مفعولاً به بمعنى أنهم يريدون افكاً ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها
 افك في نفسها للبالغة أو يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أفكين (فما ظنكم برب
 العالمين) أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فما
 ظنكم به أى شئ هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أنداداً أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم
 ما فعلتم من الاشرار به (فنظر نظرة في النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حى لها نوبة معينة في بعض ساعات
 الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فإذا هي قد حضرت (فقال انى سقيم) وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في
 تخلفه عن عيدهم وقيل أراد انى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها أو في كتبها أو في أحكامها ولا منع من ذلك
 حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايهاهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام الى معيدهم ليتذكروا
 فان القوم كانوا انجامين فأوهمهم أنه قد استدبل بأماراة في علم النجوم على أنه سقيم أى مشارف للسقم وهو الطاعون
 وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى معيدهم وتركوه في بيت الأصنام
 وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى هاربين مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) أى ذهب اليها في خفية
 وأصله الميل بحيلة (فقال) للأصنام استهزاء (ألا تأكلون) أى من الطعام الذى كانوا يصنعونه عندها تبرك
 عليه (مالكم لا تنطقون) أى بجوابي (فراغ عليهم) فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى (ضربا باليمين) مصدر

مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم أو لفعل مضمر هو حال من فاعله أى فراغ عليهم يضربهم ضرباً أو هو الحال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى فراغ عليهم ضارباً باليمين أى ضرباً شديداً قوياً وذلك لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدّها وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة كما فى قوله

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه يقوى الكلام ويؤكدّه وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى وتالله لا يكذب أنصنامكم ﴿فأقبلوا إليه﴾ أى المأمورون باحضاره عليه الصلاة والسلام بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الأصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام فعله فقبل فأتوا به ﴿يزفون﴾ حال من واو أقبلوا أى يسرعون من زيف النعام وقرئ يزفون من أزف اذا دخل فى الزيف أو من أزفه أى حمله على الزيف أى يزف بعضهم بعضاً ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضاً لتسارعهم اليه عليه الصلاة والسلام ﴿قال﴾ أى بعدما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات مناطق به قوله تعالى قالوا أنت فعلت هذا بالهتيايا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ ما تنحتونه من الأصنام وقوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ أى والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقهم ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعديد والأسباب وما تعملون اما عبارة عن الأصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايدان بأن مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نختم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضاً من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومها فينتظم الأصنام انتظاماً أولياً مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كائناً ما كان مخلوق له سبحانه وقيل مامصدرية أى عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم﴾ أى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه أى جحيم ذلك البيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الأنبياء ﴿فأرادوا به كيداً﴾ فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم ﴿فجعلناهم الاسفلين﴾ الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه عليه الصلاة والسلام بجعل النار عليه برداً وسلاماً ﴿وقال انى ذاهب الى ربى﴾ أى مهاجر الى حيث أمرنى ربى كما قال انى مهاجر الى ربى وهو الشام أو الى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى ﴿سهيدين﴾ أى الى ما فيه صلاح دينى أو الى مقصدى وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولذلك أتى بصيغة التوقع ﴿رب هب لى من الصالحين﴾ أى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيداً بالأخوة فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمته أخاه هرون نبياً ولقوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ فانه صريح فى أن المشر به عين ما استوهمه عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ وأن الحلم وأنه يكون حليماً وأى حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى

نعتهما به وحالهما المحكية بعد عدل بيته بذلك والفاء في قوله تعالى ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايدانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رأيته أكبره وفي قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده أى فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبي عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعي قيل مع من فقليل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة ﴿قال﴾ أى ابراهيم عليه السلام ﴿يا بني انى أرى في المنام أنى أذبحك﴾ أى أرى هذه الصورة بعينها أو ماهذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذيح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بسلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولدو بلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذكرك . والاظهر الاشهر أن المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذى وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر أبوه عبد الله فان عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر نثر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكعبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الأمر بذبحه مراهما وماروى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وماروى من أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرى انى بفتح الياء فيهما ﴿فانظر ماذا ترى﴾ من الراى وانما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهن ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبني للمفعول ﴿قال ياأبت افعل ما تؤمر﴾ أى تؤمر به فحذف الجارأولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل أو حذف دفعه أو افعل أمرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية الماء وربه أمرا وقرى ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامثال به ﴿ستجدنى ان شاء الله من الصابرين﴾ على الذبح أو على قضاء الله تعالى ﴿فلما أسلما﴾ أى استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرى بهن جميعا وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه ومعناها أخلص نفسه لله وجعلها سائلة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضى الله عنه فى أسلما أسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه ﴿وتله للجبين﴾ صرعه على شقه فوق جبينه على الارض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل فى المنحر الذى ينحر اليوم فيه ﴿ونادىناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب

مقدماته وقد روى أنه أمر السكين بقوته على حلقة مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد مثله واطهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك ﴿انا كذلك نجزي المحسنين﴾ تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ﴿ان هذا هو البلاء المبين﴾ الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء أصعب منها ﴿وفديناه بذبح﴾ بما يذبح بدله فيتم به الفعل ﴿عظيم﴾ أى عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي وأى نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الكبش الذى قر به هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعلى أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة فى الرمي وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر والله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطى له والأمر به على التجوز فى الفداء أو الاسناد ﴿وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم﴾ قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح عليه السلام ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجليل فيما بين الامم لا الى ما أشير اليه فيما سبق فلا تكرر وعدم تصدير الجملة باننا لااكتفاء بما مر آنفا ﴿انه من عبادنا المؤمنين﴾ الراسخين فى الايمان على وجهه الايقان والاطمئنان ﴿وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين﴾ أى مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لا اعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق أى بأن يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرنا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفى ذكر الصلاح بعد تعظيم لشأنه وايماء الى أنه الغاية لها تضمنها معنى السكالم والتكميل بالفعل على الاطلاق ﴿وباركنا عليه﴾ على ابراهيم فى أولاده ﴿وعلى اسحق﴾ بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرىء وبركنا ﴿ومن ذريتهما محسن﴾ فى عمله أول نفسه بالايمان والطاعة ﴿وظالم لنفسه﴾ بالكفر والمعاصى ﴿مبين﴾ ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له فى الهداية والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ أى أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ وهم بنو اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب كما فى قوله تعالى واذا أنجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ﴿ونصرناهم﴾ أى اياهما وقومهما على عدوهم ﴿فكانوا﴾ بسبب ذلك ﴿هم الغالبين﴾ عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما فى أسرهم وقسروهم مهوورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب

المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدى بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليب عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جائلة على حيالها ﴿وآتيناهما﴾ بعد ذلك ﴿الكتاب المستبين﴾ أى البليغ فى البيان والتفصيل وهو التوراة ﴿وهديناهما﴾ بذلك ﴿الصراط المستقيم﴾ الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام ﴿وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون﴾ أى أبقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل ﴿انا كذلك﴾ الجزاء الكامل ﴿نجزى المحسنين﴾ الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصرا عنه ﴿انهما من عبادنا المؤمنين﴾ سبق بيانه ﴿وان الياس لمن المرسلين﴾ هو الياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لأنه قرى مكانه ادريس وادراس وقرى ايليس وقرى الياس بحذف الهمزة ﴿اذقال لقومه لا تتقون﴾ أى عذاب الله تعالى ﴿أتدعون بعلا﴾ أتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخذموه أربعانة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض البعول ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ أى وتتركون عبادته وقد أشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى ﴿الله ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرى بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لأبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار بظلال آراء آبائهم أيضا ﴿فكذبوه فانهم﴾ بسبب تكذيبهم ذلك ﴿لمحضرون﴾ أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على أن الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا ﴿الاعباد الله المخلصين﴾ استثناء من ضمير محضرون ﴿وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين﴾ هو لغة فى الياس كسيناء فى سينين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلدين والخببيين وفيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثاليين وقرى باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس ﴿انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ مر تفسيره ﴿وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه﴾ أى اذ كر وقت تنجيتنا اياه ﴿وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين﴾ أى الباقيين فى العذاب أو الماضين الهالكين ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ فان فى ذلك شواهد على جليلة أمره وكونه من جملة المرسلين ﴿وانكم﴾ يا أهل مكة ﴿تقرءون عليهم﴾ على منازلهم فى متاجرهم الى الشام وتشاهدون آثاره لا بهم فان سدوم فى طريق الشام ﴿مصبحين﴾ داخلين فى الصباح ﴿وبالليل﴾ أى ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء ﴿أفلا تعقلون﴾ أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيكم مثل ما أصابهم ﴿وان يونس لمن المرسلين﴾ وقرى بكسر النون ﴿اذ أبق﴾ أى هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن اطلاقه عليه ﴿الى الفلك المشحون﴾ أى المملوء ﴿فساهم﴾ فقارع أهله ﴿فكان من المدحضين﴾ فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد أبى فافترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء ﴿فالتقمه الحوت﴾ فابتلعه من اللقمة ﴿وهو مليم﴾ داخل فى الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرى مليم بالفتح مبني من ليم كشيب فى مشوب ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا أنت

سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة فى الرخاء ﴿ للبث فى بطنه الى يوم يبعثون ﴾ حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثر الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ بيده عند الضراء ﴿ فنبذناه بالعراء ﴾ بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقليل أربعون يوما وقل عشرون وقل سبعة وقل ثلاثة وقل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما ﴿ وهو سقيم ﴾ بما ناله قليل صار بدنه كبطن الطفل حين يولد ﴿ وأنبثنا عليه ﴾ أى فوقه مظلة عليه ﴿ شجرة من يقطين ﴾ وهو كل ما ينسبط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والخنظل وهو يفعل من قطن بالمكان اذا أقام به والا كثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس وقيل هى التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختاف اليه فيشرب من لبنها ﴿ وأرسلناه الى مائة ألف ﴾ هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به ارساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين على الاطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل الى أمة جمعة وكان توسيطه كبر وقت هربه الى الفلك وما بعد بينهما لتدكير سببه وهو ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعلمهم وتعليقهم لايمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم أن ايمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر ﴿ أو يزيدون ﴾ أى فى رأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو ﴿ فآمنوا ﴾ أى بعد ما شاهدوا علامتهم حلول العذاب ايمانا خالصا ﴿ ففتنهم ﴾ أى بالحياة الدنيا ﴿ الى حين ﴾ قدره الله سبحانه لهم قليل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة ﴿ فاستفتهم ﴾ أمر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيك قريش وأبطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحقيقه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الاولين وأنه تعالى أرسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص وأخرى بالايمان ثم أمره عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيكهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلبه وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ماسبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكده التبكيك ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيكهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم أبطل أصل كفرهم المنطوى على هذين الكافرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه فى سلك التبكيك لشاركتهم

النصارى في ذلك أى فاستخبرهم ﴿أربك النبات﴾ اللاتي هن أوضاع الجنسين ﴿ولهم البنون﴾ الذين هم أرفعهما فان ذلك مما لا يقول به من اله أدنى شئ من العقل وقوله تعالى ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا﴾ اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما أشير اليه أى بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلاق وأبعدهم من صفات الاجسام ورتائل الطبائع اناثا والانوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى ﴿وهم شاهدن﴾ استهزاء بهم وتجميل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خاق أنفسهم فان أمثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل ممالا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا أى بل أخلقناهم اناثا والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أهم شاهدون وقوله تعالى ﴿ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله﴾ استئناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا ﴿وانهم لكاذبون﴾ في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿أصطفى النبات على البنين﴾ اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامرين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى النبات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشئ لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أى لكاذبون في قولهم أصطفى الخ تعسف بعيد ﴿مالك كيف تحكمون﴾ بهذا الحكم الذى يقضى بطلانه بديهية العقل ﴿أفلاتذكرون﴾ محذوف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أى ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركز في عقل كل ذكى وغبي ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أى بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسى أو عقلى وحيث اتنى كلاهما فلا بد من سند نقلى ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الناطق بصحة دعواكم ﴿ان كنتم صادقين﴾ فيها وفي هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لاباطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيب عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتمجيب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ التفات الى الغيبة للايدان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جنائياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخاق أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وانما أعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون﴾ أى وبالله لقد علمت الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافتراءهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازى وهذا القول عندى أقرب

الاقاويل وهو مذهب المجوس القاثين يزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قریش الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم تبكىنا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الاقاويل يجوز أن يكون الضمير في أنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول فان قوله ﴿سبحان الله عما يصفون﴾ حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى ﴿الاعباد لله المخلصين﴾ شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى ﴿فانكم وما تعبدون ما أتم عليه بفاتنين﴾ تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والاتفات الى الخطاب لظاهر كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغوهم وفيه ايدان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأتم خطاب لهم ولعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال قن فلان على فلان امرأته أى أفسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عبادواضلالهم ﴿الامن هو صال الجحيم﴾ منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه يصير على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لاحتالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا جرم برآء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرىء صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى ﴿وما من الااله مقام معلوم﴾ تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم في مواقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واطهار لقصور شأنهم وقائمهم أى وما من الااله مقام معلوم في العبادة والالتقاء الى أمر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوز ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى فنههم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وقال السدى الااله مقام معلوم في القربة والمشاهدة ﴿وانا لنحن الصافون﴾ في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة ﴿وانا لنحن المسبحون﴾ المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لا براز أن صدورهم عنهم بكامل الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه أخر فتأمل والله الموفق ﴿وان كانوا ليقولون﴾ ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة أى ان الشأن كانت قریش تقول ﴿لو أن عندنا ذكر من الأولين﴾ أى كتابا من كتب الأولين من التوراة والانجيل ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾ أى لأخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من احدى الامم والفاء في قوله تعالى ﴿فكفروا به﴾ فضيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفاق أى فجاءهم ذكر وأى ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والسفار فكفروا به ﴿فسوف يعلمون﴾ أى عاقبة كفرهم وغائلته ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم

لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى ﴿أنهم لهم المنصورون وأن جندنا﴾ وهم أتباع المرسلين ﴿لهم الغالبون﴾ على أعدائهم فى الدنيا والآخرة ولا يقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وان وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمنين سبقت معنى حققت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لا تنظامها فى معنى واحد وقرئ كلماتنا ﴿قول عنهم﴾ فأعرض عنهم واصبر ﴿حتى حين﴾ الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح ﴿وأبصرهم﴾ على أسوأ حال وأفزع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالأمر بأبصارهم الايدان بغاية قربها كأنه بين يديه ﴿فسوف يبصرون﴾ ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التباعد ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل ﴿فاذا نزل بساحتهم﴾ أى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرّة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيًا للمفعول من التنزيل أى نزل العذاب ﴿فساء صباح المنذرين﴾ فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾ تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليّة وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما فى اطلاق الفعلين عن المفعول من الايدان بأن ما يبصره عليه الصلاة والسلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل أريد بالأول عذاب الدنيا والثانى عذاب الآخرة ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمة وما لم يذكر من الأمور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبى عنه التعرض اعنوان الربوبية المعربة عن الترية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام أولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مريك ومكمل ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الأشياء التى منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى ﴿وسلام على المرسلين﴾ تشریف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايدان بأنهم سالمون عن كل المكارة فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايدان باستتباعها للأفعال الجميلة التى من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغهم عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بأن ما وعده عليه الصلاة والسلام من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا فى فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لخم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد . عن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى

من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعد ذلك جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص

(مكية وآياتها ست أو ثمان وثمانون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ص﴾ بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح للقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر أو اقرأ لافتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتثنية على أنه اسم الكتاب أو التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر أمر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي يعكس من الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره واته عن نواهيه وتخلق بأخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدى أو الرمز الى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن أكبر السلف أو اسما للسورة خبرا مبتدأ محذوف أو نصبا على اضمار اذكر أو اقرأ أو أمرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان أريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وأياما كان في التكرير مزيدا تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأمم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي عنه التحدى والأمر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالأعظام أى أقسم بالقرآن أو بصاد وبه انه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالأعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبية على عظم خطره أى انه لصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الأجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انبأ بينا كان قوله تعالى ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ اضرابا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب مادل عليه الجملة الاضرائية أى ما كفر به من كفر لخال وجدده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة أى في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادئ الإيمان ودواعيه ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية ﴿فنادوا﴾ عند نزول بأسنا وحلول نعمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى فاته لا من ناص بمعنى تأخروا ولا هي المشبهة بليس زيدت

عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب و ثم وخصت بنى الأحيان ولم يبرز إلا أحد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنى الأحيان وحين مناص منصوب على أنه اسمها أى ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرى بالرفع فهو على الأول اسمها والخبر محذوف أى وليس حين مناص حاصلًا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أى ولا حين مناص كائن لهم وقرى بالكسر كما في قوله

طلبوا صلحنا ولات أو ان فأجبنا أن لات حين بقاء

أما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أولان أو ان شبه بأذ في قوله نهيتك عن طلابك أم عمرو بعافية وأنت إذ صحيح

في أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لأن أصله أو ان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص إذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن وقرى لات بالكسر بكسر و يقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون بالتاء كالأفعال وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم أى عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الانكار لأنهم اعتقدوا وقوعه وتمعجبوا منه (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايدنا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق (هذا ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال (أجعل الآلهة الها واحدا) بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا لشيء عجاب) بليغ في العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كبرا عن كبر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتقاد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لآلهتهم علما وقدره ومدخلا في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفى ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرى عجاب بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكرا آلهتنا وندعك واهلك فقال صلى الله عليه وسلم أرايتم ان أعطيتكم ماسألتهم أمعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملائكة منهم) أى وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصليه عليه الصلاة والسلام في الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويثسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور (أن امشوا) أى قاتنين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا (واصبروا على آلهتكم) أى واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون في حقها من القدح وأن هى المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية

التفاؤل أى اجتمعوا واكثروا وقرىء امشوا بغير أن على اضمار القول وقرىء يمشون أن اصبروا ﴿ان هذا لشيء يراد﴾ تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أى هذا الذى شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد ونفى أهتنا وابطال أمرها لشيء يراد أى من جهته عليه الصلاة والسلام امضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطلعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبى طالب وشفاعته وحسبكم أن لاتمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعون في حقها من القدح وسوء القالة وقيل ان هذا الأمر لشيء يريد الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريد كل أحد فتأمل في هذه الأقاويل واختر منها مايساعده النظم الجليل ﴿مسمعنا بهذا﴾ الذى يقوله ﴿فى الملة الآخرة﴾ أى الملة النصرانية التى هى آخر الملل فانهم مثلثة أو فى الملة التى أدر كنا عليها آبائنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من هذا أى مسمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان كائنا فى الملة المترتبة ولقد كذبوا فى ذلك أقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور ﴿ان هذا﴾ أى ماهذا ﴿الا اختلاق﴾ أى كذب اختلقه ﴿أنزل عليه الذكر﴾ أى القرآن ﴿من بيننا﴾ ونحن رؤساء الناس وأشرفهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوى ﴿بل هم فى شك من ذكرى﴾ أى من القرآن أو الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر فى الأدلة المؤدية الى العلم بحقيقته وليس فى عقيدتهم ما يبتون به فهم مذنبون بين الاوهام ينسبون به تارة الى السحر وأخرى الى الاختلاق ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أى بل لم يذوقوا بعد عذابى فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفى لمادلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسمهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابى الموعود فى القرآن ولذلك شكوا فيه ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاءون حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن شاءوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنوبة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز أى الغالب الذى لا يغالب الوهاب الذى له أن يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفى اضافة اسم الرب المنبى عن الترية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه واللفظ به مالا يخفى وقوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ ترشيح لما سبق أى بل لهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا فى الأمور الربانية ويتحكموا فى التدابير الالهية التى يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى ﴿فايرتقوا فى الأسباب﴾ جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم مالا غاية وراءه والسبب فى الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها ﴿جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب﴾ أى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تسكترت بما يهدون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك أكلت شيا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك

إشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاذ وفرعون ذو الاوتاد ﴾ الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ الساطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد

أو ذو الجموع الكثيرة سمو بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد بين أربعة أوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحيال يلعب بها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الياك ﴾ أصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى ﴿ أولئك الاحزاب ﴾ اما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ﴿ ان كل الاكذب الرسل ﴾ استئناف جي به تقريراً لتكذيبهم وبياناً لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه أى ما كل أحد من آحاد أولئك الاحزاب أو ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعاً لا تفارق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأياما كان فلا استثناء مفرغ من أعم العام في خبر المبتدأ أى ما كل أحد منهم محكوماً عليه بحكم الاحكام عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبراً عنه بخبر الا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام أولاً والايدان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانياً وتبين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثاً فون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى ﴿ فحق عقاب ﴾ أى ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجهه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بخبره بخلاف العائد أى ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكداً لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ما قيل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاذ الخ أو قوله وقوم لوط الخ فما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله ﴿ وما ينظر هؤلاء ﴾ شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب أضرابهم من الاحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعاً وفي الإشارة اليهم هؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله إشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال أصلاً كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء انما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد وبعدها بين عقاب الاحزاب واستئصالهم بالمرّة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وانما الذين في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظام الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا بعد شيئاً من غوائلها أى وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهاكمة في الكفر والتكذيب ﴿ الاصيحة واحدة ﴾ هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث أخرت عقوبتهم الى الآخرة

لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فما لا وجه له أصلاً لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من كان حياً عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعاً عقوبتها ولا العذاب المطلق مؤخرًا إليها بل يحل بهم من حين موتهم ﴿ما لها من فواق﴾ أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب﴾ حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل المزه به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهاال ﴿اصبر على ما يقولون﴾ من أمثال هذه المقالات الباطلة ﴿واذكر﴾ لهم ﴿عبدنا داود﴾ أي قصته تهويلًا لأمر المعصية في أعينهم وتنبهًا لهم على كمال قبح ما اجترأوا عليه من المعاصي فإنه عليه الصلاة والسلام مع علو شأنه واختصاصه بعبائهم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الذين من كل ذليل المرتكبين لا كبر الكبر المصيرين على أعظم المعاصي أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك مالمقيه من المعاتبة ﴿ذا الأيد﴾ أي ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وايد كل شيء ما يتقوى به ﴿انه أواب﴾ رجاء إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل ﴿انا سخرنا الجبال معه﴾ استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وأما بيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام لما أشير إليه في سورة الانبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها إليه عليه الصلاة والسلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والافتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة إلى ما في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿يسبحن﴾ أي يقصدن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو بخاق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير ﴿بالعشى والاشراق﴾ أي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الآية ﴿والطير﴾ عطف على الجبال ﴿محشورة﴾ حال من الطير والعامل سخرنا أي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية ﴿كل له أواب﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالاً من تسبيح الطير أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاء إلى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاء

لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه اكثر
الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجال والطيور أى مسبح مرجع
للتسبيح ﴿وشددنا ملكه﴾ قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد المبالغة قيل كان بيت
حول محرابه أربعون ألف مستلثم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه
فى المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي فى اليقظة فأعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذنى
بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أباهذا غيلة فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه
وعظمت هيئته فى القلوب ﴿وآتيناه الحكمة﴾ النبوة وكال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل
كلام وافق الحق فهو حكمة ﴿وفصل الخطاب﴾ أى فصل الختام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذى
ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قدر وعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والظهار
والاضمار والحذف والتكرار وانما سمي به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل هو
الخطاب الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب بل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لا تزرو ولا هذر ﴿وهل أتاك
نبأ الخصم﴾ استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما فى حيزه لا يذانه بأنه من الانباء البديعة التى حقها أن
تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان
فريقان ﴿اذتسورا المحراب﴾ اذ تصعدوا سورة ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم اذ تسورا أو بالنبا على أن المراد به الواقع فى عهد داود
عليه السلام وأن اسناد الايتان اليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بآنى
لان ايتانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى ﴿اذدخلوا على داود﴾ بدل مما قبله أو ظرف
لتسورا ﴿ففرغ منهم﴾ روى أنه تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام
فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا
وهما بين يديه جالسان ففرغ منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله فى غير يوم الحكومة
والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما
للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير ﴿قالوا﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فرعه عليه
الصلاة والسلام كأنه قيل فاذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفرعه فقيل قالوا ازالة لفرعه ﴿لاتخف خصمان﴾
أى نحن فوجان متخاصمان على تسمية صاحب الخصم خصما ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ هو على الفرض وقصد
التعريض فلا كذب فيه ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أى لاتجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط أى لاتبعد
عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق ﴿واهدنا الى سواء
الصراط﴾ الى وسط طريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل ﴿ان هذا أخى﴾
استئناف لبيان ما فيه الخصومة أى أخى فى الدين أو فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه
﴿له تسعون وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة﴾ هى الاثنى من الضأن وقد يكتفى بها عن المرأة والكنياية والتعريض بأنغ فى المقصود
وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولى نعجة بسكون الياء ﴿فقال أ كفلنيها﴾ أى ملكنيها
وحقيقته اجعلنى أ كفلها كما أ كفل ماتحت يدي وقيل أجعلها كفى أى نصيبى ﴿وعزنى فى الخطاب﴾ أى غلبنى فى

مخاطبته إياي بحاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالته إياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرى وعازني أي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست ﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعا منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بالي لتضمنه معنى الإضافة والضم ﴿وان كثيرا من الخطأ﴾ أي الشركاء الذين خلطوا أموالم ﴿ليغني﴾ ليتعدى وقرى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبجذف الياء اكتفاء بالكسرة ﴿بعضهم على بعض﴾ غير مراعاة لحق الصحبة والشركة ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ منهم فأنهم يتحامون عن البغي والعدوان ﴿وقليل ما هم﴾ أي وهم قليل وما مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض ﴿وظن داود أنما قتناه﴾ الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة أي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة أنما إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى متعلقات الفعل وقوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك إنما ضربت زيدا وإنما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغيره من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معاني خصوصية الفعل فإنه غير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطابق الفعل واعتبار الإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال المخصوصة ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو أثره في الحقيقة فإن معنى نصر مثلاً فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الإعطاء والمنع فورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام أنما فعلناه بالفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة أوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وإثارة طريق التمثيل لأنه أبلغ في التوبيخ فإن التأمل فيه إذا أداه إلى الشعور بما هو الغرض كان أوقع في نفسه وأعظم تأثيراً في قلبه وأدعى إلى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة عليه الصلاة والسلام بترك المجاهرة والاشعار بأنه أمر يستحي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه الصلاة والسلام إلى التصريح بنسبة نفسه إلى الظلم وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن أوريا بصدد الخصام ﴿فاستغفر ربه﴾ اثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب ﴿وخر راكعاً﴾ أي ساجداً على تسمية السجود ركوعاً لأنه مبدؤه أوخر للسجود راكعاً أي مصلياً كأنه أحرم بركعتي الاستغفار ﴿وأنا ب﴾ أي رجع إلى الله تعالى بالتوبة . وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا فقال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحي أن يرده ففعل فيتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أمته غير مخجل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير تكبر خلا أنه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نساءه بل كان يجب عليه أن يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر

على ما امتحن به وقيل لم يكن أوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عليه السلام فأثره عليه السلام أهلها فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام أن خطب على خطبة أخيه المسلم هذا وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي وقرأ الزبور فيبينها هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمديده ليأخذها لابن صغير له فطار فامتد اليها فطار فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقصت شعرها فغطى بدنهما وهي امرأة أوريا وهو من غزاة اللقاء فكتب الى أيوب بن سوريا وهو صاحب بعث اللقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما مكروه تمجده الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه وأساءه وتبأ لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا أن يقتلوه عليه الصلاة والسلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فلم عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به وأناب ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أى ما استغفر منه وروى أنه عليه الصلاة والسلام بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو لما لا بد منه ولا يرقأ دمه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاء دمع وجهه نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيف من بني اسرائيل فلما غفر له حارب به فبهزمه ﴿وانله عندنا الزلفى﴾ لقربة وكرامة بعد المغفرة ﴿وحسن مآب﴾ حسن مرجع فى الجنة ﴿يادادانا جعلناك خليفة فى الارض﴾ اما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبيته لزلفاه عنده عز وجل واما مقول قول مقدر هو معطوف على غفرنا أو حال من فاعله أى وقلنا له أو قائلين له ياداد الخ أى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على أن حاله عليه الصلاة والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ﴿ولا تتبع الهوى﴾ أى هوى النفس فى الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بالنصب على أنه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين أى فيكون الهوى أو اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التى نصها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى ﴿ان الذين يصلون عن سبيل الله﴾ تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله فى موقع الاضرار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه ﴿لهم عذاب شديد﴾ جملة من خبر ومبتدا وقعت خبر الان أو الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار ﴿بما نسوا﴾ بسبب نسيانهم وقوله تعالى ﴿يوم الحساب﴾ اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته ما يستتبعه ويستلزمه أعنى الضلال عن سبيل الله تعالى فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرّة بل هذا فرد من أفراد أو ظرف لقوله تعالى لهم أى لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته أن يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حيثئذ عين التعليل المشعريه بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى قدبر ﴿وما خلقنا

السماء والارض وما بينهما باطلا) كلام مستأنف مقرر لما قبله من أمر البعث والحساب والجزاء أى وما خلقناها وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار فى فهمه العقول خلقا باطلا أى خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منظويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا وأودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلية والعملية فى استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبتا للحق دلائل آفاقية وأنفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقصر على ذلك المقدار من اللطاف بل أرسلنا اليها رسلا وأنزلنا عليها كتباً بينها فيها كل دقيق وجليل وأزحنا عليها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعدنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها (ذلك) إشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا (ظن الذين كفروا) أى مظلونهم فان جحودهم بأمر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم بيطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (فويل للذين كفروا) مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصل موضع ضميرهم للاشعار بما فى حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافى بينهما لأن ظنهم من باب كفرهم ومن فى قوله تعالى (من النار) تعليلية كما فى قوله تعالى فويل لهم مما كتبت أيديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدى اليها من ظنهم وكفرهم أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) أم منقطعة وما فيها من بل للاضراب الاتقالى عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما فى الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أى بل أنجعل المؤمنين الصالحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجمل محال فتمين البعث والجزاء محتملا لرفع الاولين الى أعلى عليين ورد الآخرين الى أسفل سافلين وقوله تعالى (أم نجعل المنقين كالفجار) اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بازوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل فى انكار التسوية من الوصفين الأولين وقيل قال كفار قریش للمؤمنين انانعطى فى الآخرة من الخير ماتعطون فنزلت (كتاب) خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى (أنزلناه اليك) صفته وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للمبتدأ أو صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مبارك على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بأنزلناه أى أنزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمتك بحذف احدى التائين (وليتذكر أولو الألباب) أى وليتعض به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا ما هو كالمركز فى عقولهم من فرط تمكّنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) وقرئ نعم العبد أى سليمان كما يبنى عنه تأخير عن داود مع كونه مفعولا لصريحا لوهبنا ولان قوله تعالى (انه أواب) أى رجع الى الله تعالى بالتوبة أو الى التيسيح مرجع له لتعليل المدهح وهو من

حاله لما أن الضمير المجزور روى قوله تعالى ﴿اذعرض عليه﴾ راجع اليه عليه الصلاة والسلام قطعاً واذمنسوب
 باذكر أى اذكر ما صدر عنه اذعرض عليه ﴿بالعشى﴾ هو من الظهر الى آخر النهار ﴿الصافات﴾ فانه يشهد بأنه
 أواب وقيل ظرف لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافات من الظرفين لما مر مراراً من التشويق الى المؤخر والصافن
 من الخيل الذى يقوم على طرف سنبكيد أو رجل وهو من الصفات المحموده فى الخيل لا يكاد يتفق الا فى العراب
 الخالص وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فهو المنخيم ﴿الجياد﴾ جمع جواد وجود
 وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين
 المحمودين واقفة وجارية أى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سرعاً خفافاً فى جريها وقيل
 هو جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيدين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبو دمن العمالقة
 فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوماً بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه
 حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاعتم لسافاته فاستردها فعقرها
 تقرب الله تعالى وبقي مائة فمأى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لماعقرها أبدله الله خيراً منها وهى الريح تجرى بأمره
 ﴿فقال انى أحبب حب الخير عن ذكر ربى﴾ قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترافاً بما صدر عنه
 من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيداً لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أو آخر العرض
 المستمر دون ابتدائه والتأكيد لدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحببت أن
 يعدى بعلى لأنه بمعنى أثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر
 ربى ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيراً لتعلق
 الخير بها قال عليه الصلاة والسلام الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة وقرىء انى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾
 متعلق بقوله أحببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أى أنبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك
 حتى توارت أى غربت الشمس تشبهاً لغروبها فى مغربها بتوارى الخبأ بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها وقيل
 الضمير للصافات أى حتى توارت بحجاب الليل أى بظلامه ﴿ردوها على﴾ من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه
 من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم أنه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلاً قال فماذا قال سليمان
 عليه السلام فقيل قال ردوها فتأمل والفاء فى قوله تعالى ﴿فطلق مسحا﴾ فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة
 الحال عاينها وايداناً بغاية سرعة الامثال بالامر أى فردوها عليه فأخذ يمسح السيف مسحا ﴿بالسوق والاعناق﴾
 أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حباً لها
 وانجذاباً بها وليس بذلك وقرىء بالسوق على همز الواو لضمها كما فى أدور وقرىء بالسوق تنزيلاً لضممة السين
 منزلة ضمة الواو وقرىء بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأن الالباس ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ وألقينا على كرسيه
 جسداً ثم أناب ﴿أظهر ما قيل فى فتنه عليه الصلاة والسلام ما روى مرفوعاً أنه قال لأطوفن الليلة على سبعين
 امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة
 واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون وقيل ولد له ابن
 فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الى أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه لخطئه
 حيث لم يتوكل على الله عز و علا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتاً له تسمى جرادة من أحسن

الناس فاصطفاه لنفسه وأسلمت وأحبها وكان لا يرقأ دمعا جزعا على أبيها فأمر الشياطين فثلوا لها صورته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماذ فجلس عليه تأبيا إلى الله تعالى با كيا متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوم ما فتمثل لها بصورة شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجاس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فأقن أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فكثت على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظما بني إسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكه فوقعت في يد ساميان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لأنه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن مخطورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره ﴿ قال ﴾ بدل من أناب وتفسير له ﴿ رب اغفر لي ﴾ أي ما صدر عني من الزلة ﴿ وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فإنه عليه الصلاة والسلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة ورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أو لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبه أو لا يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما يخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقدير الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك أدخل في الإجابة وقرئ لي بفتح الياء ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معالاة بالاخيرة فقط فإن المغفرة أيضا من أحكام وصف الوهابية قطعاً ﴿ فسخرنا له الريح ﴾ أي فنلناها لطاعته إجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام إلى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح ﴿ تجري بأمره ﴾ بيان لتسخيرها له ﴿ رخاء ﴾ أي لينه من الرخاوة طيبة لا ترزعزع وقيل طبيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد ﴿ حيث أصاب ﴾ أي حيث قصد وأراد حكى الاصمعي عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب ﴿ والشياطين ﴾ عطف على الريح ﴿ كل بناء وغواص ﴾ بدل من الشياطين ﴿ وآخرين مقرنين في الاصفاد ﴾ عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك وإلى مرده قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفاقة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدر على الاعمال الصعبة وقد جوز أن يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لأنه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعد وقوله تعالى ﴿ هذا ﴾ الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبيته لعظم شأن ما أوتي من الملك وأنه مفوض إليه تفويضاً كلياً واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا أو حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام أي وقلنا له أو قائلين له هذا الأمر الذي أعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على مالم يسلط عليه

غيرك ﴿عطاؤنا﴾ الخاص بك ﴿فاهن أو أمسك﴾ فأعط من شئت وامنع من شئت ﴿بغير حساب﴾ حال من المستكن في الامر أى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق أو من العطاء أى هذا عطاؤنا ماتبسا بغير حساب لغاية كثرتة أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمان والامساك الاطلاق والتقيد ﴿وان له عندنا لى﴾ فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا ﴿وحسن ما أب﴾ هو الجنة قيل اتى سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى فى تاريخه أن سليمان عليه السلام ورث ملك أبيه فى عصر كىخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كىخسرو وفهرى الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى أن وفى بلاد فارس فنزلها أياما ثم عاد الى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى أعلم ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وأيوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام ﴿اذ نادى ربه﴾ بدل اشمال من عبدنا وأيوب عطف ببيان له ﴿أنى﴾ بآنى ﴿مسنى الشيطان﴾ بفتح ياء مسنى وقرئ بأسكانها واسقاطها ﴿بنصب﴾ أى تعب وقرئ بفتح النون وبفتححتين وبضممتين للتثقيب ﴿وعذاب﴾ أى ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر فى قوله أنى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به بعبارة والالقول انه مسه الخ والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهه ولم يغره أو لامتحان صبره فيكون اعتراضا بالذنب أو مراعاة للادب أو لانه وسوس الى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لان المراد بالنصب والعذاب ما كان بوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه وردده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جملة قوله وأنت أرحم الراحمين فاكفى ههنا عن ذكره بما فى سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى ﴿اركض برجلك﴾ الخ اما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له اركض برجلك أى اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى ﴿هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فانه أيضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل فضر بها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب وبأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ﴿وهبنا له أهله﴾ معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما فى سورة الانبياء ووهبنا له أهله اما بأحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ﴿ومثلهم معهم﴾ عطف على أهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل ﴿رحمة منا﴾ أى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا ﴿وذكرى لأولى الالباب﴾ ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة ﴿وخذي يدك ضغثا﴾ معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير قلنا أى وقلنا خذ يدك الخ والاول أقرب لفظا

وهذا أنسب معنى فإن الحاجة الى هذا الاله لا تمس الا بهد الصحة فان امره راحة بنت افرام بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ما حزن بنت هيشان بن يوسف عليه السلام ذهبت الحاجة فأبطأت لخاف ان يرى ليضر بنهما مائة ضربة فأمر الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال ﴿فاضرب به﴾ أى بذلك الضغث ﴿ولا تحنث﴾ فى يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعافيتها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب ﴿انا وجدناه صابرا﴾ فيما أصابه فى النفس والاهل والمال وليس فى شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطالب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بأنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به واردة القوة على الطاعة فقد باغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى مناجاته الهى قد علمت أنهم يخالف لسانى قايى ولم يتبع قايى به مرمى ولم يبنى ما هلك يمينى ولم آكل الا وما عصى يتيم ولم أبت شعبان ولا كاسيا ومعنى جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه ﴿نعم العبد﴾ أى أيوب ﴿انه أو اب﴾ تعليل لمدحه أى رجاء الى الله تعالى ﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب﴾ عطف بيان لعبادنا وقرىء عبدنا اما على أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار أعنى والباقيان عطف على عبدنا واما على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع ﴿أولى الأيدي والأبصار﴾ أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أو أولى الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال لان أكثرها تباشر بها وبالأبصار عن المعارف لانها أقوى مبادئها وفيه تعريض بالجهلة البطالين أنهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تكميلهم منهم وقرىء أولى الأيدى بطرح الياء والاكتفاء بالسكسر وقرىء أولى الأيدى على جمع الجمع ﴿انا أخاصناهم بخالصة﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة فى العلم والعمل أى جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة الشأن كما ينبى عنه التنكير التفضيلى وقوله تعالى ﴿ذكرى الدار﴾ بيان للخالصة بعد إبهامها للتفخيم أى تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم فى كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز ببقائه ولا يتسنى ذلك الا فى الآخرة وقيل أخاصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم فى اختيارها ويعضد الأول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للشعار بأنها الدار فى الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرىء باضافة خالصة الى ذكرى أى بما خلاص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكرها بهم آخر أصلا أو تذكرهم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير والأخيار جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير مخفف منه كموات فى جميع ميت وميت ﴿واذكر اسمعيل﴾ فصل ذكره عن ذكر آية وأخيه للشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير ﴿واليسع﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياسر على بنى اسرائيل ثم استنبحه واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما فى قول من قال رأيت الوليد بن يزيد مباركا وقرىء واليسع كأن أصله ليسع فيعمل من اليسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم أعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع ﴿وذا الكفل﴾ هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته وولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بنى اسرائيل من القتل فأواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة ﴿وكل﴾ أى وكلهم

﴿من الأخيار﴾ المشهورين بالخيرية ﴿هذا﴾ إشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ﴿ذكر﴾ أى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبدا أو نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقوله تعالى ﴿وان للمتقين لحسن مآب﴾ شروع فى بيان أجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من الكمال ﴿جنات عدن﴾ عطف بيان لحسن مآب عندهم يحوز تحالفهما تعريفا وتشكيلا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالى ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل والأبواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأى البصريين أى الأبواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين اذا لاصل أبوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنها خبران لمحذوف أى هى جنات عدن هى مفتحة ﴿متكئين فيها﴾ حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى ﴿يدعون فيها بغاكة كثيرة وشراب﴾ استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضا حال مذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعا الفاكهة للايدان بأن مطاعهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى فانه لتحصيل بدل المتحل ولا تحلل ثمة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أى على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم ﴿أتراب﴾ لدات لهم فان التحاب بين الاقران أرسخ أو بعضهن لبعض لا يحوز فبهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسح فى وقت واحد ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ أى لأجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم ﴿ان هذا﴾ أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات ﴿لرزقنا﴾ أعطينا كموه ﴿ماله من نفاد﴾ انقطاع أبدا ﴿هذا﴾ أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى ﴿وان للطاغين لشر مآب﴾ شروع فى بيان أضداد الفريق السابق ﴿جهنم﴾ اعرابه كما سلف ﴿يصلونها﴾ أى يدخلونها حال من جهنم ﴿فبئس المهاد﴾ وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ﴿هذا فليذوقوه﴾ أى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى واياى فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره ﴿حميم وغساق﴾ وما بينهما اعتراض وهو على الأولين خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لوقطرت منه قطرة فى المشرق لتنت أهل المغرب ولوقطرت قطرة فى المغرب لتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين ﴿وآخر من شكله﴾ أى ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق أو العذاب فى الشدة والفضاعة وقرئ وأخر أى ومذوقات آخر أو أنواع عذاب آخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع الى الغساق ﴿أزواج﴾ أى أجناس وهو خبر لآخر لانه يحوز أن يكون ضربا أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر والضلالة والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى ﴿لامرحبا بهم﴾ من اتمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة للفوج أو حال منه أى مقول أو مقولا فى حقهم لا مرحبا بهم أى لا أتوا مرحبا أو لا رحبت بهم الدار مرحبا ﴿انهم﴾

صالوا النار) تعليل من جهة الحزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لامر حبابهم الى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الحزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم (بل أنتم لامر حبابكم) الخ على الوجهين الأخيرين ظاهر وأما على الوجه الاول فلعلمنا انما خاطبهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار الى الحزنة بل هم لامر حبابهم الخ قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاطبة مع الرؤساء والتحاكم الى الحزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أي بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قاتم وقوله تعالى (أنتم قدمتموه لنا) تعليل لاحقيتهم بذلك أي أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائفة والاعمال السيئة وتزيينها في أعيننا واغرائنا عليها لأننا باشرناها من تلقاء أنفسنا (فبئس القرار) أي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم (قالوا) أي الاتباع أيضا وتوسطه بين كلامهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا أي قالوا معرضين عن خصوصتهم متضرعين الى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي عذابا مضاعفا أي ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي (وقالوا) أي الطاغون (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستزدلونهم ويسخرون منهم (أتخذناهم سخرى) بهمة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على أنفسهم وتأنيبا لها في الاستسغار منهم (أم زاغت عنهم الابصار) متصل بأخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أي الامرين فعلا بهم الاستسغار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وان أبصارنا كانت تزيع عنهم وتتحممهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخا لها أو على أنها منقطعة والمعنى أخذناهم سخرى بل أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسغار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ أخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجال لا يقول له تعالى أم زاغت متصل بقوله مالنا لانرى والمعنى مالنا لانراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لانراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخرى بضم السين (ان ذلك) أي الذي حكى من أحوالهم (لحق) لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى (تخاصم أهل النار) خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام أولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه بدل من ذلك وما قيل من أنه صفة له فقد قيل عليه ان اسم الإشارة لا يوصف الا بالمعروف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل (قل) أمر لـ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (انما أنا منذر) من جهته تعالى أنذركم عذابه (وما من اله) في الوجود (الا الله الواحد) الذي لا يقبل الشراكة والكثرة أصلا (القهار) لكل شيء سواء (رب السموات والأرض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزیز) الذي لا يغلب في أمر من أموره (الغفار) المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للوحدين والوعيد للمشركين مالا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه (قل) تكرير الامر للايدان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمرا واثمارا (هو) أي ما أنبأتكم

به من أنى منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والأظهر أنه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا أوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿نبا عظيم﴾ وارد من جهته تعالى وقوله تعالى ﴿أنتم عنه معرضون﴾ استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمتهم وكونه موجبا للاقبال السكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبا وقوله تعالى ﴿ما كان لى من علم بالملا الأعلى﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق أنه نبا عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبا من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه أيضا كذلك والملا الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة وقوله تعالى ﴿اذيخصمون﴾ متعلق بمحذوف يقتضيه المقام إذ المراد نبي عليه عليه الصلاة والسلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لى فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملا الأعلى وقت اختصاصهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فإن عليه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الأقوال فقط بل عام لها وللأفعال أيضا من سجود الملائكة واستكبار إبليس وكفره حسبا ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم فى نفيه أيضا لا محالة وقوله تعالى ﴿ان يوحى الى الانما أنا نذير مبين﴾ اعتراض وسط بين اجمال اختصاصهم وتفصيله تقريراً لثبوت عليه عليه الصلاة والسلام وتعييناً لسببه الا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملاسته عليه عليه الصلاة والسلام بشئ من مبادئه المعهودة تعين أنه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك أمراً مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما أنا منذر فى ضمن تحقيق عليه عليه الصلاة والسلام بقصة الملا الأعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحي اما ضمير عائد الى الحال المقدر أو ما يعمله وغيره فالمعنى ما يوحى الى حال الملا الأعلى أو ما يوحى الى ما يوحى من الامور الغيبية التى من جملتها حالهم الا لانما أنا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعى الوحي اليه ومن موجباته حتما وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وأما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار وأن المعنى ما يوحى الى الا للانذار أو ما يوحى الى الا أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك كما قيل فع ما فيه من الاضطرار الى التكلف فى توجيه قصر الوحي على كونه الانذار فى الاول وقصره على الانذار فى الثانى فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصاص وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرى انما بالسكسر على الحكاية وقوله تعالى ﴿اذ قال ربك للملائكة﴾ شروع فى تفصيل ما أجمل من الاختصاص الذى هو ما جرى بينهم من التقاؤل وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصاص الى الملائكة واذ بدل من اذ الأولى وليس من ضرورة البدلية دخوله على نفس الاختصاص بل يكفى اشتغال ما فى حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والايدان بأن وحي هذا النبا اليه تربية وتأيد له عليه الصلاة والسلام والكاف وارد باعتبار حال الأمر لكونه أدل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور والاليل ربي لأنه داخل فى حيز الأمر ﴿انى خالق﴾ أى فيما سيأتى وفيه ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يذنيه ﴿بشرا﴾ قيل أى جسما كشيئا يلاقى ويياشر وقيل خلقا بآدى البشرية بلا صرف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكى ليس هذا

الاسم الذي لم يخلق مسماه حيثذا فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية (من طين) لم تعرض لأوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع آخر (فاذا سويته) أى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي) النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أى فاذا كملت استعداداه وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التى هى من أمرى (ففعلوا له) أمر من وقع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريما (فسجد الملائكة) أى خلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة (كلهم) بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد (أجمعون) أى بطريق المعية بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضا وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعليق كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح أو على الأمر التنجيزى كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وما فى سورة الاعراف وما فى سورة بنى اسرائيل وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الاعراف (الا ابليس) استثناء متصل لما أنه كان جنيا مفردا معمورا بألوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى (استكبر) على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروى وبه يتحقق أنه للاباء والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله أى لكن ابليس استكبر (وكان من الكافرين) أى وصار منهم بمخالفته للأمر واستكباره عن الطاعة أو كان منهم فى علم الله تعالى عز وجل (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والتثنية لابرار كمال الاعتناء بخلقهم عليه الصلاة والسلام المستدعى لاجلاله واعظامه قصد الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ (استكبرت) بهمة الانكار وطرح همزة الوصل أى أتكبرت من غير استحقاق (أم كنت من العالين) المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بمحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها وقوله تعالى (قال أنا خير منه) ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بأنه لا يليق أن يسجد الفاضل للفضول كما يعرب عنه قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى (خلقتنى من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ولذلك أمر الملائكة بسجودهم عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة فى الأرض وأن له خواص ليست لغيره (قال فاخرج منها) الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للأمر الجليل وتعليمها بالباطل أى فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالأمر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسه لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقرة وقيل اخرج من الخلافة التى كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا

وأظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى ﴿فانك رجيم﴾ تعليل للامر بالخروج أى مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرمى بالحجارة أو شيطان يرمى بالشهب ﴿وأن عليك لعنتى﴾ أى ابعادى عن الرحمة وتقبيدها بالاضافة مع اطلاقها فى قوله تعالى وأن عليك اللعنة لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضا من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة ﴿الى يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايدان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى أنموذج لما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر الترقيت بل على أنه سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل ألا يرى الى قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضا ﴿قال رب فأظننى﴾ أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أى اذا جعلتنى رجما فأمهلى ولا تمنى ﴿الى يوم يعثون﴾ أى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لا غوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث ﴿قال فانك من المنظرين﴾ ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل واضح على أنه اخبار بالانظار المقدر لهم أزلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين أى انك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين ﴿الى يوم الوقت المعلوم﴾ الذى قدره الله وعينه لفناء الخلاق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قول من قال فان ترحم فأنت لذلك أهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ماله تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكرهنا وفى سورة الحجر وان خطر ببالك أن كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى أحد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الإعجاز وأما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الإعجاز فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه ﴿قال فبعزتك﴾ الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فيما أغويتنى وقوله رب بما أغويتنى فان اغوائه تعالى اياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطنته فما لاقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعا فخكى تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر أى فأقسم بعزتك ﴿لاغوينهم أجمعين﴾ أى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم ﴿الا عبادك منهم المخلصين﴾ وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرى المخلصين على صيغة الفاعل أى الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى ﴿قال﴾ أى الله عز وجل ﴿فالحق والحق أقول﴾ برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ ونصب الثانى على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر أى لا أقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فالحق قسمى ﴿لأملأن جهنم﴾ على أن الحق اما اسمه تعالى أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به أو فأنا الحق أو فقولى الحق وقوله تعالى لأملأن جهنم الخ حيثند جواب لقسم محذوف أى والله لأملأن الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر

على الوجهين الأولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعنى فقولى الحق وقرئاً منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئاً مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الأول على اضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية ﴿منك﴾ أى من جنسك من الشياطين ﴿ومن تبعك﴾ فى الغواية والضلال ﴿منهم﴾ من ذرية آدم ﴿أجمعين﴾ تأكيد لكاف وما عطف عليه أى لأملأنها من المتبوعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على القرآن أو على تبليغ ما يوحى الى ﴿من أجر﴾ ذنبوى ﴿وما أنا من المتكفين﴾ أى المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أتتكم النبوة وأتقول القرآن ﴿ان هو﴾ أى ما هو ﴿الاذكر﴾ من الله عز وجل ﴿للعالمين﴾ أى للثقلين كافة ﴿ولتعلن نبأه﴾ أى ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق ﴿بعدحين﴾ بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصير على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم

—سورة الزمر—

﴿مكية الا قوله قل يا عبادى الآية وآياتها خمس وسبعون أو ثنتان وسبعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تنزيل الكتاب﴾ خبر لمبتدأ محذوف هو اسم إشارة أشير به الى السورة تنزيلاً لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مراراً وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر فى قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل عاملها معنى الإشارة أو من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الأول أو فى بمقتضى المقام الذى هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيد الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم والتعرض لوصفى العزة والحكمة للايدان بظهور أثرهما فى الكتاب بجران أحكامه ونفاذ أوامره ونواهييه من غير مدافع ولا ممانع وبإتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى ﴿انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق﴾ شروع فى بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واطهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضاً لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال أى بسبب الحق واثباته واطهاره أو بداعية الحق واقتضائه للانزال واما محذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أى أنزلناه اليك محقين فى ذلك أو

أنزلناه ماتمبسا بالحق والصواب أى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء فى قوله تعالى ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ لترتيب الأمر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه الصلاة والسلام بالحق أى فاعبده تعالى محضاً له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبا بين فى تضاعيف ما أنزل اليك وقرى برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للأمر باخلاص العبادة وقوله تعالى ﴿ ألا الله الدين الخالص ﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر باخلاص الدين له تعالى وجوب الامثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكدا لاختصاص الدين به تعالى أى ألا هو الذى يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لأنه المتفرد بصفات الألوهية التى من جماتها الاطلاع على المراتر والضمائر وقوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ تحقيق لحقيقة ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتداء خبره ما سأتى من الجملة المصدرة بـ **ان** والاولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى ﴿ مانعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ حال بتقدير القول من واوا اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاقه فى المعنى أى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين مانعبدكم شئ من الأشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا ﴿ ان الله يحكم بينهم ﴾ أى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أى بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة

فما كان بين الخير لوجاء سالما أبو حجر الاليل قلائل

أى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما اتحلله وحكمه تعالى فى ذلك ادخال الموحدى الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين مانعبدكم الا ليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم أى بين العبد والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبد شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاعضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقى الموحدين والمشركين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقي الى يوم القيامة وقرى قالوا مانعبدكم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس فى الاخبار بذلك مزيد مزية وقرى مانعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرى نعبدكم اتباعا للباء ﴿ ان الله لا يهدي ﴾ أى لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب ﴿ من هو كاذب كفار ﴾ أى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغيرهما الفطرة الأصلية بالقرن فى الضلالة والتماهى فى الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى ﴿ لو أراد الله أن يتخذ ولدا ﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا أوليا أى لو أراد الله أن يتخذ ولدا ﴿ لا صطفى ﴾ أى لا اتخذ ﴿ مما يخلق ﴾ أى من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه ﴿ ما يشاء ﴾ أن يتخذة اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لا متنازع تعدد الواجب وجوب استناد جميع ما عاده اليه ومن الين أن اتخاذ الولد لمنوط

بالممثلةين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذه ولم يكن اتخاذه ولدا بل اصطفاً عبد واليه أشير حيث وضع الاصطفاً موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيهاً على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه أى لو أراد الله تعالى أى يتخذ ولدا لفعل شيئاً ليس هو من اتخاذه الولد فى شيء أصلاً بل إنما هو اصطفاً عبد ولا ريب فى أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعاً فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقيق الارادة بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الأولوية على منوال لولم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى ﴿سبحانه﴾ تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتأكيده له ببيان تنزهه تعالى عنه أى تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن السبحان مصدر من سبح اذا بعد أو أسبحه تسبيحاً لا ثقاً به على أنه علم للتسبيح مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبيحاً حقيقياً بشأنه وقوله تعالى ﴿هو الله الواحد القهار﴾ استئناف به بين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثرياً ببيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالهية المستتعبة لساير صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الإطلاق مما يقضى بتنزهه تعالى عما قالوا قضاءً متقناً وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فناءه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرد به بما ذكر من الصفات الجليلة أى خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار فى الأرض منوط بتحريك السموات أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً متتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى ﴿كل يجرى لأجل مسمى﴾ بيان لكيفية تسخيرهما أى كل منهما يجرى لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة ﴿ألا هو العزيز﴾ الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التى من جملتها عقاب العصاة ﴿الغفار﴾ المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لآظهار كمال الاعتناء بمضمونها ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايدان باستقلاله فى الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلى والبداء بخلق الانسان لعراقته فى الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصاليته فى المعرفة فان الانسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ عطف على محذوف هو صفة لنفس أى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما فى الدلالة فانهما وإن كانتا آيتين داليتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل فى كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الأولى بثم دلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية وتراخيا عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي فى الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففیه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه السلام بلا أب وأم وخلق حواء

من تصيراه ثم تشيعب الخالق الفائق للحصر منهما وقوله تعالى ﴿ وأنزل لكم ﴾ بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أي قضى أو قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ أو أحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب ﴿ من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ ذكرنا وأنثى هي الابل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها وتقدير الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما أخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة الى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴾ استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى ﴿ خلقا من بعد خلق ﴾ مصدر مؤكد أي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خالق أي خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ متعلق بخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايدان يبعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحل الرفع على الابتداء أي ذلكم العظيم الشأن الذي عدت أفعاله ﴿ الله ﴾ وقوله تعالى ﴿ ربكم ﴾ خبر آخر أي مريكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به ﴿ له الملك ﴾ على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى ﴿ لا اله الا هو ﴾ وانفاء في قوله تعالى ﴿ فأتى تصرفون ﴾ لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شئونه تعالى أي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ﴿ ان تكفروا ﴾ به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر ﴿ فان الله غني عنكم ﴾ أي فاعلموا أنه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفاءهما ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ أي عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به ﴿ وان تشكروا يرضه لكم ﴾ أي يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لاتنفاؤه تعالى به وانما قيل لعباده لالكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرىء باسكان الهاء ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ بيان لعدم سرية كفر الكافر الى غيره أصلا أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى ﴿ ثم الى ربكم مرجعكم ﴾ بالبعث بعد الموت ﴿ فينبئكم ﴾ عند ذلك ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أي كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والايمان أي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ أي بمضمورات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة ﴿ واذا مس الانسان ضر ﴾ من مرض وغيره ﴿ دعا ربه منيبا اليه ﴾ راجعا اليه بما كان يدعو في حالة الرخاء لعلمه بأنه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراد كقوله تعالى ان الانسان لظالم كفار ﴿ ثم اذا خوله نعمة منه ﴾ أي أعطاه نعمة عظيمة من جنبه تعالى من التخول وهو التعبد أي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعبدا له حسن القيام به أو من الخول وهو الافتخار أي جعله يخول أي يفتخر ﴿ نسي ما كان يدعو اليه ﴾ أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه ﴿ من قبل ﴾ أي من قبل التخويل أو نسي ربه الذي كان يدعو ويترضع اليه اما بناء على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والاثنى وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد واما ايذانا بأن نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما أرضعت ﴿ وجعل الله أندادا ﴾ شركاء في العبادة

﴿ليضل﴾ الناس بذلك ﴿عن سبيله﴾ الذي هو التوحيد وقرىء ليضل بفتح الياء أى يزداد ضلالا أو يثبت عليه والافاصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا أن هذا أقرب الى الحقيقة لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله أنهما اضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلا ﴿قل﴾ تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله وما آله ﴿تمتع بكفرك قليلا﴾ أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا ﴿انك من أصحاب النار﴾ أى من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقنات من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل اذ قد أيدت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ الخ من تمام الكلام المأمور به وأم اما متصلة قد حذف معادها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أنت أحسن حالا وما آلا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه ﴿ساجدا وقائما﴾ أى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة وقرىء كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر ﴿يحذرا الآخرة﴾ حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبى عنه التعرض لعنوان الرواية المنبئة عن التبليغ الى السكمال مع الاضافة الى ضمير الراجى لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجى الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف ﴿قل﴾ بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل ﴿هل يستوى الذين يعلمون﴾ حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالفان المذكور ﴿والذين لا يعلمون﴾ أى ما ذكر أو شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الاولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القاتون والعاصون وقوله تعالى ﴿انما يتذكر أولو الالباب﴾ كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهة تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لا اختلال عقولهم كما في قول من قال

عوجوا خيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نوى وأحجار

أى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرىء انما يذكر بالادغام ﴿قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكير بأولى الالباب ايدانا بأنهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين أمر الله أدخل في ايجاب الامثال به وقوله تعالى ﴿الذين أحسنوا﴾ تعليل للامر أو لوجوب الامثال به وإيراد الاحسان فى حيز الصلة دون التقوى للايدان بأنه من باب الاحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر فى قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى ﴿فى هذه الدنيا﴾ متعلق بأحسنوا أى عملوا الاعمال الحسنة

في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام
 أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴿حسنة﴾ أى حسنة عظيمة لا يكتسبها ولا يكتسبها وهي الجنة وقيل هو
 متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية ﴿وأرض الله
 واسعة﴾ فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة
 الانبياء والصالحين فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً وقوله تعالى ﴿انما يوفى الصابرون﴾ الخ ترغيب في التقوى بالمأمور
 بها وإيثار الصابرين على المتقين للإيذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من
 استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعها أى انما يوفى
 الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا
 التي من جعلتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان ﴿أجرهم﴾ بمقابلتها ما كابدوا من الصبر ﴿بغير حساب﴾ أى بحيث
 لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث أنه تنصب
 الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيؤتون بها أجرهم ولا تنصب لاهل البلا بل يصب عليهم الأجر
 صباحاً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض بما يذهب به أهل البلا من الفضل ﴿قل انى أمرت
 أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أى من كل ما ينافية من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان
 ما أمر به نفسه من الاخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان
 بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون ﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ أى وأمرت بذلك لاجل
 أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز نصب السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول
 بتقيده بالعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز
 أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى أمرت أن أكون أول من أسلم فالمعنى وأمرت أن
 أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومي أو أكون أول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه ﴿قل انى أخاف ان عصيت
 ربي﴾ بترك الاخلاص والميل الى ما أتم عليه من الشرك ﴿عذاب يوم عظيم﴾ هو يوم القيامة وصف بالعظمة
 لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال ﴿قل الله أعبد﴾ لا غيره لاستقلاله ولا اشتراكا ﴿مخلصاً له ديني﴾ من كل شوب
 أمر عليه الصلاة والسلام ولا ببيان كونه مأموراً بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاختيار بخوفه من العذاب على تقدير
 العصيان ثم بالاختيار بامثاله بالامر على أبلغ وجه وآكده اظهاراً لتصلبه في الدين وحسماً لاطاعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم
 بقوله تعالى ﴿فاعبدوا ما شئتم﴾ أن تعبدوه ﴿من دونه﴾ تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى
 كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب ﴿قل ان الخاسرين﴾ أى الكاملين في الخسران الذى هو
 عبارة عن اضاعة ما يهيمه واتلاف ما لا بد منه ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾ باختيارهم الكفر لهما أى
 أضاعوهما وأتلفوهما ﴿يوم القيامة﴾ حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدى وأوقعوهما في هلكة
 لا هلكة ورائها وقيل خسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا
 من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا اياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب مالوآب لا تنفع به الخاسر وذلك غير متصور
 في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل في الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون
 بهم لو آمنوا وأياً ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان أنهم هم اما بجعل الموصول

عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجاً أولياً وما في قوله تعالى ﴿ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والإشارة بذلك إلى بعد منزلة المشار إليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفضاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الإيهام على أن لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هم حال من ظلال والظاهر أنه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلال أي لهم كائنة من فوقهم ظلال كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ﴿ومن تحتهم﴾ أيضاً ﴿ظلال﴾ أي أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلال الآخرين بل لهم أيضاً عند ترددهم في دركاتهما ﴿ذلك﴾ العذاب الفظيع هو الذي ﴿يخوف الله به عباده﴾ ويحذرهم إياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ﴿يا عباد فاتقون﴾ ولا تعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منظوية على غاية اللطف والمرحمة وقرئ يا عبادي ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للبالغة في المصدر كالرحوت والعظموت ثم وصف به للبالغة في النعت والمراد به هو الشيطان ﴿أن يعبدوها﴾ بدل الاشتغال منه فإن عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان إذ هو الأمر بها والمزين لها ﴿وأنابوا إلى الله﴾ وأقبلوا إليه معرضين عما سواه أقبالاً كلياً ﴿لهم البشرى﴾ بالثواب على السنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ هم الموصوفون بالاجتناب والانابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشریفاً لهم بالإضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل ﴿أولئك﴾ إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيدان بملورتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول أي أولئك المنعوتون بالمحاسن الجليلة ﴿الذين هداهم الله﴾ للدين الحق ﴿وأولئك هم أولوا الألباب﴾ أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها ﴿أفمن حق عليه العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال وتسجيل عاينهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فإن المراد بها قوله تعالى لا بليس لا ملأ من جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لا ملأ من جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا أي أنت مالك أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لمسا طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهد عليه الصلاة والسلام في دعائهم إلى الإيمان سعى في انقاذهم من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفاً وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب بمنزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه إلى الإيمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل أولاً أفمن حق عليه العذاب أفأنت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل أفأنت تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال استدرك منهم بقوله تعالى ﴿لكن الذين

اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف ﴿ وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية و بين أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم أي لهم علالى بعضها فوق بعض ﴿ مبنية ﴾ بناء المنازل المبنية المؤسسة على الارض في الرصانة والاحكام ﴿ تجري من تحتها ﴾ من تحت تلك الغرف ﴿ الانهار ﴾ من غير تفاوت بين العلو والسفل ﴿ وعد الله ﴾ مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد وأى وعد ﴿ لا يخلف الله الميعاد ﴾ لاستحالة عليه سبحانه ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ استئناف وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزيتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآيات أول الاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع ﴿ فلسكه ﴾ فادخله ونظمه ﴿ ينابيع في الارض ﴾ أي عيوننا وبحارنا كالعروق في الاجساد وقيل مياهنا تابعة فيها فان ينبوع يطاق على المنبع والنابع فصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار أي في ينابيع ﴿ ثم يخرج به زراعا مختلفا ألوانه ﴾ أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ﴿ ثم يهيج ﴾ أي يتم جفافه ويشرف على أن يشور من منابته ﴿ فتراه مصفرا ﴾ من بعد خضرته ونضرتة وقرى مصفارا ﴿ ثم يجعله حطاما ﴾ فتاتا متكسرة كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ﴿ ان في ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايدان يبعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه ﴿ لذكرى ﴾ لذكرا عظيما ﴿ لأولى الابواب ﴾ لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيهها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضى والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون بيهجتها ولا يفتتنون بفتنتها أو يحزمون بأن من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل ان في ذلك لذكرا كبيرا وتنبيهها على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لاعن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجلية والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما حيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين أن يكون متعلق التدبير والتنبيه شؤنه تعالى أو شؤن آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للاسلام ﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولى الابواب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشرحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه الصلاة والسلام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والى الكلام في الهمزة والفاء كالذى مر في قوله تعالى ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقى على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها ﴿ فهو ﴾ بموجب ذلك مستقر ﴿ على نور ﴾ عظيم ﴿ من ربه ﴾ وهو اللطف الالهى الفاض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وخرج

صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختباره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكرها ولا يغتنمها ﴿فويل للقلوب من ذكر الله﴾ أى من أجل ذكره الذى حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أى إذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشمازوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فإذ هم رجسوا وقرئ عن ذكر الله أى عن قبوله ﴿أولئك﴾ البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب ﴿فى ضلال﴾ بعد عن الحق ﴿مبين﴾ ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى جهل وذويه ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ هو القرآن الكريم روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه الصلاة والسلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث وفى إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيده استناده إليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبية على أنه وحى معجز ما لا يخفى ﴿كتابا﴾ بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من المضاف إليه تعريفا أو لا فإن مسامحة الحال من النكرة المضافة اتفاقا ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة أما لا تصافه بقوله تعالى ﴿متشابهها﴾ أو لكونه فى قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابهها تشابه معانيه فى الصحة والأحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخالق فى المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه فى الفصاحة وتجارب نظمه فى الإعجاز ﴿مثنى﴾ صفة أخرى لكتابتها أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردود ومكرر لمثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده وعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى فى التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما فى قوله تعالى فارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابتها باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابهها كما يقال رأيت رجلا حسنا شمائل أى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ قيل صفة لكتابتها أو حال منه لتخصصه بالصفة والظاهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة فى سامعيه بعد بيان أوصافه فى نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم إليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغته والمراد أما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آياته وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ﴿ثم تآين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله﴾ أى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وإنما لم يصرح بها إيدانا بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ﴿ذلك﴾ أى الكتاب الذى شرح أحواله ﴿هدى الله يهدى به من يشاء﴾ أن يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقيقة ودلائل كونه من عند الله تعالى ﴿ومن يضل الله﴾ أى يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مبادئها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلا أو ومن يخذل ﴿فماله من هاد﴾ يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء أثر هداة تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضل أى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فماله من هاد من مؤثر فيه بشئ قط ﴿أفمن يتقى بوجهه﴾ الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تبين حالى المهتدى والضال والكلام فى الهمة

والفاء وحذف الخبر كالذى مر في نظائره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يبق نفسه بوجهه الذى هو أشرف أعضائه **(سوء العذاب)** أى العذاب السيء الشديد **(يوم القيامة)** لكون يده التى بها كان يتقى المكاره والخاوف مغلوله الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في أبى جهل **(وقيل للظالمين)** عطف على يتقى أى ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد وضع المظهر في مقام المضمحل للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعللة الامر في قوله تعالى **(ذوقوا ما كنتم تكسبون)** أى وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى **(كذب الذين من قبلهم)** استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخرى أى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة **(فأتاهم العذاب)** المقدر لكل أمة منهم **(من حيث لا يشعرون)** من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها **(فأذاقهم الله الحزى)** أى الذل الصغار **(في الحياة الدنيا)** كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال **(ولعذاب الآخرة)** المعد لهم **(أكبر)** لشدة وسرمدية **(لو كانوا يعلمون)** أى لو كان من شأنهم أن يعلموا شيأ لعلوا ذلك واعتبروا به **(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل)** يحتاج اليه الناظر في أمور دينه **(لعلهم يتذكرون)** كى يتذكروا به ويتعظوا **(قرآنا عربيا)** حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا أو مدح له **(غير ذى عوج)** لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك **(لعلهم يتقون)** علة أخرى مترتبة على الاولى **(ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون)** ايراد المثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكروا والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول أخر عن الثانى للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التى هى العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كاقيل بل هو خبر له وبيان أنه في الأصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثالا للبشر كحسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبون ويتعاونونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه **(ورجلا)** أى وجعل للموحد مثلا رجلا **(سلما)** أى خالصا **(لرجل)** فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلا وقرى سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادره من سلم له كذا أى خلص نعت بها مبالغة أو حذف منها ذو وقرى سلما وسالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفضن لما يجرى عليه من الضر والنفع **(هل يستويان مثلا)** انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآكده وايدان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعم في الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاضل والمفضل وانتصاب مثلا على التمييز أى هل يستوى حالاهما وصفتهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرى مثلين كقوله تعالى أكثر أموالا وأولادا للاشعار باختلاف النوع أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين لأن التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى **(الحمد لله)** تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها

نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن يبيانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللشركيين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ اضرب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ تمهيد لما يعقبه من الاختصاص يوم القيامة وقرىء مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أى انكم جميعا بصدد الموت ﴿ ثم انكم يوم القيامة عند ربكم ﴾ أى مالك أموركم ﴿ تختصمون ﴾ فتحتج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواظط التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصاص العام الجارى في الدنيا بين الأنام والأول هو الأظهر الأنسب بقوله تعالى ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله ﴾ فانه الى آخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصاص الجارى في شأن الكفر والايان لا غير أى أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بأن أضاف اليه الشريك والولد ﴿ وكذب بالصدق ﴾ أى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اذ جاءه ﴾ أى في أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ أى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعو الى التكذيب بالصدق من أول الامر والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به ﴾ الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون هو عليه الصلاة والسلام وقيل عن الجنس المتناول للرسول والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق ﴿ أو ألك ﴾ الموصوفون بما ذكر من الحجى بالصدق والتصديق به ﴿ هم المتقون ﴾ المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرىء وصدق به بالتخفيف أى صدق به الناس فأداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أى بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام وقرىء صدق به على البناء للفعول ﴿ لهم ما يشاؤون عند ربهم ﴾ بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الأعمال أى لهم كل ما يشاؤون من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤون من تكفير السيئات والامن من الفرع الأكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة ﴿ ذلك ﴾ الذى ذكر من حصول كل ما يشاؤون ﴿ جزاء المحسنين ﴾ أى الذين أحسنوا أعمالهم وقدمر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ﴾ الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤون لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار نحوه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سأتى كان فى معنى الوعد به كما مر فى قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه فى معنى وعدهم الله غرفا فانصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤون من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذى عملوا دفعا لمضارهم ﴿ ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون ﴾ اعطاء لمنافعهم واطهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابرز كمال الاعتناء بمضمون الكلام وازدادة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشئ الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير

اعتبار تفضيله عليه وانما الاعتبار فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج أعدلا بنى مروان خلا أن الزيادة المعبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان أمكن في الأول بناء على أن تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير مادونه بطريق الاولوية ضرورة استئازام تكفير الاسوأ لتكفير السيئ لكن لما لم يكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول للايذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبغ وجه وآكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكاف عباده على الاضافة ويكافى عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خيل أو جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أي الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ﴿ومن يضل الله﴾ حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا ﴿فما له من هاد﴾ يهديه الى خير ما ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى ﴿أليس الله بعزیز﴾ غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ﴿ذی انتقام﴾ ينتقم من أعدائه لأوليائه واطهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وترتية المهابة ﴿وإئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ لوضوح الدليل وسنوح السبيل ﴿قل﴾ تبيكتلهم ﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشقات ضرة﴾ أي بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فاخبروني أن آلهتكم ان أرادني الله بضر هل يكشفن عن ذلك الضر ﴿أو أرادني برحمة﴾ أي أو أرادني بنفع ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ فيمنعنني عنى وقرى كاشفات ضرة وممسكات رحمته بالتنوين فيهما وانصب ضرة ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في نحوهم حيث كانوا خوفوه معرفة الأوثان ولما فيه من الايذان بالمحاض النصيحة ﴿قل حسبى الله﴾ أي في جميع أمورى من اصابة الخير ودفع الشر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ لا على غيره أصلا لعلمهم بأن كل ماسواه تحت ملكوته تعالى ﴿قل يا قوم اعملوا على مكاتكم﴾ على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المسكنة تستعار من العين للبعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونها للسكان وقرى على مكاتكم ﴿انى عامل﴾ أي على مكاتى تخذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأيدته ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ فان خزي أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر ﴿ويحل عليهم عذاب مقيم﴾ أي دائم هو عذاب النار ﴿انا أنزلنا عليك الكتاب للناس﴾ لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد ﴿بالحق﴾ حال

من فاعل أنزلنا أو من مفعوله ﴿ فمن اهتدى ﴾ بأن عمل بما فيه ﴿ فلنفسه ﴾ أى انما نفع به نفسه ﴿ ومن ضل ﴾ بأن لم يعمل بموجبه ﴿ فانما يضل عليها ﴾ لما أن وبال ضلاله مقصور عليها ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت أى بلاغ ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها ﴾ أى يقبضها من الابدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت أو ظاهرا فقط كما عند النوم ﴿ فيمسك التى قضى عليها الموت ﴾ ولا يردها الى البدن وقرىء قضى على البناء للمفعول ورفع الموت ﴿ ويرسل الاخرى ﴾ أى النائمة الى بدنها عند التيقظ ﴿ الى أجل مسمى ﴾ هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والامساك فى أحدهما والارسال فى الآخر ﴿ لآيات ﴾ عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ فى كيفية تعلقها بالابدان وتوفىها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تقنى بفنائها وما يعترىها من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حيناً بعد حين الى انقضاء آجالها ﴿ أم اتخذوا ﴾ أى بل اتخذ قريش ﴿ من دون الله ﴾ من دون اذنه تعالى ﴿ شفعا ﴾ تشفع لهم عنده تعالى ﴿ قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ﴾ الهزمة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه أى قل اتخذونهم شفعا ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن يملكوا الشفاعة عند الله تعالى أو هى لانكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعا فى شىء لانه فرع كون الاوثان شفعا وذلك أظهر المحالات فالمقدر حينئذ غير ما قدر أولا وعلى أى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها أى أيشفعون لو كانوا يملكون شيئا لو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا ﴿ قل ﴾ بعد تبكيهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق ﴿ لله الشفاعة جميعا ﴾ أى دو مال كها لا يستطيع أحد شفاعة ما الا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ تقرير له وتأكيد أى له ملكهما وما فيها من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم فى أمر من أموره بدون اذنه ورضاه ﴿ ثم اليه ترجعون ﴾ يوم القيامة لا الى أحد سواه لا استقلالا ولا اشترا كما يفعل يومئذ ما يريد ﴿ واذا ذكر الله وحده ﴾ دون آلهتهم ﴿ اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى انقبضت ونفرت كما فى قوله تعالى واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا ﴿ واذا ذكر الذين من دونه ﴾ فرادى أو مع ذكر الله تعالى ﴿ اذاهم يستبشرون ﴾ لفراط افتنائهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ فى بيان حالهم القبيحتين حيث بين الغاية فيها فان الاستبشار هو أن يمتلى القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمأزاز أن يمتلى غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه والعامل فى اذا الأولى اشمأزت وفى الثانية ما هو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ﴾ أى التجبىء اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت فى أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم فى المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بحملتها والعالم بالاحوال برمتها ﴿ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ أى حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوى أو الآخروى وقوله تعالى ﴿ ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ﴾ الخ كلام

مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته أى لو أن لهم جميع ما فى الدنيا من الاموال والذخائر ﴿ومثله معه لا فتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ أى لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب الشديد وهيات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص ﴿وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ أى ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن فى حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراها ونظيره فى الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴿وبداهم سيئات ما كسبوا﴾ سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أى أحاط بهم جزاؤه ﴿فاذا مس الانسان ضر دعانا﴾ اخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادهم والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكدا للانكار عليهم أى انهم يشتمون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشتمأوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ﴿ثم اذا خولناه نعمة منا﴾ أعطيناها اياها تفضلا فان التحويل محتمس به لا يطلق على ما أعطى جزاء ﴿قال انما أوتيته على علم﴾ أى على علم منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لمالى من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى فى وباستحقاقى والهاء لما أن جعلت موصولة والا فلنعمه والتذكير لما أن المراد شئ من النعمة ﴿بل هى فتنة﴾ أى محنة وابتلاء له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبب للمبالغة فيه والايذان بأن ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو أمر مبين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالانسان هو الجنس ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ الهاء لقوله انما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وهم راضون به ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من متاع الدنيا ويجمعون منه ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ جزاء سيئات أعمالهم أو أجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لأنها فى مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ المشركين وهن للبيان أو للتبعض أى أفرطوا فى الظلم والعتو ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ من الكفر والمعاصى كما أصاب أولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم أى اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر ﴿وما هم بمعجزين﴾ أى فائتين ﴿أولم يعلموا﴾ أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا ﴿أن الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أن يبسطه له ﴿ويقدر﴾ لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل ما فى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا ﴿ان فى ذلك﴾ الذى ذكر ﴿آيات﴾ دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل ﴿لقوم يؤمنون﴾ اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها ﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ أى أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى وازدادة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ أى لا تيأسوا من مغفرته أولا ولا تفضله ثانيا ﴿ان الله يغفر الذنوب جميعا﴾ عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبا يشاء وتقبيده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر فى الاطلاق فيما عدا الشرك وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى ﴿انه هو الغفور الرحيم﴾ على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة بما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص بالمقتضين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بأن الله

يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روى من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَبُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴾ اذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن الامر بهما وتنافى الوعيد بالعذاب ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أى القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ أى كراهة أن تقول والتكثير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر ﴿ يَا حَسْرَتَا ﴾ بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بها السكت وقف وقرئ يا حسرتاى بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتى على الاصل أى احضرى فهذا أوان حضورك ﴿ عَلَى مَا فَرَطْتَ ﴾ أى على تفريطى وتقصيرى ﴿ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ أى جانبه وفى حقه وطاعته وعليه قول من قال

أما تتقين الله فى جنب وامق له كبى حرى وعين تفرق

وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قرب من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله ﴿ وَإِنْ كُنْتَ لِمَنِ السَّاعِرِينَ ﴾ أى المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحله الجملة النصب على الحال أى فرطت وأنا ساخر ﴿ أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾ بالارشاد الى الحق ﴿ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ الشرك والمعاصى ﴿ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً ﴾ رجعة الى الدنيا ﴿ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فى العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى التنى وفصله عنه لما أن تقديمه يفرق القرآن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودى لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى فى فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد ﴿ وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ ﴾ بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ أى مقام ﴿ لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك ﴿ وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ الشرك والمعاصى أى من جهنم وقرئ ينجى من الانجاء ﴿ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب أى ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أى ينجيهم الله تعالى من مشوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله تعالى ﴿ لَا يَمْسُهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ اما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوبة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه أى نجا منه والباء للبالسة وقوله تعالى لا يمسهم الى آخره تفسير وبيان لمفازتهم أى ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أى بنفى السوء والحزن عنهم أو للسببية اما على حذف المضاف أى ينجيهم

بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به إirاده في حيز الصلة وأما على إطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا ﴿الله خالق كل شيء﴾ من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقلد أو مقلاد من قلده إذا أزمته وقيل جمع أفلد معرب كليل على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه الصلاة والسلام تفسيرها لا اله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾ متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والامانة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانس والتزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسروا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر ﴿قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ أي أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا تؤمن باللهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدونني وتقولون لي أعبد على أن أصله تأمروني أن أعبد فحذف أن ورفع ما بعدها كما في قوله

ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد للذات هل أنت مخلدى
ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمروني باظهار النونين على الأصل وبمحذف الثانية ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك﴾ أي من الرسل عليهم السلام ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ كلام وارد على طريقة الفرض لتبيح الرسل واقنات الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والآخران للجواب وإطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم عند الاشراك منهم لأن الاشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب ﴿بل الله فاعبد﴾ رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك ﴿وكن من الشاكرين﴾ انعامه عليك وفيه إشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ما قدروا عظمتة تعالى في أنفسهم حق عظمتة حيث جعلوا له شريكا وصفوه بما لا يليق بشئونه الجليلة وقرئ بالتشديد ﴿والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ تنبيه على غاية عظمتة وكال قدرته وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمهم وتأكد الأرض بالجميع لأن المراد بها الارضون السبع أو

جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرى مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء ﴿ونفخ في الصور﴾ هي النفخة الأولى ﴿فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ أى خروا أمواتا أو مغشيا عليهم ﴿الا من شاء الله﴾ قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ نفخة أخرى هي النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع ﴿فاذا هم قيام﴾ قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرى بالنصب على أن الخبر ﴿ينظرون﴾ وهو حال من ضميره والمعنى يقبلون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ بما أقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمات وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضيف الاسم الجليل الى ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف الى الاسم الجليل ﴿ ووضع الكتاب﴾ الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ للآمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون ﴿وقضى بينهم﴾ بين العباد ﴿بالحق وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أى جزاءه ﴿وهو أعلم بما يفعلون﴾ فلا يفوته شئ من أفعالهم وقوله تعالى ﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا﴾ الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أى سيقوا اليها بالعنف والاهانة أفواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة والزم جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه ﴿حتى اذا جاؤھا فتحت أبوابها﴾ ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرى بالتشديد ﴿وقال لهم خزنتها﴾ تقريرا وتوييحا ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ من جنسكم وقرى نذر منكم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم علموا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب ﴿قالوا بلى﴾ قد أتونا وأنذرونا ﴿ولكن حققت كلمة العذاب على الكافرين﴾ حيث قال الله تعالى لا بليس لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا تكذبون ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ أى مقدر اخلوكم فيها وابهاهم القائل تهويل المقول ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ اللام للجنس والخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا أى فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق فى أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حققت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه فى سورة الم السجدة ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة﴾ مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الاراكين ﴿زمرا﴾ متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل وعلو الطبقة ﴿حتى اذا جاؤھا فتحت أبوابها﴾ وقرى بالتشديد وجواب اذا محذوف للايدان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحقق به نطق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤھا وقد فتحت أبوابها ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم﴾ من جميع المكارم والآلام ﴿طبتم﴾ طهرتم من دنس المعاصى أو طبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم ﴿فادخلوها خالدين﴾ كان ما كان مما يقصر عنه البيان ﴿وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده﴾ بالبعث والثواب ﴿وأورثنا الأرض﴾ يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تملكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه ﴿تنبؤا﴾

من الجنة حيث نشاء) أى يتبوا كل واحد منا فى أى مكان أرادته من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتجانع
 واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محديقين (من حول العرش) أى حوله ومن
 مزينة أو لا بتداء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) أى ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية
 أو مقيدة للاولى والمعنى ذا كرين له تعالى بوصفى جلاله وإكرامه تلذذا به وفيه اشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى
 لذائذهم هو الاستغراق فى شؤنه عز وجل (وقضى بينهم بالحق) أى بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين
 الملائكة بأقامتهم فى منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلامنا منزله
 التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم أو الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها أنه عليه
 الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

(تم الجزء الرابع من تفسير العلامة أبى السعود ويليه الجزء الخامس وأوله سورة المؤمن)

- ٢ ﴿سورة الحج﴾
 ٩ تفسير قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم)
 ١٤ تفسير قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور)
 ٢٠ تفسير قوله تعالى (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله)
 ٢٤ ————— الجزء الثامن عشر —————
 ٢٤ ﴿سورة المؤمنون﴾
 ٣١ تفسير قوله تعالى (هيهات هيهات لما توعدون)
 ٣٩ تفسير قوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون)
 ٤٤ ﴿سورة النور﴾
 ٥١ تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر)
 ٥٩ تفسير قوله تعالى (الله نور السموات والأرض)
 ٦٩ تفسير قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة)
 ٧٧ ﴿سورة الفرقان﴾
 ٨٥ ————— الجزء التاسع عشر —————
 ٨٥ تفسير قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا)
 ٩٥ تفسير قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا)
 ١٠٠ ﴿سورة الشعراء﴾
 ١٠٧ تفسير قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي انكم متبعون)
 ١١٤ تفسير قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون)
 ١١٦ تفسير قوله تعالى (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم)
 ١٢١ ﴿سورة النمل﴾
 ١٢٩ تفسير قوله تعالى (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين)
 ١٢٩ ————— الجزء العشرون —————
 ١٣٦ تفسير قوله تعالى (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم أناس يتطهرون)
 ١٤١ تفسير قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)
 ١٤٦ ﴿سورة القصص﴾
 ١٤٩ تفسير قوله تعالى (وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون)
 ١٥٣ تفسير قوله تعالى (فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا)
 ١٥٧ تفسير قوله تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون)
 ١٦٠ تفسير قوله تعالى (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم)
 ١٦٣ ﴿سورة العنكبوت﴾
 ١٦٩ تفسير قوله تعالى (فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم)

- ١٧٢ — الجزء الحادى والعشرون —
 ١٧٢ تفسير قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم)
 ١٧٦ ﴿ سورة الروم ﴾
 ١٨٤ تفسير قوله تعالى (منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين)
 ١٨٨ ﴿ سورة لقمان ﴾
 ١٩٢ تفسير قوله تعالى (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور)
 ١٩٥ ﴿ سورة السجدة ﴾
 ٢٠١ ﴿ سورة الأحزاب ﴾
 ٢٠٦ تفسير قوله تعالى (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون بالبأس الا قليلا)
 ٢١٠ — الجزء الثانى والعشرون —
 ٢١٠ تفسير قوله تعالى (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما)
 ٢١٦ تفسير قوله تعالى (ترجى من تشاء منهم وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك)
 ٢٢٢ ﴿ سورة سبأ ﴾
 ٢٣١ تفسير قوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين)
 ٢٣٦ ﴿ سورة الملائكة ﴾
 ٢٤١ تفسير قوله تعالى (يا أيها الناس أتمموا الفقر الى الله والله هو الغنى الحميد)
 ٢٤٢ تفسير قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها)
 ٢٤٧ ﴿ سورة يس ﴾
 ٢٥٢ — الجزء الثالث والعشرون —
 ٢٥٢ تفسير قوله تعالى (وما أنزلنا على قومهم من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين)
 ٢٥٧ تفسير قوله تعالى (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون)
 ٢٦٤ ﴿ سورة الصافات ﴾
 ٢٦٧ تفسير قوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم)
 ٢٧٢ تفسير قوله تعالى (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم)
 ٢٨١ ﴿ سورة ص ﴾
 ٢٩٢ تفسير قوله تعالى (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب)
 ٢٩٩ ﴿ سورة الزمر ﴾
 ٣٠٢ تفسير قوله تعالى (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل)
 ٣٠٩ — الجزء الرابع والعشرون —
 ٣٠٩ تفسير قوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين)
 ٣١٢ تفسير قوله تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)

صَحِيحُ مُسْلِمَ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ

بَشْرَ النَّوَوِيِّ

وقد أمدنا الله سبحانه بنصره المبين وأعاننا بحوله المتين ووفقنا للحق المستبين وذلك بطبع حديث الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم وقد اخترنا من الكتب أجمعها ومن الصحاح أدقها وأنظمها ألا وهو «صحيح الامام مسلم» الذي تغنى شهرته عن تعريفه فقد امتاز صحاحه بدقة الترتيب وانتظام التبويب وأردنا أن نجعل عملنا هذا مشتملا على كثير من الفوائد بتحليلته بشرح واف لا يضاح غامضه وحل مشكله فلم نجد في سائر الشروح ما يداني شرح شيخ الاسلام محي الدين النووي فقد أجاد رحمه الله تعالى وأفاد وبسط في ذلك الشرح أحكام المذاهب الأربع مع ذكر الدليل والبرهان وناهيك بالنووي ذلك الامام الورع الزاهد العابد الفقيه المحدث . فمن تصانيفه ذلك الشرح الجليل ورياض الصالحين والأذكار والأربعين والارشاد والتقريب والمبهمات وتحرير الألفاظ والعمدة والايضاح والتبيان والفتاوى والروضة وشرح المذهب وشرح قطعة من البخاري وقطعة من الوسيط والأحكام الفقهية وتهذيب الأسماء واللغات وغير ذلك مما يضيق المقام عن بيانها

وقد بذلنا غاية الوسع في إبراز هذا الكتاب بما يليق به من العناية وأعدنا له أحسن الحروف وأجود الورق مع الدقة المعهودة في التصحيح حيث أنه عماد العلم وعليه مدار الفهم واليك نموذجا بسيطا من وضع صحيح مسلم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: النَّاسُ رَجُلَانِ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ سِوَاهُمَا
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

وقد جعلنا قيمة الاشتراك في الجزء سبعة قروش فقط . ولا يخفى ما في ذلك من التضحية في سبيل الشهرة ونشر العلم . ليتمكن الغني والفقير من اقتناء ذلك الكتاب الجليل الذي لا يستغنى عنه مسلم يهمله أمر دينه وسنة نبيه

زاد المعاد

في هدى خير العباد

للإمام الحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزي

مما اعاننا على طبعه الملك المعبود وأبرزناه الى حيز الوجود ذلك السفر الجليل الذي جمع من الأحاديث أصحها ومن السنن أوضحها ولم يترك شيئا من هدى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الا أورده ولا من فعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم الا بينه مع ذكر اجماع الأمة واختلاف الأئمة وأقوال المجتهدين وآراء المقلدين وذكر ما أخذ الأحكام وكل ذلك بمنتهى الاحكام وعلى أتم نظام مع تمييز صحيح الأحاديث من سقيمها وعليها من سليمها وناهيك بمؤلفه الامام (ابن القيم الجوزي) في عالم الفقه والزهد والورع والحرص على الدين فمؤلفاته العديدة خير شاهد على اخلاصه وعلو كعبه خصوصا هذا المؤلف الثمين . واليك بعض مباحث الكتاب

أسرار الحج . بعثة الرسل . مراتب الوحي . نسبه صلى الله عليه وسلم . كتبه رسله . غزواته . ملبسه . مأكله . معاشرته أهله . هديه في النكاح . معاملاته صلاته . أدعيته . خطبه . قراءته للقرآن . عيادته للرضى . هديه في الطب والتداوى . أقضيته صلى الله تعالى عليه وسلم وأحكامه . القصاص والحدود . الزكاة والصدقة . الصيام وذكر فوائده . حضانة الاطفال . ما جاء في التغنى بالقرآن وقراءته بالالحن . لبس الحرير . العيوب التي ترد بها الأزواج . الخلع . الطلاق . الخ فالى من يريد زادا للعباد وسيرا على نهج خير العباد نزف هذه البشرى العظيمة بتمام طبع هذا الكتاب طبعاً متقناً يسر الناظرين وتطمئن اليه قلوب العارفين . ومع هذا وذلك قد جعلنا ثمنه مجلداً مجلداً افرنكياً جميلاً خمسون قرشاً صاغاً خدمة للعلم والدين ورغبة في نشر سنة خير العالمين

نَقْدُ الْحَمْدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ

المسمى

أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لخاتمة المحققين وإمام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العبادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١

الجزء الخامس

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الشيخ حسن محمد المسعودي

المدرس بالقسم العالي بالأزهر

السلام

محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة المحمدية بمصر

بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٧ هجرية - سنة ١٩٢٨ ميلادية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المؤمن

(مكية وآياتها خمس أو ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرىء بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قاييل وهاييل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى (تنزيل الكتاب) كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى (من الله العزيز العليم) كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر هناك (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) اما صفات آخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقة على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للاندواج وأمن الالتباس أو ابد الوجه له وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لفائدة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها (لا اله الا هو) فيجب الاقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه (اليه المصير) فحسب لال الى غيره لاستقلاله ولا اشتراكا فيجازى كلا من المطيع والعاصي (ما يجادل في آيات الله) أي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (الا الذين كفروا) بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدل فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام ومزالق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى (فلا يغركم تقلبهم في البلاد) لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يسكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الامم حسبا ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أي الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم (وهمت كل أمة) من تلك الامم العاتية (برسولهم) وقرىء برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلا (ليدحضوا به الحق) الذي لا يحيد عنه كما فعل هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر (فكيف كان عقاب) الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولأخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم في الطريقة

واشترأهم في الجريرة كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿وكذلك حققت كلمة ربك﴾ أي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المنتحزة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب أيضا ﴿على الذين كفروا﴾ أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبي عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره عليه الصلاة والسلام فإن ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التي من جملتها نصرته عليه الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ في حيز النصب بخذف لام التعليل أي لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استجابة وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أي كما وجب اهلاكم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفيظهم حوله مجاز عن حفظهم وتديبرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكاتبهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ والجملة استئناف مسوق لتسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن أشرف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أي يزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تنهاى ﴿ويؤمنون به﴾ أي إيماننا حقيقا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لظاهر فضيلة الإيمان وإبراز شرف أهله والاشعار بعلّة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ فإن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعي إلى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسييحهم وتحميدهم وإيمانهم أيدان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول. روى أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكر وافي عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقا من الملائكة يقال له أسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدمه في الأرض السفلى وقدم رقبته رأسه من سبع سموات وأنه ليتضال من عظمة الله حتى يصير كأنه الوضع وفي الحديث إن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيديهم على الشمايل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ﴿ربنا﴾ على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه إيمان لا استغفارهم أو حال ﴿وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ أي وسعت رحمتك وعلمك فأزى عن أصله للاغراق في صفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقدير الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى ﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ أي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ﴿ربنا وأدخلهم﴾ عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجوار ﴿جنات عدن التي وعدتهم﴾

أى وعدتهم اياها وقرى جنة عدن ﴿ومن صالح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ أى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أى وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذلا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى أين ولدى أين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال واللاحق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاوّل هو الاوّل لأن الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرى صلح بالضم وذريتهم بالافراد ﴿انك أنت العزيز﴾ أى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور ﴿الحكيم﴾ أى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها ﴿وقهم السيئات﴾ أى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصى فى الدنيا فعنى قوله تعالى ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب ﴿وذلك﴾ اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مرارا من الاشعار يبعد درجة المشار اليه ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذى لا مطمع وراء لطامع ﴿ان الذين كفروا﴾ شروع فى بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار ﴿ينادون﴾ أى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيها وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا أى أبغضوها أشد البغض وأنكروها أباغ الانكار وأظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أى لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أو مقتها اياكم فى الدنيا ﴿اذ تدعون﴾ من جهة الانبياء ﴿الى الايمان﴾ فتأبون قبوله ﴿فتكفرون﴾ اتباعا لانفسكم الامارة ومسارة الى هواها أو اقتداء بأخلائكم المضلين واستجابا لأرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضهم بعضا اليوم فاذا ظرف للوقت الاول وإن توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر أى مقتها اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا الاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة الزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم أضراهم مما لا داعى اليه ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين أى امانتين واحيائتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لها أيضا بحذف الزوائد أو لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الامانة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كأنه قيل أمتنا موتتين اثنتين وأحييتنا فحييتنا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الامسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الامسحت الخ قيل أرادوا بالامانة الاولى خلقتهم أمواتا وبالثانية امانتهم عند انقضاء آجالهم على أن الامانة جعل الشئ عادى الحياة أعم من أن يكون بانثائه كذلك كما فى قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل أو يجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياء الاول وحياء البعث وقيل أرادوا بالامانة الاولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياء ما فى القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على

النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم أحداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به أطماعهم الفارغة من الرجوع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي أرادوه بقولهم ﴿فهل الى خروج من سبيل﴾ مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لأنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في أن الذي كان ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الأول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما عترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموت الأولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموت في القبر فان مقصودهم الاصل هو الاعتراف بالاحياء وانما ذكروا الاماتين لترتيبهما عليهما ذكرهما حسب ترتيبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى ﴿ذلكم﴾ الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة أى ذلكم الذى أتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل ﴿بأنه﴾ أى بسبب أن الشأن ﴿اذا دعى الله﴾ فى الدنيا أى عبد ﴿وحده﴾ أى منفردا ﴿كفرتم﴾ أى بتوحيده ﴿وان يشرك به تؤمنوا﴾ أى بالاشراك به وتسارعوا فيه وفى ايراد اذا وصيغة المساغى فى الشرطية الأولى وان وصيغة المضارع فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك ﴿فالحكم لله﴾ الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة ﴿العلي الكبير﴾ الذى ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة للشرك ولا نهاية لعقوبته كمالا لنهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج أبدا ﴿هو الذى يريكم آياته﴾ الدالة على شئونه العظيمة الموجبة لتفرد بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحده تعالى وتخصوه بالعبادة ﴿وينزل﴾ بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الانزال ﴿لكم من السماء رزقا﴾ أى سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرد به عنوان كونه من آثار رحمته وجلال نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الارادة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة ﴿وما يتذكر﴾ بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها ﴿الا من ينيب﴾ الى الله تعالى ويتفكر فيما أودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وإيمانكم به ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك وغازطهم اخلاصكم ﴿رفيع الدرجات﴾ نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور ونقبيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال أى رفيع درجات ملائكته أى معارجهم ومساعدتهم الى العرش ﴿ذو العرش﴾ أى مالكة وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية ورائها واما بجعلها عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمييدا لما يعقبهما من قوله تعالى ﴿يلقى الروح من أمره﴾ فانه خبر آخر لما ذكر

منبيء عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسائي الذي هو المطر أى ينزل الوحي الجارى من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من أمره بيان للروح الذي أريد به الوحي فانه أمر بالخير أو حال منه أى حال كونه ناشئاً ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الروح الكائن من أمره أو متعلق يلقى ومن للسبيبة كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم أى يلقى الوحي بسبب أمره ﴿على من يشاء من عباده﴾ وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبلغ أحكامه اليهم ﴿لينذر﴾ أى الله تعالى أو الملقى عليه أو الروح وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح لانها قد توثت ﴿يوم التلاق﴾ اما ظرف للمفعول الثانى أى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يرم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثانى اتساعاً أو أصالة فانه من شدة هوله وفضاعته حقيق بالانذار أصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم ﴿يوم هم بارزون﴾ بدل من يرم التلاق أى خارجون من قبورهم وأظهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعاً صافها ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان أو أعمالهم وسرائرهم ﴿لا يخفى على الله منهم شئ﴾ استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وإزاحة لما كان يتوهمه المتوهمون فى الدنيا من الاستتار توهمها باطلاً أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليه تعالى شئ مامن أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجليلة والخفية السابقة واللاحقة ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة أو مستأنف يقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فاذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المحجب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد فى أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الالهية ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ الخ اما من تمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التى هى الحكم السوى والقضاء الحق أو حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب أى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر ﴿لا ظلم اليوم﴾ بنقص ثواب أو زيادة عذاب ﴿ان الله سريع الحساب﴾ أى سريع حسابه تماماً لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تعالى اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها فيكون تعليلاً لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوم استبعاد وقوع الكل فيه أو سريع مجيئاً فيكون تعليلاً للانذار ﴿وانذرهم يوم الآزفة﴾ أى القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير أن فيه اشعاراً بضيق الوقت وقيل الخطأة الآزفة وهى مشاركة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى فلولاً اذا بلغت الخلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي وقوله تعالى ﴿اذال قلوب لدى الحناجر﴾ بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من أما كنها فتلتصق بخلقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت ﴿كاظمين﴾ على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها فى الظرف وجمع السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أى أنذرهم

مقدرا كظمهم أو مشارفين الكظم (ما للظالمين من حميم) أي قريب مشفق (ولاشفع يطاع) أي لاشفع
 مشفع على معنى نفى الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاجب لا يهتدى بمناره والضماير ان عادت الى
 الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به (يعلم خاتمة الآعين)
 النظرة الخاتمة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الآعين على أنها مصدر كالعافية (وما تخفى
 الصدور) من الضماير والأسرار والجملة خبر آخر مثل يلقى الروح للدلالة على أنه مامن خفي الا وهو متعلق العلم
 والجزاء (والله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشيء الا وهو حق وعدل (والذين يدعون)
 يعبدونهم (من دونه) تعالى (لا يقضون بشيء) تهكم بهم لان الجمل لا يقال في حقه يقضى أولا يقضى وقرئ
 تدعون على الخطاب التفاتا أو على اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعله تعالى بخاتمة الآعين وقضائه
 بالحق ووعيدهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيرا في الأرض فينظروا كيف
 كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسولهم كعاد وثمود وأضرابهم (كانوا
 هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جئ بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة
 أفعل من المعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ أشد منكم بالكاف (وأثارا في الأرض) مثل القلاع الحصينة
 والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورحا (فأخذهم الله بذنوبهم) أخذوا وبلا (وما
 كان لهم من الله من واق) أي من واق يقيهم عذاب الله (ذلك) أي ما ذكر من الأخذ (بأنهم) بسبب أنهم
 (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة (فكفروا فأخذهم الله انه قوى) متمكن بما
 يريد غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه عند عقابه بعقاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي معجزاته (وسلطان
 مبين) أي وحجة قاهرة وهي آما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع
 اندراجها تحت الآيات لاناقتها افراد جبريل وميكال به مع دخولها في الملائكة عليهم السلام (الى فرعون وهامان وقارون
 فقالوا ساحر كذاب) أي فيما أظهرهم من المعجزات وفيما ادعاه من رسالتهم العالمين (فلما جاءهم بالحق من عندنا) وهو
 ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) كما قال فرعون سنقتل أبناءهم
 ونستحي نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أو لا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه الصلاة والسلام
 وأحسن بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذي حكم
 المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا
 وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام امال العهد والاطهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلّة
 الحكم أول للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جئ به في تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة
 الى بيان بطلان ما أظهره من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرّة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) كان ملؤه
 اذاهم بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة
 وبقولهم اذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف
 والظاهر من دهاء اللعين ونكارتة أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف
 ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويهها على قومه وإيهاماً أنهم هم الكافون له عن قتله ولولا هم لقتله وما كان
 الذي يكفه الا ما في نفسه من الفرع الهائل وقوله (وليسع ربه) تجلد منه واطهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه

أخوف ما يخافه ﴿انى أخاف﴾ ان لم أقتله ﴿أن يبدل دينكم﴾ أن يغير ما أتم عليه من الدين الذى هو عبارة عن عبادة وعبادة الاصنام لتقربهم اليه ﴿أو أن يظهر فى الأرض الفساد﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهاجر ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرىء بالواو الجامعة وقرىء بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرىء بظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون ﴿وقال موسى﴾ أى لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام ﴿انى عدت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بان تأكيده له واطهارا لمزيد الاعتناء بضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والترية لأنهما الذى يستدعيه وأضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته فى العياد به تعالى والتوكل عليه فان فى تظاهر النفوس تأثيرا قويا فى استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلّة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرىء عدت بالادغام ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا أو غريبا موحدا ﴿يكنتم ايمانه﴾ أى من فرعون ومثله ﴿أقتلون رجلا﴾ أتقصدون قتله ﴿أن يقول﴾ لأن يقول أو كراهة أن يقول ﴿ربى الله﴾ أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره ﴿وقد جاءكم بالبينات﴾ والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها ﴿من ربكم﴾ أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال ﴿فان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله ﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم﴾ أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شق التردد كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدكم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد

تراك أممكة اذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لما أن مراده بالبعض نفسه ﴿ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما أيدته بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ غالبين عاّلين على بنى اسرائيل ﴿فى الأرض﴾ أى أرض مصر لا يقاومكم أحد فى هذا الوقت ﴿فمن ينصرنا من باس الله﴾ من أخذه وعذابه ﴿ان جاءنا﴾ أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد وانما نسب ما يسهرون من الملك والظهور فى الأرض اليهم خاصة ونظم نفسه فى سلكهم فيما يسوؤهم من محبى بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايدانا بأنه مناصح لهم ساع فى تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرددهم سعيه فى حق نفسه ليتأثروا بنصحه ﴿قال فرعون﴾ بعد ما سمع نصحه ﴿ما أرى﴾ أى ما أشير عليكم ﴿الا ما أرى﴾ وأستصوبه من قتله ﴿وما أهدى لكم﴾ بهذا رأى ﴿الا سبيل الرشاد﴾ أى الصواب أو لا أعلمكم الا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا وقرىء بتشديد الشين للبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أول للنسبة الى الرشاد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل ﴿وقال الذى آمن﴾ مخاطبا لقومه ﴿يا قوم انى أخاف

عليكم ﴿ في تكذيبه والتعرض له بالسوء ﴾ ﴿ مثل يوم الأحزاب ﴾ مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ﴾ أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايداء الرسل ﴿ والذين من بعدهم ﴾ كقوم لوط ﴿ وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلى الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما أن المنفى فيه ارادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الأولوية ﴿ ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد ﴾ خوفهم بالعذاب الآخروى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لأنه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار حسبا حكى في سورة الأعراف وقرى بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب ﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين منها حسبا نقل آنفا ﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ يهديه الى طريق النجاة ﴿ ولقد جاءكم يوسف ﴾ هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعون فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الأولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم ابن يوسف الصديق ﴿ من قبل ﴾ من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ بالمعجزات الواضحة ﴿ فزالتم في شك مما جاءكم به ﴾ من الدين ﴿ حتى اذا هلك ﴾ بالموت ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرى أن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الاضلال الفظيع ﴿ يضل الله من هو مسرف ﴾ فى عصيانه ﴿ مراتب ﴾ فى دينه شك فيما تشهده البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد ﴿ الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ بدل من الموصول الاول أو يبان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مراتب أو المسرفين المرتابين ﴿ بغير سلطان ﴾ متعلق بجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها فى الجملة ﴿ أنهم ﴾ صفة سلطان ﴿ كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿ يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الاسراف والارتباب والمجادلة بالباطل وقرى بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منعهما ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا ﴾ أى بناء مكشوفاعاليا من صرح الشئ اذا ظهر ﴿ لعلى أبلغ الأسباب ﴾ أى الطرق ﴿ أسباب السموات ﴾ يبان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تنخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ﴿ فأطلع الى اله موسى ﴾ بالنصب على جواب الترجى وقرى بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه و وصوله اليه وذلك لايتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه ﴿ وانى لأظنه كاذبا ﴾ فيما يدعيه من الرسالة ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط ﴿ زين لفرعون سوء عمله ﴾ فانهمك فيه انهما كاليرعوى عنه بحال ﴿ وصد عن السبيل ﴾ أى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرى وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التوقيهات والشبهات

و يؤيده قوله تعالى ﴿ وما كيد فرعون الا في تباب ﴾ أى خسار وهلاك أو على أنه من صد صدودا أى أعرض وقرى بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرى وصد على أنه عطف على سوء عمله وقرى وصدوا أى هو وقومه ﴿ وقال الذى آمن ﴾ أى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام ﴿ يا قوم اتبعونى ﴾ فيما دللتكم عليه ﴿ أهدكم سبيل الرشاد ﴾ أى سبيلا يصل سالكة الى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال ﴿ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ أى تمتع يسير لسرعة زوالها أجمل لهم أو لا ثم فسر فافتتح بدم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاص اليها رأس كل شر ومنه تشعب فنون ما يؤدى الى سحق الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال ﴿ وان الآخرة هى دار القرار ﴾ لخلودها ودوام مافيه ﴿ من عمل ﴾ فى الدنيا ﴿ سيئة فلا يجزى ﴾ فى الآخرة ﴿ الا مثله ﴾ عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بأمثالها ﴿ ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك ﴾ الذين عملوا ذلك ﴿ يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ أى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايدان بأنه لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك ﴿ ويا قوم ما لى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار ﴾ كررنداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له وبالبغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوتهم اياه الى النجاة كأنه قيل أخبرونى كيف هذه الحال أدعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لى أراك حزينا أى مالك تكون حزينا وقوله تعالى ﴿ تدعوننى لا كفر بالله ﴾ بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام ﴿ وأشرك به ما ليس لى به ﴾ بشر كته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته ﴿ علم ﴾ والمراد نبي المعلوم والاشعار بأن الالهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها ﴿ وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ﴾ الجامع لجميع صفات الالهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ﴿ لا جرم ﴾ لارد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى ﴿ أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴾ أى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها أصلا أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا من لا بد فعل من التبديد أى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان ألوهية الاصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد ﴿ وأن مردنا الى الله ﴾ أى بالموت عطف على أن ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى ﴿ وأن المسرفين ﴾ أى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء ﴿ هم أصحاب النار ﴾ أى ملازموها ﴿ فستذكرون ﴾ وقرى فستذكرون أى فسيذكركم بعضكم بعضا عند معاناة العذاب ﴿ ما أقول لكم ﴾ من النصائح ﴿ وأفوض أمرى الى الله ﴾ قاله لما أنهم كانوا توعدوه ﴿ ان الله بصير بالعباد ﴾ فيحرس من يلوذه من المسكاره ﴿ فوقاء الله سيئات ما مكر وا ﴾ شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل نجاع موسى عليه السلام ﴿ وحق بال فرعون ﴾ أى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم ﴿ سوء العذاب ﴾ الغرق والقتل والنار ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾ جملة مستأنفة مدوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار

خبر مبتدا محذوف كأن قائلًا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب
و يعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط في الحقيق أن يكون الحائق ذلك سوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم
يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم
السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فإن عرضهم على النار باحراقهم
بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن
أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص وأما فيما
بينهما فالله تعالى أعلم بحالهم واما للتأييد هذا ما دامت الدنيا ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال للملائكة ﴿ادخلوا آل
فرعون أشد العذاب﴾ أى عذاب جهنم فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فان عذابها ألوان بعضها أشد
من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب ﴿واذيتحاجون في النار﴾
أى واذكر لقومك وقت تخصمهم فيها ﴿فيقول الضعفاء﴾ منهم ﴿لذين استكبروا﴾ وهم رؤساؤهم ﴿انا
كننا لكم تبعا﴾ أتباعا كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع على اضمار المضاف أو تبعا على الوصف بالمصدر
مبالغة ﴿فهل أتم مغنون عنا نصيبا من النار﴾ بالدفع أو بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى
دافعون عنا نصيبا الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيبا الخ أو نصب على المصدرية
كشيأ في قوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا ﴿قال الذين
استكبروا انا ناكل فيها﴾ أى نحن وأتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لاغنيا عن أنفسنا وقرئ كلا على التأكيد
لاسم ان بمعنى كلنا وتوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساع لجعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في
الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديد لك ثوب ﴿ان الله قد
حكم بين العباد﴾ وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه ﴿وقال الذين في النار﴾ من الضعفاء
والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم علمهم ﴿لخزنة جهنم﴾ أى للقوام بتعذيب أهل النار ووضع
جهنم موضع الضمير للتحويل والتفتيح أو لبيان محلهم فيها بأن تكون جهنم أبعد دركات النار وفيها
أعنى الكفرة وأطغاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى
﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوما﴾ أى مقدار يوم أو في يوم ما من الايام على أنه ظرف لامعيار شيئا ﴿من العذاب﴾
واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا أو
تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم ما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت أمانهم ﴿قالوا﴾
أى الخزنة ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات﴾ أى ألم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار
بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاءة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الاجابة
﴿قالوا بلى﴾ أى أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أتمم الا
في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى ﴿قالوا فادعوا﴾ فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا أى اذا
كان الأمر كذلك فادعوا أتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن
فيه مع عرائه عن بيان أن -فيه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يؤهم أن الاذن في حيز الامكان وأنهم لو أذن لهم

فيه لفعولهم ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطاعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واطهار خبيثتهم حسبما صرحوا به في قولهم ﴿ومادعاء الكافرين الا في ضلال﴾ أى ضياع و بطلان وقوله تعالى ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق من جهة تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأنا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب وغالب الأمر ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ أى يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسول بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ﴿ولهم اللعنة﴾ أى البعد عن الرحمة ﴿ولهم سوء الدار﴾ أى جهنم ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع ﴿وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب﴾ وتركنا عليهم من بعده التوراة ﴿هدى وذكرى﴾ هداية وتذكرة أو هاديا ومذكرا ﴿لأولى الألباب﴾ لذوى العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه ﴿فاصبر﴾ على ما نالك من أذية المشركين ﴿ان وعد الله﴾ أى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التى من جملتها ذلك ﴿حق﴾ لا يحتمل الاخلاف أصلا واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿واستغفر لذنبك﴾ تداركا لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واطهاره على الدين كله ﴿وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار﴾ أى ودم على التسييح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهما في الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر ﴿ان الذين يجادلون في آيات الله﴾ ويحجدون بها ﴿بغير سلطان أناهم﴾ فى ذلك من جهة تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايدان بأن التكلم فى أمر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى ﴿ان فى صدورهم الاكبر﴾ خبر لان أى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكير والتعلم أو الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الا ارادة أن تكون النبوة لهم دونك حسداً وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لأن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيئا يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم فى الجملة وقوله تعالى ﴿ما هم ببالغيه﴾ صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور فى التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج فى آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع اليها الملك فسمى الله تعالى تمنيههم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناها ﴿فاستعذ بالله﴾ أى فالتجئ الىه من كيد من يحسدك ويغنى عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين ﴿انه هو السميع البصير﴾ لا قوالكم وأفعالكم وقوله تعالى ﴿لخلق السموات والارض أكبر من خالق الناس﴾ تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ لقصورهم فى النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ أى الغافل والمستبصر ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء﴾ أى والمحسن والمسىء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسىء

لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصرحة والتشيل ﴿ قليلا ما تتذكرون ﴾ على الخطاب بطريق الالتفات أى تذكرا قليلا تتذكرون وقرىء على الغيبة والضمير للناس أو الكفار ﴿ ان الساعة آتية لا ريب فيها ﴾ أى فى مجيئها لوضوح شواهدا واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به ﴿ وقال ربكم ادعوني ﴾ أى اعبدوني ﴿ أستجب لكم ﴾ أى أثبتكم لقوله تعالى ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ أى صاغرين أذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للبالغه أو المراد بالعبادة الدعاء فانه من أفضل أبوابها وقرىء سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الإدخال ﴿ الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ﴾ بأن خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهذه الحواس لتستريح فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سه مرارا ﴿ والنهار مبصرا ﴾ أى مبصرافيه أوبه ﴿ ان الله لذو فضل ﴾ عظيم لا يوازيه ولا يداينه فضل ﴿ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ﴿ ذلكم ﴾ المنفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿ الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو ﴾ أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررهما وقرىء خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استنفافا بما هو كالنتيجة للأوصاف المذكورة ﴿ فأنى تؤفكون ﴾ فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره ﴿ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يحدون ﴾ أى مثل ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أى آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح فى الجملة ﴿ الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء ﴾ بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى ﴿ وصوركم فأحسن صوركم ﴾ بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء فى فأحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أى صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بآدى البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ أى اللذائذ ﴿ ذلكم ﴾ الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿ الله ربكم ﴾ خبر ان لذلكم ﴿ فتبارك الله ﴾ أى تعالى بذاته ﴿ رب العالمين ﴾ أى مالكم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه فى ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه أنا لانعدم بالكلية ﴿ هو الحى ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية ﴿ لا اله الا هو ﴾ اذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله ﴿ فادعوه ﴾ فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى ﴿ مخلصينه الدين ﴾ أى الطاعة من الشرك الجلى والخنق ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ أى قائلين ذلك ٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ﴿ قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربي ﴾ من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فان الآيات التبريلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية ﴿ وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ أى بأن أنقاد له وأخلص له ديني ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ﴾ أى فى ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسما مرتقيقة مرارا ﴿ ثم من نقطة ﴾ أى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نقطة أى منى ﴿ ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا ﴾ أى أطفالا والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفرادہ ﴿ ثم تبلغوا أشدكم ﴾ علة ليخرجكم معطوفة على علة

أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخاً كقوله تعالى طفلاً ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ أي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضاً ﴿ولتبلغوا﴾ متعلق بفعل مقدر بعده أي ولتبلغوا ﴿أجلاً مسمى﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك ﴿ولعلمكم تعقلون﴾ ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر ﴿هر الذي يحى﴾ الاموات ﴿ويميت﴾ الاحياء أو الذي يفعل الاحياء والاماتة ﴿فاذا قضى أمراً﴾ أي أراد أمراً من الامور ﴿فانما يقول له كن فيكون﴾ من غير توقف على شيء من الأشياء أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر وهأمور والفاء الاولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه ﴿ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾ تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخيان لا يثبتوا جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه أي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجهة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنهام تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها واتقاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ أي بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على أنه بدل من الموصول الاول أو في حيز النصب أو الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها ﴿وبما أرسلناه رسلنا﴾ من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع ﴿فسوف يعلمون﴾ كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته ﴿اذا اغلال في أعناقهم﴾ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه ﴿والسلاسل﴾ عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى ﴿يسحبون﴾ بحذف العائد أي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستمكن في الظرف وقيل استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل لماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون ﴿في الحديد﴾ وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملاً على المعنى لأن قوله تعالى الاغلال في أعناقهم في معنى أعناقهم في الاغلال أو اضماراً للباء ويدل عليه القراءته ﴿ثم في النار يسجرون﴾ أي يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أي مليء والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب الى باب ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا﴾ أي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم ﴿بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً﴾ أي بل تبين لنا أنكم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك حسبه شيئاً فلم يكن ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الضلال الفطيع ﴿يضل الله الكافرين﴾ حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طالبوا لم يتصدفوا ﴿ذلكم﴾ الاضلال ﴿بما كنتم تفرحون في الارض﴾ أي تبطرون وتتكبرون ﴿بغير الحق﴾ وهو الشرك والطغيان ﴿وبما كنتم تفرحون﴾ تتوسعون في البطر والاشروا الالتفات للبهالة في التوسيع

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ أى أبواب السبعة المقسومة لكم ﴿خالدين فيها﴾ مقدرًا خلودكم فيها ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمشوى لكون دخولهم بطريق الخلود ﴿فاصبر﴾ الى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب ﴿ان وعد الله﴾ بتعذيبهم ﴿حق﴾ كائن لا محالة ﴿فاما نرينك﴾ أى فان نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها ﴿بعض الذى نعدهم﴾ وهو القتل والاسر ﴿أو توفينك﴾ قبل ذلك ﴿فاليانير جمعون﴾ يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب توفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى ان نعدبهم فى حياتك أو لم نعدبهم فانا نعدبهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظاه كما ينبي عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وما كان لرسول﴾ أى وما صح وما استقام لرسول منهم ﴿أن يأتي بآية الا باذن الله﴾ فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبينة على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى اثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها ﴿فاذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب فى الدنيا والآخرة ﴿قضى بالحق﴾ بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه ﴿وخسر هنالك﴾ أى وقت مجئ أمر الله اسم مكان استعير للزمان ﴿المبطلون﴾ أى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أوليا ﴿الله الذى جعل لكم الأنعام﴾ قيل هى الابل خاصة أى خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لا بداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها أى تعلقهما بها وقيل للتبعض أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار بأصالة الركوب ﴿ولكم فيها منافع﴾ أخر غير الركوب والاكل كالبنائها وأوبارها وجلودها ﴿ولتباعوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ بحمل أثقالكم من بلد الى بلد ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر فى فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هى الأزواج الثمانية فعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعاقب به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ﴿ويرىكم آياته﴾ دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته ﴿فأى آيات الله﴾ أى فأى آية من تلك الآيات الباهرة ﴿تنكرون﴾ فان كلا منهما من الظهور بحيث لا يكاد يجترى على انكارها من له عقل فى الجملة وهو ناصب لآى وازدادة الآيات الى الاسم الجليل لثرية المهابة وتهويل انكارها وتذكير أى هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمار غريب وهى فى أى أغرب لابهامه ﴿أفلم يسيروا﴾ أى أقعدوا فلم يسيروا ﴿فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم المهلكة وقوله تعالى ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادئ أحوالهم وعواقبها ﴿وآثارا فى الأرض﴾ باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هى آثار أقدامهم فى الأرض لعظم أجرامهم ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة

أى لم يغن عنهم أو أى شىء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو بالآيات الواضحة ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ أى أظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علماً للتمكّن بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزأؤهم به ويؤيده قوله تعالى ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وقيل الفرح أيضاً للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ يعنون الأصنام ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أى عند رؤية عذابنا لا امتناع قبوله حيثئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعماً منهم أن ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثنية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقبيه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الايمان الاختيارى ﴿سنة الله التى قد خلت فى عباده﴾ أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة

(مكية . وآياتها ثلاث أو أربع وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم﴾ ان جعل اسم السورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا أو مبتدأ خبره ﴿تنزيل﴾ وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى ﴿من الرحمن الرحيم﴾ متعلق به مؤكدا لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره ﴿كتاب﴾ وهو على الوجه الاول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايدان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبى عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴿فصلت آياته﴾ ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعد وقرىء فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى من قولك فصل من البلد فصولا ﴿قرآنا عربيا﴾ نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته ﴿لقوم يعلمون﴾ أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآنا أى كائنا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم

ليست بصفة له أو بفصلت ﴿بشيرا ونذيرا﴾ صفتان أخريان لقرآنا أى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرنا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمخدوف ﴿فأعرض أكثرهم﴾ عن تدبره مع كونه على لغتهم ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تفكرو وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به ﴿وقالوا﴾ أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن ﴿قلوبنا فى أكنة﴾ أى أغطية متكاثفة ﴿مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر﴾ أى صمم وأصله الثقل وقرى بالكسر وقرى بفتح القاف ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع موصلتهم وموافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فاعمل﴾ أى على دينك وقيل فى ابطال أمرنا ﴿اننا عاملون﴾ أى على ديننا وقيل فى ابطال أمرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الحكم اله واحد﴾ تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبي عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب فى الحكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوك الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما أدعوك الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحى الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى ﴿فاستقيموا اليه﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايماء الوحدة فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال ﴿واستغفروه﴾ مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى ﴿وويل للمشركين﴾ ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾ وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم ايتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وماسواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ أى لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من منذ الحبل قطعه وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملونه ﴿قل أنتم لتكفرون﴾ انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام التأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقضائها الصدارة لا لانكار التأكيد واما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد وانما علق كفرهم بالموصول حيث قيل ﴿بالذى خلق الارض فى يومين﴾ لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أو فى نوبتين على أن ما يوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فالיום الحقيقى انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب حركاتها ﴿وتجعلون له أندادا﴾ عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بأن يكون مدار

الانكار هو التعدد أى وتجعلونه أندادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له ندواحد ﴿ذلك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ما ذكر ﴿رب العالمين﴾ أى خالق جميع الموجودات ومربها دون الارض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته ندآله وقوله تعالى ﴿وجعل فيها رواسى﴾ عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعداد له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد للفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربو بيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى ﴿من فوقها﴾ متعلق بجعل أو بمضمون هو صفة لرواسى أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعا معرضة لأهلها ويظهر للنظر ما فيها من مراد الاعتبار ومطرح الافكار ﴿وبارك فيها﴾ أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الانسان وأصناف النبات التى منها معاشهم ﴿وقدر فيها أوقاتها﴾ أى حكم بالفعل بأن يوجد فيما سأتى لأهلها من الانواع المختلفة أوقاتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أوقاتها ﴿فى أربعة أيام﴾ متعلق بمحصل الامور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصصها فى يومين وانما قيل فى أربعة أيام أى تمتة أربعة تصريحا بالفضل لكمة ﴿سواء﴾ مصدر مؤكد لمضمون هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما ينبى عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أوقاتها أو فى فيها وقرئ بالرفع أى هى سواء ﴿للسائلين﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها أوقاتها لأجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ﴿ثم استوى الى السماء﴾ شروع فى بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض وأهلها لما أن بيان اعتناؤه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادئ معاشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصد اسويلا يلى على غيره ﴿وهى دخان﴾ أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها وعن الاجزاء المتصغرة التى ركبته هى منها أودخان مرتفع من الماء كسيأتى وانما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى ﴿فقال لها وللارض﴾ اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقل لها وللارض التى قدر وجودها وجود ما فيها ﴿اثتيا﴾ أى كونا واحدا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر وأمر كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى ﴿طوعا أو كرها﴾ تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى ﴿قالا أتينا طائعين﴾ أى منقادين تمثيل لكما تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبى عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثانى ﴿فى

يومين) في وقت مقدر يومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل ((وأوحى في كل سماء أمرها)) عطف على قضاها أي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والذرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت وأوحى إلى أهل كل منها أو امره وكلفهم ما يليق بهم من التكليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخالق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خالق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطلاق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خالق السموات والأرض على الماء ثم أنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخاق فيه اليوسة فجعله أرضا واحدة ثم فقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخاق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل إن خالق جرم الأرض مقدم على خالق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الأرض في موضع بيت المقدس كهية الفهر عليه دخان ملترق بها ثم أصد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كاتنا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الأمر بالآتيان انشاءها واحدا ثم بل انشاء دحها وجعلها على وجه خاص يليق بهما من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل آتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه آتيا بأرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وآتيا باسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الآتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الأمر بالآتيان ليس مجرد خلق جرم الأرض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضا من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعاً فالأظهر أن يسلك مسلك الأولين ويحمل الأمر بالآتيان على تكوينا متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وإنما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض في قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وتحمل البعديّة أما على أنه قاصر عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل وأما على أنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وأحاطهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روى عن الحسن رضى الله عنه نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على أبعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعاً وقد نقل الإمام الواحدي عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلاً عن دحها فلا بد من حمل الأمر بآتيانها حينئذ أيضاً على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كما لم يقدح فيه تقدم خالق الأرض على خالق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني وأما على تقدير كونها للتراخي

الرتبي كما جنح اليه الا كثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ من الكواكب فاسما كلها ترى متلاثة عايبا كما أنها فيم والانتفات الى نون العظمة لابرار مزيد العناية بالامر وقوله تعالى ﴿وحفظا﴾ مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ﴿ذلك﴾ الذي ذكر بتفاصيله ﴿تقدير العزيز العليم﴾ المبالغ في القدرة والعلم ﴿فان عرضوا﴾ متصل بقوله تعالى قل أنسكم الخ أي فان عرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظام الامور الداعية الى الايمان أو عن الايمان بعد هذا البيان ﴿فقل﴾ لهم ﴿أنذرتكم﴾ أي أنذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبي عن تحقق المنذر به ﴿صاعقة﴾ أي عذابا هائلا شديدا وقع كأنه صاعقة ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾ وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل ﴿اذ جاءتهم الرسل﴾ حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته ﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ متعلق بجاءتهم أي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحقق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تزييل مجي كلمهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجي أنفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل من جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن مجي من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل قد جاءهم وهم وخاطبهم بقوله تعالى ﴿أن لا تعبدوا الا الله﴾ أي بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة ﴿قالوا لو شاء ربنا﴾ أي ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما أرادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف ﴿لأنزل ملائكة﴾ أي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لأنزل ﴿فاما بما أرسلتم به﴾ أي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم ﴿كافرون﴾ لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التسم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فاتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبهم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك البائة زو جنالك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه عليه الصلاة والسلام وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجاني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب خفت أن ينزل بكم العذاب ﴿فأما عاد فاستكبروا في الارض﴾ شروع في حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجنانية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق أي فتعظموها فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها ﴿بغير الحق﴾ أي بغير استحقاق للتعظيم

والولاية ﴿وقالوا﴾ مدلين بشدتهم وقوتهم ﴿من أشد منا قوة﴾ حيث كانوا ذوى أجسام طرأوا لخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ﴿أولم يروا﴾ أى أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شيئا بالمشاهدة والعيان ﴿أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة﴾ أى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وإنما أورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض لدعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهمك بهم ﴿وكانوا بآياتنا﴾ المنزلة على الرسل ﴿يحتدون﴾ أى ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ أى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصير أى يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير ﴿في أيام نحسات﴾ جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرى بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء ﴿لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ وقرى لنذيقهم على اسناد الذاكرة إلى الريح أو إلى الأيام وأضيف العذاب إلى الخزي الذى هو الذل والاستكالة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه ﴿ولعذاب الآخرة أخزى﴾ وهو في الحقيقة وصف للعذاب وقد وصف به العذاب للمبالغة ﴿وهم لا ينصرون﴾ بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزحنا عنهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرى ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونافى الحالين وبضم الثاء ﴿فاستجوا العمى على الهدى﴾ أى اختاروا الضلالة على الهداية ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من اختيار الضلالة ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ من تلك الصاعقة ﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾ شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلامة ما يحيق بهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ما سيأتى من قوله تعالى فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرى يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظيمة وضم الشين وكسرهما ﴿إلى النار﴾ أى إلى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها واما لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايها ما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى ﴿فهم يوزعون﴾ أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون إلى النار وقوله تعالى ﴿حتى اذا ما جاؤوها﴾ أى جميعا غاية ليحشر أو ليزعون أى حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدت علينا﴾ فان ما تشهد به من الزنا أعظم جنابة وقبحا وأجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنائيات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فعنكنا كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكنا

كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى ﴿ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾ لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أي أنطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما علمتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وليس بذلك لما فيه من إيهام الاضطراب في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي وهو خلقكم أول مرة وإلى ترجمون ﴿ فان من قدر على خلقكم وانشاءكم أولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحك ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بغيرق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ﴿ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴾ من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجتريتم على ما فعلتم وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم . عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقيان وقرشي أو قرشيان وثقي فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيق وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخذه ليعم ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر ﴿ وذلكم ﴾ إشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ خبر ان له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا ﴿ فأصبحتم ﴾ بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم ﴿ من الخاسرين ﴾ اذ صار ما منحوا الليل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ أي محل ثواء واقامة أبدية لهم بحيث لا يراح لهم منها والاتلفت الى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم غيرهم أو للاشعار بإبعادهم عن حيز الخطاب والقائم في غاية دركات النار ﴿ وان يستعبدوا ﴾ أي يسألوا العتي وهو الرجوع الى ما يحبونه جزاء ما هم فيه ﴿ فسام من المعتبين ﴾ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرىء وان يستعبدوا فسام من المعتبين أي ان يسألوا أن يرضوا ربهم فاهم فاعلون لفوات الممكنة ﴿ وقيضنا لهم ﴾ أي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا ﴿ قرناء ﴾ جمع قرين أي أخذنا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القبيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القبيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة ﴿ فزينوا لهم ما بين أيديهم ﴾ من أمور الدنيا واتباع الشهوات ﴿ وما خلفهم ﴾ من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبا ومصداقا وهو قوله تعالى لا بليس فالحق والحق أقول لأملا أن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملا أن جهنم منكم أجمعين كما مر مرارا ﴿ في أمم ﴾ حال من الضمير المجرور أي كائنين في جملة أمم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في أن

المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل ﴿ قدخلت ﴾ صفة لأمم أى مضت ﴿ من قبلهم من الجن والانس ﴾ على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء ﴿ انهم كانوا اخاسرين ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن ﴾ أى لا تنصتوا له ﴿ والغوا فيه ﴾ وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدي والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرى بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى كلنى يلغى ولغا يلغو اذا هذى ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ أى تغلبونه على قراءته ﴿ فلندين الذين كفروا ﴾ أى فوالله لندين هؤلاء القائنين واللاعنين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿ عذابا شديدا ﴾ لا يقادر قدره ﴿ ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ﴾ أى جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسها أسوأ وقيل انه لا يحجازيهم بحاسن أعمالهم كإغاثه الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ مبتدأ وقوله تعالى ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ خبره أى ما ذكر من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى ﴿ النار ﴾ عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدا محذوف أى الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار اقامتهم على أن فى التجريد وهو أن ينتزع من أمر دى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكلامه فيها كما يقال فى البيضة عشرون مناحيد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدرجات دارا مخصوصة هم فيها خالدون ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا ينجحون ﴾ منصوب بفعل مقدر أى يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية ينجحون قدمت عليه لمراعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا ينجحون بآياتنا الحق أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ وهم متقبلون فيما ذكر من العذاب ﴿ ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس ﴾ يعنون فريق شياطين النوعين المقيضين لهم الحماين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانها سنا الكفر والقتل بغير حق وقرى ﴿ أرنا تخفيفا كفخذ فى نخد وقيل معناه أعطاهما وقرى باختلاس كسرة الراء ﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ أى ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ﴿ لىكونا من الاسفلين ﴾ أى ذلا ومهانة أو مكانا ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ﴾ شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أى قالوه اعترافا بربوبية الله تعالى واقاراراً بوحدايته ﴿ ثم استقاموا ﴾ أى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن ثم للترخى فى الزمان أو فى الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها ﴿ تنزل عليهم الملائكة ﴾ من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ما قيص لهم من قرناء السوء بترين القبائح وقيل تنزل عند الممرت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والظاهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ﴿ أن لا تخافوا ﴾ ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيمهم عن الغموم على الإطلاق والمعنى أن

الله تعالى كشب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وأن امامفسرة أو مخففة من الثقلية والاصل بانه لا تخافوا والهاضمير الشأن وقرى لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أو استئناف (وأبشروا) أى سروا (بالجنة التي كنتم توعدون) فى الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم نلهمسكم الحق ونرشدكم الى مافيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخاطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأيدده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفى الآخرة) نمدكم بالشفاعة وتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام (ولكم فيها) أى فى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أى تدعون لأنفسكم وهو أعم من الاول ولكم فى الموضوعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل منهما (نزلا من غفور رحيم) حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظامم الاجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى الى توحيدته تعالى وطاعته . عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق أن حكمها عام اسكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال اننى من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرى انى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على أذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لا تستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والاحكام ولا الثانية مزبدة لتأكيد النفي وقوله تعالى (ادفع بالتي هى أحسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هى أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالأحسان الى من أساء فانه أحسن من العفو واخرجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق (وما يلقاها) أى ما يلقى هذه الخصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) أى شأنهم الصبر (وما يلقاها الا ذوقوا عظيم من الخير وكال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى أبى سفيان ابن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مضافا (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جدجده أو أريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا تطعه (انه هو السميع) باستعاذتك (العليم) ببيتك أو بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدالة على شئونه العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهم من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم

الاثني أو الالاث أو لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايدان
بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم
الكل في سلك آياته تعالى ﴿ان كنتم اياه تعبدون﴾ فان السجود أقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به
سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى ﴿فان استكبروا﴾
عن الامثال ﴿فالذين عند ربك﴾ من الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾ أى دائماً ﴿وهم لا يسأمون﴾
لا يفترون ولا يملون وقرىء لا يسأمون بكسر الياء ﴿ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة﴾ يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء﴾ أى المطر ﴿اهتزت وربت﴾ أى تحركت بالنبات
واتفتخت لان النبات اذا دنا أن يظهر ارتفعت له الارض واتفتخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات
وقرىء ربأت أى ارتفعت ﴿ان الذى أحياها﴾ بما ذكر بعد موتها ﴿لحي الموتى﴾ بالبعث ﴿انه على كل شئ﴾
من الاشياء التى من جملتها الاحياء ﴿قدير﴾ مبالغ في القدرة ﴿ان الذين يلحدون﴾ يميلون عن الاستقامة وقرىء
يلحدون ﴿فى آياتنا﴾ بالظعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة ﴿لا يخفون علينا﴾ فنجازيهم بالحادهم
وقوله تعالى ﴿أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة﴾ تنبيه على كيفية الجزاء ﴿اعملوا ما شئتم﴾
من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء فى النار والالتيان آمناً وفيه تهديد شديد ﴿انه بما تعملون بصير﴾
فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم﴾ بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون
الح وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر
القرآن وقوله تعالى ﴿وانه لكتاب عزيز﴾ أى كثير المنافع عديم النظر أو منيع لا تتأنى معارضته جملة حاله
مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أى لا يتطرق اليه الباطل
من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى ﴿تنزيل من حكيم حميد﴾ خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب
مفيدة لفخامته الاضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز
تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ﴿ما يقال لك﴾ الخ تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل اليك من القرآن من جهة
كفار قومك ﴿الا ما قد قيل للرسول من قبلك﴾ أى الا مثل ما قد قيل فى حقهم بما لا خير فيه ﴿ان ربك
لذو مغفرة﴾ لانيائه ﴿وذو عقاب أليم﴾ لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل
مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر
﴿لقالوا لا فصلت آياته﴾ أى بينت بلسان نفقه وقوله تعالى ﴿أعجمى وعربى﴾ انكار مقرر للتخصيص والأعجمى
يقال لكلام لا يفهم وللتكلم به والياء للبالغه فى الوصف كأعجمى والمعنى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى
على أن الافراد مع كون المرسل اليهم أمة جملة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون
المخاطب واحداً أو جمعاً وقرىء أعجمى أى أكلام منسرب الى أمة العجم وقرىء أعجمى على الاخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم
والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لافهام العجم وبعضها عربياً لافهام العرب وأياما
كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً يتعللون به ﴿قل هو للذين آمنوا هدى﴾
يهديهم الى الحق ﴿وشفاء﴾ لما فى الصدور من شك وشبهة ﴿والذين لا يؤمنون﴾ مبتدأ خبره ﴿فى آذانهم وقرىء﴾

على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى ﴿وهو عليهم عمى﴾ وقيل خبر الموصول فى آذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم ﴿أولئك﴾ إشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لا لايذان يبعد منزلته فى الشرع مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعون والتعمى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها ﴿ينادون من مكان بعيد﴾ تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك أى وبالله لقد آتيناها التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ فى حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى ﴿لقضى بينهم﴾ باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة ﴿وانهم﴾ أى كفار قومك ﴿لفى شك منه مريب﴾ أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثانى للتوراة بما لا وجه له ﴿من عمل صالحا﴾ بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها ﴿فلنفسه﴾ أى فلنفسه يعملها أو ففعله لنفسه لا لغيره ﴿ومن أساء فعليها﴾ ضرره لا على غيره ﴿ومار بك بظلام للعبيد﴾ اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك ائابة المحسن بعمله أو ائابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة أو باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الأنفال ﴿اليه يرد علم الساعة﴾ أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أو لا يعلمها الا الله تعالى ﴿وماتخرج من ثمرات من أكمامها﴾ أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرى من ثمرة على ارادة الجلوس والجمع لاختلف الأنواع وقد قرى بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد ﴿وماتحمل من أثنى ولا تضع﴾ أى حملها وقوله تعالى ﴿الا بعلمه﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابس بشئ من الأشياء الا ملابس بعلمه المحيط ﴿ويوم يناديهم أين شركائى﴾ أى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى نادوا شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظرف لمضممر مؤخر قد ترك ايدانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ﴿قالوا آذناك﴾ أى أخبرناك ﴿مامنا من شهيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال ومامنا أحد الا وهو موحداك أو مامنا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محققين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لانشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه أو لان معناه الانشاء لا الاخبار بايدان فكان قبل ذلك ﴿وضل عنهم ما كانوا يمدعون﴾ أى يعبدون ﴿من قبل﴾ أى غابوا عنهم وأظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم ﴿وظنوا﴾ أى أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي ﴿لا يسأم الانسان﴾

أى لا يمل ولا يفتر ﴿من دعاء الخير﴾ من طلب السعة في النعمة وأسباب المعيشة وقربى من دعاء الخير ﴿وان مسه الشر﴾ أى العسر والضيقه ﴿فيؤوس قنوط﴾ فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضال وينكسر أى مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفرادهم لما أن اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ بتفريحها عنه ﴿ليقولن هذا لى﴾ أى حق استحققه لمالى من الفضل والعمل أولى لا لغيرى فلا يزول عني أبدا ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى تقوم فيما سأتى ﴿ولئن رجعت الى ربي﴾ على تقدير قيامها ﴿ان لى عنده للحسنى﴾ أى للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لا اعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لا يستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أى لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى انما نبعيكم على أنفسكم من سورة يونس ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه ﴿واذا أنعمنا على الانسان أعرض﴾ أى عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ أى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار لما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه ﴿واذا مسه الشر فذودعأ عريض﴾ أى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرتة واستمراره وهو أبلغ من الطويل اذ الطويل أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل فى بعض الأوقات ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان كان﴾ أى القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ مع تعاضد موجبات الايمان به ﴿من أضل ممن هو فى شقاق بعيد﴾ أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليل لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ الدالة على حقيقته وكونه من عند الله ﴿فى الآفاق﴾ هو ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وأثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة ﴿وفى أنفسهم﴾ هو ما ظهر فيا بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أنفسهم يوم بدر وقال بجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليهما من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجنة فى ظلمات الارحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزما ناويزيدهم وقوفا على حقائقها يوم ما فيوما ﴿حتى يتبين لهم﴾ بذلك ﴿أنه الحق﴾ أى القرآن أو الاسلام والتوحيد ﴿أولم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم فى شأن القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تتراد الا مع كنى وقوله تعالى ﴿أنه على كل شىء شهيد﴾ بدل منه أى ألم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة الميئنة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم

الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطاع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حامد ملوه هذه النصرة فتأمل وأما ما قيل من أن المعنى أو لم يكفك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود بده قوله تعالى ﴿ألا أنهم في مريّة من لقاء ربهم﴾ أى فى شك عظيم من ذلك بالبحث والجزاء فإنه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مريّة بالضم وهو لغة فيها ﴿ألا أنه بكل شئ محيط﴾ عالم بجميع الأشياء جملها وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله أعلم

سورة حم عسق وتسمى الشورى

(مكية وهى ثلاث وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم عسق﴾ اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى ﴿كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وأن ايجاءها مثل ايجائها بعد تنويعها بذكر اسمها والتنبيه على نغمة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الاول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكده على الثانى وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثانى الى ايجائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل ايجائها أوحى اليك عند ايجاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايجاء كتبهم اليهم لا ايجاء مغاير له كما فى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وأن ايجاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو ايجائها مشبهابه من تفخيمها ما لا يخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصف العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للفعول على أن كذلك مبتدأ أو يوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر و يوحى مسند الى اليك والله مرتفع بمادل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فليل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى ﴿له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم﴾ خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرئ بالياء ﴿يتفطرن﴾ يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرئ يتفطرن والاول أبغ لأنه مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿من فوقهن﴾ أى يبتدأ التفطر من جهتين فوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدناها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى

للدلالة على التفطر من تحتين بالطريق الاولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حيث أثرت في جهة الفوق فلا توثر في جهة التحت أولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ﴿ويستغفرون لمن في الارض﴾ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة ﴿ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لسكالم تقديسه عما نسب اليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفطر غفرانه ورحمته ففيها رمز الى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بموكل بهم أو بموكل اليه أمرهم وانما وظيفتك الانذار ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾ ذلك اشارة الى مصدر أو حينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا لالبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين ﴿لتنذرا م القرى﴾ أى أهلها وهى مكة ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الأعمال والعمال والانداز يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتهويل وإيهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن ﴿لاريب فيه﴾ اعتراض مقرر لما قبله ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السعير﴾ أى بعد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه أو لا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للجموعتين لدلالة الجمع عليه وقرنا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب ﴿ولو شاء الله لجعلهم﴾ أى فى الدنيا ﴿أمة واحدة﴾ قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فعنى قوله تعالى ﴿ولكن يدخل من يشاء فى رحمته﴾ أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل ﴿والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير﴾ للايدان بأن الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهة تعالى كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقصرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه

سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجوهين بأن يراد بهم الذين هم في فترة ادريس أو في فترة نوح عليهما السلام فلمعنى ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته أى شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوقفهم الله بالإيمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصرون في الآخرة إلى السعير من غير ولى يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها والمهمزة لانكار الوقوع ونفيه على أن يغوجه وآ كده لانكار الواقع واستقبحه كما قيل إذا المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شئ لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيئات وقوله تعالى ﴿فالله هو الولي﴾ جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه أولياء أن أرادوا وليا في الحقيقة فالله هو الولي لا ولى سواه ﴿وهو يحيى الموتى﴾ أى ومن شأنه ذلك ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شئ ﴿وما اختلفتم فيه من شئ﴾ حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أتم وهم ﴿فحكمه﴾ راجع ﴿إلى الله﴾ وهو آية المحققين وعقاب المبطلين ﴿ذلكم﴾ الحاكم العظيم الشأن ﴿الله ربى﴾ مالكى ﴿عليه توكلت﴾ فى مجامع أمورى خاصة لا على غيره ﴿واليه أنيب﴾ أرجع فى كل ما يعنى لى من معضلات الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والآنابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر فى الأول صيغة الماضى وفى الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شئ من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثر على حكمته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كعرفة الروح ولا مساعج لمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خبر آخر لذلك أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿جعل لكم﴾ وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف ﴿من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجا﴾ نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة ﴿ومن الانعام﴾ أى وجعل للانعام من جنسها ﴿أزواجا﴾ أو خلق لكم من الانعام أصنافا أو ذكورا وإناثا ﴿يذروكم﴾ يكثركم من الذر وهو البث وفى معناه الذر والذر ﴿فيه﴾ أى فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والانعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنجع للبث والتكثير ﴿ليس كمثله شئ﴾ أى ليس مثله شئ فى شأن من الشؤون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فإنه إذا نفى عنى يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفة أى ليس كصفته صفة ﴿وهو السميع البصير﴾ المبالغ فى العلم بكل ما يسمع ويبصر ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أى خزائنها ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة ﴿انه بكل شئ عليم﴾ مبالغ فى

الاحاطة به فيفعل كل مايفعل على ماينبغي أن يفعل عليه والجلسة لتعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ﴾ وايدان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبه الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه ديناً قديماً أجمع عليه الرسل والخطاب لأئمة عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمراً مؤكداً على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والافهام من نبي الا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف باختلاف الامة وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والاحكام كما ينبي عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحاؤه اليه عليه الصلاة والسلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعمهما وغيرهما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الحكم له واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبه اليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايتار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الايحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والاتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بإيحاؤه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً وتقديم توصية نوح عليه السلام للسارعة الى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للترشيف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام ﴿ أن أقيموا الدين ﴾ أى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وائر ما يكون الرجل به مؤمناً والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له ومحل أن أقيموا اما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذلك لما أنه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبي عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى ﴿ ولا تتفرقوا فيه ﴾ للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى الى أممهم تحمل ظاهر مع أن الاظهر أنه متوجه الى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أى لا تتفرقوا في الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى ﴿ كبر على المشركين ﴾ شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم ﴿ ماتدعوهم اليه ﴾ من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعده حيث قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجيب وقوله تعالى ﴿ الله يجتبي اليه من يشاء ﴾ استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بأن منهم من يجيب الى الدعوة أى الله يجتلب الى ماتدعوهم اليه من يشاء أن يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى مادعى اليه كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿ ويهدى اليه من ينيب ﴾ أى يقبل اليه حيث يمهده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى ﴿ وما تفرقوا ﴾ شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الاجمالية الى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أى وما تفرقوا في الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم ﴿ الا من بعد

ما جاءهم العلم بحقيقته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقيقة حسبها وجدوده في كتابهم
 أو العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أو من أعم الاوقات أى وماتفرقوا في حال من
 الاحوال أو في وقت من الاوقات الا حال محيى العلم أو الا وقت محيى العلم ﴿بغيا بينهم﴾ وحمية وطلبا للرياسة لا
 لأن لهم في ذلك شبهة ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ وهى العدة بتأخير العقوبة ﴿الى أجل مسمى﴾ هو يوم القيامة
 ﴿لقضى بينهم﴾ لا وقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جنائياتهم لذلك قطعاً وقوله تعالى ﴿وان الذين أورثوا
 الكتاب من بعدهم﴾ الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرى ورثوا
 وورثوا أى وان المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم ﴿لنفي شك منه﴾ من القرآن
 ﴿مريب﴾ موقع في القلق أو في الرية ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ما علموا بحقيقته كدأب أهل
 الكتابين هذا وأما ما قيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها
 مع عليهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا
 كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله
 تعالى أهل الارض بالطوفان فلها مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين
 وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال
 على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق
 أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيذا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر
 عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام ﴿فلذلك﴾ أى فلا أجل
 ما ذكر من التفرق والشك المريب أو فلا أجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم التحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون ﴿فادع﴾
 أى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكوهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين
 لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر
 بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله
 تعالى بأن ربك أوحى لها أى فالى ذلك الدين فادع ﴿واستمع﴾ عليه وعلى الدعوة اليه ﴿كما أمرت﴾ وأوحى
 اليك ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ الباطلة ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب﴾ أى كتاب كان من الكتب المنزلة
 لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتأليف لقلوب
 أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ فى تبليغ
 الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لا سوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا أعلمه ولا
 أخالفكم الى ما أنتم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمورة بمحذوف أى أمرت بذلك
 لأعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء محذوفة ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى خالقنا جميعا ومتولى أمورنا ﴿لنا
 أعمالنا﴾ لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان أو عقابا ﴿ولكم أعمالكم﴾ لا تتجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم وتتضرر
 بسيئاتكم ﴿لاحجة بيننا وبينكم﴾ أى لا حاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة
 محمل سوى المكابرة ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿واليه المصير﴾ فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى
 محاجة فى مواقف المجاورة لا مباركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال ﴿والذين يحاجون فى الله﴾

أى فى دينه ﴿من بعد ما استجيب له﴾ من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بان أقرؤا بنبوته عليه الصلاة والسلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق ﴿حجتهم داخضة عند ربهم﴾ زالة زائلة باطلة بل لاحجة لهم أصلاً وانما عبر عن أباطيلهم بالحجة بجملة معهم على زعمهم الباطل ﴿وعليهم غضب﴾ عظيم لمكابرهم الحق بعد ظهوره ﴿ولهم عذاب شديد﴾ لا يقادر قدره ﴿الله الذى أنزل الكتاب﴾ أى جنس الكتاب ﴿بالحق﴾ ملتبساً به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق أنزاله من العقائد والأحكام ﴿والميزان﴾ والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن ﴿وما يدريك﴾ أى أى شئ يجعلك عالماً ﴿لعل الساعة﴾ التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق ﴿قريب﴾ أى شئ قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الاتيان فانبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليثها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى الكائن لا محالة ﴿ألا ان الذين يمارون فى الساعة﴾ يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿لنى ضلال بعيد﴾ عن الحق فان البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه أبعد وأبعد ﴿الله لطيف بعباده﴾ أى بربليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه مالا يكاد يناله أيدى الافكار والظنون ﴿يرزق من يشاء﴾ أن يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ﴿وهو القوى﴾ الباهر القدرة الغالب على كل شئ ﴿العزيز﴾ المنيع الذى لا يغلب ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ الحرث فى الأصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلل الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿نزدله فى حرثه﴾ نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعائة فافوقها ﴿ومن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حرث الدنيا﴾ وهو متاعها وطيباتها ﴿نؤته منها﴾ أى شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما يريد ويبتغيه ﴿وماله فى الآخرة من نصيب﴾ اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ﴿أم لهم شركاء﴾ أى بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقرير ﴿شرعوا لهم﴾ بالتسويل ﴿من الدين ما لم يأذن به الله﴾ كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أو ثنائهم واضافوا اليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لأنها سبب ضلالهم وافتنائهم كقوله تعالى انهن أضللن كثيراً أو تمائل من سن الضلالة لهم ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ أى القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة ﴿لقضى بينهم﴾ أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم ﴿وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ وقرئ بالفتح عطفاً على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الأليم غالب فى عذاب الآخرة ﴿ترى الظالمين﴾ يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد الى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء ﴿مشفقين﴾

خائفين ﴿مما كسبوا﴾ من السيئات ﴿وهو واقع بهم﴾ أى ووباله لاحق بهم لاحتالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات﴾ مستقرون فى أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ أى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاءون ﴿ذلك﴾ إشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايدان ببعد منزلة المشار اليه ﴿هو الفضل الكبير﴾ الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ﴿ذلك﴾ الفضل الكبير هو ﴿الذى يبشر الله عباده﴾ أى يبشرهم به لحذف الجارثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقرئ يبشر من أبشر ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ روى أنه اجتمع المشركون فى جمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت أى لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ والبشارة ﴿أجرا﴾ نفعا ﴿الا المودة فى القربى﴾ أى الا أن تودونى لقرايتى منكم أو تودوا أهل قرايتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة والقربى مصدر كالزنى بمعنى القرابة روى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعه الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله فى تقر بكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الامودة فى القربى ﴿ومن يقترب حسنة﴾ أى يكتسب أى حسنة كانت فتناول مودة ذى القربى تناولا أوليا وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم ﴿نزدله فيها﴾ أى فى الحسنة ﴿حسنا﴾ بمضاعفة الثواب وقرئ يزدأى يزد الله وقرئ حسنى ﴿ان الله غفور﴾ لمن أذنب ﴿شكور﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿افترى﴾ محمد ﴿على الله كذبا﴾ بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمة للانكار التوبيخى كأنه قيل أيتما لكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى ﴿فان يشأ الله يختم على قلبك﴾ استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدور عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنه وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحي حينما فحينا تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يحترى على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك ير بط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ استئناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبى عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لا تباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر أى ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق

على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا المحقة ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم ﴿انه علم بذات الصدور﴾ فيجرى عليها أحكامها اللاتقة بها من المحو والاثبات ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ التوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبدا وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعداء ورد المظالم واذا به النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ﴿ويعفو عن السيئات﴾ صغيرها وكبيرها لمن يشاء ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم والمصالح وقرى ما تفعلون بالتاء ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالنا ندعوفلا نجاب قال لأنه دعاءكم ولم يجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لعل بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلية البشرية وأصل البغى طاب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية أو الكيفية ﴿ولكن ينزل بقدر﴾ أى بتقدير ﴿ما يشاء﴾ أن ينزله مما تقتضيه مشيئته ﴿انه بعباده خير بصير﴾ محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجذبوا اتجمعوا ﴿وهو الذى ينزل الغيث﴾ أى المطر الذى يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرى ينزل من الانزال ﴿من بعد ما قنطوا﴾ ينسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضا لتذكر كمال النعمة وقرى بكسر النون ﴿وينشر رحمته﴾ أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا ﴿وهو الولي﴾ الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة ﴿الحميد﴾ المستحق للحمد على ذلك لا غيره ﴿ومن آياته خلق السموات والارض﴾ على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤنه العظيمة ﴿وما بث فيهما﴾ عطف على السموات أو الخلق ﴿من دابة﴾ من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب أو بما يدب على الارض فان ما يختص بأحد الشئيين المتجاوزين يصح نسبته اليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالديب وأن يخلق الله فى السماء حيوانا يمشون فيها مشى الاناسى على الارض كما ينبت عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم ﴿وهو

على جمعهم ﴿أى حشرهم بعد البعث للحاسبة وقوله تعالى ﴿إذا إشاء﴾ متعاقب بما قبله لا بقوله تعالى ﴿قدير﴾
 فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع ﴿وما أصابكم
 من مصيبة﴾ أى مصيبة كانت ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لأن
 ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية ﴿ويعفو عن كثير﴾ من
 الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم لاسباب أخرى منها تعريضه للثواب بالصبر
 عليه ﴿وما أنتم بمعجزين فى الارض﴾ فائتين ما قضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب
 ﴿وما لكم من دون الله من ولى﴾ يحميكم منها ﴿ولا نصير﴾ يدفعها عنكم ﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن الجارية
 ﴿فى البحر﴾ وقرئ الجوارى ﴿كلاعلام﴾ أى كالجبال على الاطلاق لا التى عليها النار للاهتداء خاصة ﴿ان يشأ
 يسكن الريح﴾ التى تجريها وقرئ الرياح ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ فيبين ثوابت على ظهر البحر أى غير
 جاريات لا غير متحركات أصلا ﴿ان فى ذلك﴾ الذى ذكر من السفن اللاتى يجرن تارة ويركدن أخرى على حسب
 دشيئته تعالى ﴿آيات﴾ عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ما ذكر من شؤنه تعالى ﴿لكل صبار شكور﴾
 لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي و وكل همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن
 كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن
 الريح فيركدن أو يرسلها فيقرن بعصفها وإيقاع الايقاع عليهن مع أنه حال أهلهن للبالغة والتهويل واجراء حكمه على
 العفو فى قوله تعالى ﴿ويعفو عن كثير﴾ لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ
 ويعفو على الاستئناف ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كفى قوله
 تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعله من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطا
 على يعفو فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ﴿ما لهم من محيص﴾ أى من مهرب
 من العذاب والجملة معلق عنها الفعل ﴿فما أوتيت من شئ﴾ بما ترغبون وتنافسون فيه ﴿فتناع الحياة الدنيا﴾
 أى فهو متاعها تمتعون به مدة حياتكم ﴿وما عند الله﴾ من ثواب الآخرة ﴿خير﴾ ذاتا لخلوص نفعه ﴿وأبقى﴾
 زمانا حيث لا يزول ولا يفنى ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ لاعلى غيره أصلا والموصول الاول لما كان
 متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثانى وعن
 على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى ﴿والذين
 يحبون كباثر الاثم﴾ أى الكباثر من هذا الجنس ﴿والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ مع ما بعده عطف
 على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الاخصاء بالمغفرة حال
 الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الاثم الشرك ﴿والذين استجابوا لربهم
 وأقاموا الصلوة﴾ نزل فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾
 أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهام أمر اجتمعوا
 وتشاوروا ﴿وعمارزقاهم ينفقون﴾ أى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم
 للصلوات ﴿والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ أى ينتقمون من بغي عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة
 التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لا ينافى وصفهم بالغفران فان كلا منهما

فضيلة محمود في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللثام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلل مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقوله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى أن البادى هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لأجزئتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به ﴿فمن عفا﴾ عن المسيء اليه ﴿وأصاح﴾ بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴿فأجره على الله﴾ عدة مهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود ﴿انه لا يحب الظالمين﴾ البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أى بعد ما ظلم وقد قرئ به ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من باعتبار المعنى كما أن الضمير ين لها باعتبار اللفظ ﴿ما عليهم من سيل﴾ بالمعاقبة أو المعاقبة ﴿انما السيل على الذين يظلمون الناس﴾ يبتدئونهم بالاضرار أو يعتدون في الانتقام ﴿ويبغون في الارض بغير الحق﴾ أى يتكبرون فيها تجبرا وفسادا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق ﴿لهم عذاب أليم﴾ بسبب ظلمهم وبغيهم ﴿ولمن صبر﴾ على الاذى ﴿وغفر﴾ لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره الى الله تعالى ﴿ان ذلك﴾ الذى ذكر من الصبر والمغفرة ﴿لمن عزم الامور﴾ أى ان ذلك منه خذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التى لا يؤدى العفو الى الشر كما أشير اليه ﴿ومن يضل الله فماله من ولى من بعده﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه ﴿وترى الظالمين لما رأوا العذاب﴾ أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ﴿يقولون هل الى مرد﴾ أى الى رجعة الى الدنيا ﴿من سيل﴾ حتى تؤمن ونعمل صالحا ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضوعين لكل من يتأتى منه الرؤية ﴿خاشعين من الذل﴾ متذللين متضائلين مما دهاهم ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ أى يبتدىء نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف ﴿وقال الذين آمنوا ان الخاسرين﴾ أى المتصفين بحقيقة الخسران ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾ بالتعريض للعذاب الخالد ﴿يوم القيامة﴾ اما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى ﴿ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم﴾ اما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم﴾ برفع العذاب عنهم ﴿من دون الله﴾ حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا ﴿ومن يضل الله فماله من سيل﴾ يؤدى سلوكه الى النجاة ﴿استجيبوا الربكم﴾ اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه ﴿من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله﴾ أى لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده ﴿مالكم من ملجأ يومئذ﴾ أى مفر تلتجئون اليه ﴿ومالكم من نكير﴾ أى انكار لما اقترتموه لانه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم ﴿فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام أى فان لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم اليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ﴿ان عليك الا البلاغ﴾ وقد فعلت ﴿وانا اذا أذقنا الانسان منارحة﴾ أى نعمة من الصحة والغنى والأمن ﴿فرح بها﴾ أريد بالانسان الجنس لقوله تعالى ﴿وان تصبهم سيئة﴾ أى بلاء

من مرض وفقر وخوف ﴿بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كبرها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على أن اتصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بأعمالهم للايدان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم ﴿لله ملك السموات والارض﴾ فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريد ﴿يخلق ما يشاء﴾ مما تعلقه وما لا تعلمه ﴿يهب لمن يشاء اناثا﴾ من الاولاد ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد ﴿أو يزوجهم﴾ أى يقرن بين الصنفين فيهما جميعا ﴿ذكرانا واناثا﴾ قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية أو جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأثنى توأمين ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهن فيهب لبعض اما صنف واحد من ذكر أو أنثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لأنها أكثر لتكثير النسل أولان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما تعلق به مشيئته تعالى لا ما تعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك أولان الكلام في البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطيب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بأنه قسم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين ﴿انه عليم قدير﴾ مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة ﴿وما كان لبشر﴾ أى وما صح لفرد من أفراد البشر ﴿أن يكلمه الله﴾ بوجه من الوجوه ﴿الا وحيا﴾ أى الا بأن يوحى اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه في بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى ﴿أو من وراء حجاب﴾ فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى ﴿أو يرسل رسولا﴾ أى ملكا ﴿فيوحى﴾ ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى ﴿بأذنه﴾ أى بأمره تعالى وتيسيره ﴿ما يشاء﴾ أن يوحى اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرئ أو يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروى أن اليهود قالت للنبي عليه الصلاة والسلام ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضى الله عنها أو لم تسمعوا ربكم يقول فتلث هذه الآية ﴿انه على﴾ متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا بأحد الوجوه المذكورة ﴿حكيم﴾ يجرى أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة

وأخرى بدونها اما الهاما واما خطابا ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك الايجاء البديع ﴿ أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايجائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحي ﴿ ما كنت تدري ﴾ قبل الوحي ﴿ ما الكتاب ﴾ أى أى شئ هو ﴿ ولا الايمان ﴾ أى الايمان بتفاصيل ما فى تضاعيف الكتاب من الأمور التى لا تهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه الصلاة والسلام له مما لا ريب فيه قطعا ﴿ ولكن جعلناه ﴾ أى الروح الذى أوحيناه اليك ﴿ نورا نهدي به من نشاء ﴾ هدايته ﴿ من عبادنا ﴾ وهو الذى يصرف اختياره نحو الابتداء به وقوله تعالى ﴿ وانك لنهدي ﴾ تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول نهدي محذوف ثقة بغاية الظهور أى وانك لنهدي بذلك النور من نشاء هدايته ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ هو الاسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرئ نهدي أى ليهديك الله وقرئ تدعو ﴿ صراط الله ﴾ بدل من الأول و اضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى ﴿ الذى له ما فى السموات وما فى الارض ﴾ لتفخيم شأنه وتقدير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك أتم ايجاب ﴿ ألا الى الله تصير الأمور ﴾ أى أمور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للبهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سريرة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

سورة الزخرف

(مكية وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا و آياتنا تسع وثمانون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم ﴾ " الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مغل بجزالة النظم الكريم ﴿ والكتاب ﴾ بالجر على أنه مقسم به اما ابتداء أو عطفًا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد مضمون الجملة القسمية ﴿ المبين ﴾ أى البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه فى أبواب الديانة ﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيده كجعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم واذاحة أعذارهم أى جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخبر وجهه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية ﴿ وانه فى أم الكتاب ﴾ أى فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرئ أم الكتاب بالكسر ﴿ لدينا ﴾ أى عندنا ﴿ لعلى ﴾ رفيع القدر بين الكتب شريف ﴿ حكيم ﴾ ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى أم الكتاب ولدينا والجملة ما عطف على الجملة المقسم عليها داخله فى حكمها فى الاقسام بالقرآن على علوقه عنده تعالى براعة بديعة وايدان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج فى بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما أنه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شئ آخر أولى منه بالاقسام به واما مستأنفة

مقررة لعلو شأنه الذي أنبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا به وجهه عقب ذلك بانكار أن يكون الامر بخلافه ف قيل ﴿ أفضر ب عنكم الذكر ﴾ أى تنجيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الخوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهاوت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهم لم يفتحوا الذكر عنكم ﴿ صفحا ﴾ أى اعراضا عنكم على أنه مفعول له للذكر أو مصدر مؤكد لمادل هو عليه فان التنجيه منبهة عن الصفح والاعراض قطعاً كأنه قيل أفصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفنجه عنكم جانبا ﴿ أن كنتم قوما مسرفين ﴾ أى لأن كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكننا لسعة رحمتنا لانفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرىء ان بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهاهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى ﴿ وكم أرسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن ﴾ تقرير لما قبله ببيان أن اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى ﴿ فأهلكنا أشد منهم بطشا ﴾ أى من هؤلاء القوم المسرفين عدله عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم بأشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ أى سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها أن تسير مسير المثل ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ أى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفى نفس الامر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لا ريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاقا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى ﴿ الذى جعل لكم الارض مهدا ﴾ استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها ﴿ وجعل لكم فيها سبلا ﴾ تسلكونها في أسفاركم ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى لى تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم أو بالتفكر فيها الى التوحيد الذى هو المقصد الاصلى ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر ﴾ بمقدار تقتضيه مشيئته المبينة على الحكيم والمصالح ﴿ فأنشأنا به ﴾ أى أحينا بذلك الماء ﴿ بلدة ميتا ﴾ خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرىء ميتا بالشد يد وتذكيره لان البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لظهور كمال العناية بأمر الاحياء والاشعار بعظم خطره ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة اخراج النبات من الارض ﴿ تخرجون ﴾ أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس ﴿ والذى خلق الأزواج كلها ﴾ أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأزواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكور والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام مآثر تكون ﴾ أى مآثر يكونه تغليا للانعام على الفلك فان الركوب متعدد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها ﴿ لتستروا على ظهوره ﴾ أى لتستعلوا على ظهور مآثر يكونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ﴿ ثم تذكروا نعمت ربكم اذا استويتم عليه ﴾ أى تذكروها

يقولونكم معتزفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم ﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا﴾ متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى المنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أى مطيقين من أقرن الشئ اذا أطاقه وأصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها ﴿وانا الى ربنا المنقلبون﴾ أى راجعون وفيه ايدان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلبسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب الى الله تعالى فينبى أمره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شئ مما يأتى ويذكر أمرا ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لامر مشروع ﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾ متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم لالخ أى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولما وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالة فى حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزوا بضمين ﴿ان الانسان لكفور مبين﴾ ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ أم منقطعة وما فيها من معنى بل للاتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أحسن صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تعالى ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ اما عطف على اتخذ داخل فى حكم الانكار والتعجب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور والاتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ أى بل اتخذ من خلقه أحسن الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالة وامتناعه أما كان لكم شئ من العقل ونبت من الحياة حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الحارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى أثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلاهما وكلك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لترية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة ﴿واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم أن أحدهم اذا بشر به اغتم والاتفات للايدان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها أى اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد أن يحانس الوالد ويمثله ﴿ظل وجهه مسودا﴾ أى صار أسود فى الغاية من سوء ما بشر به ﴿وهو كظيم﴾ مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرىء مسود ومسود على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبره ﴿أو من ينشأ فى الحلية﴾ تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمير معطوف على جعلوا أى أو جعلوا من شأنه أن يرى فى الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز اتصاها بمضمير معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما فى أم المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى أى أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته ﴿وهو﴾ مع ما ذكر من القصور ﴿فى الخصام﴾ أى الجسدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة ﴿غير مبين﴾ غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واطافة غير لا تمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرىء ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغالاه ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا﴾ بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقرير لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرىء عبيد الرحمن

وقرى عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرى أنا وهو جمع الجمع ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أى أحضروا خلق الله تعالى
اياهم فشهدوهم أنا حتى يحكموا بأنوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرى أشهدوا
بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بألف بينهما ﴿ستكتب شهادتهم﴾ هذه فى ديوان أعمالهم ﴿ويسألون﴾
عنها يوم القيامة وقرى يكتب وسنكتب بالياء والنون وقرى شهاداتهم وهى قولهم ان الله جزأ وان له بنات وانها
الملائكة وقرى يسألون من المسألة للبالغة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ بيان لفن آخر من كفرهم أى لو شاء
عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم انما يفعلونه
بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبه بأنه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم ببقية حتى ينتهز ذمهم
به دليلا للعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احدهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم
لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على
بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شئ من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ﴿ما لهم بذلك﴾
أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى
من الآيات الكريمة ﴿من علم﴾ يستند الى سند ما ﴿انهم الا يخرون﴾ يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن
يشار بذلك الى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق
العقل ثم أضرب عنه الى ابطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ﴿أم آتيناهم كتابا من قبله﴾ من قبل القرآن
أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه ﴿فهم به﴾ بذلك الكتاب ﴿مستمسكون﴾ وعليه معولون ﴿بل قالوا﴾
انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى
تقليد آباءهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تأم أى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرى أمة بالكسر وهى
الحالة التى يكون عليها الأم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبر ان والظرف صلة لمهتدون ﴿وكذلك﴾
أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبههم بذيل التقليد وقوله تعالى ﴿ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا﴾
قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم
ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايدان بأن التمتع وحب البطالة هو الذى
صرفهم عن النظر الى التقليد ﴿قال﴾ حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أمهم عند تعللهم بتقليد آباءهم أى قال
كل نذير من أولئك المنذرين لأنهم ﴿أولو جئتمكم﴾ أى أنقذتكم بآبائكم ولوجئتمكم ﴿بأهدى﴾ بدين أهدى
﴿مما وجدتم عليه آباءكم﴾ من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وانما عبر عنها بذلك مجازاة معهم على مسلك
الانصاف وقرى قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حيثئذ الى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
كما قيل لقوله تعالى ﴿قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ فانه حكاية عن الأمم قطعاً أى قال كل أمة لنذيرها انا بما أرسلت
به الخ وقد أجمال عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه عليه
الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبهم على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما أرسل به الكل
من التوحيد لاجتماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد يرد بالكلية قوله تعالى ﴿فاتقمنا﴾
منهم أى بالاستئصال ﴿فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من الأمم المذكورين فلا تكثر بتكذيب قومك
﴿واذ قال ابراهيم﴾ أى واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام ﴿لأبيه وقومه﴾ المكبين على التقليد كيف

تبرأ مما هم فيه بقوله ﴿ اننى برأ مما تعبدون ﴾ وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آياتهم وبرأ مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برى وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أى اننى برى من عبادتكم أو معبودكم ﴿ الا الذى فطرني ﴾ استثناء منقطع أو متصل على أن ما تتم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أى اننى برأ من الهة تعبدونها غير الذى فطرني ﴿ فانه سيهدين ﴾ أى سيثبتنى على الهداية أو سيهدين الى ما وراء الذى هدى الى الله الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسوية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار ﴿ وجعلها ﴾ أى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى ما تكلم به عبارة عنها ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ أى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيدهم وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد ﴿ بل تمتعت هؤلاء ﴾ اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاء بل تمتعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة ﴿ وآباءهم ﴾ بالمدنى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهم ككوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد ﴿ حتى جاءهم ﴾ أى هؤلاء ﴿ الحق ﴾ أى القرآن ﴿ ورسول ﴾ أى رسول ﴿ مبين ﴾ ظاهر الرسالة واضحا بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا وامتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ لينبهم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث ﴿ قالوا هذا سحر وانا به كافرون ﴾ فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحققوا الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين ﴾ أى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴿ عظيم ﴾ أى بالجاء والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفقوا بها هذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل الى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاء ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية وأما المتزخرفون بالخارف الدنيوية المتمتعون بالخطوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى ﴿ أهم يقسمون رحمت ربك ﴾ انكار فيه تهويل لهم وتعجيب من تحكيمهم والمراد بالرحمة النبوة ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم ﴾ أى أسباب معيشتهم ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض ﴾ فى الرزق وسائر مبادئ المعاش ﴿ درجات ﴾ متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾ ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويستخدموهم

في مهنهم ويتسخرهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويتراقدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهالكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصاحبهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو في طرف الثام على هذه الحالة فساظنهم بأنفسهم في تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصاح لها ويقوم بأمرها ﴿ورحمت ربك﴾ أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين ﴿خير مما يجمعون﴾ من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا أهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذايره من هو شر الخلاق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى ﴿لجعلنا ما يكفر بالرحمن ليوثهم سقفا من فضة﴾ أي متخذة منها وليوثهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينية وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة في سقف وسقوفا ﴿ومعارج﴾ أي جعلنا لهم معارج من فضة أي مصاعد جمع معرج وقرئ معارج جمع معراج ﴿عليها يظهرون﴾ أي يعلون السطوح والعلالي ﴿وليوثهم﴾ أي وجعلنا ليوثهم ﴿أبوابا وسررا﴾ من فضة ﴿عليها﴾ أي على السرر ﴿يتكئون﴾ ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير ﴿وزخرفا﴾ أي زينة عطف على سقفا أو ذهبها عطف على محل من فضة ﴿وان كل ذلك لممتاع الحياة الدنيا﴾ أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الاشئ يتمتع به في الحياة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على أن هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أي للذي هو متاع الخ كما في قوله تعالى تماما على الذي أحسن ﴿والآخرة﴾ بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان ﴿عند ربك للبتقين﴾ أي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ﴿ومن يعيش﴾ أي يتعام ﴿عن ذكر الرحمن﴾ وهو القرآن وضافته الى اسم الرحمن للايدان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعيش بالفتح أي يعم يقال عشي يعشي اذا كان في بصره آفة وعشا يعيش اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعيش على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بهرة الحياة الدنيا وانهما كه في حظوظها الفانية والشهوات ﴿نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقبض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعيش فحقه أن يرفع يقبض ﴿وانهم﴾ أي الشياطين الذين قبض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعيش ﴿ليصدونهم﴾ أي قرناءهم فدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها ﴿عن السبيل﴾ المستبين الذي يدعو اليه القرآن ﴿ويحسبون﴾ أي العاشون ﴿أنهم﴾ أي الشياطين ﴿مهتدون﴾ أي الى السبيل المستقيم والالما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير مبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتغالها على ضميريهما أي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجدد لقوله تعالى ﴿حتى اذا جاءنا﴾ فان حتى وان كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما أن تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير في جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتحويل الامر وتفضيع الحال والمعنى

يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصدو والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة ﴿قال﴾ مخاطباً له ﴿ياليت بيني وبينك﴾ في الدنيا ﴿بعد المشرقين﴾ أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني وأضيف البعد اليهما ﴿فبئس القرين﴾ أى أنت وقوله تعالى ﴿ولن ينفعكم﴾ الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخاً وتقريراً أى لن ينفعكم ﴿اليوم﴾ أى يوم القيامة تمنى لكم لمباعدتهم ﴿اذ ظلمتم﴾ أى لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم إياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم أى اذ تبين عندكم وعند الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئمة أى تبين أنى لم تلدنى لئمة بل كريمة وقوله تعالى ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ تعليل لنفي النفع أى لأن حقكم أن تشتروا أتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز أن يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل أعبائها وتقسيمهم لعنائها لأن لكل منهم ما لا تبلغه طاقته كما قيل لأن الارتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم الشقى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً وقولكم فاتهم عذاباً ضعفاً من النار ونظائرهما لتشفوا بذلك . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الاغيا وتعامياً عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصامعاً عما يسمعون من بينات القرآن فنزل ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى﴾ وهو انكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقروناً بالصم ﴿ومن كان في ضلال مبين﴾ عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعوا له منه لا توهم القصور من قبل الهادى فيه رمز الى أنه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالقاء ﴿فأما نذهب بك﴾ أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين ﴿فأما منهم منتقمون﴾ لا محالة في الدنيا والآخرة فإمزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة ﴿أوزينك الذى وعدناهم﴾ أى أو أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم ﴿فأنا عليهم مقتدرون﴾ بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر ﴿فاستمسك بالذى أوحى اليك﴾ من الآيات والشرائع سواء عجَّلنا لك الموعد أو أخرناه الى يوم الآخرة وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ﴿أنك على صراط مستقيم﴾ تعليل للاستمسك أول الامر به ﴿وانه لذكر﴾ لشرف عظيم ﴿لك ولقومك و- وف تسألون﴾ يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ أى واسأل أمهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسئول عنه عين ما نطق به السنة الراسخ لا ما يقوله أمهم وعلماءهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألمهم فكأنه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾ أى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملقة من مللمهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس بيدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ متبسيبها ﴿الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين﴾ أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما أشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه ﴿فلما جامم بآياتنا اذاهم منها بضحكون﴾ أى فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول ما رآوها ولم يتأملوا فيها ﴿وما نريهم من آية﴾ من

الآيات ﴿الاهى أكبر من أختها﴾ الاوهى بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحجة يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة تصور في شيء منها أو الاوهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ كالسجين والطوفان والجراد وغيرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر ﴿وقالوا يا أيها الساحر﴾ نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرىء أيه الساحر بضم الهاء ﴿ادع لنا ربك﴾ ليكشف عنا العذاب ﴿بما عهد عندك﴾ بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عن اهدى أو بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة ﴿اننا لمهتدون﴾ أى المؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لننكشف عنك عن الرجز لنؤمنن لك ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب﴾ بدعوتهم ﴿اذا هم ينكثون﴾ فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ﴿ونادى فرعون﴾ بنفسه أو بمناديه ﴿في قومه﴾ في مجتمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا ﴿قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تيس﴾ تجري من تحتي ﴿أى من تحت قصرى أو امرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدي فى جناني وبساتينى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجربى حال منها أو للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجربى خبر للابتداء ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك يريد به استعظام ملكه ﴿أم أنا خير﴾ مع هذه المملكة والبسطة ﴿من هذا الذى هو مهين﴾ ضعيف حقير من المهانة وهى القلة ﴿ولا يكاد يبين﴾ أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصه عليه السلام فى أعين الناس باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رنة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤالك وأم امان مقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال اثر ما عدد أسباب فضله ومبادئ خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه حالى من هذا الخ واما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته ﴿فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب﴾ أى فهلا ألقى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما أنهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرىء أساور جمع أسورة وقرىء أساور على السوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساور وقد قرىء كذلك وقرىء ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ﴿أوجاء معه الملائكة مقترنين﴾ مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ﴿فاستخف قومه﴾ فاستقزهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به ﴿انهم كانوا اقوما فاسقين﴾ فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوى ﴿فلما أسفونا﴾ أى أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف اذا اشتد غضبه ﴿انتقمنا منهم فأغرقتهم أجمعين﴾ فى اليم ﴿فجعلناهم سلفا﴾ قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرىء بضم السين واللام على أنه جمع سليف أى فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرىء سلفا بابدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ﴿ومثلا للآخرين﴾ أى عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾ أى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون

الله حصب جهنم حيث قال أهدنا لنا ولاهتنا أو لجميع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولاهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى ﴿إذا قرمك منه﴾ أى من ذلك المثل ﴿يصدون﴾ أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرى يصدون أى من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المفاجأة ﴿وقالوا آلهتنا خير أم هو﴾ حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تميدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا حيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك الى أن نزل قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الاخغام من أول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجملك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للخصومة في عبادته في الجملة فعممه عليه السلام لكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مرت تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما أظروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ﴿ما ضربوه لك الا جدلا﴾ أى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يدعوا له عند ظهوره ببيانك ﴿بل هم قوم خصمون﴾ أى لدشداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير أم هو حيثئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جرز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعنا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن أشف منهم قولا وفعلنا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى ﴿ان هو الا عبد أنعمنا عليه﴾ أى بالنبوة ﴿وجعلناه مثلالبنى اسرائيل﴾ أى أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الأصنام بطريق الرمزا نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنزيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو

بأبطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه من أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض
الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة
مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدي منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما
على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افتراءهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى في الحقيقة وفيما
أوحى الى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه اللام بمعبوديته أو
كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى ﴿ولو نشاء﴾ الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس بيدع
من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبداع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضا من درجة المعبودية أى
قدرتنا بحيث لو نشاء ﴿لجعلنا﴾ أى خلقنا بطريق التوالد ﴿منكم﴾ وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة ﴿ملائكة﴾
كما خلقناهم بطريق الإبداع ﴿في الارض﴾ مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء ﴿يخلفون﴾ أى يخلفونكم
مثل أولادكم فيما تأتون وما تذكرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسييح والتقديس في السماء
فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا ﴿وانه﴾ وان عيسى ﴿لعلم للساعة﴾ أى انه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه
بغير أب أو باحيائه الموت دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرى
لعلم أى علامة وقرى للعلم وقرى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه
السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفق وعليه مصرتان ويده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم
يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن
فيه الاعلام بالساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ فلا تشكن في وقوعها ﴿واتبعون﴾ أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى
وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى ﴿هذا﴾ أى الذى أدعوك اليه أو القرآن على أن الضمير فى انه له
﴿صراط مستقيم﴾ موصل الى الحق ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ عن اتباعى ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة
حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلى ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ أى بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع
الواضحات ﴿قال﴾ لبنى اسرائيل ﴿قد جئتكم بالحكمة﴾ أى الانجيل أو الشريعة ﴿ولأبين لكم﴾ عطف
على مقدرينبي عنه المحيى بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولأبين لكم ﴿بعض الذى تختلفون
فيه﴾ وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال
عليه السلام أتم أعلم بأمور دنياكم ﴿فاتقوا الله﴾ فى مخالفتي ﴿وأطيعون﴾ فيما أبلغه عنه تعالى ﴿ان الله هو ربى
وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿هذا﴾ أى التوحيد والتعبد بالشرائع
﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه وهو اما من تنمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة
عيسى عليه السلام ﴿فاختلف الأحزاب﴾ الفرق المتحزبة ﴿من بينهم﴾ أى من بنى من بعث اليهم من اليهود
والنصارى ﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المختلفين ﴿من عذاب يوم أليم﴾ هو يوم القيامة ﴿هل ينظرون﴾
أى ما ينتظر الناس ﴿الا الساعة أن تأتيهم﴾ أى الا آيات الساعة ﴿برغبة﴾ أى فجأة لكن لا عند
كونهم مترقين لها بل غافلين عنها مشغولين بأمور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى ﴿وهم لا يشعرون الاخلاء﴾

المتحابون في الدنيا على الاطلاق أو في الامور الدنيوية (يومئذ) يوم اذ تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) لا تقطاع ما بينهم من علائق الخلّة والتحاب لظهور كونها أسبابا للعذاب (الامتقين) فان خلّتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلّتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الأول متصل وعلى الثاني منقطع (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفاً لهم وتطيباً لقلوبهم (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للنادى أو نصب على المدح (وكانوا مسلمين) أي مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الأديان الباطلة رؤسهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نسألكم المؤمنات (تخبرون) تسرون سرورا يظهر حبارهُ أي أثره على وجوهكم أو تزيّنون من الخبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما بليغا والخبرة المبالغة فيما وصف بحميل (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة حسب أمر وابه (بصحاف من ذهب وأكواب) كذلك والصحاف جمع صحيفة قيل هي كالقصعة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحيفة ثم المسكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) أي في الجنة (ما تشبهه الأنفس) من فنون الملاذ وقرى ما تشتهى (وتلذ الأعين) أي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرى وتلذه (وأنتم فيها خالدون) اتمام للنعمة وإكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لآماله والالتفات للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التي أورثتموها) وقرى ورثتموها (بما كنتم تعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بما كنتم تعملون فتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما في الأولين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط (منها تاكلون) أي بعضها تأكلون في كل نوبة وأما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها (ان المجرمين) أي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبي عنه ابراهيم في مقابلة المؤمنين بالآيات (في عذاب جهنم خالدون) خبر ان أو خالدون هو الخبر وفي متعلقة به (لا يفتر عنهم) أي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) أي في العذاب وقرى فيها أي في النار (مبلسون) آيسون من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد (ونادوا) خازن النار (يامالك) وقرى يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جوار وتمن للبوت لفرط الشدة (قال انكم ما كنون) أي في العذاب أبدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يجيهم الا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة (لقد جئناكم بالحق) في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى (ولكن أكثركم للحق) أي حق كان (كارهون) لا يقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذي هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشتمون منه (أم أبرموا أمرا) كلام مبتدأ ناع على المشرّكين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة

وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة لانكار فان أريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان أريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستبقاها أى أأبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فأنا مبرمون﴾ كيدنا حقيقة لاهم أو فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في أنديتهم ويتشاورون في أموره عليه الصلاة والسلام ﴿أم يحسبون﴾ أى بل يحسبون ﴿أنا لانسمع سرهم﴾ وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال ﴿ونجواهم﴾ أى ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التجاوى ﴿بل﴾ نحن نسمعهما ونطاع عليهما ﴿ورسلنا﴾ الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلزمونهم أينما كانوا ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أى يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون ﴿قل﴾ أى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيهها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمحبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ﴿ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ أى له وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم براعاة حقره ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يمين وثبات قدم فى باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الأنفين أى المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه وقيل ان نافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرئ ولد ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى أعظم الاجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شئ منها جزأ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش ﴿فذرهم﴾ حيث لم يدعونا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلى ﴿يخوضوا﴾ فى أباطيلهم ﴿ويلعبوا﴾ فى دنياهم فان ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الأمر ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون﴾ من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم ﴿وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله﴾ الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبنى عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذى مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الانعام وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف اطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخر الزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول واله خبرا مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم العليم﴾ كالدليل على ما قبله ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ اما على الدوام كالهواء أو فى بعض الأوقات كالطير ﴿وعنده علم الساعة﴾ أى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيامة ﴿واله ترجعون﴾ للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون

بالتاء ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ أى يدعونهم وقرىء بالتاء مخففا ومشددا ﴿من دونه الشفاعة﴾ كما يرغمون ﴿الا من شهد بالحق﴾ الذى هو التوحيد ﴿وهم يعلمون﴾ بما يشهدون به عن بصيرة وابقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الافراد أو لا باعتبار لفظها والاستثناء امامتصل والموصول عام لسكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالاصنام ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ أى سألت العابدين والمعبودين ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر الانكار لغاية بطلانه ﴿فأنى يؤفكون﴾ فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون السكل مخلوقا له تعالى ﴿وقيله﴾ بالجر اما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام ﴿يارب﴾ الخ فان القول والقييل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسم وقوله تعالى ﴿ان هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ جوابه وفى الاقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرىء بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو باضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة ﴿فاصفح عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم واقطع عن ايمانهم ﴿وقل سلام﴾ أى أمرى تسلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرىء تعلمون على أنه داخل فى حيز قل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان

(مكية الا قوله انا كاشفو العذاب الآية . وهى سبع أو تسع وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم والكتاب المبين﴾ الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة ﴿انا أنزلناه﴾ أى الكتاب المبين الذى هو القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها أنزاله أو أنزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح وأمله جبريل عليه السلام على المسفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتب للنافع الدينية والدينية بأجمعها ولما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة ﴿انا كنا منذرين﴾ استئناف مبين لما يقتضى الانزال كأنه قيل انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العتاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف ﴿فبها يفرق كل أمر حكيم﴾ استئناف كما قبله فان كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظامها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة الى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسوف والصواعق ونسخة الأعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرىء يفرق بالتشديد وقرىء يفرق على البناء للفاعل أى يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرىء نفرق بنون العظمة ﴿أمر من عندنا﴾ نصب على الاختصاص

أى أعنى بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالًا من كل أمر لتخصسه بالوصف أو من ضميره فى حكمه وقد جوز أن يراد به مقابل النهى ويجعل مصدرًا مؤكدًا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمحل أن الفرق به أو حالًا من أحد ضميرى أنزلناه أى أمرين أو مأمورًا به ﴿انا كنا مرسلين﴾ بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى ﴿رحمة من ربك﴾ غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم ولاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايدان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمراً على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كما فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب فى أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للنافع وقرىء رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى ﴿انه هو السميع العليم﴾ تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تحق الا لمن هذه نعوته ﴿رب السموات والارض وما بينهما﴾ بدل من ربك أو يان أو نعت وقرىء بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على اضممار مبتدا ﴿ان كنتم موقنين﴾ أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أو ان كنتم موقنين فى اقراركم بأنه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتهم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك ﴿لا اله الا هو﴾ جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض ﴿يحيى ويميت﴾ مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ﴿ربكم ورب آبائكم الاولين﴾ باضممار مبتدا أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو يان أو نعت له وقيل فاعل لميت وفى يحيى ضمير راجع الى رب السموات وقرىء بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر ﴿بل هم فى شك﴾ مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين فى اقرارهم ﴿يلعبون﴾ لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفاء فى قوله تعالى ﴿فارتقب﴾ لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ما قبلها فان كونهم فى شك مما يوجب ذلك حتما أى فانتظر لهم ﴿يوم تأتى السماء بدخان مبين﴾ أى يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره أو لأن فى عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى ﴿يغشى الناس﴾ أى يحيط بهم ﴿هذا عذاب أليم﴾ أى قائلين ذلك فغشى اليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعاهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى ﴿ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون﴾ وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل فى أسباع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أءل الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أئين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمدت أربعين يوما وليلة

أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكاة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فان قوله تعالى ﴿أني لهم الذكري﴾ الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمن المنبي عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أى كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾ أى والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخزلها صم الجبال ﴿ثم تولوا عنه﴾ عن ذلك الرسول وهو هورثاً شاهدوا منه ما شاهدوه من العظام الموجبة للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى ﴿وقالوا﴾ فى حقه ﴿معلم مجنون﴾ أى قالوا تارة يعلبه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغوا اذا شبع طغى وقوله تعالى ﴿انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون﴾ جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لاحالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا أن عادوا الى ما كانوا عليه من العتو والعتاد ومن فسر الدخان بما هو من الاشرط قال اذا جاء الدخان تصور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغرثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوما وريثاً يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى ﴿انا منتقمون﴾ لالمنتقمون لأن ان مانعة من ذلك أى يومئذ ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتى الخ وقرئ نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولاً أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهى لغة ﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾ أى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للبالغة أو لكثرة القوم ﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله تعالى أو على المؤمنين أو فى نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراقه قومه وكرامهم ﴿أن أدوا الى عباد الله﴾ أى بأن أدوا الى بنى اسرائيل وأرسلوهم معي أو بأن أدوا الى يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجئ الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا الى الخ وقوله تعالى ﴿انى لكم رسول أمين﴾ تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد ائتمنى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ أى لا تكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى ﴿انى آتاكم﴾ أى من جهته تعالى ﴿بسلطان مبين﴾ تعليل للنهى أى آتاكم بحجة واضحة لاسبيل الى انكارها وآتاكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفى اراد الاداء مع الأمين والسلطان مع العلام من الجزالة ما لا يخفى ﴿وانى عدت بربى وربكم﴾ أى التجأت اليه وتوكلت عليه ﴿أن ترجمون﴾ من أن ترجمون أى تؤذونى ضرباً أو شتماً أو أن تقتلونى قيل لما قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال فى التاء ﴿وان لم تؤمنوا الى فاعتلون﴾ أى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا الى نخلونى كفافاً لا على ولا لى ولا تتعرضوا الى بشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوك

الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عنى فلاموالاة بينى وبين من لا يؤمن بأباه المقام ﴿فدعاربه﴾
 بعد ماتموا على تكذيبه عليه السلام ﴿أن هؤلاء﴾ أى بأن هؤلاء ﴿قوم مجرمون﴾ وهو تعريض بالدعاء
 عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرىء بالكسر على اضممار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه
 باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ﴿فأسر بعبادى ليلا﴾ باضممار القول اما بعد الفاء أى فقال
 ربه أسر بعبادى واما قبلها كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادى أى ببني اسرائيل فقد دبر الله تعالى أن
 تتقدموا وقرىء بوصل الهمزة من سرى ﴿انكم متبعون﴾ أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم
 ﴿واترك البحر رها﴾ مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جازته ولا تضره بعصاك لينطبق ولا
 تغيره عن حاله ليدخله القبط ﴿انهم جند مغرقون﴾ وقرىء أنهم بالفتح أى لأنهم ﴿كم تركوا﴾ أى كثيرا تركوا
 بمصر ﴿من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ محافل مزينة ومنازل محسنة ﴿ونعمة﴾ أى تنعم ﴿كانوا﴾
 فيها فاكين ﴿متنعمين وقرىء فكهن﴾ كذلك ﴿الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه﴾
 تركوا أى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل في
 حيز الرفع على الخبرية أى الأمر كذلك فينتد يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدر ﴿فما بكت﴾
 عليهم السماء والأرض ﴿مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبجأهم المنافية لحال﴾
 من يعظم فقدده فيقال له بكت عليه السماء والأرض ومنه ما روى ان المؤمن ليكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومساعد
 عمله ومهايط رزقه وآثاره في الأرض وقيل تقديره أهل السماء والأرض ﴿وما كانوا﴾ لما جاء وقت هلاكهم
 ﴿منظرين﴾ ممهلين الى وقت آخر أو الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ﴿ولقد نجينا بني اسرائيل﴾ بأن فعلنا بفرعون
 وقومه ما فعلنا ﴿من العذاب المهين﴾ من استعباد فرعون اياهم وقتل آبائهم واستحيا نسائهم على الخسف والضيم
 ﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لا فراطه فيه واما على حذف المضاف أى عذاب فرعون
 أو حال من المهين أى كائننا من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرغته وفي ابهام
 أمره أولا وتبينه بقوله تعالى ﴿انه كان عاليا من المسرفين﴾ ثانيا من الافصاح عن كنه أمره في الشر والفساد مالا
 مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان أى كان تكبرا مسرفا أو حال من الضمير في عاليا أى كان رفيع
 الطبقة من بين المسرفين فانما لهم بليغا في الاسراف ﴿ولقد اخترناهم﴾ أى بنى اسرائيل ﴿على علم﴾ أى عالين
 بانهم أحقاء بالاختيار أو عالين بأنهم يزغون في بعض الأوقات ويكثر منهم الفراطات ﴿على العالمين﴾ جميعا لكثرة
 الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها
 من عظام الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة جليلة أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون
 ﴿ان هؤلاء﴾ يعنى كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على
 الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم ﴿ليقرولون انهم الاموتتنا الأولى﴾ أى ما العاقبة ونهاية الأمر الاموتة
 الأولى المزية للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موة أخرى كما في قولك حج زيد الحجة الأولى ومات وقيل لما
 قيل لهم انكم تموتون موة تعقبها حياة كما تقدمتم موة كذلك قالوا ما هي الاموتتنا الأولى أى الموة التي تعقبها حياة
 الاموتة الأولى وقيل المعنى ليست الموة الا هذه الموة دون الموة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون ﴿وما نحن بمنشرين﴾
 بمبعوثين ﴿فأتوا بأبائنا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ان كنتم صادقين﴾

فما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموقى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات **﴿أهم خير﴾** ردلقوهم وتهديد لهم أى أهم خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك **﴿أم قوم تبع﴾** هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحيير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقوة كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك بحرا وبحرا أى بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نيبا أو غير نبي وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما يقال لهم الاقبال لأنهم يتقبلون **﴿والذين من قبلهم﴾** عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار غنسد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى **﴿أهلكناهم﴾** استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى **﴿انهم كانوا مجرمين﴾** تعليل لاهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام أضعف منهم في الشدة والقوة أولى **﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما﴾** أى ما بين الجنسين وقرى وما بينهما **﴿لأعين﴾** لاهين من غير أن يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة **﴿ما خلقناهما﴾** وما بينهما **﴿الابالحق﴾** استثناء مفرغ من أعم الأحوال وأعم الأسباب أى ما خلقناهما ملتبسا بشئ من الأشياء الامتبسا بالحق أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب الاسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** أن الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء **﴿ان يوم الفصل﴾** أى فصل الحق عن الباطل وتمييز الحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبابه **﴿ميقاتهم﴾** وقت موعدهم **﴿أجمعين﴾** وقرى ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميقات حسابهم وجزائهم في يوم الفصل **﴿يوم لا يغنى﴾** بدلا من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لمادل عليه الفصل لأن نفسه **﴿مولى﴾** من قرابة أو غيرها **﴿عن مولى﴾** أى مولى كان **﴿شيئا﴾** أى شيئا من الاغناء **﴿ولاهم ينصرون﴾** الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لأنه عام **﴿الامن رحم الله﴾** بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء **﴿انه هو العزيز﴾** الذي لا ينصر من أراد تعذيبه **﴿الرحيم﴾** لمن أراد أن يرحمه **﴿ان شجرة الزقوم﴾** وقرى بكسر الشين وقدمر معنى الزقوم في سورة الصافات **﴿طعام الاثيم﴾** أى الكثير الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه **﴿كالمهل﴾** وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت **﴿يغلى في البطون﴾** وقرى بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة **﴿كغلى الحميم﴾** غليانا كغليه **﴿خذوه﴾** على ارادة القول والخطاب للزبانية **﴿فاعتلوه﴾** أى جروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ وجره بقهر وعنف وقرى بضم التاء وهى لغة فيه **﴿الى سواء الجحيم﴾** أى وسطه **﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾** كان الأصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقليل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للبالغة ثم أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع **﴿ذق انك أنت العزيز الكريم﴾** أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقرى به على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جليلها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئا وقرى بالفتح أى لأنك أو عذاب أنك **﴿ان هذا﴾** أى العذاب **﴿ما كنتم به تمترون﴾** تشكون وتمسرون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن المراد جنس الاثيم **﴿ان المتقين﴾** أى عن الكفر والمعاصي **﴿في مقام﴾** في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله في معنى العموم وقرى بضم الميم وهو موضع اقامة **﴿أمين﴾** يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه

وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان الخفيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره ﴿ في جنات وعيون ﴾ بدل من مقام جى به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات الماء كل والمشارب ﴿ يلبسون من سندس واستبرق ﴾ اما خبر ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب ﴿ متقابلين ﴾ في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كذلك أو كذلك أثبانهم ﴿ وزوجناهم بحور عين ﴾ على الوصف وقرى بالاضافة أى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة ﴾ أى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان ﴿ آمنين ﴾ من كل ما يسوؤهم ﴿ لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ﴾ بل يستمرون على الحياة أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حيثئذ ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ وقرى مشددا للبالغة فى الوقاية ﴿ فضلا من ربك ﴾ أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرى بالرفع أى ذلك فضل ﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ الذى لا فوز وراه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى ﴿ فأنما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون ﴾ فذلكم للسورة الكريمة أى انما أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك ﴿ فارتقب ﴾ فانتظر ما يحل بهم ﴿ انهم مرتقبون ﴾ ما يحل بك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له

سورة الجاثية

(مكية وهى سبع أو ست وثلاثون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم ﴾ الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فتحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ على الاول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ مضمحلوح به ما قبله أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الح وقد مر مرارا أن الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها وأما جعله خبرا له بتقدير المضاف وإبقاء التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان فى السموات والارض لايات للؤمنين ﴾ وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات امانفس السموات والارض فانهما منظويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى ﴿ وفى خلقكم ﴾ أى من نقطة ثم من علفة متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق ﴿ وما يبدئ من دابة ﴾ عطف على المضاف دون المضاف اليه أى

وفيما ينشره ويفرقه من دابة ﴿آيات﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرية بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ: آية بالتوحيد وقرئ: آيات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كأنه قيل وان في خلقكم وما يثبت من دابة آيات ﴿لقوم يوقنون﴾ أى من شأنهم أن يوقنوا بالأشياء على ما هي عليه ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالجر على اضمحار الجار المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ: بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصرا ﴿وما أنزل الله من السماء﴾ عطف على اختلاف ﴿من رزق﴾ أى من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة ﴿فأحيى به الأرض﴾ بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمار والنبات ﴿بعد موتها﴾ وعرائثها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار ﴿وتصريف الرياح﴾ من جهة الى أخرى ومن حال الى حال وقرئ: بتوحيد الرياح وتأخيرها عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايدان بأنه آية مستقلة حيث لوروى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لأن كون التصريف آية ليس مجرد كونه مبدءا لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ: بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفي أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلالة ﴿تلك آيات الله﴾ مبتدأ وخبر وقوله تعالى ﴿تلوها عليكم﴾ حال عاملها معنى الإشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان ﴿بالحق﴾ حال من فاعل تلو ومن مفعوله أى تلوها محققين أو ملتبسة بالحق ﴿فبأى حديث﴾ من الأحاديث ﴿بعد الله وآياته﴾ أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم أعجبني زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبا لنطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضا ومناط العطف التغاير العنوانى ﴿يؤمنون﴾ بصيغة الغيبة وقرئ: بالتاء ﴿ويل لكل أفاك﴾ كذاب ﴿أثم﴾ كثير الآثام ﴿يسمع آيات الله﴾ صفة أخرى لأفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى أثم ﴿تنلى عليه﴾ حال من آيات الله ولا مساع لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ﴿ثم يصر﴾ أى يقيم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العانة ﴿مستكبرا﴾ عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الأباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حتمها أن تدع لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها ﴿كأن لم يسمعها﴾ أى كأنه لم يسمعها تخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أى يصر شيئا بغير السامع ﴿فبشره بعدذاب أليم﴾ على اصراره واستكباره ﴿واذا علم من آياتنا شيئا﴾ أى اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم أنه من آياتنا لا أنه عليه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن أن يتشبه به المعاند ويحمله بحملا فاسدا يتوصل به الى الطعن والغمزة ﴿اتخذها﴾ أى الآيات كلها ﴿هزوا﴾ أى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث

لأنه في معنى الآية ﴿أولئك﴾ إشارة الى كل أفك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد ﴿لهم﴾ بسبب جنائياتهم المذكورة ﴿عذاب مهين﴾ وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى ﴿من وراءهم جهنم﴾ أى من قدامهم لأنهم متوجهون الى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان وراء اسم للجهة التي يوارىها الشخص من خلف وقدام ﴿ولا يغنى عنهم﴾ ولا يدفع ﴿ما كسبوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شيئا﴾ من عذاب الله تعالى أو شيئاً من الاغناء ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أى الأصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع أن عدم اغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم اغناء الأموال والأولاد قطعاً مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ﴿ولهم﴾ فيما وراءهم من جهنم ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره ﴿هذا﴾ أى القرآن ﴿هدى﴾ في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها ﴿والذين كفروا﴾ أى بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى ﴿بآيات ربهم﴾ لزيادة تشنيع كفرهم به وتفضيح حالهم ﴿لهم عذاب من رجز﴾ أى من أشد العذاب ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعها على الابتداء واما على الفاعلية ﴿الله الذى سخر لكم البحر﴾ بأن جعله أماس السطح يطفو عليه ما يتخلل كالأخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه ﴿لتجرى الفلك فيه بأمره﴾ وأتم راكبوها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة والغرص والصيد وغيرها ﴿ولعلكم تشكرون﴾ ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾ من الموجودات بأن جعلها مداراً لمنافعكم ﴿جميعاً﴾ اما حال من ما فى السموات والأرض أو تؤكد له ﴿منه﴾ متعلق بمحذوف هو صفة جميعاً أو حال من ما أى جميعاً كأننا منه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء كأنه منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أى هى جميعاً منه تعالى وقرئ مئة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من الامور العظام ﴿آيات﴾ عظيمة الشأن كثيرة العدد ﴿لقوم يتفكرون﴾ فى بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها ﴿قل للذين آمنوا﴾ حذف المفعول لدلالة ﴿يعفروا﴾ عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط أى قل لهم اغفروا يغفروا ﴿للذين لا يرجون أيام الله﴾ أى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأمولون الاوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبى ماقال وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبى غلامه يستقى فأبطأ عليه فلما أذاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحداً يستقى حتى ملا أقرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال ابن أبى ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتعل سيفه يريد التوجه اليه فأنزله الله تعالى ﴿ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتذكير لمذبحهم والثناء عليهم أى أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوماً أيما قوم قوماً مختصرين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة التى من جعلتها الصبر على أذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جماعاتها ما حكى من

الكلمة الخبيثة والتكبير للتحقير وفيه أن يطلق الجزاء لا يصاح تعديلاً للامر بالمغفرة لتحقيقه على تقديرى المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بأن لا يتحقق بعض من الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف مالا يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفاً وأشد تمحلاً وقرىء ليجزى قوم وليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً وقرىء لنجزى بنون العظمة (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فلغياها) لا يكاد يرمى عمل إلى غير عامله (ثم إلى ربكم) مالك أمورك (ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيراً كان أو شراً (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم (والنبوة) حيث كثرت فيهم الأنبياء ما لم يكن في غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله تعالى من اللذات كالمن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم ما لم نؤت من عذابهم من فلق البحر واطلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) دلائل ظاهرة في أمر الدين ومعجزات القاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (فما اختلفوا) في ذلك الأمر (إلا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقه فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه (بغياً بينهم) أى عداوة وحسداً لا شكافيه (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة) بالمواخذة والجزاء (فما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشأن (من الأمر) أى أمر الدين (فاتبعها) بأجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير إخلال بشيء منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى آراء الجبهة واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك (أنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) بما أراد بك أن تتبعهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) لا بوليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم (والله ولى المتقين) الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من تولى خاصة والأعراض عما سواه بالكلية (هذا) أى القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) فإن ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) من شأنهم الايقان بالأمور (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) استئناف مسوق لبيان تبيان حالى المسيئين والمحسنين اثريان تبيان حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجترارح الاكتساب (أن نجعلهم) أى نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الأحوال (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعامهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى (سواء محياهم ومماتهم) أى محيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معاً لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشر فهما في الحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في المات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهو انهما في الحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في المات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار أن يستووا في المات كما استووا في الحيا لأن المسيئين والمحسنين مستويا محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترون في المات وقرىء محياهم ومماتهم

بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أى حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه أخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقبل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياما كان فنسبة حسابان التساوى اليهم في ضمن الانكار التوخي مع أنهم بمعزل منه جازعون بفضائهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار والتشديد في التوخي فان انكار حسابان التساوى والتوخي عايه انكار لحسابان الجزم بالفضل وتوخي عليه على أبلغ وجه وآكده ﴿سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ أى ساء حكمهم هذا أو بئس شياً حكموا به ذلك ﴿وخلق الله السموات والارض بالحق﴾ استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خالق الله تعالى لها ولما فيها بالحق المقتضى للعدل يستدعى لاحالة تفضيل المحسن على المسىء في الحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطر ذلك في الحيا فهو بعد الممات حتما ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ عطف على بالحق لأن فيه معنى التعايل اذ عناء خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العيب والباطل فخالصه خلقها لأجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى ﴿وهم﴾ أى النفوس المدلول عليها بكل نفس ﴿لا يظلمون﴾ بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه﴾ تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده أى أنظرت فرأيتة فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرىء آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكانه اتخذ آلهة شتى ﴿وأضل الله﴾ وخذله ﴿على علم﴾ أى عالماً بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها ﴿وختم على سمعه وقلبه﴾ بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرىء بفتح الغين وضمها وقرىء غشوة ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أى من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديته في الغي ﴿أفلا تذكرون﴾ أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرىء تذكرون على الاصل ﴿وقالوا﴾ بيان لأحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم ﴿ماهى﴾ أى ما الحياة ﴿الاحياتنا الدنيا﴾ التي نحن فيها ﴿نموت ونحيا﴾ أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفاً وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أو لادنا أو يموت بعضنا ونحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقرىء نحيا ﴿وما يهلكنا الا الدهر﴾ الامرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرىء الادهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك النفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر ﴿وما لهم بذلك﴾ أى بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر ﴿من علم﴾ ماستند الى عقل أو نقل ﴿انهم الا يظنون﴾ ما هم الا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شئ يصح أن يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في أنفسهم ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا﴾ الناطقة بالحق الذي من جملته البعث ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على ما نطق به أو مبینات له ﴿ما كان حجتهم﴾ بالنصب على أنه خبر كان أى ما كان متمسكاً لهم شئ من الاشياء ﴿الا أن قالوا اتنوا بآياتنا ان كنتم صادقين﴾ فى أنا نبعث بعد الموت أى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع

وقرى برفع حجته على أنها اسم كان فالله ما كان حجته شياً من الأشياء الا هذا القول الباطل ﴿قل الله يحييكم﴾ ابتداء ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ﴿ثم يجمعكم﴾ بعد الموت ﴿الى يوم القيامة﴾ للجزاء ﴿لاريب فيه﴾ أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لاحالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاثبات بآبائهم حيث كان مزاحماً للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ استدراك من قوله تعالى لاريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهة تعالى تحقيقاً للحق وتنبهاً على أن ارتياهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لالان فيه شائبة ريب ما ﴿ولله ملك السموات والارض﴾ بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للجزاء ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ العامل فى يوم يخسر ويومئذ يبدل منه ﴿وترى كل أمة﴾ من الأمم المجموعة ﴿جاثية﴾ باركة على الركب مستوفزة وقرى جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع والجذو أشد استيفازاً من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ الى صحيفة أعمالها وقرى كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أحوال أو مفعول ثان ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى ﴿هذا كتابنا﴾ الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوباً بأمر الله تعالى أضيف الى نون العظمة تفخيها لشأنه وتهويلاً لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ﴿ينطق عليكم﴾ أى يشهد عليكم ﴿بالحق﴾ من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى ﴿انا كنا نستنسخ﴾ الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير اخلال بشئ منها أى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ﴿ما كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته﴾ أى فى جنته تفصيل لما يفعل بالأمم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنظوى على الوعد والوعد (ذلك) أى الذى ذكره فى الادخال فى رحمته تعالى ﴿هو الفوز المبين﴾ الظاهر كونه فوزاً لا فوزاً راءه ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم﴾ أى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأنيكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فخذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه ﴿فاستكبرتم﴾ عن الايمان بها ﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾ أى قوماً عادتهم الاجرام ﴿واذا قيل ان وعد الله﴾ أى ما وعده من الامور الآتية أو وعده بذلك ﴿حق﴾ أى واقع لاحالة أو مطابق للواقع ﴿والساعة﴾ التى هى أشهر ما وعده ﴿لاريب فيها﴾ أى فى وقوعها وقرى والساعة بالنصب عطفاً على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها ﴿فاتم﴾ لغاية عتوكم ﴿ماندرى ما الساعة﴾ أى أى شئ هى استغراباً لها ﴿ان نظن الا ظناً﴾ أى ما نفعل الا ظناً وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان أتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقد الا ظناً أى لاعلمنا وقيل ما نحن الا نظن الا ظناً وقيل ما نظن الا ظناً ضعيفاً ويرده قوله تعالى ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أى لا مكانه فان مقابل الاستيقان مطاق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا ﴿وبدا لهم﴾ أى ظهر لهم حينئذ ﴿سيئات ما عملوا﴾ على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعابوا وخامة عاقبتها أو جزأها فان جزاء السيئة سيئة ﴿وحاق بهم ما كانوا يستهزئون﴾ من الجزاء والعقاب ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم فى العذاب ترك المنسى ﴿كما نسيتم﴾ فى الدنيا ﴿لقاء يومكم هذا﴾ أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به وازافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ﴿وما أواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ أى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم

منها ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بأنكم﴾ بسبب أنكم ﴿اتخذتم آيات الله هزوا﴾ مهزوا بها ولم ترفعوا لها رأسا ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ أى من النار وقرىء يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب اتهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب الى غيبة النار ﴿ولا هم يستعقبون﴾ أى يطلب منهم أن يعتبروا ربهم أى يرضوه لفوات أوانه ﴿فله الحمد﴾ خاصة ﴿رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرر الرب للتأكيد والايذان بأن ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصلة وقرىء برفع الثلاثة على المدح باضمار هو ﴿وله الكبرياء فى السموات والأرض﴾ لظهور آثارها وأحكامها فيهما واطارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء ﴿وهو العزيز﴾ الذى لا يغلب ﴿الحكيم﴾ فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف

(مكية وآياتها أربع أو خمس وثلاثون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ﴿ما خلقنا السموات والأرض﴾ بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما ﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات ﴿الا بالحق﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الاحوال من فاعل خلقنا أو من مفعوله أى ما خلقناها فى حال من الاحوال الا حال ملابستها بالحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتداء أفعاله على حكم بالغة وانهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى اليه أمر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ فان ما أنذروه يوم القيامة وموافيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجاوز عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له ﴿قل﴾ توبيخا لهم وتبكيثا ﴿أرايتم﴾ أخبرونى وقرىء أرايتكم ﴿ماتدعون﴾ ماتعدون ﴿من دون الله﴾ من الاصنام ﴿أرونى﴾ تأكيدا لأرايتكم ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ بيان للابهام فى ماذا ﴿أم لهم شرك﴾ أى شركة مع الله تعالى ﴿فى السموات﴾ أى فى خلقها أو ملكها وتديرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية فان ما لا مدخل له فى وجود شئ من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرّة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى ﴿اثبوني بكتاب﴾ الخ تبكيث لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيثهم بالتعجيز عن الاتيان بسند عقلى أى اثبوني بكتاب الهى كائن ﴿من قبل هذا﴾ الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم ﴿أو أثارة من علم﴾ أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلى أو سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شئ منهما وقد قامت على

خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرىء اثارة بكسر الهمزة أى مناظرة فانها تثير المعانى وأثرة أى شئ
أورثتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون التاء أما المكسورة فبمعنى الاثرة وأما
المفتوحة فهي المرة من أثر الحديث أى رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التى هى اسم ما يخطب به ﴿ومن أضل
من يدعو من دون الله من لا يستجيب له﴾ انكار ونفى لأن يكون أحد يساوى المشركين فى الضلال وان كان سبك
التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر غير مرة أى هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة
خالقهم السميع القادر المحيى الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة ﴿الى يوم القيامة﴾
غاية لنفى الاستجابة ﴿وهم عن دعائهم﴾ الضمير الاول لمفعول يدعو والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما
أن الافراد فيما سبق باعتبار لفظها ﴿غافلون﴾ لكونهم جمادات وضائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء
ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعيدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا
دعائكم الآية ﴿واذا حشر الناس﴾ عند قيام القيامة ﴿كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ أى مكذبين بلسان
الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحى الاصنام فتبهرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله
من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضائير واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك
تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ﴿واذا تنلى عليهم آياتنا
بينات﴾ واضحات أو مبینات ﴿قال الذين كفروا للحق﴾ أى لاجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع
وضع ضميرها تنصيصا على حقيقتها وجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلوة عليهم تسجيلا
عليهم بكل الكفر والضلالة ﴿لما جاءهم﴾ أى فى أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل ﴿هذا سحر مبين﴾ أى ظاهر
كونه سحرا ﴿أم يقولون افتراه﴾ اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو أشنع منها وما فى أم
من الهمزة للانكار التويخي المتضمن للتعجيب أى بل أيقولون افترى القرآن ﴿قل ان افتريته﴾ على الفرض
﴿فلا تملكونلى من الله شيئا﴾ اذ لا ريب فى أنه تعالى يعاجلنى حيثئذ بالعقوبة فكيف أجتري على أن أفتري عليه
تعالى كذبا فأعرض نفسى للعقوبة التى لا مناص عنها ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أى تندفعون فيه من القدح فى
وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى ﴿كنى به شهيدا بينى وبينكم﴾ حيث يشهدلى بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بحزاء افاضتهم وقوله تعالى ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل﴾ البدع بمعنى
البدع كالخلل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرىء بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أى ذابذع
وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى أيضا على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه
عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى
أتاكم بكل ما تقرحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبل من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا
يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما أوحى اليهم ﴿وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم﴾ أى
أى شئ يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن رضى الله عنه ما أدرى
ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز أن يكون المنفى هى الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر

من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس عليه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما يسبق في الآخرة
فإن العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبي أن
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدري
ما يفعل بي ولا بكم أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز
أن تكون ماموصولة والاستفهامية أفضى لحق مقام التبرؤ عن الداريا وتكرير لا لتذليل النفس المنسحب إليه وتأكيده
وقرى ما يفعل على اسناد الفعل إلى ضميره تعالى ﴿ان أتبع الا ما يوحى الى﴾ أى ما أفعل الا اتباع ما يوحى الى على
معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر
تحقيقه في سورة الانعام وقرى يوحى على البناء للفعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام
من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى ﴿وما أنا
الا نذير﴾ أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الى ﴿مين﴾ بين الانذار بالمعجزات الباهرة ﴿قل أرأيتم ان كان﴾
أى ما يوحى الى من القرآن ﴿من عند الله﴾ لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى ﴿وكفرتم به﴾ حال
باضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين أجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما في
قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على أن نظمه في سلك الشرط المترددين الوقوع وعدمه عندهم
باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به أمر محقق عندهم أيضا وانما ترددهم في أن
ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال في قوله تعالى ﴿وشهد شاهد من بني اسرائيل﴾ وما بعده من
الفعلين فان الكل أمور محققة عندهم وانما ترددهم في أنها شهادة وإيمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا
والمعنى أخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني اسرائيل الواقفين
على شؤون الله تعالى وأسرار الوحي بما أوتوا من النورا ﴿على مثله﴾ أى مثل القرآن من المعاني المنطوية في النورا
المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين مافية في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه
لنى زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لنى الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر أو على مثل ما ذكر من
ونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء في قوله تعالى ﴿فآمن﴾ للدلالة على أنه سارع الى
الايمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة أتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له انى ساءلك
عن ثلاث لا يعلمن الا نبى ما أول أسراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولدينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه
الصلاة والسلام أما أول أسراط الساعة فنار يحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزينة كبدحت وأما
الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعه فقال أشهد أنك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت فان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام أى رجل
عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاده الله
من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه
قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لاحد يمشى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد

موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية وان كانت السورة مكية **﴿ واستكبرتم ﴾** عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بنى اسرائيل فآمن به من غير تلغثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقريته قوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى **﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** فان عدم الهداية مما ينبي عن الضلال قطعاً وصفهم بالظلم لاشعار بعلّة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم **﴿ وقال الذين كفروا ﴾** حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أى قال كفار مكة **﴿ للذين آمنوا ﴾** أى لاجلهم **﴿ لو كان ﴾** أى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين **﴿ خيراً ما سبقونا إليه ﴾** فان معالى الامور لا ينالها أيدى الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعماء منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية فما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكلمات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بحذاقها ومن حرّمها فاله منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة **﴿ واذلم يهتدوا به ﴾** ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أى واذلم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا **﴿ فيقولون ﴾** غير مكتفين بنبي خيريته **﴿ هذا افك قديم ﴾** كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذلك **﴿ ومن قبله ﴾** أى من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى **﴿ كتاب موسى ﴾** قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وباطاله فان كونه مصدقاً لكتاب موسى مقرر لحقيقته قطعاً **﴿ اماماً ورحمة ﴾** حالان من كتاب موسى أى اماماً يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالادام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه **﴿ وهذا ﴾** الذى يقولون في حقه ما يقولون **﴿ كتاب ﴾** عظيم الشأن **﴿ مصدق ﴾** أى لكتاب موسى الذى هو امام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك **﴿ لساناً عربياً ﴾** حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى **﴿ لينذر الذين ظلموا ﴾** متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير القراءة ببناء الخطاب **﴿ وبشرى للمحسنين ﴾** في حين النصب عطفاً على حل لينذر وقيل في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ مضمّر أى وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق **﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾** أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التى هى منتهى العمل وشم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداده على التوحيد **﴿ فلا خوف عليهم ﴾** من حقوق مكروه **﴿ ولا هم يحزنون ﴾** من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا بيان نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعاً وقدم بيان مراراً **﴿ أولئك ﴾** الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين **﴿ أصحاب الجنة خالدين فيها ﴾** حال من المستكن في أصحاب وقوله تعالى **﴿ جزاء ﴾** منصوباً بما بعامل مقدر أى يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة فى معنى جازيناهم **﴿ بما كانوا يعملون ﴾** من الحسنات العلية والعملية **﴿ ووصينا الانسان ﴾** بأن يحسن **﴿ بوالديه احساناً ﴾** وقرئ حسناً أى بأن يفعل بهما حسناً أى

فعلا ذا حسن أو كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرى بضم السين أيضا وفتحهما أى بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيناها ايضا حسنا ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ أى ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرى بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر ﴿وحمله وفصاله﴾ أى مدة حملة وفصاله وهو الفطام وقرى وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالأمد المدة من قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى أمده

﴿ثلاثون شهرا﴾ تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما ﴿حتى اذا بلغ أشده﴾ أى اكتمل واستحكم قوته وعقله ﴿وباغ أربعين سنة﴾ قيل لم يبعث نبي قبل أربعين وقرى حتى اذا استوى وبلغ أشده ﴿قال رب أو زعنى﴾ أى ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا ﴿أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى﴾ أى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها ﴿وأن أعمل صالحا ترضاه﴾ التنكير للتفخيم والتكثير ﴿وأصلح لى فى ذرىتى﴾ أى واجعل الصلاح ساريا فى ذرىتى راسخا فيهم كما فى قوله يجرح فى عراقىها نصلى قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر رضى الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضا فقال وأصاح لى فى ذرىتى فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدر كوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ﴿انى تبت اليك﴾ عما لا ترضاه أو عما يشغلنى عن ذكرك ﴿وانى من المسلمين﴾ الذين أخلصوا لك أنفسهم ﴿أولئك﴾ اشارة الى الانسان والجمع لأن المراد به الجنس المنتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعاع بعلو رتبته وبعد منزلته أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا﴾ من الطاعات فان المباح حسن ولا يثاب عليه ﴿وتتجاوز عن سيئاتهم﴾ وقرى الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بناءهما للفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور ﴿فى أصحاب الجنة﴾ أى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم ﴿وعد الصدق﴾ مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى تتقبل وتتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز ﴿الذى كانوا يعدون﴾ على السنة الرسل ﴿والذى قال لوالديه﴾ عند دعوتهما له الى الايمان ﴿أف لكما﴾ هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرى أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وماروى من أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه رده ماسيا من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك ﴿أتعداننى أن أخرج﴾ أبعث من القبر بعد الموت وقرى أخرج من الخروج ﴿وقد خلت القرون من قبلى﴾ ولم يبعث منهم أحد ﴿وهما يستغيثن الله﴾ يسألانه أن يغثه ويوفقه للايمان ﴿ويلك﴾ أى قائلين له ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالبور أريد به الحث والتحريض على الايمان لاحقيقة الهلاك ﴿آمن ان وعد الله حق﴾ أى البعث أضافاه

اليه تعالى تحية للحق وتذبيها على خطئه في اسناد الوعد اليهما وقرى أن وعد الله أى آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذبا لهما (ما هذا) الذى تسميانه وعد الله (الأساطير الأواين) أباطيلهم التى سطورها فى الكتب من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات الباطلة (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لا بليس لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين كما ينبى عنه قوله تعالى (فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد مر تفسيره فى سورة الم السجدة (انهم) جميعا (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعاليل للحكم بطريق الاستئناف التحققي (ولكل) من الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبية فى مراتب المثوبة وإيرادها هنا بطريق التغليب (وليوفيهم أعمالهم) أى أجزية أعمالهم وقرى بنون العظمة (وهم لا يظلمون) ينقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة (أذهبتم طياتكم) أى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرى أذهبتم بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخى أى أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذا نذرها (فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شئ منها (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقد قرى كذلك (بما كنتم) فى الدنيا (تستكبرون فى الارض بغير الحق) بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرى تفسقون بكسر السين (واذكر) أى لكفاركم (أخا عاد) أى هودا عليه السلام (اذأ نذر قومهم) بدل اشتغال منه أى وقت انذاره اياهم (بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقو قف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر (من بين يديه) أى من قبله (ومن خلفه) أى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكدا لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين أنذر قومهم وبين قوله (أن لا تعبدوا الا الله) مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايدانا باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومهم عاقبة الشرك والعذاب العظيم قد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فع مافيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد فى نسبة الخلوالى من بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الحال (قالوا أجمئنا لتأفكنا) أى تصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتتنا بما تعدنا) من العذاب العظيم (ان كنتم من الصادقين) فى وعدك بنزوله بنا (قال انما العلم) أى بوقت نزوله وألهم بجميع الأشياء التى من جملتها ذلك (عند الله) وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى آتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فى أيتكم به فى وقته المقدر له (وأبلغكم ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير ووقوف على وقت نزوله وقرى أبلغكم من الابلاغ (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث

تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى ﴿ فلما رأوه ﴾ فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى ﴿ عارضا ﴾ اما تمييزا أو حالا أو راجع الى ما استعجلوه بقولهم فأتتنا بما تعدنا أي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في أفق السماء ﴿ مستقبل أوديتهم ﴾ أي متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾ ولذلك وقعا وصفين للنكرة ﴿ بل هو ﴾ أي قاله هود وقد قرئ كذلك وقرئ " قل وهو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل هو ﴿ ما استعجاتم به ﴾ من العذاب ﴿ ريح ﴾ بدل من ما أو خبر لمبتدأ محذوف ﴿ فيها عذاب أليم ﴾ صفة لريح وكذا قوله تعالى ﴿ تدمر ﴾ أي تهلك ﴿ كل شيء ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿ بأمر ربها ﴾ وقرئ " يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف أو هو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر الأمر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى ﴿ فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ﴾ فصيحة أي لجأهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرئ " ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم ﴿ كذلك ﴾ أي مثل ذلك الجزء الفظيع ﴿ نجزي القوم المجرمين ﴾ وقدم تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جريدة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب مارأوا ما كان في الصحراء من رحلهم ومواسيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لم ينشئ لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها التمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ﴿ ولقد مكناهم ﴾ أي قررنا عادا أو أقدرناهم وما في قوله تعالى ﴿ فيما ان مكناكم فيه ﴾ موصولة أو موصوفة وان نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادئ التصرفات كما في قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم يمكن لكم وما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرار لفظه ما هو الداعي الى قلب ألفهاها في مهمال وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام ﴿ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ﴾ ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويدأوموا على شكره ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ﴾ حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ﴿ ولا أبصارهم ﴾ حيث لم يجتولوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ﴿ ولا أفئدتهم ﴾ حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى ﴿ من شيء ﴾ أي شيئاً من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى ﴿ اذ كانوا يمحذون بآيات الله ﴾ متعاقب بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه فان قولك أكرمه اذا أكرمتني في قوة قولك أكرمه لا كرامه لأنك اذا أكرمته وقت أكرامه فانما أكرمته فيه لوجود أكرامه فيه وكذا الحال في حيث ﴿ وحق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ ولقد أهلكنا ما حولكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ من القرى ﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿ وصرنا الآيات ﴾ كرمناهم ﴿ لعلمهم يرجعون ﴾ لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر

والمعاصي ﴿لولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ قربان ما يتقرب به الى الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهو لا شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساع لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أى متقربا به مما لا صحة له قطعاً لأنه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرى قربانا بضم الراء ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أى غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيتهم أوضاعوا عنهم أى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور ﴿وذلك﴾ أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم ﴿افكهم﴾ أى أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرى افكهم وكلاهما مصدر كالخذر والخذر وقرى افكهم على صيغة الماضى فذلك اشارة حيثئذ الى الاتخاذ أى وذلك الاتخاذ الذى هذه ثمرة وعاقبة نصرهم عن الحق وقرى افكهم بالتشديد للبالغة وافكهم من الافعال أى جعلهم آفكين وقرى افكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم أى قولهم الافك أى ذو الافك كما يقال قول كاذب ﴿وما كانوا يفترون﴾ عطف على افكهم أى وأثر افتراءهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرى وذلك افك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الافك ﴿واذ صرفنا اليك نفرا من الجن﴾ أملناهم اليك وأقبلناهم نحوك وقرى صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى ﴿يستمعون القرآن﴾ وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا التخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن ﴿فلما حضروه﴾ أى القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والأول هو الاظهر ﴿قالوا﴾ أى قال بعضهم لبعض ﴿أنصتوا﴾ أى استكثتوا لسمعهم ﴿فلما قضى﴾ أتم وفرغ عن تلاوته وقرى على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرس السماء ورحموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبا حدث فنض سبعة نفرا أو ستة نفر من أشرف جن نصيين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلى أو في صلاة الفجر فاستمعوا قراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رأيهم وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوققوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام انى أمرت أن أقرأ على الجن الدلية فمن يتبعنى قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون خطلى خطأ فقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستشعري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك ﴿قالوا﴾ أى عند رجوعهم الى قومهم ﴿يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ قيل قالوه

لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سميت بأمر عيسى عليه السلام ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ أرادوا به التوراة ﴿يهدى الى الحق﴾ من العقائد الصحيحة ﴿والى طريق مستقيم﴾ موصل اليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة ﴿يا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به﴾ أرادوا به ما سموه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيبا لهم فى الاجابة ثم أكدوه بقولهم ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ﴿ويجركم من عذاب أليم﴾ معد للكفرة واختلف فى أن لهم أجرا غير هذا أولا والأظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ﴿ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض﴾ ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للبالغة فى الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقيد الإعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعمقها وقوله تعالى ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لا تقسام الآحاد الى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى ﴿أولئك﴾ بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله ﴿فى ضلال مبين﴾ أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه ﴿أولم يروا﴾ الهمزة للانكار والواو للمطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى لم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للشاهدة والعيان أن الله ﴿الذى خلق السموات والأرض﴾ ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتجيه ﴿ولم يعى بخلقهن﴾ أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا ولم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى ﴿بقادر﴾ فى حيز الرفع لأنه خبر أن كما ينبى عنه القراءة بغير باء ووجه دخوله فى القراءة الأولى اشتغال النفى الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر ﴿على أن يحيى الموتى﴾ ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى ﴿بلى انه على كل شىء قدير﴾ تقرير للقادرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ ظرف عام له قول مضمرة قوله ﴿أليس هذا بالحق﴾ على أن الإشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكره وتأنيثه اذ هو اللائق بتبويله وتقديره وقد مر فى سورة الاحزاب وقيل هى الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعده الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطعمون فى الخلاص بالاعتراف بحقيقتها لما فى الدنيا وأنى لهم ذلك ﴿قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بها فى الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء فى قوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ جواب شرط محذوف أى اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولوا الثبات والعزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للنبعوض والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدر كون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع

أية على لبنة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أى لكفار مكة بالعذاب فإنه على شرف النزول بهم ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿لم يلبثوا﴾ فى الدنيا ﴿الاساعة﴾ يسيرة ﴿من﴾ نهار ﴿لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى﴾ ﴿بلاغ﴾ خبر مبتدا محذوف أى هذا الذى وعظمت به كفاية فى الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقرئ بلاغا أى بلغوا بلاغا ﴿فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ أى الخارجون عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وفتحهما من هلك وهلك وبنون العظيمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال

﴿وهى مدنية وقيل مكية وآياتها تسع أو ثمان وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ أى أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا أو منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخلوا فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد ﴿أضل أعمالهم﴾ أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فإن ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للإيمان أو أبطل ما عملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتى من قوله تعالى فتعسأهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قيل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام للكل ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجهم فيما قبله تنويعا بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل فى الكل ولذلك أكد بقوله تعالى ﴿وهو الحق من ربهم﴾ بطريق حصر الحقيقة فيه وقيل حقيقته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناء من نزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أى سترها بالايمان والعمل الصالح ﴿وأصلح بهم﴾ أى حالهم فى الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ﴿ذلك﴾ إشارة الى ما مر من اضلال الأعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتها له لكونه أصلا مستتبعا لها قطعاً وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتها له لكونه مبدأ ومنشأ لها حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح فى شئ من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل

على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا أصل له أصلاً فالصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها لبيان أن ابطالها لبطان مبناها وزواله وأما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أخش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق القصير بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد و بالحق نفس الايمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحاً بالسببية المشعر به في الموقعين ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الضرب البديع ﴿ يضرب الله ﴾ أى يبين ﴿ للناس أمثالهم ﴾ أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الأمثال وهى اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى ﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا ﴾ لترتيب ما في حيزها من الأمر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الأحكام أى فاذا كان الأمر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة ﴿ فضرب الرقاب ﴾ أصله فاضربوا الرقاب ضرباً تخفف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً الى المفعول وفيه اختصار وتأكيذ ببلغ والتعبير به عن القتل تصويره بأشنع صورة وتهويل لأمره وإرشاد للغزاة الى أيسر ما يكون منه ﴿ حتى اذا أنخنتموهم ﴾ أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشئ التخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض ﴿ فشدوا الوثاق ﴾ فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثقه وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك ﴿ فاما من أبعد واما فداء ﴾ أى فاما تمنون منا بعد ذلك أو تفقدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الاسلام أو ضرب العنق وقرئ فدا كعصا ﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع وأسند وضعها اليها وهو لأهلها اسناداً مجازياً وحتى غاية عند الشافعي لأحد الامور الاربعة أول للجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبداً الى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للبن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلبوا ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر ذلك أو افعلا ذلك ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال ﴿ ولكن ﴾ لم يشأ ذلك ﴿ ليلو بعضكم ببعض ﴾ فأمرهم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾ أى استشهدوا وقرئ قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا وقتلوا ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ أى فلن يضيعها وقرئ يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد ﴿ سيهديهم ﴾ في الدنيا الى أرشد الامور وفي الآخرة الى الثواب أو سيثبت هدايتهم ﴿ ويصلح بهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ في الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا اليها أو يبينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الراحة أو حدها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة أو حال باضمار قد أو بدونه ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ أى دينه ورسوله

﴿ينصركم﴾ على أعدائكم ويفتح لكم ﴿ويثبت أقدامكم﴾ في مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الاسلام
 ﴿والذين كفروا فتعسألهم﴾ التعس الهلاك والعتار والسقوط والشر والبعد والاختطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه
 بفعله الواجب حذفه سماعاً أى فقال تعسألهم أو ففضى تعسألهم وقوله تعالى ﴿وأضل أعمالهم﴾ عطف عليه داخل معه
 في حيز الخبرية للوصول ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من التعس واضلال الأعمال ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿كرهوا﴾
 ما أنزل الله ﴿من القرآن لمافية من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الامارة بالسوء﴾ فأجبط
 لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾ التى لو كانوا عملوها مع الايمان لا يثبوا عليها ﴿أفلم يسيروا فى الارض﴾ أى أقعدوا فى
 أماكنهم فلم يسيروا فيها ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبى عن
 أخبارهم وقوله تعالى ﴿دمر الله عليهم﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل
 استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهلهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به
 ﴿وللكافرين﴾ أى وهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم ﴿أمثالها﴾ أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن
 هؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل
 يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الاولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل
 بيد المثل أشد ألم من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل
 دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة أمثالها ﴿ذلك﴾ اشارة الى ثبوت أمثال عقوبة الامم السالفة هؤلاء ﴿بأن الله﴾
 مولى الذين آمنوا ﴿أى ناصرهم على أعدائهم وقرىء ولى الذين﴾ وأن الكافرين لا مولى لهم ﴿فيدفع عنهم ما حل بهم﴾
 من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ﴿ان الله﴾
 يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴿بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية﴾
 ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ غافلين عن عواقبهم
 ﴿والنار مشوى لهم﴾ أى منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف ﴿وكأى﴾ كلمة مركبة
 من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية ومحلى الرفع بالابتداء وقوله تعالى ﴿من قرية﴾ تمييز لها وقوله تعالى ﴿هى أشد قوة﴾
 ﴿من قريتك﴾ صفة لقريه كما أن قوله تعالى ﴿التى أخرجتك﴾ صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى
 أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى ﴿أهلكناهم﴾ أى وكم من عمل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك
 الذين كانوا سبباً لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان بأولوية الثانية منها بالهلاك لضعف
 قوتها كما أن وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان بأولوية ثبابة لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة

كليب لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

وقوله تعالى ﴿فلا ناصر لهم﴾ بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثريان عدم خلاصهم منه
 بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ تقرير
 لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون الاولين فى أعلى عليين والآخرين فى أسفل سافلين وبيان لعل مآل كل منهما
 من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرىء بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين
 بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة
 بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما ياباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فن كان مستقراً على حجة ظاهرة

وبرهان نير من مالك أمره ومريه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أفبح القبائح ﴿واتبعوا﴾ بسبب ذلك التزيين ﴿أهواءهم﴾ الزائفة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما أن افراد الأولين باعتبار لفظها ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التي أشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضربن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى ﴿فيها أنهار﴾ الخ مفسر له وقدره سيوبه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكم والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ ﴿من ماء غير آسن﴾ أى غير متغير الطعم والرائحة وقرى غير آسن ﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بأن صار قارصا ولا خازرا كألبان الدنيا ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ لذينة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تلذذ محض ولذة امانأنيث لذيمعنى لذيد أو مصدر نعت به مبالغة وقرى لذة بالرفع على أنها صفة أنهار والنصب على العلة أى لأجل لذة الشاربين ﴿وأنهار من عسل مصفى﴾ لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة في الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتحلية عما ينقصها وينقصها بالتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ﴿ولهم فيها﴾ مع ما ذكر من فنون الانهار ﴿من كل الثمرات﴾ أى صنف من كل الثمرات ﴿ومغفرة﴾ أى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى ﴿من ربهم﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى كائنه من ربهم وقوله تعالى ﴿كمن هو خالد في النار﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذف تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا للمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبيئة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار ﴿وسقوا ماء حميا﴾ مكان تلك الاشربة ﴿فقطع أمعاءهم﴾ من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانما رت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿ومنهم من يستمع اليك﴾ هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سياتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم ﴿حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم﴾ من الصحابة رضى الله عنهم ﴿ماذا قال أنفا﴾ أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستسلام وأنفا من قولهم أنف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشئ واثنتف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتلفاً أو حال من الضمير في قال وقرى أنفا ﴿أو لئلك﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ لعدم توجههم نحو الخير أصلاً ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه ﴿والذين اهتدوا﴾ الى طريق الحق ﴿زادهم﴾ أى الله تعالى ﴿هدى﴾ بالتوفيق والالهام ﴿وآتاهم تقواهم﴾ أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون ﴿فهل ينظرون الا الساعة﴾ أى القيامة وقوله تعالى ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتغالهم من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال

الأمم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظام الأهوال وما ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرى بغتة بفتح الغين وقوله تعالى ﴿فقد جاء أشراتها﴾ تعليل لمفاجأتها لالاتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر متقرب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء أشراتها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادئ اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى ﴿فأني لهم اذا جاءتهم ذكراهم﴾ حكم بخطتهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يترك الانسان وأنى له الذكري أى وكيف لهم ذكرهم اذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرى أن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأني لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاضهم اذا جاءتهم ﴿فاعلم أنه لا اله الا الله﴾ أى اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه ﴿واستغفر لذنبك﴾ وهو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظر الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الاباريسيات المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل ﴿والؤمنين والمؤمنات﴾ أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى إعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار ﴿والله يعلم متقلبكم﴾ فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ﴿ومثواكم﴾ فى العقبي فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيها فبادروا الى الامثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها ﴿ويقول الذين آمنوا﴾ حرصا منهم على الجهاد ﴿لولا نزلت سورة﴾ أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد ﴿فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾ بطريق الأمر به أى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال . عن فتادة كل سورة فيها ذكر القتال فى محكمة لم تنسخ وقرى فاذا نزلت سورة وقرى وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال ﴿رأيت الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الأظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ﴿ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت﴾ أى تشخص أبصارهم جنبا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت ﴿فأولى لهم﴾ أى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المسكروه أو يؤول اليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه أفلع ﴿طاعة وقول معروف﴾ كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك ﴿فاذا عزم الأمر﴾ أسند العزم وهو الجد الى الأمر وهو لأصحابه مجازا كما فى قوله تعالى ان ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف أى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى ﴿فلو صدقوا الله﴾ على طريقة قولك اذا حضر فى طعام فلو جئتنى لأطعمتك أى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجه ﴿لسكان﴾ أى الصدق ﴿خيروا لهم﴾ وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه فى الايمان وواطأت قلوبهم فى ذلك ألسنتهم وأياما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى ﴿فهل عسيتم﴾ الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد

التقريع أى هل يتوقع منكم ﴿ان توليتم﴾ أمور الناس وتأمرتم عليهم ﴿أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احرار كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون بأحكام الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا أطلقت أعتكم وصرتم أمرين ما ذكر من الافساد وقطع الأرحام وقيل ان أعرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا وواد البنات وفيه أن الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لا بد أن تكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى أن الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بمادونه من المفاسد وقرىء وليتم على البناء للمفعول أى جعلتم ولاية وقرىء توليتم أى تولاكم ولاية جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وقرىء وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التائين فاتصاف أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى فى أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ﴿أو لئلك﴾ إشارة الى مخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بأن ذكر هنتهم أو جب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره ﴿الذين لعنهم الله﴾ أى أبعدهم من رحمته ﴿فأصمهم﴾ عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم ﴿وأعمى أبصارهم﴾ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتحويل حالها وتقطيع شأنها بابهام أمرها فى القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وازدادة الاقفال اليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرىء أقفلها واقفالها على المصدر ﴿ان الذين ارتدوا على أدبارهم﴾ أى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعدما وجدوا نفعه فى كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى ﴿الشيطان سول لهم﴾ جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان أى سهل لهم ركوب العظائم من السؤل وهو الاسترخاء وقيل من السؤل المخفف من السؤل لاستمرار القلب فعنى سؤل له أمرا حينئذ أوقعه فى أمنيته فان السؤل الامنية وقرىء سؤل مبني للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان ﴿وأملئ لهم﴾ ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرىء وأملئ لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو للحال والاستئناف وقرىء أملئ لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم ﴿ذلك﴾ إشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسيبا عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿قالوا﴾ يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه فى التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء

كان المقول لهم المنافقين أو المشركين على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام ﴿الذين كرهوا ما نزل الله﴾
 أى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسدا
 وطمعا فى نزوله عليهم لا للبشر كين كما قيل فان قوله تعالى ﴿سنطيعكم فى بعض الامر﴾ عبارة قطعاً عما حكى عنهم
 بقوله تعالى ألم ترالى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
 فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قرينة والنصير الذين كانوا يوالونهم ويؤدونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا الى
 عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم وعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس
 الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون
 سرا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿والله يعلم اسرارهم﴾ أى اخفائهم لما يقولونه لليهود وقرىء أسرارهم أى جميع أسرارهم
 التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة والفاء فى قوله
 تعالى ﴿فكيف اذا توفتهم الملائكة﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف
 كأنه قيل يفعلون فى حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف
 أى فكيف حالهم أو حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرىء توفاهم على أنه ما ماض أو مضارع قد حذف إحدى تأنيه ﴿يضررون
 وجوههم وأديارهم﴾ حال من فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيتهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب الملائكة وجهه ودبره ﴿ذلك﴾ التوفى الهائل ﴿بأنهم﴾ أى
 بسبب أنهم ﴿اتبعوا ما أسخط الله﴾ من الكفر والمعاصى ﴿وكرهوا رضوانه﴾ أى ما يرضاه من الايمان والطاعة
 حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود ﴿فأحبط﴾ لأجل ذلك ﴿أعمالهم﴾
 التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى له عملوها حال الايمان لا تنفعوا بها ﴿أم حسب
 الذين فى قلوبهم مرض﴾ هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا للمناعي
 عليهم بقوله تعالى ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف
 ولن بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أنه
 لن يخرج الله أحقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا
 يكاد يدخل تحت الاحتمال ﴿ولو نشاء﴾ آرائهم ﴿لأريناكم﴾ لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة
 متاخمة للرؤية والاتفات الى نون العظمة لابرار العناية بالاراءة ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلامتهم التى نسميهم بها وعن
 أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد
 كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوكهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب
 هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة وأما ما فى قوله تعالى
 ﴿ولتعرفنهم فى لحن القول﴾ فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو امالته الى جهة تعريض وتورية
 ومنه قيل للخطيء لحن لعدله بالكلام عن سمع الصواب ﴿والله يعلم أعمالكم﴾ فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا
 وعد للمؤمنين وايدان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين ﴿ولنبلونكم﴾ بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة
 ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ﴿ونبلوا أخباركم﴾ ما يخبر به
 عن أعمالكم فيظهر حسننها وقيحها وقرىء ويبلو بالياء وقرىء نبلو بسكون الواو على ونحن نبلوا ﴿ان الذين كفروا

وصدوا) الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما شاهدوا نعمة عليه الصلاة والسلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير والملاحمون يوم بدر (لن يضروا الله) بكفرهم وصددهم (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئاً وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفطيع مشاقته (وسيجبط أعمالهم) أي مكابدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها إلى ما كانوا يرغبون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في أصحاب القلب (فلا تنهوا) أي لا تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أي ولا تدعوا الكفار إلى الصلح خوفاً فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوباً باضمار أن على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتدوا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ماسبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى (وأتمم الأعلون) جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى (والله معكم) فان كونهم الأعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهى الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولن يترك أعمالكم) أي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم فأفردته عنه من الوتر الذي هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو اضاءة شيء معتد به من النفس والاموال مع أن الأعمال غير موجهة للثواب على قاعدة أهل السنة ابرازاً لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاءة أعظم المحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لا ثبات لها ولا اعتداد بها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون (ولا يسألكم أموالكم) بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزيه سير منها هو ربع العشر تؤدونها إلى فقراءكم (ان يسألكموها) أي أموالكم (فيحفركم) أي يحفركم بطلب الكل فان الاحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفر شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج أضغانكم) أي أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراء بنون العظمة أو للبخل لانه سبب الأضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسنداً إلى الأضغان (ها أتم هؤلاء) أي أتم أيها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا في سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة هؤلاء على أنه بمعنى الذين أي ها أتم الذين تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة (ومن يبخل فأنما يبخل عن نفسه) فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي (والله الغنى) دون من عداه (وأتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى (وان تنولوا) عطف على ان تؤمنوا أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوماً غيركم) يخلف مكانكم قوماً آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم)

في الثولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على نخته فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حتما على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح

(مدنية نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآياتها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا فتحناك﴾ فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحراب أو بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وإيجادا والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على مسنن سائر الاخبار الربانية للايدان بتحقيقه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما أتيجله عليه الصلاة والسلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين بلغه أن رجلا قال ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث أصاب أن بويعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه نزع ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فغاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروع وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياما كان خذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح ﴿فتحنا مبينا﴾ بينا ظاهر الامر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله﴾ غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والاتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ﴿ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ أى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسييته

ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ﴿و يتم نعمته عليك﴾ باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما بما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ﴿ويهديك صراطا مستقيما﴾ في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصل قبل ﴿وينصرك الله﴾ اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى ﴿نصرنا عزيزا﴾ أى نصرا فيه عزة ومنعة وقويامنيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للبالغة أو عزيزا صاحبه ﴿هو الذى أنزل السكينة﴾ بيان لما أفاض عليهم من مبادئ الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها ﴿فى قلوب المؤمنين﴾ بسبب الصلح والأمن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف ﴿ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ أى يقينا منضميا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوفاء والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ﴿ولله جنود السموات والارض﴾ يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ﴿وكان الله عليهما﴾ مبالغا فى العلم بجميع الأمور ﴿حكيم﴾ فى تقديره وتديره وقوله تعالى ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ أى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ماهو المطلب الأعلى ﴿وكان ذلك﴾ أى ما ذكر من الادخال والتكفير ﴿عند الله فوزا عظيما﴾ لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضرر وعند الله حال من فوزا لانه صفته فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا أى كائنا عند الله أى فى علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ أى ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين ﴿عليهم دائرة السوء﴾ أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرى دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكراهة خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراذمه من كل شئ وأما المضموم فجاء مجرى الشر ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم﴾ عطف على ما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايدان باستقلال كل منهما فى الوعيد واصلاته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض ﴿وساءت مصيرا﴾ أى جهنم ﴿ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيم﴾ اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن الله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبى عنه التعرض لوصف العزة ﴿انا أرسلناك شاهدا﴾ أى على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ومبشرا﴾ على الطاعة ﴿ونذيرا﴾ على المعصية ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأئمة ﴿وتعزروه﴾ وتقووه بتقوية دينه ورسوله ﴿وتوقروه﴾ وتعظموه ﴿وتسبحوه﴾ وتنزهوه أو تصلوا له من السبحة ﴿بكرة وأصيلا﴾ غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرى الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرى

وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرئ: بفتح التاء وضم الزاي وكسرهما وتعزروه بزائين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره ﴿ان الذين يبايعونك﴾ أى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى ﴿انما يبايعون الله﴾ خبران يعنى أن مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ حال أو استئناف مؤكدا على طريقة التخييل والمعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرئ: انما يبايعون الله أى لاجله ولوجه ﴿فمن نكث فانما ينكث على نفسه﴾ أى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ: بكسر الكاف ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ بضم الهاء فانه أبقي بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ: بكسرهما أى ومن وفى بعهده ﴿فسيؤتيه أجرا عظيما﴾ هو الجنة وقرئ: بما عهد وقرئ: فستؤتيه بنون العظمة ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ هم أعراب غفار ومزينة وجمينة وأشجع وأسلم والدليل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وثاقبوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عمر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيقتلون ويقولون ﴿شغلنا أموالنا وأهلونا﴾ ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ: شغلنا بالتشديد للتكثير ﴿فاستغفرلنا﴾ الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار ﴿قل﴾ ردا لهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم ﴿فمن يملك لكم من الله شيئا﴾ أى فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شئ من النفع ﴿ان أراد بكم ضرا﴾ أى ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ: ضرا بالضم ﴿أو أراد بكم نفعا﴾ أى ومن يقدر على شئ من الضرر ان أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهلكم فأى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقاتلهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ فانه اضرب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الأعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى ﴿بل ظننتم﴾ الخ بدل من كان الله الخ مفسر لمسا فيه من الابهام أى بل ظننتم ﴿أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا﴾ بأن يستأصلهم المشركون بالمرّة فخشيتم ان كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الأهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ: الى أهليهم ﴿وزين ذلك في قلوبكم﴾ وقيل تمويه واشتغالكم بشأن أنفسكم غير مباليين بهم وقرئ: زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه أو الى الشيطان ﴿وظننتم ظن السوء﴾ المراد به اما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال ﴿وكنتم قوما بورا﴾ أى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع باثر كعائد وعود أو فاسدين في أنفسكم

وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله﴾ كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملحق بمقرر لبوارهم ومبين لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين ﴿فانا أعتدنا للكافرين سعيرا﴾ أى لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعير للتحويل أو لأنها نار مخصوصة ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء ﴿يعفو لمن يشاء﴾ أن يعفوله ﴿ويعذب من يشاء﴾ أن يعذبه من غير دخل لأحد في شئ منها وجودا وعدما وفيه حسم لأطاعهم الفارغة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم ﴿وكان الله غفورا رحيم﴾ مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا ﴿سيقول المخلفون﴾ أى المذكورون وقوله تعالى ﴿إذا انطلقتم الى معانم لتأخذوها﴾ ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقكم الى معانم خير لتحوزوها حسبها وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ﴿ذرونا تتبعكم﴾ الى خير ونشهد معكم قتال أهلها ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ بأن يشاركوها في الغنائم التي خصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذى الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرىء كلم الله وهو جمع كلمة وأيا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خير لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا فان ذلك في غزوة تبوك ﴿قل﴾ اقنطاطهم ﴿لن تتبعونا﴾ أى لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للبالغة ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ أى عند الانصراف من الحديبية ﴿فسيقولون﴾ للمؤمنين عند سماع هذا النهي ﴿بل تحسدوننا﴾ أى ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم وقرىء تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى ﴿بل كانوا لا يفقهون﴾ أى لا يفهمون ﴿الا قليلا﴾ الا فهما قليلا وهو فطنهم لأموال الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في أمور الدين ﴿قل للمخلفين من الأعراب﴾ كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ﴿ستدعون الى قوم أولى بأس شديد﴾ هم بنو حنيفة قوم مسيلة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى ﴿تقاتلونهم أو يسلبون﴾ أى يكون أحد الأمرين اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة أو يسلبوا وأما من عداهم فينتهى قتالهم بالجزية كما ينتهى بالاسلام وفيه دليل على امامة أبى بكر رضى الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهو اذن فان ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله يحيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلبون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية ﴿فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا﴾ هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة ﴿وان تتولوا﴾ عن الدعوة ﴿كما توليت من قبل﴾ في الحديبية ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ لتضاعف جرمكم ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾ أى في التخلف عن الغزولما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ فيما ذكر من الأوامر والنواهي ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقرىء ندخله بنون العظمة ﴿ومن يتول﴾ أى عن الطاعة ﴿يعذبه﴾ وقرىء بالنون ﴿عذابا أليما﴾ لا يقادر

قدرة ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين﴾ هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى ﴿اذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى أهل مكة ففهموا به ففنعوا الأحياء فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة قمره وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام لا تبرح حتى تناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدره على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وأن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلاثمائة وقوله تعالى ﴿فعلم ما فى قلوبهم﴾ عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى يابعونك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ عطف على رضى أى فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصالح ﴿وأثابهم فتحا قريبا﴾ هو فتح خيبر غلب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ أى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الأعمش وطلحة ونافع لتشريفهم فى مقام الامتنان ﴿وكان الله عزيزا﴾ غالبا ﴿حكما﴾ مراعىا لمقتضى الحكمة فى أحكامه وقضاياه ﴿وعدم الله مغانم كثيرة﴾ هى ما يفوز به المؤمنون الى يوم القيامة ﴿تأخذونها﴾ فى أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها ﴿فعجل لكم هذه﴾ أى غنائم خيبر ﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ أى أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان حيث جاءوا انصرتهم فغذف الله فى قلوبهم الرعب فنكسوا وقيل أيدي أهل مكة بالصالح ﴿ولتكون آية للمؤمنين﴾ أمانة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر أى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما يتعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أى فعجل لكم هذه أو كف أيدي الناس لتغتموها ولتكون الخ فالواو على الأول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة ﴿ويهديكم﴾ بتلك الآية ﴿صراطا مستقيما﴾ هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذكرون ﴿وأخرى﴾ عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى ﴿لم تقدروا عليها﴾ وهى مغانم هوأزن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى ﴿قد أحاط الله بها﴾ صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأنيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهر كم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الاخبار بقضاء الله إياها بعد اندراجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدمكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وإنما الفائدة فى بيان تعجيلها ﴿وكان الله على كل شىء قديرا﴾ لأن قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشىء دون شىء ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أى أهل مكة ولم يصالحكم وقيل حلفاء خيبر ﴿لولوا الادبار﴾ منهزمين ﴿ثم لا يجحدون ولها﴾ يحرسهم ﴿ولا نصيرا﴾ ينصرهم ﴿سنة الله التى قد خلت من قبل﴾ أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فىمن مضى من الامم

﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾ أى تغييرا ﴿وهو الذى كف أيديهم﴾ أى أيدى سفار مكة ﴿عنكم وأيديكم عنهم﴾ يظن مكة ﴿أى فى داخلها﴾ من بعد أن أظفركم عليهم ﴿وذلك أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أداخهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لاصلاحا ﴿وكان الله بما تعملون﴾ من مقاتلتهم وهزمهم أولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرىء بالياء ﴿بصيرا﴾ فيجازيكم بذلك أو يجازيهم ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى﴾ بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرىء بالجر عطفا على المسجد المحذوف المضاف أى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى ﴿معكوبا﴾ حال من الهدى أى محبوسا وقوله تعالى ﴿أن يبلغ محله﴾ بدل اشتغال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض أى محبوسا من أن يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرته هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم﴾ لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ﴿أن تطؤوهم﴾ أى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتغال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم ﴿فتصيبكم منهم﴾ أى من جهتهم ﴿معرفة﴾ أى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتغيير الكفار وسوء قائلهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه ﴿بغير علم﴾ متعلق بأن تطؤوهم أى غير عالين بهم وجواب لولا المحذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى ﴿ليدخل الله فى رحمته﴾ متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيقه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها ﴿من يشاء﴾ وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الامن مستضعفين تحت أيدى الكفرة وأما الرحمة الاخرى ففهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرّة لكنهم كانوا قاصرين فى اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخالهم فى الرحمة الاخرى وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عن رغب فى الاسلام من المشركين وبأباه قوله تعالى ﴿لوتزيلوا﴾ الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما أى لوتفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرىء لوتزايلا ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما﴾ بقتل مقاتلاتهم وسبى ذرارهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ﴿اذجعل الذين كفروا﴾ منصوب باذ كر على المفعولية أو بعذابنا على الظرفية وقيل بمضمهر هو أحسن الله اليكم وأياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لزمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى ﴿فى قلوبهم الحمية﴾ أى الانفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم ﴿حمية الجاهلية﴾ بدل من الحمية أى حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتريلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمهر تفسيره والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو والقرشى وحويط بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبي

صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وماقاتناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبتشروا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلوا ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ أى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد والثبات عليه وإضافتها الى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها ﴿وكانوا أحق بها﴾ متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار ﴿وأهلها﴾ أى المستأهل لها ﴿وكان الله بكل شئ عليا﴾ فيعلم حق كل شئ فيسوقه الى مستحقه ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا﴾ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقصر الرؤيا على أصحابه فقرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أى صدقه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه كما فى قولهم صدقتى سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى ﴿بالحق﴾ أما صفة لمصدر مؤكد محذوف أى صدقا ملتبسا بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الايمان والمترزل فيه أحوال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذى هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى ﴿لندخلن المسجد الحرام﴾ جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف أى والله لندخلن الخ وقوله تعالى ﴿ان شاء الله﴾ تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد أولا لشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هى حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه ﴿آمنين﴾ حال من فاعل لندخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى ﴿مخلفين رؤسكم ومقصرين﴾ أى محلقا بعضهم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة ﴿لاتخافون﴾ حال مؤكدة من فاعل لندخلن أو آمنين أو محققين أو مقصرين أو استثناف أى لاتخافون بعد ذلك ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا ﴿فجعل﴾ لاجله ﴿من دون ذلك﴾ أى من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الخ ﴿فتحأقربا﴾ وهو فتح خير والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويق ليستدل به على صدق الرؤيا حسبا قال ولتكون آية للمؤمنين وأما جعل ما فى قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى﴾ أى ملتبسا به أو بسببه ولا جله ﴿ودين الحق﴾ وبدين الاسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جنس الدين بجميع أفرادها التى هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الأحكام المتبدلة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الاديان اذ ما من أهل دين الا وقد قرعهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة ﴿وكفى بالله شهيدا﴾ على أن ما وعده كائن لا محالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام بإظهار المعجزات ﴿محمد﴾ خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ﴿رسول الله﴾ بدل أو بيان

أولعت أي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبدئة للشهود به وقوله تعالى ﴿والذين معه﴾ مبتدأ خبره ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظهرون أن خالف دينهم الشدة والصلابة ولأن وافقهم في الدين الرحمة والرافة كقوله تعالى أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرى أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾ أي تشاهدكم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو استئناف وقوله تعالى ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ أي ثواباً ورضاً أما خبر آخر أو حال من ضمير تراهم أو من المستتر في ركعاً سجداً أو استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلاً من الله الخ ﴿سبائهم﴾ أي ستمهم وقرى سيمياءهم بالياء بعد الميم والمدو هما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السبياء بالمد وهو مبتدأ خبره ﴿في وجوههم﴾ أي في جباههم وقوله تعالى ﴿من أثر السجود﴾ حال من المستكن في الجار أي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لا تعلبوا صوركم أي لا تسموها إنما هو فيما إذا اعتمد بجبهته على الأرض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد إلا خالصاً لوجه الله عز وجل وكان الإمام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذوا الثغفات لما أحدثت كثرة سجودهما في مواقعه منهما أشباه ثغفات البعير قال قائلهم

ديار علي والحسين وجعفر وحمة والسجاد ذى الثغفات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الأرض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرى من آثار السجود ومن أثر السجود بكسر الهمزة ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿مثلهم﴾ أي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى ﴿في التوراة﴾ حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة وقوله تعالى ﴿ومثلهم في الانجيل﴾ عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ الخ تمثيل مستأنف أي هم كزرع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبهم وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرى شطأه بفتححات وقرى شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا ﴿فأزره﴾ فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزار وهي الإعاة وقرى فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أي شد أزره وقوله تعالى ﴿فاستغظ﴾ فصار غليظاً بعدما كان دقيقاً ﴿فاستوى على سوقه﴾ فاستقام على قصبه جمع ساق وقرى سوقه بالهمزة ﴿يعجب الزراع﴾ بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرؤن بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ﴿ليغيظ بهم الكفار﴾ علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ فإن الكفار إذا

سمعوا بما أعد المؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان بمن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

سورة الحجرات

(مدينة وآياتها ثمان عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يأيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن ما في حيزه أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والايذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به (لا تقدموا) أي لا تفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور على طريقة قولهم فلان يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع أو لا تقدموا أمرا من الأمور على أن حذف المفعول للقصد إلى تعميمه والاولى وفى بحق المقام لإفادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفاء الكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التاءين من تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدي الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتين ليدى الإنسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم فى تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع ابن معبد (واتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذكرون من الأقوال والأفعال التى من جملتها ما نحن فيه (ان الله سميع عليم) بأفعالكم فمن حقه أن يتق ويراغب (يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبي عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل وإعادة النداء مع قرب العهد به للبالغة فى الإيقاظ والتنبيه والشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرئ لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تجهروا له بالقول) اذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أى جهرنا كائننا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أهية النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلبك إلا السرار أو أأخا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كاخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تحبط أعمالكم) اما علة للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أو للنهى أى لا تجهروا لاجل الجبوت فان الجهر حيث كان بصدد الاداء إلى الجبوت فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقولهم تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل

ما يتوهم أن يؤدي اليه مما يجري بينهم في أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجر بعضهم لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محضاً لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب أو مجادلة معاند أو أروهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضي الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت ونفقده عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعا فساءله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهر الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك أنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن من أنها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص «وأنتم لا تشعرون» حال من فاعل تحبط أي والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى «ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله» الخ ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به أي يخفضونها مراعاة للادب أو خشية من مخالفة النهي «أو لك» إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلاة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر من رافض تقخير شأنه وهو مبتدأ خبره «الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» أي جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضرب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها أو إخلاصها للتقوى من امتحن الذهب إذا ذابها وميزا بريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه أذهب عنها الشهوات «لهم» في الآخرة «مغفرة» عظيمة لذنوبهم «وأجر عظيم» لا يقادر قدره والجملة إما خبر آخر لأن الجملة المصدرة باسم الإشارة أو استئناف لبيان جزائهم إجمادا لحالهم وتعمير بضائهم حال من ليس مثلهم «ان الذين ينادونك من وراء الحجرات» أي من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة وراء وأن المنادي داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناداتهم من وراءها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من وراءها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل البعض إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت أجلا لاله عليه الصلاة والسلام وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقال يا محمد اخرج الينا وانما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لانه وجد فيما بينهم «أكثرهم لا يعقلون» اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب «ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم» أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فإنها مختصة بما هو غاية للشئ في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي اليهم اشعار بأنه لو خرج لاجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفتاحهم بالكلام أو يتوجه إليهم «لكن» أي الصبر المذكور «خير ألهم» من الاستعجال لما فيه

من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للشأن والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روى أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني النضير فأطلق النصف وفادى النصف ﴿ والله غفور رحيم ﴾ بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتها عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ أى فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عتبة أخا عثمان رضى الله عنه لآمه مصدقا الى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقاتلهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متجهدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد وقرئ فتثبتوا أى توقفوا الى أن يتبين لكم الحال ﴿ أن تصيبوا ﴾ حذار أن تصيبوا ﴿ قوما بجهالة ﴾ ملتبسين بجهالة حالهم ﴿ فتصحبوا ﴾ بعد ظهور برائتهم عما أسند اليهم ﴿ على ما فعلتم ﴾ فى حقهم ﴿ نادمين ﴾ مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع فان تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ أن بما فى حيزها ساد مسد مفعولى اعلوا باعتبار ما بعده من قوله تعالى ﴿ لو يطعكم فى كثير من الأمر لعنتم ﴾ فانه حال من أحد الضميرين فى فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كأننا على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهى أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايدان بأن بعضهم زينوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على أن امتناع عنهم لا امتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لان عنتهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعين لهم من الأمور اذ فيه اختلال أمر الابالة وانقلاب الرئيس مرسا لامن اطاعته فى بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلامعرة وقيل انها للدلالة على أن امتناع عنهم لا استمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم فى ذلك فاذ المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما فى نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذى تفيد صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أو لا ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فان أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى فى كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة فى أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر فى وقت من الأوقات وقع العنت قطعاً وان أريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة فى وقت من الأوقات وقع العنت حتماً واعلم أن الأحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول لانه أوفق بالقياس المقتضى لاعتبار الامتناع وارداً على الاستمرار حسب ورود كلفة للمفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار وارداً على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام إنما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية

كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة
وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ﴿ولكن الله
حبب اليكم الايمان﴾ الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيان البراءة عنهم عن أوصاف الاولين
واحكاما لا فعالهم أى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوا لديكم ﴿وزينه في قلوبكم﴾ حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيت
بما يليق به من الأقوال والأفعال ﴿وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ ولذلك اجتنبتم عما يليق بهما بالخير
فيه من آثارها وأحكامها ولما كان في التحبيب والتكرية معنى انهاء المحبة والكرهاتة رايصالها اليهم استعمالا بكلمة الى
وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كأنه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بنى المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من
فرط حبكم للايمان وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الأظهر لقوله تعالى ﴿أولئك هم الراشدون﴾
أى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذى في قوله تعالى وما أتيتهم من زكوة يريدون
وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴿فضلا من الله ونعمة﴾ أى وانعاما لتعليل لحبب أو كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما
بفعل مضمر أى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من
التفاضل ﴿حكيم﴾ يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلا﴾ أى تقاتلا والجمع باعتبار
المعنى ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى ﴿فان بغت﴾ أى تعدت ﴿احدهما على الأخرى﴾
ولم تأثر بالنصيحة ﴿فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي﴾ أى ترجع ﴿الى أمر الله﴾ الى حكمه أو الى ما أمر به ﴿فان قامت﴾
اليه وأقلعت عن القتال حذارا من قتالكم ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل﴾ بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا
بمجرد متاركتها عسى يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الإصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة
وقد أكد ذلك حيث قيل ﴿وأفسطوا﴾ أى واعدلوا في كل ما تأتروا وما تذكرون ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ فيجازيهم
أحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وفيها دلالة
على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وأنه اذا أمسك عن الحرب ترك لانه في أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة
من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى في المصالحة ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح
أى انهم منتسبون الى أصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية والفاء في قوله تعالى ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾
للايدان بأن الآخرة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمّر مضافا الى المأمورين للبالغة في تأكيد وجوب
الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف
الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرى بين أخوتكم وأخوانكم ﴿واقفوا الله﴾ في كل ما تاتون
وما تذكرون من الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح ﴿لعلكم ترحمون﴾ راجين أن ترحموا على تقواكم
﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم﴾ أى منكم ﴿من قوم﴾ آخرين أيضا منكم وقوله تعالى ﴿عسى أن يكون خيرا
منهم﴾ تعليل للنهي أو لموجبه أى عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص
بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو في الأصل اجمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاخ
في الجمع وأما تميمه للفریقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب أو لانهم توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع
السخرية في المجمع والتذكير امالل تعميم أو للقصدي الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما يجرى بين بعض وبعض
﴿ولانساء﴾ أى ولا تسخرنساء من المؤمنات ﴿من نساء﴾ منهن ﴿عسى أن يكن﴾ أى المسخور منهن ﴿خيرا

منهن) أى من الساحرات فإن مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الاوضاع والاطوار التى عليها يدور أمر السخرية غالبا بل إنما هو الامور الكامنة فى القلوب فلا يجترى أحد على استحقاق أحد فاعله أجمع منه لما ينطبه الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقيق من قره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هى ذات الخبر كما فى قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهى التى لا خبر لها ﴿ولا تلبسوا أنفسكم﴾ أى ولا يعجب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلبسون به فإن من فعل ما يستحق به اللز فقد لزم نفسه واللمز الطعن باللسان وقرىء بضم الميم ﴿ولا تنازعوا بالألقاب﴾ أى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فإن التلبس محتص به عرفا ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الايمان﴾ أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان أو اشتارهم به فإن الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به امتازهم بنسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت فى صفيه بنت حبي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنازع فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ﴿ومن لم يتب﴾ عما نهى عنه ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ أى كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الامور المعاشية ﴿ان بعض الظن اثم﴾ تعليل للامر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيق والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها ﴿ولا تجسسوا﴾ أى ولا تبشوا عن عورات المسلمين تفعل من الجسس لمافيه من معنى الطلب كما أن التلسس بمعنى التطلب لمافى اللبس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنالمسنا السماء وقرىء بالحاء من الحس الذى هو أثر الجسس وغايته ولتقاربهما يقال للشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادم كلاب الناس ﴿أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدور عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلاً وشرعاً مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى واسناد الفعل الى أحداً إذا بان أحد من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتيال بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخاللاً كل وميتاً واخراج تماثلها مخرج أمرين غنى عن الاخبار به وقرىء ميتاً بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء فى قوله تعالى ﴿فكرهتموه﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرىء كرهتموه أى جبلم على كراهته ﴿واتقوا الله﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ﴿ان الله تواب رحيم﴾ مبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداماً وكان

﴿ قل أتعلون الله دينكم ﴾ أى أنخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم ﴿ والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ﴾ حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ تذييل مقرر لما قبله أى مبالغ فى العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ما أخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم ﴿ يمينون عليك أن أسلموا ﴾ أى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب مولها ثوابا من أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن ﴿ قل لا تمنوا على اسلامكم ﴾ أى لا تعدوا اسلامكم منة على أو لا تمنوا على باسلامكم فنصب بنزع الخافض ﴿ بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للايمان ﴾ على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هذا لم واذ هذا كم ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أى فله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ماصدر عنهم ايمانا ومنوابه فتنى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمينون عليك بما هو فى الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعائهم للايمان فله المنة عليهم بالهداية اليه لالهم ﴿ ان الله يعلم غيب السموات والارض ﴾ أى ما غاب فيهما ﴿ والله بصير بما تعملون ﴾ فى سرهم وعلايتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائرهم وقرئ بالياء ٠ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق

(مكية وهى خمس وأربعون آية)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة صر وقوله تعالى ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم ﴾ أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم اضراب عما ينبي عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذره الناس حسبا ورد فى صدر سورة الاعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذره عرضة للتكبر والتعجب مع كونهما أوفق شئ لقضية العقول وأقربه الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم ﴿ فقال الكافرون هذا شئ عجيب ﴾ تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه عليه الصلاة والسلام منذرا بالقرآن واضمارهم أو لا للاشعار بتعجبهم بما أسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمير اما السابق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأغرق فى كونه كفرا ﴿ أنذا متنا وكنا ترابا ﴾ تقرير للتعجب وتأكيده للانكار والعامل فى اذا مضمرة غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أى أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذره

مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ: اذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الإنكار ﴿ذلك﴾ إشارة الى محل النزاع ﴿رجع بعيد﴾ أى عن الاوهام أو العادة أو الامكان وقيل الرجوع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناسب الظرف حينئذ ما ينبي عنه المنذر من البعث ﴿قد علمنا ما تنقص الارض منهم﴾ رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم عليه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه ايام أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن فى الارض منهم ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل عليه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ أو تأكيد لعلبه تعالى بها يثبتها فى اللوح المحفوظ عنده ﴿بل كذبوا بالحق﴾ اضطراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة ﴿لما جاءهم﴾ من غير تأمل وتفكر وقرئ: لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن أو الاخبار بالبعث ﴿فهم فى أمر مريج﴾ أى مضطرب لآقراره من مرج الخاتم فى أصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن ﴿أفلم ينظروا﴾ أى أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا ﴿الى السماء فوقهم﴾ بحيث يشاهدونها كل وقت ﴿كيف بنيناها﴾ أى رفعناها بغير عمد ﴿وزيناها﴾ بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع ﴿وما لها من فروج﴾ من فتوق ملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل ﴿والارض مددناها﴾ أى بسطناها ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبالات ثابتة من رسا الشئ اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايدان بأن القاءها بارساء الارض بها ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج﴾ من كل صنف ﴿بهيج﴾ حسن ﴿تبصرة وذكرى﴾ علة للافعال المذكورة معنى وان انتصبنا بالفعل الاخير أو لفعل مقدّر بطريق الاستئناف أى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا ﴿لكل عبد منيب﴾ أى راجع الى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وقوله تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركا﴾ أى كشير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده ﴿فأنبتنا به﴾ أى بذلك الماء ﴿جنات﴾ كثيرة أى أشجارا ذوات ثمار ﴿وحب الحصيد﴾ أى حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات ﴿والنخل﴾ عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل ﴿باسقات﴾ أى طوالا أو حواصل من أسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرئ: باسقات لاجل القاف ﴿لها طلع نضيد﴾ أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿رزقا للعباد﴾ أى ليرزقهم علة لقوله تعالى فأنبتنا وفى تعليقه بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لأن الانبات رزق ﴿وأحيينا به﴾ أى بذلك الماء ﴿بلدة ميتا﴾ أرضا جدية لانما فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان ﴿كذلك الخروج﴾ جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك إشارة

الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشئ مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمثالة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى أفهام الناس وقوله تعالى ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ الخ استئناف وارد لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها ﴿وأصحاب الرس﴾ قيل هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مرفى سورة الفرقان على التفصيل ﴿وثمود وعاد وفرعون﴾ أى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده ﴿واخوان لوط﴾ قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام ﴿وأصحاب الايكة﴾ هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين ﴿وقوم تبع﴾ سبق شرح حالهم في سورة الدخان ﴿كل كذب الرسل﴾ أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسلهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراده الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع ﴿حق وعيد﴾ أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسليية للرسل صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم ﴿أفبعثنا بالخلق الاول﴾ استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الامم المهلكة والى الأمر العجز عنه يقال عى بالأمر وعى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبي عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل أفصدنا الخالق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة ﴿بل هم فى لبس من خلق جديد﴾ عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته ﴿ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ أى ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كفاى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ﴿ونحن أقرب اليه من جبل الوريد﴾ أى أعلم بحاله بمن كان أقرب اليه من جبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لأنه موجب له وجبل الوريد مثل فى فرط القرب والجبل العرق واضافته ببيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لأن الروح ترده ﴿اذ يتلقى المتلقيان﴾ منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقعده لميكىك على ثنيتك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعينك لا تستحي من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى أنا أقرب اليه مطلعون على أعماله لأن حفظنا وكتبنا موكلون به ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجلس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما

في قول من قال رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن أجل الطوى رماني
وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ﴿ما يلفظ من قول﴾ ما يرمى به
من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول ﴿اللا لديه رقيب﴾ ملك يرقب قوله ويكتبه فإن كان خيرا
فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على
ما صدر عنه لما أن كلامهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبغي عنه قوله تعالى ﴿عتيد﴾ أى
معد مهيا لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم أن معناه رقيان عتيدان وتخصيص القول بالذكر
لإثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقليل يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل انما يكتبان
ما فيه أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبغي عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات
على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرة وإذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ بعد ما ذكر
استبعادهم للبعث والجزاء وأزيج ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع
ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأحوال وقد عبر عن وقوع كل منها
بصيغة الماضي أيذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والبلاء المالتعدية كما في قولك جاء
الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذى نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر
وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فإن الانسان
خلق له واما للملابسة كالتى في قوله تعالى تنبت بالدهن أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة
وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق
الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة للتحويل وقرئ سكرات الموت
﴿ذلك﴾ أى الموت ﴿ما كنت منه تحيد﴾ أى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فإن النفرة عنه شاملة لكل فرد
من أفراد طبعها ﴿ونفخ فى الصور﴾ هى النفخة الثانية ﴿ذلك﴾ أى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف
﴿يوم الوعيد﴾ أى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أى يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل
ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه
يوم الوعد أيضا لتحويله ولذلك بدى ببيان حال الكفرة ﴿وجاءت كل نفس﴾ من النفوس البرة والفاجرة
﴿معه سائق وشهيد﴾ وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أى معها ملكان أحدهما
يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها
النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجر على أنه وصف لنفس
أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى ﴿لقد كنت فى غفلة من هذا﴾ محكى باضمار قول هو اما صفة أخرى لنفس
أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقليل يقال لقد كنت فى غفلة الخ
وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء
على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث

يأنفس انك بالذات مسرور فاذا كر فهل ينفعنك اليوم تذكير
 ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ الغطاء الحجاب المغطى لأموال المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالاف بها
 وقصر النظر عليها ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ نافذ لزوال المانع للابصار وقرى بكسر الكاف في المواضع الثلاثة
 ﴿وقال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له مشيرا اليه ﴿هذا ما لدى عتيد﴾ أى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم
 قد هيأتها لها باغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى مامعه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ
 للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بمد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف
 ﴿ألقيا فى جهنم كل كفار﴾ خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو لللكين من خزنة النار أو لواحد على تنزيل
 تنبيه الفاعل منزلة تنبيه الفعل وتكريره كقول من قال

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر وان تدعانى أحم عرضا منعا

أو على أن الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرىء ألقين بالنون الخفيفة ﴿عتيد﴾
 معاند للحق ﴿مناع للخير﴾ كثير المنع للبال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في
 الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه منه ﴿معتد﴾ ظالم متخط للحق ﴿مريب﴾ شك فى الله وفى دينه ﴿الذى﴾
 جعل مع الله إلها آخر مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره ﴿فألقياه فى العذاب الشديد﴾ أو بدل من كل كفار
 وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه ﴿قال قرينه﴾ أى الشيطان المقيض له وإنما
 استؤنف استئناف الجمل الواقعة فى حكاية المفاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ﴿ربنا ما أطغيته﴾ فانه
 منبى عن سابقة كلام اعتذره الكافر كأنه قال هو أطفانى فأجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة
 الأولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى محبى كل نفس مع الملكين
 وقول قرينه ﴿ولكن كان﴾ هو بالذات ﴿فى ضلال بعيد﴾ من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير
 قسر والهاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ﴿قال﴾ استئناف مبنى
 على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال ﴿لا تحتصموا لى﴾ أى فى موقف الحساب
 والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك ﴿وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى السنة رسلى
 فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما أتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لا تحتصموا
 وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لا بليس لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه
 معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز
 أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ﴿ما يبدل القول لى﴾ الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من
 المفعول أو الفاعل أى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقتربا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا أن
 أبدل وعتيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله
 تعالى ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب
 الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير
 اليه آنفا أى وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر
 من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفراطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره

عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابر از ما ذكر من التعذيب بغية ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيف ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتحويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرىء يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالحميد والمجيد أو مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ إشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الاحوال والأحوال ما يقصر عنه المقال ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ وبجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى ﴿غير بعيد﴾ تأكيد لازلا ف أى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيئا غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان ﴿هذا ما توعدون﴾ إشارة الى الجنة والتذكير لما أن المشار اليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ العربى كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو إشارة الى الثواب وقيل الى مصدر أزلفت وقرىء يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أى مقولا لهم أو مقولا في حقها هذا ما توعدون ﴿لكل أواب﴾ أى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار ﴿حفيظ﴾ حافظ لتوبته من النقص وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه ﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولا يجوز أن يكون فى حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذى أو مبتدأ خبره ﴿ادخلوها﴾ بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أو مفعوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه أو هو غائب عن الاعين لا يراه أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن عليهم بسعة رحمته تعالى لا يصددهم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم وصف القلب بالانابة لما أن العبرة برجوعه الى الله تعالى ﴿بسلام﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ﴿ذلك﴾ إشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ما ذكر من الامور ﴿يوم الخلود﴾ اذ لا انتهاء له أبدا ﴿لهم ما يشاءون﴾ من فنون المطالب كائنات ما كان ﴿فيها﴾ متعلق بيشاءون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائدته المحذوف من صلته ﴿ولدينا مزيد﴾ هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد ﴿وكم أهلكنا قبلاهم﴾ أى قبل قومك ﴿من قرنهم أشد منهم بطشا﴾ أى قوة كعادواضرباها ﴿فنبقوا فى البلاد﴾ أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا

في أقطارها أوجالوا في أكناف الارض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقيب عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هي عاطفة في المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف ﴿هل من محيص﴾ أي هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واونقبوا أي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أو على اجراء التنقيب لمافيه من معنى التبع والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لنفي أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل مكة أي ساروا في مسائرهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى نقتب أقدامهم أو أخفاف ابلهم ﴿ان في ذلك﴾ أي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة ﴿لذكرى﴾ لتذكرة وعظة ﴿لمن كان له قلب﴾ أي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير ﴿أو ألقى السمع﴾ أي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جليلة الأمر فينجزر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة أولمنع الخلودون الجمع فان لقاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى ﴿وهو شهيد﴾ أي حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايدان بأن من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له أصلا ﴿ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما﴾ من أصناف المخلوقات ﴿في ستة أيام وما مسنا﴾ بذلك مع كونه مما لا يقي به القوى والقدر ﴿من لغوب﴾ من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبينة على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا تنور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشديد ﴿وسبح بحمديك﴾ أي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في أخباره التي من جملة الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما أنعم به عليك من اصابة الحق وغيرها ﴿قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ﴿ومن الليل فسبحه﴾ وسبحه بعض الليل ﴿وأدبار السجود﴾ وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتجود وما يصلي بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات ﴿واستمع﴾ أي لما يوحى اليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفطيع للخبير به ﴿يوم ينادى المنادى﴾ أي اسرافيل أوجبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمرقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ بدل من يوم ينادى الخ وهي النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور ﴿انا نحن نحي ونميت﴾ في الدنيا من غير أن يشار كنا في ذلك أحد ﴿والينا المصير﴾ للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكا ﴿يوم تشقق الارض عنهم﴾ بحذف احدى التائين من تشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء

للفعل من التفعيل وتنشق ﴿سراعا﴾ مسرعين ﴿ذلك حشر﴾ بعث وجمع وسوق ﴿علينا يسير﴾ أي هين وتقديم الجار والمجرور اختصاصه يسره تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمتسلط تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت مذكر ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ما نوجهه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة هون الله عليه ثارات الموت وسكراته

سورة والذاريات

(مكية وآيات ستون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والذاريات ذروا﴾ أي الرياح التي تذر والتراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال ﴿فالحاملات وقرا﴾ أي السحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر ﴿فالجاريات يسرا﴾ أي السفن الجارية في البحر أو الرياح الجارية في مهابها أو السحب الجارية في الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف أي جرياً ذائراً ﴿فالمقسمات أمرا﴾ أي الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو السحب التي يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلاً لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذر وما تذر وه تثير السحاب وتحمله وتجري في الجو جرياً سهلاً وتقسم الأمطار بتصرف السحاب في الاقطار فان حملت الأمور المقسم بها على ذوات مختلفة فالقاء لترتيب الاقسام باعتبار ما ينبت منها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والافى لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذر الانجره الى الجو حتى تنعقد سحاباً فتجري به باسطة له الى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى ﴿ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع﴾ جواب للقسم وفي تخصيص الأمور المذكورة بالاقسام بهار مز الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية . وصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله ﴿والسما ذات الحجب﴾ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبيرة ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي ميرا السكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار أو النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حجبها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهي اما جمع حباك أو حبيكة كمثل ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل ﴿انكم لفي قول مختلف﴾ أي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفي هذا الجواب تأيد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستويًا إنما هو متناقض مختلف وقيل النكته في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذلك ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ أي يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف اذلا صرف أفطع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر أفك

من أفك عن ذلك القول وقرى من أفك أى من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الإيمان ﴿ قتل الخراصون ﴾ دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما كفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرين ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرى قتل الخراصين أى قتل الله ﴿ الذين هم في غمرة ﴾ من الجهل والضلال ﴿ ساهون ﴾ غافلون عما أمروا به ﴿ يسألون أيا ن يوم الدين ﴾ أى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرى أيا ن بكسر الهمزة ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ جواب للسؤال أى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبرا لمبتدأ محذوف أى هو يوم هم الخ والفتح لضافته الى غير متمكن ويؤيده أنه قرى بالرفع ﴿ ذوقوا فنتكم ﴾ أى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمير أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فنتكم بتأويل العذاب والذى صفته ﴿ ان المتقين في جنات وعيون ﴾ لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ﴿ آخذين ما آتاهم ربهم ﴾ أى قائلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول ﴿ انهم كانوا قبل ذلك ﴾ فى الدنيا ﴿ محسنين ﴾ أى لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ﴾ أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة للمصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليل على الفاعلية أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل مانافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ﴿ وبالا سحارهم يستغفرون ﴾ أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنائهم فيه ﴿ وفى أموالهم حق ﴾ أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس ﴿ للسائل والمحروم ﴾ للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة ﴿ وفى الارض آيات للوقنين ﴾ أى دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كاللبساط الممهّد وفيها مسالك وفجاج للتقليل فى أقطارها والسالكين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلقح بالوان النبات وأنواع الاشجار وأصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قدرتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى صحتهم واعتلاهم ﴿ وفى أنفسكم ﴾ أى وفى أنفسكم آيات اذ ليس فى العالم شىء الا وفى الانفس له نظير يدل دلالة على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ﴿ أفلا تبصرون ﴾ أى ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ﴿ وفى السماء رزقكم ﴾ أى اسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات ﴿ وما توعدون ﴾ من الثواب لان الجنة فى السماء السابعة اولان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿ فو رب السماء والارض انه لحق ﴾ على أن الضمير لما وأما على الاول فاماله واما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه

مستعار لاسم الإشارة ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أى كما أنه لا شك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى أن لا تشكوا فى حقيقته ونصبه على الحالية من المستكن فى لحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أى أنه لحق حقاً مثل نطقكم وقيل انه مبنى على التفتح لضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شئ وأن بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع ﴿هل أتاك حديث ضيف ابراهيم﴾ تفخيم لشأن الحديث وتنبية على أنه ليس بما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكاً وقيل تسعة عشر هم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملاك آخر معهم عليهم السلام وتسميتهم ضيفاً لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم عليه السلام أو لانهم كانوا فى حسابه كذلك ﴿المكرمين﴾ أى المكرمين عند الله تعالى أو عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته ﴿اذخلوا عليه﴾ ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم ﴿فقالوا سلاماً﴾ أى نسلم عليك سلاماً ﴿قال﴾ أى ابراهيم ﴿سلام﴾ أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام أحسن من تحيتهم وقرئاً مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوباً والمعنى واحد ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم عليه الصلاة والسلام للسلام الذى هو علم للاسلام أو لانهم ليسوا بمن عهدهم من الناس أو لان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام انما قاله فى نفسه من غير أن يشعرهم بذلك لأنه خاطبهم به جبراً أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل والا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة ﴿فراغ الى أهله﴾ أى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادره حذاراً من أن يكفه ويعذره أو يصير منتظراً والفاء فى قوله تعالى ﴿فجاءه بعل سمين﴾ فصيحة مفسحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايداً انما يكمل سرعة المجئ بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أى فذبح عجلاً فخذ به ﴿فقر به اليهم﴾ بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد ﴿قال ألا تأكلون﴾ انكاراً لعدم تعرضهم للاكل ﴿فأوجس منهم﴾ أضمر فى نفسه ﴿خيفة﴾ لتوهم أنهم جاءوا للشر وقيل وقع فى قلبه أنهم ملائكة جاءوا للعذاب ﴿قالوا لا تخف﴾ قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأذن منهم ﴿وبشروه﴾ وفى سورة الصافات وبشرناه أى بواسطتهم ﴿بغلام﴾ هرا سح عليه السلام ﴿عليم﴾ عنه بلوغه واستوائه ﴿فأقبلت امرأته﴾ سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم ﴿فى صرة﴾ فى صيحة من الصير ومحله النصب على الحالية أو المفعولية ان جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمنى ﴿فصكت وجهها﴾ أى لطمتها من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعل المتعجب ﴿وقالت عجوز عقيم﴾ أى أنا عجوز عافر فكيف ألد ﴿قالوا كذلك﴾ مثل ذلك القول الكريم ﴿قال ربك﴾ وانما نحن معبرون بخبرك به عنه تعالى لأننا نقوله من تلقاء أنفسنا ﴿انه هو الحكيم العليم﴾ فيكون قوله حقاً وفعله متقناً لا محالة . روى أن جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه موزقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام أيضاً حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفى سورة هود ﴿قال﴾ أى ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الامر ﴿فما خطبكم﴾ أى شأنكم الخطير الذى لأجله أرسلتم سوى البشارة ﴿أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط ﴿لنرسل عليهم﴾ أى بعد ما قبلنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة ﴿حجارة من طين﴾

أى طين متحجر هو السجيل (مسومة) مرسله من أسمت الماشية أى أرسلتها أو معلمة من السومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى سورة هود (عند ربك للسرّفين) المجاوزين الحد فى الفجور وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليه السلام من الكلام والغاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع أخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ (من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) من آمن بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت) أى غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أى فى القرية (آية) أى علامة دالة على ما أصابهم من العذاب قيل هى تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أوما منتن (للذين يخافون العذاب الاليم) أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية (وفى موسى) عطف على قوله تعالى وفى الارض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علقها تبنا وما باردا (اذ أرسلناه) قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أى كآية وقت ارسالنا وقيل بتركنا (الى فرعون بسطان مبين) هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة (فتولى بركنه) أى فأعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشئ وقرى بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه نسب ما ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قناعة فرعون وقومه ما لا يخفى (وهو ملهم) أى أت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى أخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لانهم تضمن خيرا ما من انشاء مطر أو القاح شجروهم النكباء أو الدبور أو الجنوب (مانذر من شئ أنت عليه) أى جرت عليه (الا جعلته كالريم) هو كل مارم وبلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبغ وجوهكم غدا مصفرة وبعدهم حمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها وادادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تخطوا وتكفوا بالانطاع فأتهم الصيحة فهلكوا وقرى الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها ويعاينونها (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل فى عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المهلكين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى (والسما بنيناها بأيد) أى بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الاتفاق أو لموسعون السما أو ما بينها وبين الارض أو الرزق (والارض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) أى من الاجناس (خلقنا زوجين) أى نوعين ذكر وأنثى وقيل متقابلين السما والارض

والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى فعلنا ذلك كله كي تذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ﴿ففرروا الى الله﴾ مقدر لقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الأمر على ما حكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤنه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بشوابه واما للعطف على جملة مقدره مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففرروا الى الله الخ وقوله تعالى ﴿انى لكم منه نذير مبين﴾ تعليل للامر بالفرار اليه تعالى أو لوجوب الامثال به فان كونه عليه الصلاة والسلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالفرار اليه وعليهم أن يمثلوا به أى انى لكم من جهته تعالى منذرين كونه منذرا منه تعالى أو مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذره وفي أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليه بأنه عليه الصلاة والسلام يندرهم من جهته تعالى لآءن تلقاه نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ﴿ولا تجعلوا مع الله الها آخر﴾ نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى ﴿انى لكم منه﴾ أى من الجعل المنهى عنه ﴿نذير مبين﴾ فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلتها الباء بتضمينه معنى الافرار يقال فر منه أى هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أو قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهى عن سببه وإيجاب الفرار منه ﴿كذلك﴾ أى الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أو مجنوناً وقوله تعالى ﴿ما أنى الذين من قبلهم﴾ الخ تفسير له أى ما أناهم ﴿من رسول﴾ من رسل الله ﴿الا قالوا﴾ فى حقه ﴿ساحر أو مجنون﴾ ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأنى لا متناع عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها ﴿أتوا صوابه﴾ انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أى أوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى ﴿بل هم قوم طاغون﴾ اضرب عن كون مدار اتفاقهم على الشر توأصيتهم بذلك واثبات لكونه أمرا أقبح من التواصى وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم ﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كرت عليهم الدعوة فأبوا الا الالباء ﴿فما أنت بمعلوم﴾ على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود ﴿وذكر﴾ أى افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرّة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر ﴿فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ أى الذين قدر الله تعالى ايمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا لعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداداً وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتزليل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لا يليق بجناحه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لو لاه لم يفعله لافضائه الى استكمال بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كماله يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من أفعاله تعالى

بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادئ وتأخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجنهم كثيرا من الجن والانس أشقياء وهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يماكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وتهيئة أرزاقهم أى ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ﴿ان الله هو الرزاق﴾ الذى يرزق كل ما يقتدر الى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرئ: انى أنا الرزاق ﴿ذو القوة المتين﴾ بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمرة وقرئ: بالجر على أنه وصف للقوة على تاويل الاقتدار أو الايدى ﴿فان للذين ظلموا﴾ أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكديبا وهم أهل مكة ﴿ذنوباً﴾ أى نصيبا وافرا من العذاب ﴿مثل ذنوب أصحابهم﴾ مثل أنصباء نظر انهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء ﴿فلا يستعجلون﴾ أى لا يطلبوا منى أن أعجل فى المحي به يقال استعجله أى حشه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أنى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعدان كنتم صادقين ﴿فويل للذين كفروا﴾ وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر واشعارا بعللة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذابا عظيما كما أن الفاء الاولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى ﴿من يومهم الذى يوعدون﴾ للتعليل أى يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الأوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوى . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

سورة الطور

(مكية وآياتها تسع أو ثمان وأربعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والطور﴾ الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور أو ما يكتب فى الألواح أو ما يكتبه الحفظة ﴿فى رق منشور﴾ الرق الجلد

الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للاشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس ﴿والبيت المعمور﴾ أى الكعبة وعمارتهما بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراحي وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة ﴿والسقف المرفوع﴾ أى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور ﴿والبحر المسجور﴾ أى المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم ﴿ان عذاب ربك لواقع﴾ أى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ﴿ماله من دافع﴾ اما خبر ثان لان أو صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور بالاقسام بها لما أنها أمور عظام تنبى عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبى عن كمال هوله وفضاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجى والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرجا وتكفأ بأهلها تكفأ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ أى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدر يهما للايدان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما ﴿فويل يومئذ للكذابين﴾ أى اذا وقع ذلك أو اذا كان الأمر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم ﴿الذين هم فى خوض﴾ أى اندفاع عجيب فى الإبطال والاكاذيب ﴿يلعبون﴾ يلهون ﴿يوم يدعون الى نار جهنم دعا﴾ أى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بأن تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعوا الى النار وقرى يدفعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى ﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون﴾ أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى ﴿أفسح هذا﴾ توبيخ وتقرع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ ﴿أم أتمم لا تبصرون﴾ أى أم أتمم عمى عن الخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا﴾ أى ادخلوها وقاسوا شدائد ما فعلوا ما شتم من الصبر وعدمه ﴿سواء عليكم﴾ أى الأمران فى عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم﴾ أى فى أية جنات وأى نعيم على أن التنوين للتفخيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع ﴿فاكبين﴾ ناعمين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ وقرى فأكبين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على آتاهم على أن ما صدرية أو على خبر ان أو حال باضمار قد اما من المستكن فى الخبر أو فى الحال واما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما واطهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل ﴿كلوا واشربوا﴾ أى يقال لهم كلوا واشربوا أكلا وشربا ﴿هنيئا﴾ أوطعاما وشربا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا أى هنا كما كنتم تعملون أى جزاؤه ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ مصطفة ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ وقرى بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته بالتأويل المشهور وقرى بعين عين والباء مع أن الترويح بما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق أو للسببية اذ المعنى صيرناهم أزواجا بسبيهن فان الزوجية

لا تتحقق بدون انضمامهم اليهم وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى ﴿واتبعهم ذريتهم﴾ عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى ﴿بايمان﴾ متعلق بالاتباع أى اتبعهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايدان بثبوت الحكم في الايمان الكامل أصالة لا الحاقا وقرى ذرياتهم للبالة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذاو وقرى وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرى اتبعهم ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أى في الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقربهم عنه ثم تلا هذه الآية ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق ﴿من عملهم﴾ من ثواب عملهم ﴿من شئ﴾ بأن أعطينا بعض مشوباتهم أبناءهم فتتقص مشوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض الفضل والاحسان وقرى ألتناهم بكسر اللام من ألت يالت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتأناهم من لات يليت وألتناهم من ألت يؤلت ولتأناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرنناهم بالحور والذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيمتنعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب ايمان داني المنزل وهو ايمان الذرية كأنه قيل بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ قيل هو فاعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكاهه والا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شئ فالجملة تعليل لما قبلها ﴿وأمددناهم بغاكة ولحم مما يشتهون﴾ وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء وألوان الآلاء ﴿يتنازعون فيها﴾ أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع ﴿كأسا﴾ أى خمر اسمية لها باسم محلها ﴿لأنغو فيها﴾ أى في شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام ﴿ولا تأثيم﴾ ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الأثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادين فى الدنيا وانما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرى لالغو فيها ولا تأثيم بالفتح ﴿ويطوف عليهم﴾ أى بالكاس ﴿غلمان لهم﴾ أى بمالك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم ﴿كانهم لؤلؤ مكنون﴾ مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف الخدم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل الخدم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يبابه ليك ليك ﴿واقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ أى يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معيننا ﴿قالوا﴾ أى المسؤلون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة ﴿انا كنا قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿فى أهلنا مشفقين﴾ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العقابة ﴿فمن الله علينا﴾ بالرحمة أو التوفيق للحق ﴿ووقانا عذاب السموم﴾ عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرى ووقانا بالتشديد ﴿انا كنا من قبل ندعوه﴾

أى نعبدك أو نسأله الوقاية ﴿انه هو البر﴾ المحسن ﴿الرحيم﴾ الكثير الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه ﴿فذكر﴾ فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكثر بما يقولون مما لاخير فيه من الابطال ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل ﴿بكا من ولا يحنون﴾ كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطع أى بل يقولون نتظر به نوائب الدهر ﴿قل تربصوا فانى معكم من المتربصين﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة باهلاكم ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ أى عقولهم ﴿بهذا﴾ أى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله محتل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق خيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز عن أدائها اليه ﴿أم هم قوم طاغون﴾ مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لا يحرمون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ﴿أم يقولون نقوله﴾ أى اختلقه من تلقاء نفسه ﴿بل لا يؤمنون﴾ فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الابطال التى لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف أنى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ﴿ان كانوا صادقين﴾ فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولا ريب فى أن القدرة على الشئ من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك ﴿أم خلقوا من غير شئ﴾ أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدور وقيل أم خلقوا من أجل لاشئ من عبادة وجزاء ﴿أم هم الخالقون﴾ لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه ﴿أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون﴾ أى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والالما أعرضوا عن عبادته ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاءوا ويمسكوها عن شاءوا أو أعدهم خزائن عليه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ﴿أم هم المسيطرون﴾ أى الغالبون على الامور يديرونها كيفما شاءوا حتى يدبروا أمر الربوبية وينبوا الامور على ارادتهم ومشيتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء ﴿أم لهم سلم﴾ منصوب الى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التى يقولون فيها رجما بالغيب ويلقون بها أطعامهم الفارغة ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ تدفيه لهم وتركك لعقولهم وايدان بأن من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والاتفات الى الخطاب لتشديد ما فى أم المنقطعة من الانكار والتوبيخ ﴿أم تسألهم أجرا﴾ رجوع الى خطابة عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم أى بل أنسألهم أجرا على تبليغ الرسالة ﴿فهم﴾ لذلك ﴿من مغرم﴾ من التزام غرامة فادحة ﴿مثقلون﴾ محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ﴿أم عندهم الغيب﴾ أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب ﴿فهم يكتبون﴾ ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك بنى أو اثبات ﴿أم يريدون كيدا﴾ هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة ﴿فالذين كفروا﴾ هم

المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿هم المسكيدون﴾ أي هم الذين يحرق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون في الكيد من كائده فكدته ﴿أم لهم اله غير الله﴾ يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ أي عن اشراكهم أو عن شركة ما يشركونه ﴿وان يروا كسفا﴾ قطعة ﴿من السماء ساقطا﴾ لتعذيبهم ﴿يقولوا﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿سحاب مركوم﴾ أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمحطنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب ﴿فذرهم حتى يلاقوا﴾ وقرئ حتى يلقوا ﴿يومهم الذي فيه يصعقون﴾ على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولأن قوله تعالى ﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا﴾ أي شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملة مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجري في مدافعة الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ﴿ولاهم نصرون﴾ من جهة الغير في دفع العذاب عنهم ﴿وان للذين ظلموا﴾ أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أي وان لهؤلاء الظلمة ﴿عذابا﴾ آخر ﴿دون ذلك﴾ دون ما لاقوه من القتل أي قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين أو وراه كما في قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كما ذكر وفيه اشارة الى أن فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا أولا لا يعلمون شيئا أصلا ﴿واصبر لحكم ربك﴾ بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم ﴿فانك بأعيننا﴾ أي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكفوك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ ﴿وسبح﴾ أي نزهه تعالى عما لا يليق به ماتبسا ﴿بحمد ربك﴾ على نعمائه الفاتنة للحصر ﴿حين تقوم﴾ من أي مكان قت قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى ﴿ومن الليل فسبحه﴾ افراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ﴿وادبار النجوم﴾ أي وقت ادبارها من آخر الليل أي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ ادبار النجوم بالفتح أي في أعقابها اذا غربت أو خفيت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم

(مكية وآياتها احدى أو اثنتان وستون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والنجم اذا هوى﴾ المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال

هو هوى هوى بوزن قبول اذا غرب وهوى بوزن دخول اذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهو به نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتتك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه أما على الأولين فلا أن النجم شأنه أن يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل ﴿ما ضل صاحبكم﴾ أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة ﴿وما غوى﴾ أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شئ أصلا وأما على الثالث فلا أنه تنويه بشأن القرآن كما أشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنويه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ماضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم للإيدان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببرأته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكلية وباتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلا أن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن النزول الجليل وأما حمل هريه على انتشاره يوم القيامة أو على انقضاخ النجم الذى يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هوى به على سقوطه على الأرض أو على ظهوره منها فيما لا يناسب المقام ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا ﴿ان هو﴾ أى ما الذى ينطق به من القرآن ﴿الواحى﴾ من الله تعالى وقوله تعالى ﴿يوحى﴾ صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى ﴿عليه شديد القوى﴾ أى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بشمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف ﴿ذو مرة﴾ أى حصافة فى عقله ورأيه ومثاقفة فى دينه ﴿فاستوى﴾ عطف على عليه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرا فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض من المغرب وملا الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أى أفق الشمس حال من فاعل استوى ﴿ثم دنا﴾ أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام ﴿فتدلى﴾ أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق ﴿فكان﴾ أى مقدار امتداد ما بينهما ﴿قاب قوسين﴾ أى مقدارهما فان القاب والقاب القيب

والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو منى معقد الازار ﴿أو أدنى﴾ أى على تقدير كم كما في قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفى البعد الملبس ﴿فأوحى﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿الى عبده﴾ عبدالله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ﴿ما أوحى﴾ أى من الأمور العظيمة التي لا تنفى بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك ﴿ما كذب الفؤاد﴾ أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ما رأى﴾ أى ما رآه يبصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره وقرىء ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته ﴿أفنارونه على ما يرى﴾ أى أنكذبونه فنجادلونه على ما يراه معاينة أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلام المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرىء أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمرته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراء حتمه اذا جحده ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعل اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر ﴿عند سدره المنتهى﴾ هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلال سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلاق وأعمالهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى اليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار البستان أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلاق أو اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى ﴿عندها الجنة المأوى﴾ أى الجنة التى يأوى اليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ ظرف زمان لرآه لالمابعد من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل مابعدا فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الاتيان يقال فلان يغشاني كل حين أى يأتيني والاول هو الالىق بالمقام وفى ابهام ما يغشى من التفخيم مالا يخفى وتأخيره عن المفعول للنشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيتها ما غشيتها مالا يكتنه الوصف ولا يبنى به البيان كيفوا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجسم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبرئين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر ﴿ما زاغ البصر﴾ أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عماراه ﴿وما طأنى﴾ وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة مالا يحصى بل أثبتته اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية

العجائب التي أمر برؤيتها وممكن منها وما جاوزها ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي والله لقد رأى الآيات التي هي كبرها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأرى من عجائب الملك والملوك ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أي شيئا عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها ويطوفون بها وقرى بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلبث السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يات السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة هذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لأن دماء النساء تكمن عندها أي تراق وقرى ومناة وهي مفعلة من النوى كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركها والآخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضعية المقدار وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم اهتم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيس لهم توييخا وتبكيثا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شئون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره في الملا الأعلى وماتحت الثرى وما بينهما رأيت هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقهاتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمتهم وقيل أخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيتم إلى هذه الأصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضرهم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى ﴿الكم الذكرو له الآتي﴾ شهادة بينة فانه توييخ مبنى على التوييخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنبه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الاناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور ووجب أن يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوييخ الثاني عليه وظاهر أن ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الاول لما أن الأصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة الكم الذكرو له هن أي تلك الأصنام فوضع موضعها الآتي لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوييخ فع ما فيه من التمحلات التي يذبح تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضي اقتصار التوييخ على ترجيح جانبهم الحقير على جنب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوييخ على نسبة الولد إليه سبحانه ﴿تلك﴾ إشارة إلى القسمة المنهزمة من الجملة الاستفهامية ﴿إذا قسمة ضيزى﴾ أي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في ييض فان فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرى ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظله على أنه مصدر نعت به وقرى ضيزى اما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى ﴿ان هي﴾ الضمير للأصنام أي ما الأصنام باعتبار الألوهية التي يدعونها ﴿الأسماء﴾ محضة ليس تحتها مما تنبى هي عنه من معنى الألوهية شيء ما أصلا وقوله تعالى ﴿سميتوها﴾ صفة للأسماء وضميرها

لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيس إلى الاسم
فمعناها جعله اسماً للمسمى وإن قيس إلى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير ههنا المعنى الأول من غير
تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما في قوله تعالى ما تعبدون
من دونه إلا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للأسماء الثلاثة المذكورة
حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لا اعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب إليها بالقرابين
وأنت خير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للأصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل
إنما هي في سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الأصنام على وجه برهاني فإن انتفاء الموصوف
يقتضي انتفاء الوصف بطريق الأولوية أي ما هي إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتوها ﴿أنتم وآبائكم﴾ بمقتضى
أهوائكم الباطلة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ برهان تتعلقون به ﴿إن يتبعون﴾ التفات إلى الغيبة للايدان بأن
تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جنائياتهم لغيرهم أي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها
﴿الالظن﴾ الاتوهم أن ما هم عليه حق توهم باطلا ﴿وما تهوى الأنفس﴾ أي تشبهه أنفسهم الامارة بالسوء
﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ قيل هي حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياً ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع
الظن وهو النفس وزيادة تقبيح الحالم فإن اتباعهما من أي شخص كان قبيح ومن هداه الله تعالى بارسال الرسول
صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب أقبح ﴿أم للانسان ما تمى﴾ أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن
ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهو أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعا أصلاً والهمزة للانكار والنفي
أي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشبهه نفسه من الأمور التي من جملتها أطاعهم الفارغة في شفاعه الآلهة ونظائرها التي
لا تكاد تدخل تحت الوجود ﴿فله الآخرة والأولى﴾ تعليل لانتفاء أن يكون للانسان ما يتمناه حتماً فإن اختصاص
أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتضى لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى ﴿وكم من ملك في السموات
لا تغنى شفاعتهم شيئاً﴾ اقناطهم عما علقوا به أطاعهم من شفاعه الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعه الأصنام بطريق
الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد
الملك باعتبار المعنى أي وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الاغناء في وقت من الأوقات ﴿إلا
من بعد أن يأذن الله﴾ لهم في الشفاعه ﴿لمن يشاء﴾ أن يشفعوا له ﴿ويرضى﴾ ويراه أهلاً للشفاعة من أهل التوحيد
والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعه بألف منزل فاذا كان حال الملائكة
في باب في الشفاعه كما ذكر فاعلم بحال الأصنام ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من
الكفر والمعاصي ﴿ليسمون الملائكة﴾ المنزهين عن سمات النقصان على الإطلاق أي يسمون كل واحد منهم ﴿تسمية
الأنثى﴾ فإن قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلامهم بته سبحانه وهي التسمية بالأنثى وفي تعليقها بعدم الإيمان
بالآخرة اشعار بأنها في الشناعة والفضاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترأ عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً
وقوله تعالى ﴿وما لهم به من علم﴾ حال من فاعل يسمون أي يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقررون أصلاً وترى
بها أي بالملائكة أو بالتسمية ﴿إن يتبعون﴾ في ذلك ﴿الالظن﴾ الفاسد ﴿وان الظن﴾ أي جنس الظن كما يلوح
به الاظهار في موقع الاضمار ﴿لا يغنى من الحق شيئاً﴾ من الاغناء فإن الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك
إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي إليها ﴿فأعرض عن تولى

عن ذكرنا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما فى حيز صلتته من الاوصاف القيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عن عرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد الا الحياة الدنيا) راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى عيه لا تزيد الدعوة الى خلافتها الا عنادا واصرارا على الباطل (ذلك) أى ما أدام الى ما غم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعترض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للأمر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والايذان بكال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع الى الهدى أصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبداً وبمن يقبل الاعتداء فى الجملة لا غيره فلا تعب نفسك فى دعوتهم فانهم من القليل الأول وفى تعليل الأمر بأعرضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كل منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتى صريحا (ولله ما فى السموات وما فى الارض) أى خلقا وملكالا لغيره أصلا لاستقلاله ولا اشتراكا وقوله تعالى (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه علم الخ وما بينهما اعترض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى بما يقرر عليه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ايجزى (الذين أساءوا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة يساءنا حاله أو بسبب ما عملوا (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسن) أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى والله ما فى السموات وما فى الارض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره الى أن يحزبه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول أمره الى أن يحزبه بالحسن وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابرز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبية على تباين الجزاءين (الذين يحتنبون كبائر الاثم) بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلتته للدلالة على تجديد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما خش من الكبائر خصوصا (الا للهم) أى الاما قل وصغر فانه مغفور بمن يحتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (ان ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتنب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللهم وتنبية على أن اخراجه عن حكم المؤاخذه به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حيثئذ لئلا يياس صاحب الكبيرة من رحمة تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى (هو أعلم بكم) أى بأحوالكم يعلمها (اذ أنشأكم) فى ضمن انشاء أيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا حسب ما مر تقريره مرارا (واذ أنتم أجنة) أى ووقت كونكم أجنة (فى بطون

أهياتكم على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جملتها اللهم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخظة باللهم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع عمله بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر كذلك فلا تذنبوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاة العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بأن فيهم من يتقيا بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ماعمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وتوفيقه وتأيدته ولم يقصده التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة وذكرها شكر ﴿أفرايت الذي تولى﴾ أي عن اتباع الحق والثبات عليه ﴿وأعطى قليلا﴾ أي شيئاً قليلاً أو أعطاه قليلاً ﴿وأكدى﴾ أي قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيره بعض المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما أنه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل في أبي جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطي قليلاً وأكدى والاول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى ﴿أعنده علم الغيب فهو يري﴾ الخ أي أعنده علم بالأمور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي﴾ أي وفروا ثم ما تبلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره بالصبر على نار نمرود حتى أنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقي في النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشي كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه والآنوى الصوم وتقدير موسى لما أن صحفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر ﴿أن لا تزوروا أزرة وزر أخرى﴾ أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هي المخففة من الثقلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما في صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في صحفهما فقل هو أن لا تزور الخ والمعنى أنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى ﴿وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾ بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للموات وصدقهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة للانسان مع أنها ليست من عمله قطعاً فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع مبدونه جعل النافع نفس عمله وإن كان بانضمام عمل غيره اليه وأن مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى ﴿وأن سعيه سوف يري﴾ أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه من أريته الشيء ﴿ثم يجزاه﴾ أي يجزي الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بجذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى

(الجزء الأول) أو يبدل هو عنه كما في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن إلى ربك المنتهى) أى انتهـ
 الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً وقرئ بكسر الهمزة على الابتداء (وأنه هو أضحك وأبكى)
 أى هو خلق قوتي الضحك والبكاء (وأنه هو أمات وأحيى) لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القاتل نقض
 البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى
 من نطفة إذا تمنى) تدفق في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر (وأن عليه النشأة الأخرى) أى
 الأحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشأة بالمد وهو أيضاً مصدر نشأ (وأنه هو أغنى وأفقى) وأعطى القنية وهى
 ما يتأكل من الأموال وأفرد بها بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضالة قنية (وأنه هو رب الشعري)
 أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدونها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من
 أشرفهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبهه عليه الصلاة والسلام به لخالفته إياهم فى
 دينهم (وأنه أهلك عاد الأولى) هى قوم هود عليه السلام وعاد الأخرى أرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم
 هلاكاً بعد قوم نوح وقرئ عاد الأولى بحذف الهمزة ونقل ضمها إلى اللام وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح
 همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف (وثمود) عطف على عاد لأن ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثموداً بالتنوين
 (فما أبقي) أى أحداً من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضاً (من قبل) أى من قبل إهلاك عاد وثمود
 (أنهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا
 منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة (والمؤتفكة)
 هى قرى قوم لوط اتفكت بأهلها أى انقلبت بهم (أهوى) أى أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل
 عليه السلام إلى السماء (فغشاها ما غشى) من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفطيع مالا غاية وراءه (فبأى آلاء
 ربك تتبارى) تشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك
 أولكل أحد واسناد فعل التبارى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة
 لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً لكنها قد تجرد عن المعنى
 الثانى فيراد بها المعنى الأول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضاً فيمكننى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه
 كما فيما نحن فيه فإن المراءى متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الأمور المعدادة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضاً نعم
 من حيث أنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين (هذا نذير من النذر الأولى) هذا
 أما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأما ما كان فالتنوين للتفخيم
 ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى أشاهدونه نذير من قبيل الانذارات
 المتقدمة التى سمعتم عاقبتها وهذا الرسول من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل
 وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى (أزفت الآزفة) اشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة
 أى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس
 قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أوليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله تعالى فانه
 المؤخر لها أوليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تعالى كقوله تعالى لا يحليها لوقتها إلا هو أوليس لها من غير الله تعالى كشف
 على أن كاشفة مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) انكاراً (وتضحكون) استهزاء

مع كونه أبعد شيء من ذلك ﴿ولا تبكون﴾ حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة ﴿وأنتم سامدون﴾ أي لاهون أو مستكبرون من سمد البعير إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجود والخشوع كما في قول من قال

رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للنفي والانكار وورد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الأول قيد للنفي والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والأول أو في بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ لترتيب الأمر أو موجه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء وجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع أي وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ووجده به بمكة شرفها الله تعالى

سورة القمر

(مكية وآياتها خمس وخمسون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما انفلق فلقين فلقة ذهب وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان ابن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى ﴿وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ فانه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرى وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أي وان يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليل وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي لرده وقرى وان يروا على البناء للمفعول من الراءة ﴿وكذبوا﴾ أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى ﴿وكل أمر مستقر﴾ استئناف مسوق لا قناتهم عما علقوا به أمانتهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبا قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور مستقر أي منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جعلتها أمر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيقته وعلو شأنه واهتمام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة وقرى بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان

استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر ﴿ولقد جاءهم﴾ أى فى القرآن وقوله تعالى ﴿من الانباء﴾ أى أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أى وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ﴿ما فيه مزدجر﴾ أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن فى تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها ﴿حكمة بالغة﴾ غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها ﴿فما تغنى النذر﴾ نفي للاغناء أو انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على محيى الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد محيى الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة أى فأى اغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الانذار ﴿فتول عنهم﴾ لعلمك بأن الانذار لا يؤثر فيهم البتة ﴿يوم يدع الداع﴾ منصوب يخرجون أو باذكر والداعى اسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعا فيه كالأمر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا ﴿الى شئ نكر﴾ أى منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر ﴿خشعا أبصارهم﴾ حال من فاعل ﴿يخرجون﴾ والتقديم لأن العامل متصرف أى يخرجون ﴿من الاجداث﴾ أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الأصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال ﴿كانهم جراد منتشر﴾ فى الكثرة والتبجج والتفرق فى الاقطار ﴿مطمعين الى الداع﴾ مسرعين ماضى أعناقهم اليه أو ناظرين اليه ﴿يقول الكافرون﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون ﴿هذا يوم عسر﴾ أى صعب شديد وفى اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ شروع فى تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى ﴿فكذبوا عبدنا﴾ تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مز يد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبيه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفى ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه ﴿وقالوا مجنون﴾ أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون ﴿وازدجر﴾ عطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه أى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخطته ﴿فدعاه به أنى﴾ أى بأنى وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿مغلوب﴾ أى من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم ﴿فاتنصر﴾ أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرير يأسه منهم بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ﴿فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرئ فتفتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب ﴿ونجونا الأرض عيونا﴾ أى جملنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله ونجنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام ﴿فالتقى الماء﴾ أى ماء السماء وماء الأرض والافراد لتحقيق أن التقاء

الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماءوان بقلب الهمزة واوا ﴿على أمر قد قدر﴾ أى كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿وحملناه﴾ أى نوحا عليه السلام ﴿على ذات ألواح﴾ أى أخشاب عريضة ﴿ودسر﴾ وهما مير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدى مؤداها ﴿تجرى بأعيننا﴾ بمراى منا أى محفوظة بحفظنا ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفر وهما فان كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل الى الضمير واستتاره فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر أى للكافرين ﴿وتقدر كناها﴾ أى السفينة أو الفعلة ﴿آية﴾ يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرًا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الأمة ﴿فهل من مدكر﴾ أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ﴿ولقد يسرنا القرآن﴾ الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى والله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد ﴿لذكر﴾ أى للتذكر والاعتاظ ﴿فهل من مدكر﴾ انكار ونفى للتعطى على أبلغ وجه وآ كده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يحجب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام ﴿كذبت عاد﴾ أى هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له رومًا للاختصار ومسارة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصفاء الى ما يلحق اليهم قبل ذكره لالتهيول وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابى وانذارى لهم وقوله تعالى ﴿انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ استئناف ببيان ما أجمل أو لا أى أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت ﴿فى يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ أى شؤمه أو مستمر عليهم الى أن أهلكتهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعهم الريح وصرعهم موتى ﴿كانهم أعجاز نخل منقعر﴾ أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ تهويل لها وتعجيب من أمرها بعد بيانها فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحقق بهم فى الآخرة يردده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ الكلام فيه كالذى مر فيما سبق ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح أو بالرسول عليهم السلام فان تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع ﴿فقالوا أبشرا منا﴾ أى كائنا من جنسنا واتصابه بفعل يفسره ما بعده ﴿واحدا﴾ أى منفردا لا تبع له أو واحدا من آحادهم لا من أشرافهم

وهو صفة أخرى لبشرنا وتأخيرها عن الصفة المؤولة للتنبية على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه التكتة وقرئ: أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى ﴿تتبعه﴾ خبره والاول أوجه للاستفهام ﴿انا اذا﴾ أى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة حجة ﴿لنى ضلال﴾ عن الصواب ﴿وسعر﴾ أى جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعيير فلكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول ﴿ألقى الذكر﴾ أى الكتاب والوحى ﴿عليه من بيننا﴾ وفيما من هو أحق منه بذلك ﴿بل هو كذاب أشر﴾ أى ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى ﴿سيعلمون غدا من الكذاب الاشر﴾ حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداله ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذى حمله أشره وطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرئ: ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرئ: الاشر كقولهم حذر فى حذر وقرئ: الاشر أى الابغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة وبأباه قوله تعالى ﴿انا مرسلو الناقة﴾ الخ فإنه استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود حتما أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا ﴿فتنة لهم﴾ أى امتحانا ﴿فارتقبهم﴾ أى فانتظروهم وتبصر ما يصنعون ﴿واضطرب﴾ على أذيتهم ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء ﴿كل شرب محتضر﴾ يحضره صاحبه فى نوبته ﴿فنادوا صاحبهم﴾ هو قدارين سالف أحيمر ثمود ﴿فتعاطى فعقر﴾ فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالنسافة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد ﴿انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ هى صيحة جبريل عليه السلام ﴿فكانوا﴾ أى فصاروا ﴿كهشيم المحتظر﴾ أى كالشجر اليابس الذى يتخذ من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالخشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لما شابهته فى الشتاء وقرئ: بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ أى ريحاً تحصبهم أى ترميهم بالحصباء ﴿الا آل لوط نجيناهم بسحر﴾ فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه أى ملتبسين بسحر ﴿نعمة من عندنا﴾ أى انعاما منا وهو علة لنجينا ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿نجزى من شكر﴾ نعمتنا بالايمان والطاعة ﴿ولقد أنذرهم﴾ لوط عليه السلام ﴿بطشتنا﴾ أى أخذتنا الشديدة بالعذاب ﴿قتاروا﴾ فكذبوا ﴿بالنذر﴾ متشاكين ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ قصدوا الفجور بهم ﴿فطمسنا أعينهم﴾ فمسحناها وسويناها كسائر الوجوه روى أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ أى فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة أوظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه من العذاب ﴿ولقد صبحهم بكرة﴾ وقرئ: بكرة غير مصروقة على أن المراد بها أول نهار مخصوص ﴿عذاب مستقر﴾ لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفى وصفه بالاستقرار إيما الى أن ما قبله من عذاب الطمس ينتهى اليه ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾ حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ مرافيه من الكلام ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ صدرت قصتهم بالتوكيد القسمى لا براز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ملاقوه من العذاب وقوة ايجابها للتعاطى والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم

بان نفسه أولى بذلك أى وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئ النذر كأنه قيل فإذا فعلوا حيثئذ فليل كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع ﴿فأخذناهم أخذ عزيز﴾ لا يغالب ﴿مقتدر﴾ لا يعجزه شئ ﴿أكفاركم﴾ يامعشر العرب ﴿خير﴾ قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة ﴿من أولئكم﴾ الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خير يتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى ﴿أم لكم برائة في الزبر﴾ اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم برائة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أتم عليه وقوله تعالى ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر﴾ اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل يقولون واثقين بشئ كنهم نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لانضمام أو منتصر من الاعداء لانغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجمع وقوله تعالى ﴿سيهزم الجمع﴾ ردوا بطلان لذلك والسين للتأكيد أى يهزم جمعهم البته ﴿ويولون الدبر﴾ أى الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس أو ارادة أن كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع أى الله عز وعلا ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم أصل عذابهم وهذا من طلائعه ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والذهابية الامر الفظيع الذى لا يهتدى الى الخلاص عنه واطهار الساعة فى موقع اضارها لتربية تهويلها ﴿ان المجرمين﴾ من الاولين والآخرين ﴿فى ضلال وسعر﴾ أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى ﴿يوم يسحبون﴾ الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى فى ضلال أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يحرون ﴿فى النار على وجوههم﴾ واما بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون ﴿انا كل شئ﴾ من الأشياء ﴿خلقناه بقدر﴾ أى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين أو مقدرها مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره ﴿وما أمرنا الا واحدة﴾ أى كلمة واحدة سر بعة التكوين وهو قوله تعالى كن أو الافعلة واحدة هو اليجاد بلا معالجة ﴿كلمح بالبصر﴾ فى اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر ﴿ولقد أهلكنا أشياءكم﴾ أى أشباهكم فى الكفر من الامم وقيل أتباعكم ﴿فهل من مدكر﴾ يتعظ بذلك ﴿وكل شئ فعلوه﴾ من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل ﴿فى الزبر﴾ أى فى ديوان الحفظلة ﴿وكل صغير وكبير﴾ من الأعمال ﴿مستطر﴾ مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال ف قيل ﴿ان المتقين﴾ أى من الكفر والمعاصي ﴿فى جنات﴾ عظيمة الشأن ﴿ونهر﴾ أى أنهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد وأسد ﴿فى مقعد صدق﴾ فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق ﴿عندما ليك مقتدر﴾

أى مقربين عند ملك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلاشى* الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غيب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن

(مكية أو مدنية أو متباعدة وآيات سبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما تعدد فى السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نعم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لجل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد فى هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية والانفسية والآفاقية وأنكر عليهم اترك كل فن منها اخلاهم بماوجب شكرها وبدى بتعليم القرآن ف قيل ﴿الرحمن علم القرآن﴾ لأنه أعظم النعم شأننا وأرفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرئوا ليه أحداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه أعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايدان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل ﴿خلق الانسان عليه البيان﴾ تعيينا للعلم وتبيننا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير وليس اراد تعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غير ما أيضا اذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن والجلل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أى يجريان بحساب مقدرفى بر وجههما ومنازلهما بحيث ينظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب ﴿والنجم﴾ أى النبات الذى ينجم أى يطلع من الارض ولا ساق له ﴿والشجر﴾ أى الذى له ساق ﴿يسجدان﴾ أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجدين من المكلفين طوعاً واجملتان خبر ان آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلاً على كمال قوة الارتباط المعنوى اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلاماً من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل ﴿والسما رفعها﴾ أى خلقها مرفوعة محلاً ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه وانه نزل وأمره محل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ووضع الميزان﴾ أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما يستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين ابن الفضل كما فى قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعاً مخفوضاً على الارض حيث علق به أحكام عبادته وقضاياه وما تعبدتم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم ﴿أن لا تطغوا فى الميزان﴾ أى لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولا نافية ولا معلقة بقرينه تعالى ووضع الميزان أى لا تطغوا على أنها

مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية أي لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ ولا تخسروا الميزان ﴾ أي لا تنقصوه أمر أو لا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيذا للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسر ها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وفتح السين أيضا على أن الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿ والارض وضعها ﴾ أي خفضها مدحوة على الماء ﴿ للانام ﴾ أي الخلق قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى ﴿ فيها فاكهة ﴾ الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفاده الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حيث أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿ والنخل ذات الاكام ﴾ هي أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكوم من ثمره وجماره وجذوعه ﴿ والحب ﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ﴿ ذو العصف ﴾ هو ورق الزرع وقيل التبن ﴿ والريحان ﴾ قيل هو الرزق أريد به اللب أي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان أي خالق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فيعلان قلبت واو ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الملكية والترية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالاً أو اشتراكاً صريحاً أو دلالة فان اشراكهم لأهتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي فاذا كان الامر كما فصل فبأي فرد من أفراد آلاء مالككما ومريكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾ تمهيد للتوبيخ على اخلاهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حماً مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين ﴿ وخلق الجن ﴾ أي الجن أو أبا الجن ﴿ من مارج ﴾ من لهب صاف ﴿ من نار ﴾ بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ مما أفاض عليكم في تضاعيف خلقكما من سوايغ النعم ﴿ رب المشرقين ورب المغربين ﴾ بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهوائ واختلاف

الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ أى أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب ﴿يلتقيان﴾ أى يتجاوران ويتماس سطوحهما لافضل بينهما فى مرأى العين وقيل أرسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه ﴿بينهما رزخ﴾ أى حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض ﴿لا يبغيان﴾ أى لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وليس منهما شئ يقبل التكذيب ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حيثئذ الى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملقى الملح والعذب أو لانهما لما التقيا وصارا كاشئ الواحد ساغ أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأظهر وقرئ يخرج مبنيا للفعل من الإخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار﴾ أى السفن جمع جارية وقرئ برفع الرأ وبحذف الياء كقول من قال لها ثانيا أربع حسان وأربع فكلها ثمان

﴿المنشآت﴾ المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرئ بكسر الشين أى الرفاعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بحرهن ﴿فى البحر كالأعلام﴾ كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ من خاق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه ﴿كل من عليها﴾ أى على الأرض من الحيوانات أو المركبات وهن للنغليب أو من الثقيلين ﴿فان﴾ هالك لا محالة ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أى ذاته عز وجل ﴿ذوالجلال والاکرام﴾ أى ذوالاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاکرام للمخلصين من عباده وهذه من عظام صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم أظنوا يا ذا الجلال والاکرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاکرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذى الجلال والاکرام على أنه صفة ربك وأياما كان فى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايدان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا أنار لطفه وكرمه حسبا ينبي عنه قوله تعالى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان احياءهم بالحياة الابدية واثبتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء ﴿يسأله من فى السموات والأرض﴾ قاطبة ما يحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر أحوالهم سؤال مستمرا بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرّة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم فى كل آن مستمررون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام ﴿كل يوم﴾ أى كل وقت من الأوقات ﴿هو فى شأن﴾ من الشؤون التى من جملتها اعطاء ما سألوها فانه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصا ويفنى آخرين ويأتى بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه ﴿سنفرغ لكم﴾ أى ستجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى حيثئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفرغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أى سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر

على النكاية فيه والانتقام منه وقرى سيفرغ مبنيا للفاعل وللفعول وقرى سيفرغ اليكم أى سنقصد اليكم ﴿أيها الثقلان﴾ هما الانس والجن سيما بذلك لثقلهما على الارض أو لرزاة آرائهما أو لانهما مثقلان بالتكليف ﴿فبأى آلاء ربكما﴾ التى من جعلتها التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة التحذير عما يؤدى الى سوء الحساب ﴿تكذبان﴾ باقوالكما وأعمالكما ﴿يامعشر الجن والانس﴾ هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة غوطبوا بمآينى عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تنفى بما كلفوه ﴿ان استطعتم﴾ ان قدرتم على ﴿أن تنفذوا من أقطار السموات والارض﴾ أى أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن أقطار سمواتى وأرضى ﴿فانفذوا﴾ منها وخلصوا أنفسكم من عقابى ﴿لاتنفذون﴾ لاتقدرون على النفوذ ﴿الابسلطان﴾ أى بقوة وقهر وأتم من ذلك بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلاق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجهها الا وجدوا الملائكة أحاطت به ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة ﴿يرسل عليكم شواظ﴾ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرى شواظ بكسر الشين ﴿من نار﴾ متعلق بيرسل أو بمضمهر هو صفة لشواظ أى كائن من نار والتثوين للتفخيم ﴿ونحاس﴾ أى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرى بكسر النون وقرى بالجر عطفًا على نار وقرى نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسًا وقرى نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرى ونحس أى نقتل بالعذاب ﴿فلا تنتصران﴾ أى لا تمتنعان ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف وأى لطف ونعمة وأى نعمة ﴿فاذا انشقت السماء﴾ أى انصدعت يوم القيامة ﴿فكانت وردة﴾ كوردة حمراء وقرى وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

﴿كالدهان﴾ خبر ثان لكانت أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالخزام والادام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب اذا محذوف أى يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع عظم شأنها ﴿فيومئذ﴾ أى يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر ﴿لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان﴾ لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسى ولا جنى ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزرركم عن الشر المؤدى اليه وأما ما قيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى ﴿يعرف المجرمون بسيماهم﴾ استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلمون من الكآبة والحزن ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه وأخذ به اذا كان المأخوذ شيئًا من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لاتأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله يدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالأقدام ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون﴾

على ارادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة اما استشاف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية
الآخذ بالنواصي والآقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصي والآقدام
لأن الألف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض ﴿يطوفون بينها﴾ أى بين النار والبحر قوت بها
﴿وبين حميم آن﴾ ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار أغشيوا بالحميم
﴿فبأى آلاء ربكنا تكذبان﴾ وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء مرارا ﴿ولمن خاف
مقام ربه﴾ شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية
والدنيوية واعلم أن ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة
واصله اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الوصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل
ما يؤدى الى نيلها من الايمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من النعم
الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية آلاء جليلة واصله اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابة
على ما يؤدى الى استدانتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التى ستقع
فى الآخرة فليست هى من قبيل الآلاء وإنما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر
والمعاصى كما أشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس
لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واصله
الى الرب للتفخيم والنهويل أو هو مقحم للتعظيم ﴿جنتان﴾ جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى فان الخطاب
للفريقين فالمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك
المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسدية وكذا ما جاء مثني بعد ﴿فبأى آلاء ربكنا
تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿ذواتا أفنان﴾ صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل
من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن أى ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع
فن أى ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التى تورق وتثمر وتمد الظل ﴿فبأى آلاء ربكنا
تكذبان﴾ وليس فيها شئ يقبل التكذيب ﴿فيهما عينان تجريان﴾ صفة أخرى لجنتان أى فى كل واحدة منهما
عين تجري كيف يشاء صاحبها فى الأعلى والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان
بالماء الزلال احدهما التسليم والاخرى السلسيل وقيل احدهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين
قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل ﴿فبأى آلاء ربكنا
تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أى صنفان معروف وغريب أو رطب ويابس صفة
أخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا ﴿فبأى آلاء ربكنا تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿متكئين﴾
حال من الخائفين لأن من خاف فى معنى الجمع أو نصب على المدح ﴿على فرش بطائنها من استبرق﴾ من ديباج ثخين
وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظاهرها وقيل ظاهرها من سندس وقيل من نور ﴿وجنى الجنتين دان﴾ أى
ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة
حتى يجتنىها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم ﴿فبأى آلاء ربكنا تكذبان﴾
وقوله تعالى ﴿فيهن﴾ أى فى الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين

أول كل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الأماكن والقصور وقيل في هذا الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش ﴿قاصرات الطرف﴾ نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان﴾ أي لم يمس الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرئ يطمئن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصيصها بالاضافة ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ أما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أي مشبهات بالياقوت والمرجان أي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجه البيضاء ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿هل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾ استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله أي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿ومن دونهما جنتان﴾ مبتدأ وخبر أي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقرين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿مدهامتان﴾ صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة تحقيق بالانكار والتوبيخ أي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطه على وجه الأرض وعلى الاولين الاشجار والفواكه ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ فيهما عينان نضاختان أي فوارتان بالماء والنضج أكثر من النضج بالحاء المهملة وهو الرش ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخير ان على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة يئانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطباً لم يحنث ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿فيهن خيرات﴾ صفة أخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جميع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لأن خير الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل ﴿حسان﴾ أي حسان الخلق والخلق ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿حور﴾ بدل من خيرات ﴿مقصورات في الخيام﴾ قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أي مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿لم يطمئن أنس قبلهم ولا جان﴾ كالذى مر في نظيره من جميع الوجوه ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان متكئين﴾ نصب على الاختصاص ﴿على رفرف خضر﴾ الرفرف اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ماتدلى من الاسرة من أعلى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل المنارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لأطراف البسط ونضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه ﴿وعبقري حسان﴾ العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على أحد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضميتين وعبقري كدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد ﴿فبأي آلاء ربك تكذبان﴾ وقوله تعالى ﴿تبارك اسم ربك﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام أي تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضته والآلاء المفصلة

وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملازمة دلالة عليه فساظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ﴿ذى الجلال والاكرام﴾ وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على أنه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة

(مكية وهي سبع وتسعون آية)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إذا وقعت الواقعة﴾ أى إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايدان بتحقيق وقوعها لاحالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة واتصاب اذا بمضمر يبنى عن الهول والفضاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يبنى به المقال وقيل بالنبي المفهوم من قوله تعالى ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب في نفسها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى باليتنى قدمت لحياقي وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب أصلا بل كل ما ورد في شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى ﴿خافضة رافعة﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هي خافضة لا قوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدرجات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى ﴿اذا رجت الارض رجاً﴾ أى زلزلت زلزلا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرفع ما هو منخفض أو بدل من اذا وقعت ﴿وبست الجبال بسا﴾ أى فتنت حتى صارت مثل السوق الملتوت من بس السوق اذالته أو سيقنت وسيرت من أماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجوت وبست أى ارتجت وذهبت ﴿فكانت﴾ أى فصارت بسبب ذلك ﴿هباء﴾ غبارا ﴿منبثا﴾ منتشرا ﴿وكنتم﴾ اما خطاب للامة الحاضرة والامة السالفة تغليبا وللحاضرة فقط ﴿أزواجا﴾ أى أصنافا ﴿ثلاثة﴾ فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج وقوله تعالى ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الإشارة الاجمالية الى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما هم أى أى شئ هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعرت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التخييم وكذا الكلام في قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفضاعة كانه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقبل أصحاب الميمنة أصحاب

المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذنا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمال وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب اليمين وأصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعانهم والاشقياء مشائم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى ﴿والسابقون السابقون﴾ هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم سبق الاقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن يرادهم بعنوان السابق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب سبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضا فقليل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكلمات وقيل هم الذين صلوا الى القبليتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وأياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم أنا أبو النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضائلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته أو السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى ﴿أولئك﴾ اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل ﴿المقربون﴾ أى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ما ذكر في اعراب هذه الجملة وأشهره والذي تقتضيه جملة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة يبان أنفس الاقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فأصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخرج بيان أحوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبهة عن ترمى أحوالها في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بأن لحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيويوه في أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فان مناط الافادة يبان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيد كونه ما خيرا لا يبان أن أمر ابديعا أصحاب الميمنة كما يفيد كونهما مبتدأ وكذا الحال في ما أصحاب المشأمة وأما القسم الاخير فحيث قرن ببيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الامتدح ففعله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الاول وما بعده خبر له أو للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى ﴿في جنات النعيم﴾ متعلق بالمقربون أو بمضمرة هو حال من ضميره أى كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه أن الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرى في جنة النعيم وقوله تعالى ﴿ثلة من الاولين﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هم أمة جمعة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام ﴿وقليل من الآخرين﴾ أى من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام ان امتي يكثر ونسائر الامم فان أكثرية سابق الامم السالفة من سابق هذه الامة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك ولا يردده قوله تعالى في أصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في أنفسهما لا تنافي أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلثين من هذه الامة وقدر وى مرفوعا أن الاولين والآخرين ههنا أيضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر ﴿على سرر

موضونة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلصون) أى مبقون أبداً على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والمخلص القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) بآنية لا عرى لها ولا خراطيم (وأباريق) أى آنية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل إنما أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صدا عنهم عنها وقرئ لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضاً (ولا ينزون) أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) أى يتمنون وقرئ ولحوم طير (وحور عين) بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور وقرئ بالجر عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلصون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حورا (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لجور أو حال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم أو مصدر مؤكد أى يحزون جزاء (لا يسمعون فيها لغواً) أى باطلاً (ولا نائثياً) أى ولا نسبة إلى الاثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينحجر (الاقبال) أى قولاً (سلاماً سلاماً) بدل من قبال كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً أو وصفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه إلا سلام الآخر بدءاً أو رداً وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى (وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شئونهم الفاضلة اثر تفصيل شئون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجب من حالهم وقد عرفت كيفية سببها محلها أما الرفع على أنها خبر للمبتدأ أو معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى (فى سدر مخضود) وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكة أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حملة من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب (وطلع منضود) قد نضد حملة من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطالع وقرأ قوله تعالى لها طالع نضيد فقيل أو نحوها قال آى القرآن لا تنهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل ممدود) ممد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم أينما شاءوا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجرى على الأرض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لأهل البوادي أيذا بالافتاوت بين الحالين (وفاكهة

كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لامقطوعة) في وقت من الاوقات كفوا كذا الدنيا (ولا تمنوعة) عن تناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساين الدنيا وقرى فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين (وفرش مرفوعة) أى رفيعه القدر أو منصدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفرش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وأزواجهن في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى التفسير الاول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا أو أبدعناهن من غير ولاد ابداء أو اعادة وفي الحديث من اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شيطا رمصاجعلن الله تعالى بعد الكبير أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وذلك قوله تعالى (جعلناهن أبكاراً) وقوله تعالى (عرباً) جمع عروب وهي المتحبة الى زوجها الحسنة التبعل وقرى عربا بسكون الراء (أتراباً) مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام في قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأنشأنا أو جعلنا أو بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكارا أى كائنات لأصحاب اليمين أو خبر مبتدا محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الاولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين أى من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من أمتي (وأصحاب الشمال) شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التنويع الى هولها وفضاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين مافصل في نظيره وكذا في قوله تعالى (في سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلًا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل وقرى لابارد ولا كريم بالرفع أى لاهو بارد ولا كريم وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لا ابتلائهم بما ذكر من العذاب أى انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمن بأنواع النعم من المساكين والمشارب والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذه بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أننا متنا وكنا ترابا وعظاما) أى كان بعض أجزاءنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعر اقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى (أننا لمبعوثون) لانفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضاءها الصدارة كما في مثل قوله أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه

من الدلالة على غلومهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى ﴿أَوَابَاؤُنَا الْأُولُونَ﴾ لتأكيد التكثير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرئ أو آبأؤنا ﴿قل﴾ ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ﴿ان الأولين والآخرين﴾ من الأمم الذين من جملتهم أتم وآبأؤكم وفي تقديم الأولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي ﴿لمجموعون﴾ بعد البعث وقرئ لمجمعون ﴿الى ميقات يوم معلوم﴾ الى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كحاتم فضة ﴿ثم انكم أيها الضالون﴾ عطف على ان الأولين داخل تحت القول وشم للتراخي زمانا أورثه ﴿المكذبون﴾ أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم ﴿لا كلون﴾ بعد البعث والجمع ودخول جهنم ﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمهر هو وصف لشجر أى كائن من زقوم ﴿فمائلون منها البطون﴾ أى بطونكم من شدة الجوع ﴿فشاربون عليه﴾ عقيب ذلك بلا ريث ﴿من الحميم﴾ أى الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر أو لا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شربا معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لا يتأسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعله ما فعل بجمع أيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب ﴿هذا﴾ الذى ذكر من أنواع العذاب ﴿نزلهم يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأننت بهم الدار فى النار وفيه من التهم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيك والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبي عن خلافه ليس من التصديق فى شئ وقيل بالبعث استدلالاً عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً ﴿أفأنتم ماتمنون﴾ أى تقدفون فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمنها ﴿أأنتم تخلقونه﴾ أى تقدرونه وتصورونه بشراً سواً ﴿أم نحن الخالقون﴾ له من غير دخل شئ فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجى الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففاً ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أى انا قادرون ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ من الخلق والاطوار ولا تعبدون بمثلها قال الحسن رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتك وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى

بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب ﴿فلولا تذكرون﴾ فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتما فإنه أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ ﴿فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجا كل العجب للكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور﴾ ﴿أفأيتم ما تحرثون﴾ أي تبنون حبه وتعملون في أرضه ﴿أنتم تزرعونه﴾ تنبتونه وتردونه نباتا يعرف ﴿أم نحن الزارعون﴾ أي المبتون لأنتم والكلام في أم كما مر آنفا ﴿لونشاء لجعلناه حطاما﴾ هشيما متكسرا متفتتا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله ﴿فظلمت﴾ بسبب ذلك ﴿تفكحون﴾ تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترعتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكة التثقل بصنوف الفاكة وقد استعير للتثقل بالحديث وقرئ ﴿تفكنون أي تندمون وقرئ﴾ فظلمت بالكسر وفظلمت على الأصل ﴿انالمغرمون﴾ أي الملزومون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ﴿أنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكحون أي قائلين أو تقولون انالمغرمون﴾ ﴿بل نحن محرومون﴾ حرمانا رزقا أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بحث لا محدودون ﴿أفأيتم الماء الذي تشربون﴾ عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به ﴿أنتم أنزلقوه من المزن﴾ أي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب ﴿أم نحن المنزلون﴾ له بقدرتنا ﴿لونشاء جعلناه أجاجا﴾ ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها في الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى ﴿فلولا تشكرون﴾ تحضيض على شكر الكل ﴿أفأيتم النار التي تورون﴾ أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد ﴿أنتم أنشأتم شجرتها﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ﴿أم نحن المنشئون﴾ لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما أن التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف مبين لمنافها أي جعلناها تذكرة لنار جهنم حيث علقناها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في أمر البعث فإنه ليس بأبدع من اخراج النار من الشيء الرطب ﴿ومتاعا﴾ ومنفعة ﴿للقوين﴾ للذين ينزلون القواء وهي الفقر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فان المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزادهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهتمهم ويسد خللهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبية على أن الأهم هو النفع الاخر وى والفاء في قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمته الموجبة لتسبيحه تعالى امانته بهالة تعالى عما يقول الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمتها وكثرتها أو تعجبا من أمرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكريا على تلك النعم السابقة أي فأحدث التسبيح

بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو الرب ﴿فلا أقسم﴾ أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلا أنا أقسم لحذف المبتدأ وأشيع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلا أقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم اذا الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به ﴿بمواقع النجوم﴾ أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن ذلك وقت قيام المهتجرين والمستهلين اليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلتها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى ﴿وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ اعتراض فى اعتراض قصده المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعتراض بقوله وانه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى ﴿انه لقرآن كريم﴾ أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو امامتروك أريد به نفي علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمته وأولعتم بموجبه ﴿فى كتاب مكنون﴾ أى مصون من غير المقرين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح ﴿لا يمسه الا المطهرون﴾ اما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأضرار الاوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أى لا ينبغي أن يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلبه أى لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلبه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرى المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرى تنزيلا ﴿أفبهذا الحديث﴾ الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم ﴿أنتم مدهنون﴾ أى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ﴿وتجعلون رزقكم﴾ أى شكر رزقكم ﴿أنكم تكذبون﴾ أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرى وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تسبونه الى الأنواء والاول هو الاوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم﴾ الخ تبيكت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم كما استقف عليه ولولا للتخصيص لاظهار عجزهم واذا ظرفية أى فهلا اذا بلغت النفس أى الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج ﴿وأتم حينئذ﴾ أى الحاضرون حول صاحبها ﴿تنظرون﴾ الى ما هو فيه من الغمرات ﴿ونحن أقرب اليه﴾ علما وقدرته وتصرفا ﴿منكم﴾ حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شئ منها ونحن المتولون لتفاصيل أحوالهم بعلمنا وقدرتنا وبملائكة الموت ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركون ذلك لجهلكم بشئونا وقوله تعالى ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ أى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التخصيص يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ﴿ترجعونها﴾ أى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى

مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مريين كما ينبغي عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فها ترجعون
النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ﴿ان كنتم صادقين﴾ في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة
عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى ﴿فأما ان كان من المقربين﴾ الخ شروع في بيان
حال المتوفى بعد المات اثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما ان كان الذى بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر
عنهم بأجل أوصافهم ﴿فروح﴾ أى فله استراحة وقرى فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب الحياة المرحوم
وبالحياة الدائمة ﴿وريحان﴾ ورزق ﴿وجنة نعيم﴾ أى ذات نعم ﴿وأما ان كان من أصحاب اليمين﴾ عبر
عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبى عن شأنهم سواء كاذر للفريقين الآخرين وقوله تعالى
﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء
سلام بعضهم على بعض والا لقل عليك والاتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف ﴿وأما ان كان من المكذبين
الضالين﴾ وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبا وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم أيها الضالون
المكذبون ذمأ لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب ﴿فزل﴾ أى فله نزل كائن ﴿من حميم﴾ يشرب
بعد أكل الزقوم كافضل فيما قبل ﴿وتصلية جحيم﴾ أى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل
ذلك ما يجد في القبر من سمر النار ودخانها ﴿ان هذا﴾ أى الذى ذكر فى السورة الكريمة ﴿لهو حق اليقين﴾ أى حق
الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ لترتيب التسييح أو الأمر
به على ما قبلها فان حقية ما فضل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور
التي من جعلتها الاشرار به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة
لم تصبه فاقة أبدا

سورة الحديد

(مكية وقيل مدنية وآياتها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما فى السموات والأرض﴾ التسييح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولا وعملاً لا يليق بجنابه سبحانه من سبج
فى الأرض والماء اذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا الى غير العقلاء أيضا فان ما فى السموات والأرض يعم جميع
ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما أو جزاً منهما كما مر فى آية الكرسي أريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال
كتسييح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسييح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه
على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده
وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسييح
لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومحبيته فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا للايدان بتحقيقه فى جميع الأوقات
وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسييح الاختيارى أن يسبحه تعالى فى جميع أوقاته كما عليه الملائكة الأعلى حيث يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ﴿وهو العزيز﴾ القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شئ ﴿الحكيم﴾ الذى لا يفعل
الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعترض تذييل مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعللة الحكم وكذا قوله تعالى ﴿له ملك

السموات والأرض) أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث اليجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى ﴿يحي ويميت﴾ استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضميره ليس كما ينبغي ﴿وهو على كل شئ﴾ من الأشياء التى من جملتها ما ذكر من الأحياء والاماتة ﴿قدير﴾ مبالغ فى القدرة ﴿هو الأول﴾ السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها ﴿والآخر﴾ الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيا فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية ﴿والظاهر﴾ وجوداً لكثرة دلائله الواضحة ﴿والباطن﴾ حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الأوقات والظهور والخفاء ﴿وهو بكل شئ عليم﴾ لا يعزب عن علمه شئ من الظاهر والخفى ﴿هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا ﴿يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ مربيانه فى سورة سبأ ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى ﴿والله بما تعملون بصير﴾ عبارة عن احاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض﴾ تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ أى اليه وحده لا الى غيره استقلالاً أو اشتراكا ترجع جميع الأمور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعا ﴿يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل﴾ مر تفسيره مرارا وقوله تعالى ﴿وهو عليم﴾ أى مبالغ فى العلم ﴿بذات الصدور﴾ أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضررونه من نياتهم بعد بيان احاطته بأعمالهم التى يظهرونها ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ أى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم أنها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق أو جعلكم خلفاء بمن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا﴾ حسبما أمروا به ﴿لهم﴾ بسبب ذلك ﴿أجر كبير﴾ وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد ونغم الاجر بالتكثير ووصف بالكبير وقوله عز وجل ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله﴾ استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بانكار أن يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار أى شئ حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى ومالى لأعبد الذى فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى أتضرب أبك وأخرى لانكار الوقوع كما فى أتضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب أيضا كما فى قوله تعالى ومالى لأعبد الى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعاً فان عدم العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضا وقوله تعالى ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم

ما يوجبهُ أى وأى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه ويذبحكم عليه وقوله تعالى ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وقرئ وقد أخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه ﴿هو الذى ينزل على عبده﴾ حسبما يعين لكم من المصالح ﴿آيات بينات﴾ واضحات ﴿ليخرجكم﴾ أى الله تعالى أو العبد بها ﴿من الظلمات الى النور﴾ من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿وان الله بكم لرؤف رحيم﴾ حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى ﴿وما لكم أن لا تتفقوا فى سبيل الله﴾ توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم فى ذلك أيضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شئ لكم فى أن لا تتفقوا فيما هو قرينة الى الله تعالى ما هو له فى الحقيقة وانما أتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ﴿ولله ميراث السموات والارض﴾ حال من فاعل لا تتفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكرو مع تحقق ما يوجب الانفاق أشد فى القبح وأدخل فى الانكار فان بقاء جميع ما فى السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كأنه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شئ بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وترية المهابة وقوله تعالى ﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الانفاق بعد بيان أن لهم أجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايدان بأنه من أهم مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يخلو من الانفاق أصلا وقسيم من أنفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة ﴿أولئك﴾ اشارة الى من أنفق والجمع بالنظر الى معنى من كما أن افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحل الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذنوبك النعتين الجميلين ﴿أعظم درجة﴾ وأرفع منزلة ﴿من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾ لأنهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة الى النصره بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال ﴿وكلا﴾ أى وكل واحد من الفريقين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى ﴿والله بما تعملون خبير﴾ بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأول من أنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك وقوله تعالى ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات ﴿فيضاعفه له﴾ بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أى يقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافا ﴿وله أجر كريم﴾ أى وذلك الاجر المضموم

اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضعف أضعافا كثيرة وقرى بالرفع عطف على يقرض أو حملا على تقدير مبتدأ أى فهو يضاعفه وقرى يضاعفه بالرفع والنصب ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذ كر تفخيا لذلك اليوم وقوله تعالى ﴿يسعى نورهم﴾ حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى ﴿بين أيديهم وبأيمنهم﴾ وقيل هو هداهم وبأيمنهم كتبهم أى يسعى إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى أيمنهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إيمانهم رجله ينطفئ تارة ويلع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة ﴿بشراكم اليوم جنات﴾ مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ما تبشرون به جنات أو بشراكم دخول جنات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك﴾ أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المحللة ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذى لا غاية وراءه وقرى ذلك الفوز العظيم ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا اليها فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرى أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتدادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم ﴿نقتبس من نوركم﴾ أى نستضيئ منه وأصله اتخاذا القبس ﴿قيل﴾ طردأهم وتهكأ بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة ﴿ارجعوا ورائكم﴾ أى الى الموقف ﴿فالتمسوا نورا﴾ فانه من ثم يقتبس أو الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مبادئه من الايمان والاعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكشيفة تهكأ بهم ﴿فضرب بينهم﴾ بين الفريقين ﴿بسور﴾ أى حائط والباء زائدة ﴿له باب باطنه﴾ أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة ﴿فيه الرحمة وظاهره﴾ وهو الطرف الذى يلى النار ﴿من قبله﴾ من جهته ﴿العذاب﴾ وقرى فضرب على البناء للفاعل ﴿ينادونهم﴾ استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم ﴿ألم نكن﴾ فى الدنيا ﴿معكم﴾ يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر ﴿قالوا بلى﴾ كنتم معنا بحسب الظاهر ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ محتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وتربصتم﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وارتبتم﴾ فى أمر الدين ﴿وغرتم الأمانى﴾ الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الاسلام ﴿حتى جاء أمر الله﴾ أى الموت ﴿وغركم بالله﴾ الكريم ﴿الغرور﴾ أى غرركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرى الغرور بالضم ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ فداء وقرى تؤخذ بالتاء ﴿ولامن الذين كفروا﴾ أى ظاهرا وباطنا ﴿ماواكم النار﴾ لا تبرحونها أبدا ﴿هى مولاكم﴾ أى أولى بكم وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مثله الكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم أو مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها ﴿وبئس المصير﴾ أى النار ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ استئناف ناع عليهم ثاقلم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لا تدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبتنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب

المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم يحيى وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامثال بأوامره والانتها عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أى الامر اذا جاء اناه أى وقته وقرىء أى يثين بمعنى أى وقرىء أى البيان وفيه دلالة على أن المنفى متوقع ﴿وما نزل من الحق﴾ أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جعلتها ماسبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله تعالى وقرىء نزل من التنزيل مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل وأنزل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ عطف على تخشع وقرىء بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهوراتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله وركت قلوبهم ﴿فطال عليهم الأمد﴾ أى الاجل وقرىء الأمد بتشديد الدال أى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيتهم من الكتابين ﴿فقسست قلوبهم﴾ فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لمسا فى كتابهم بالكلية ﴿اعلموا أن الله يحيى الارض بعد موتها﴾ تمثيل لحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحيا الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ التى من جملتها هذه الآيات ﴿لعلكم تعقلون﴾ كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ﴿ان المصدقين والمصدقات﴾ أى المتصدقين والمصدقات وقد قرىء كذلك وقرىء بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله رسوله ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قيل هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فضلا بين أجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل ان المصدقين على العموم تغلبوا وأخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا السكن لا على أن مدار التخصيص مزبده استحقاقهم لمضاعفة الاجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهم الى التصديق الداعية الى الاعتناء بمحبتهم على التصديق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا معشر النساء تصدقن فأنى أريتن أكن أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصديق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة ﴿يضاعف لهم﴾ على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما فى حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصديق وقرىء على البناء للفاعل أى يضاعف الله تعالى وقرىء يضعف بتشديد العين وفتحها ﴿ولهم أجر كريم﴾ مر ما فيه من الكلام ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله﴾ كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم فى خاتمة سورة البقرة ﴿أولئك﴾ إشارة الى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى ﴿هم﴾ مبتدأ ثالث خبره ﴿الصديقون والشهداء﴾ وهو مع خبره خبر الثانى وهو مع خبره خبر للاول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك ﴿عند ربهم﴾ بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى أو هم المبالغون فى الصدق

حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان أو على الامم يوم القيامة وقوله تعالى ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ بيان ثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للوصول أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للوصول والاخير ان للصدّيقين والشهداء أى لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تذييلها على قوة المماثلة وبلغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصدّيقون والشهداء وليست المماثلة بين مالفريق الأول من الاجر والنور وبين تمام مالفريقين الاخيرين بل بين تمام مالاول من الأصل والأضعاف وبين مالاخيرين من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثاني فرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم وقديق والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ﴿أصحاب الجحيم﴾ بحيث لا يفارقونها أبدا ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد﴾ بعد ما بين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى وأشير الى أنها من محقرات الامور التى لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل ﴿كمثل غيث أعجب الكفار﴾ أى الحراث ﴿نباته﴾ أى النبات الحاصل به ﴿ثم يهيج﴾ أى يحف بعد خضرته ونضارته ﴿فتراه مصفرا﴾ بعد ما رأيت ناضرا موفقا وقرى مصفارا وانما لم يقل فيصفرا ايذا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ﴿ثم يكون حطاما﴾ هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لأنه فى معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا تهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشر الى نخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الآليم وقدم ذكر العذاب فقيل ﴿وفى الآخرة عذاب شديد﴾ لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا ﴿ومغفرة﴾ عظيمة ﴿من الله ورضوان﴾ عظيم لا يقادر قدره ﴿وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور﴾ أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور وان ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعيتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة ﴿سابقوا﴾ أى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضار ﴿الى مغفرة﴾ عظيمة كائنة ﴿من ربكم﴾ أى الى موجباتها من الأعمال الصالحة ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ أى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها ﴿ذلك﴾ الذى وعد من المغفرة والجنة ﴿فضل الله﴾ عطاؤه ﴿يؤتيه﴾ تفضلا واحسانا ﴿من يشاء﴾ ايتاءه اياه من غير ايجاب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لا غاية وراءه ﴿ما أصاب من مصيبة فى الارض﴾ كجذب وعاهة فى الزروع والثمار ﴿ولا فى أنفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الا فى كتاب﴾ أى المكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى أو فى اللوح ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أى نخلق الانفس والمصابب والارض ﴿ان ذلك﴾ أى اثباتها فى كتاب ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائها فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأبوا﴾ أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أى أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر

أنياءه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما أنكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بأن فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدما ويبقيها وقرئ بما أوتيتم والمراد به نفى الآسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطل والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ فان من فرح بالخطوط الدنيوية وعظمت في نفسه اختال واقتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذليل بالنهي عن الفرح المذكور ايدان بأنه أقبح من الآسى ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يرضن به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ﴿ ومن يقول فان الله هو الغنى الجيد ﴾ فان معناه ومن يعرض عن الاتفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الأمر بالاتفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغنى ﴿ لقد أرسلنا رسلنا ﴾ أى الملائكة الى الأنبياء أو الأنبياء الى الأمم وهو الأظهر ﴿ بالبينات ﴾ أى الحجج والمعجزات ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب ﴾ أى جنس الكتاب الشامل لكل ﴿ والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾ أى بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾ قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى ﴿ فيه بأس شديد ﴾ لأن آلات الحروب انما تتخذ منه ﴿ ومنافع للناس ﴾ اذ ما من صناعة الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله ﴾ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى ﴿ بالغيب ﴾ حال من فاعل ينصر أو مفعوله أى غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى ﴿ ان الله قوى عزيز ﴾ اعتراض تذييلي جى به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعرضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته واطهار دينه الى نصرته بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامثال الأمر فيه الى الثواب والافو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل ما يريد ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم ﴾ نوع تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالأمر أى وبالله لقد أرسلناهما ﴿ وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم ﴿ فمنهم ﴾ أى من الذرية أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين ﴿ مهتد ﴾ الى الحق ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ﴾ أى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم ﴾ أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلنا اليهم أو من عاصه هما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية ﴿ وآتيناه الانجيل ﴾ وقرئ بفتح الهمزة فانه أعجمى لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب ﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ﴾ وقرئ رافة على فعالة ﴿ ورحمة ﴾ أى وقفناهم للتراجع والتعاطف بينهم ونحوه فى شأن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام رحما بينهم ﴿ ورهبانية ﴾ منصوب

اما بفعل مضمير يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية ﴿ابتدعوها﴾ واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رافة ورحمة و رهبانية مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم ولا بتداع الرهبانية واستحدثاها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرى بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها أن الجبارة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختروا الرهبانية فى قال الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى ﴿ما كتبناها عليهم﴾ جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفي على الوجه الأول متوجه الى أصل الفعل وقوله تعالى ﴿الا ابتغاء رضوان الله﴾ استثناء منقطع أى ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حيثنذ بقوله تعالى ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لاسيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أى ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لا بتداعها لشيء من الأشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فمارعوا كلهم بل بعضهم ﴿فآتيناهم الذين آمنوا منهم﴾ ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر ﴿أجرهم﴾ أى ما يخص بهم من الأجر ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريةين على من مضى من المرادين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام ﴿بأيها الذين آمنوا﴾ أى بالرسول المتقدمة ﴿اتقوا الله﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وآمنوا برسوله﴾ أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وفى اطلاقه ايدان بأنه علم فرد فى الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره ﴿يؤتكم كفلين﴾ نصيين ﴿من رحمته﴾ لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ ﴿ويجعل لكم نورا تمشون به﴾ يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴿ويغفر لكم﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي ﴿والله غفور رحيم﴾ أى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا و هذا لئلا يعلم الذين لم يسلبوا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبى عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى ﴿أن لا يقدر على شيء من فضل الله﴾ مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نياله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى ﴿وأن الفضل بيد الله﴾ عطف على أن لا يقدر على أن لا يعلموا وقوله تعالى ﴿يؤتية من يشاء﴾ خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجرح حال لازمة وقوله تعالى ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والايمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين أحد من رسله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر

المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ "ليلا بقلب الهمزة ياء" لانفتاحها بعد كسرة وقرئ "بسكون الياء" وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ "أن لا يقدر" وهذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدر ون للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم عليهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطف على أن لا يعلم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة

(مدنية وقيل العشر الأول مكى والباقي مدنى وآياتها ثنتان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله) باظهار الدال وقرئ "بادغامها فى السين" (قول التى تجادلك فى زوجها) أى تراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرئ "تجاوزك وتحاولك أى تسائلك" وتشتكى الى الله عطف على تجادلك أى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله أى تجادلك وهى متضرعة اليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزيمة الخزرجية ظاهراً عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ماذا كرت طلاقاً فقال حرمت عليه وفى رواية ما أراك الا قد حرمت عليه فى المراءى كلها فقالت أشكوا الى الله فاقبى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد اشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كرها كما يلوح به ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ما عندى فى أمرى شئ "وأنها كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحوار وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها فى المسئلة ومبالغتها فى التضرع الى الله تعالى ومدافعتة عليه الصلاة والسلام اياها بجواب منبى عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعى الاجابة وقيل هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل (ان الله سميع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل فى الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) شروع فى بيان شأن الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعاً بطريق الاستئناف والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وقدم تفصيله فى الاحزاب وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم مزيد تويسخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم) خبر

للبوصل أى مانساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرىء أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم (ان أمهاتهم) أى ماهن (الا لاأى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبی علیه الصلاة والسلام فدخلن بذلك فى حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة (وانهم ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على أن مناط التأکید ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أى عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انکم لتقولون قولا عظيما (وزورا) أى محرفاعن الحق (وان الله لعفو غفور) أى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر لماسلف منه على الاطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أى الى ما قالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبدا فان اللام والى تعاقبان كثيرا كما فى قوله تعالى هداانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى الى نوح (فتحرير رقبة) أى فتداركه أو فعله أو فالواجب اعتاق رقبة أى رقبة كانت وعند الشافعى رحمه الله تعالى يشترط الايمان والفاء للسبية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرار الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تعالى ونثره ما يقول أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شئ من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى (ذلكم) اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره (توعظون به) أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجب (والله بما تعملون) من الاعمال التى من جملتها التكفير وما يوجب من جنابة الظهار (خير) أى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشئ منها (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فعله صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ (فمن لم يستطع) أى الصيام لسبب من الاسباب (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام (ذلك) اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومجمله اما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلن بما بعده أى ذلك واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) أى الذين لا يعملون بها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير أن لورود الحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعادة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية وراءه (كتبوا) أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق

قاله معنى كتبوا سيكتون على طريقة قوله تعالى أنى أمر الله وقيل أصل الكبت الكب ﴿ كما كبت الذين من قبلهم ﴾ من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿ وقد أنزلنا آيات بينات ﴾ حال من واو كتبوا أى كتبوا لمخادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله من قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به ﴿ وللكافرين ﴾ أى بتلك الآيات أو بكل ما يجب الايمان به فدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا ﴿ عذاب مهين ﴾ يذهب بعزهم وكبرهم ﴿ يوم يبعثهم الله ﴾ منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له ﴿ جميعا ﴾ أى كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حالة واحدة ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصورها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى ﴿ أحصاه الله ﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض مقتضية متلاشية فقل أحصاه الله عددا لم يفقه منه شئ فقله تعالى ﴿ ونسوه ﴾ حيث نذ حال من مفعول أحصى باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير ﴿ والله على كل شئ شهيد ﴾ لا يغيب عنه أمر من الامور قط والجملة اعتراض تذييل مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ﴾ استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى ألم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه وفى قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واديهيمون أى ألم تعلم علميا يقينيا متاخما للشهادة بأنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة ﴾ الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرىء تكون بالتاء اعتبارا للتأنيث النجوى وان كان غير حقيقى أى ما يقع من تناجى ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة الى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها اما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم مبالغة ﴿ الا هو ﴾ أى الله عز وجل ﴿ رابعهم ﴾ أى جاعلهم أربعة من حيث انه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال ﴿ ولا خمسة ﴾ ولا نجوى خمسة ﴿ الا هو سادسهم ﴾ وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين واما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقل ﴿ ولا أدنى من ذلك ﴾ أى مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿ ولا أكثر ﴾ كالسنة وما فوقها ﴿ الا هو معهم ﴾ يعلم ما يجرى بينهم وقرىء ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لالتنى الجنس ﴿ أينما كانوا ﴾ من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ﴿ ثم ينبئهم ﴾ وقرىء ينبئهم بالتخفيف ﴿ بما عملوا يوم القيامة ﴾ تفصيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء ﴿ ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرار عودهم وتجده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ﴿ ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ عطف عليه داخل فى حكمه أى بما هو اثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين

المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرىء ويتنجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول ﴿واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ فيقولون السام عليك أو انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ أي فيما بينهم ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ أي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبياً ﴿حسبهم جهنم﴾ عذاباً ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المصير﴾ أي جهنم ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتهم﴾ في أنديةكم وفي خلواتكم ﴿فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول﴾ كما يفعله المنافقون وقرىء فلا تتنجوا وفلا تناجوا بحذف إحدى التائين ﴿وتناجوا بالبر والتقوى﴾ أي بما يتضمن خير المؤمنين والانتفاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿واتقوا الله الذي اليه تحشرون﴾ وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون ﴿انما النجوى﴾ المعهودة التي هي التناجى بالاثم والعدوان ﴿من الشيطان﴾ لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾ خبر آخر أي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم ﴿وليس بضارهم﴾ أي الشيطان أو التناجى بضار المؤمنين ﴿شيئاً﴾ من الأشياء أو شيئاً من الضرر ﴿الا باذن الله﴾ أي بمشيئته ﴿وعلى الله فليستول المؤمنين﴾ ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى يعصمهم من شره وضره ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا﴾ أي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني أي تنح وقرىء تفسحوا وقوله تعالى ﴿في المجالس﴾ متعلق بقيل وقرىء في المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافساً في القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصاً على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرىء في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعاً أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه ﴿فافسحوا يفسح الله لكم﴾ أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدور والقبر وغيرها ﴿واذا قيل انشروا﴾ أي انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير ﴿فانشروا﴾ فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا وقرىء بكسر الشين ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾ بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء إلى غرف الجنان في الآخرة ﴿والذين أتوا العلم﴾ منهم خصوصاً ﴿درجات﴾ عالية بما جمعوا من أثر في العلم والعمل فإن العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿والله بما تعملون خبير﴾ تهديد لمن يمثل بالامر وقرىء يعملون بالياء التحتانية ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول﴾ في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه الصلاة والسلام ﴿فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ أي فتصدقوا قبلها مستعاراً من له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحبة الآخرة ومحبة الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أشفقتم وهو وإن كان متصلاً به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً وعن علي رضي الله عنه أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه أذروى أنه لم يبق الا عشر اوقيل الاساعة ﴿ذلك﴾ أي التصديق ﴿خير لكم وأطهر﴾ أي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى ﴿فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم﴾ مني عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بالتصدق ﴿أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ أي أخفتم الفقر من تقديم

الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين ﴿فأذلم تفعلوا﴾ ما أمرتم به وشق عليكم ذلك ﴿وتاب الله عليكم﴾ بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفائهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذا الأغلال في أعناقهم وقيل بمعنى أن ﴿فأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة﴾ أى فاذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ فى سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفریط ﴿والله خبير بما تعملون﴾ ظاهره أو باطنا ﴿ألم تر﴾ تعجب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر ﴿الى الذين تولوا﴾ أى والوا ﴿قوما غضب الله عليهم﴾ وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ لانهم منافقون مذنبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا ﴿ويخلفون على الكذب﴾ أى يقولون والله اننا مسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجده حسب تكرار ما يقتضيه وقوله تعالى ﴿وهم يعلمون﴾ حال من فاعل يخلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم أنه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقتها للواقع وما لا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قاب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك خلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه خلفوا بالله ما سبوه فنزلت ﴿أعد الله لهم﴾ بسبب ذلك ﴿عذابا شديدا﴾ نوعا من العذاب متفاقما ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ فيما مضى من الزمان المتطاوّل فتمرّوا على سوء العمل وضروا به وأصروا عليه ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الفاجرة التى يخلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة أى ايمانهم الذى أظهره لاهل الاسلام ﴿جنة﴾ وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم فالأخذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهره بالفعل وأما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذه لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذه المسبوقه بوقوع الجنائية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذه وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فصدوا﴾ أى الناس ﴿عن سبيل الله﴾ فى خلال أمنهم بتشيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم ﴿فلهم عذاب مهين﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله﴾ أى من عذابه تعالى ﴿شيئا﴾ من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة ﴿أصحاب النار﴾ أى ملازموها ومقارنوها ﴿هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها أبدا ﴿يوم يعثمهم الله جميعا﴾ قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين ﴿فيحلفون له﴾ أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون ﴿كايحلفون لكم﴾ فى الدنيا ﴿ويحسبون﴾ فى الآخرة ﴿أنهم﴾ بتلك الايمان الفاجرة ﴿على شئ﴾ من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية ﴿ألا انهم هم الكاذبون﴾ البالغون فى الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا أن ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ أى استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الأصل كاستصوب واستنوق

أى ما حكمهم ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بأسنتهم ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان أى جنوده وأتباعه ﴿ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بـ ﴿بحر﴾ فى التنبيه والتحقيق وإظهار المضامين معا فى موقع الاضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله﴾ استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حين الصلة على أن مادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلّة الحكم ﴿أولئك﴾ بما فعلوا من التولى والمادة ﴿فى الاذلين﴾ أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لان ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك ﴿كتب الله﴾ استئناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يحجب به فليل ﴿لا غلبن أنا ورسلى﴾ أى بالحجة والسيف وما يجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كتبنا لعلنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرىء ورسلى بفتح الياء ﴿ان الله قوى﴾ على نصر أنبيائه ﴿عزيز﴾ لا يغلب عليه فى مراده ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد امام تعدالى اثنين فقوله تعالى ﴿يؤادون من حاد الله ورسوله﴾ مفعوله الثانى أو الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنى الوجدان نبي المادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يتمتع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد ﴿ولو كانوا﴾ أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها ﴿آباءهم﴾ آباء الموادين ﴿أو أبناءهم﴾ أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴿فان قضية الايمان بالله تعالى أن يهجر الجميع المارة والكلام فى لوقد مر على التفصيل مرارا ﴿أولئك﴾ اشارة الى الذين لا يؤادونهم وان كانوا أقرب الناس اليهم وأمس رحما ومافيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿كتب فى قلوبهم الايمان﴾ أى أثبت فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعاً ولا شئ من أعمال الجوارح يثبت فيه ﴿وأيدهم﴾ أى قواهم ﴿بروح منه﴾ أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ﴿ويدخلهم﴾ البيان لآثار رحمته الأخروية اثر بيان الطافه الدنيوية أى ويدخلهم فى الآخرة ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أبد الآبدين وقوله تعالى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ﴿ورضوا عنه﴾ بيان لا يتباهى بهم بما أوتوه عاجلاً وآجلاً وقوله تعالى ﴿أولئك حزب الله﴾ تشریف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى ﴿ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر

(مدنية وآياتها أربع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ مرافيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسديد روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بن النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في قن بني اسرائيل انتظاراً لبعثة النبي عليه الصلاة والسلام وعاهدوهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعت في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكباً الى مكة فخالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعباً غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتاب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدرس عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه اليهم لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدرّبوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة آيات على بعير ماشاءوا من متاعهم فخلوا الى الشام الى أريحا وأذرعات الا أهل يثيب منهم آل أبي الحقيق وآل حي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله والله على كل شيء قدير وقوله تعالى ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعاراً لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتكم به أى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد تولع البهق كاهو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي أخرج الخفيه اشعار بأن في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى ﴿لأول الحشر﴾ أى في أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصيبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب الى الشام وهذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خير الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام ﴿ما ظننتم﴾ أيها المسلمون ﴿أن يخرجوا﴾ من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لان وحصونهم مرتفعاً على الفاعلية ﴿فأتاهم الله﴾ أى أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير في أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرى فأتاهم أى فأتاهم الله العذاب أو النصر ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ أى أثبت فيها الخوف الذي يرعبها أى يملؤها ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ ليسدوا بما نقضوا

منها من الخشب والحجارة أفواه الازقة ولثا يبق بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل ﴿ وأيدى المؤمنين ﴾ حيث كانوا يخربونها ازالة لمحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوه اياه وأمرهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرى يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشئ خرابا والتخريب النقض والهدم ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدى اليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم اليه من الكفر والمعاصي أو اتقلوا من حال الفريقين الى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ﴾ أى الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفطيع ﴿ لعذبهم في الدنيا ﴾ بالقتل والسبي كما فعل بنى قريظة ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ استئناف غير متعلق بجواب لولا جى به لبيان أنهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجا لهم من عذاب الآخرة ﴿ ذلك ﴾ أى ما حاق بهم وما سيحقيق ﴿ بأنهم ﴾ بسبب أنهم ﴿ شاقوا الله ورسوله ﴾ وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح ﴿ ومن يشاق الله ﴾ وقرى يشاق الله كما فى الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى ﴿ فان الله شديد العقاب ﴾ وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وأياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقته لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ﴿ ما قطعتم من لينة ﴾ أى أى شئ قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة ﴿ أو تركتموها ﴾ الضمير لما وتأنيته لتفسيره باللين كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴿ قائمة على أصولها ﴾ كما كانت من غير أن تعرضوا لها بشئ ما وقرى على أصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرى قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما ﴿ فباذن الله ﴾ فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى ﴿ وليخزى الفاسقين ﴾ أى وليذل اليهود ويغظهم اذن فى قطعها وتركها لأنهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاءوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى ﴿ وما أفاء الله على رسوله ﴾ شروع فى بيان حال ما أخذ من أهوالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده اليه من ما لهم وفيه اشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وانما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون المطيعين ﴿ منهم ﴾ أى من بنى النضير ﴿ فما أوجفتم عليه ﴾ أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير ﴿ من خيل ولا ركاب ﴾ هى ما يركب من الابل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما ركب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيم شقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي عليه الصلاة

والسلام فافتتحها صلحا من غير أن يجري بينهم مسابقة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكده اليمين وعرق الجبين ﴿ولكن الله يسلط رسوله على من يشاء﴾ أى سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدة الحروب فلا حق لكم في أموالهم ﴿والله على كل شئ قدير﴾ فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ بيان لمصارف النبي بعد بيان أفاءه عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما عقاراتهم أيضا ﴿فله وللرسول ولذی القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ اختلف في قسمة النبي فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الامام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الانخاس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور ﴿كيلا يكون﴾ أى الفى الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به ﴿دولة﴾ بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان أى يدور من الغنى والجدة والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرهما أو بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جدا ﴿بين الأغنياء منكم﴾ يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفى شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذات تداول بينهم أو كيلا يكون امساكة تداول بينهم لا يخرجونه إلى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعانى ﴿وما آتاكم الرسول﴾ أى ما أعطاكموه من الفى أو من الأمر ﴿فخذوه﴾ فانه حاكم أو فتمسكوا به فانه واجب عليكم ﴿وما نهاكم عنه﴾ عن أخذه أو عن تعاطيه ﴿فاتمروا﴾ عنه ﴿واتقوا الله﴾ فى مخالفته عليه الصلاة والسلام ﴿ان الله شديد العقاب﴾ فيعاقب من يخالف أمره ونهيه ﴿للفقراء المهاجرين﴾ بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بفى بنى النصير فتعسف ظاهر ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾ حيث اضطروهم كفار مكة وأحوجوهم إلى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها ﴿يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ أى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومروضة فى الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفى من الإخراج من الديار والأموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكدده ﴿وينصرون الله ورسوله﴾ عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة نصرة وأى نصرة ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة ﴿هم الصادقون﴾ الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا ﴿والذين تبوأوا الدار والايمان﴾ كلام مستأنف مسوق لمدح الأنصار بخصال حميدة من جعلتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفى بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوؤهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيها أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وما باردا وقيل المعنى

تبوءا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمي المدينة بالايمن لكونها مظهره ومنشأه ﴿من قبلهم﴾ أى من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخيرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك ﴿يجبون من هاجر اليهم﴾ خبر للوصول أى يجبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ﴿ولا يجدون في صدورهم﴾ أى في نفوسهم ﴿حاجة﴾ أى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزاة والحسد والغيط ﴿مما أوتوا﴾ أى مما أوتى المهاجرون من الفى وغيره ﴿ويؤثرون﴾ أى يقدمون المهاجرين ﴿على أنفسهم﴾ فى كل شئ من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احدهما ويزوجها واحدا منهم ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾ أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانه سمك ابن خرشة وسهل بن حنيف والحريث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شئ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى أن قوله تعالى والذين تبوءوا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فان ذلك انما يستدعى شركة الانصار للمهاجرين فى الصدق دون الفى فيكون قوله تعالى يجبون وما عطف عليه استئنافا مقرررا لصدقهم أو حالا من ضمير تبوءوا ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ الشح بالضم والكسر وقد قرئ به أيضا اللؤم واضافته الى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿فأولئك﴾ اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للذكورين انتظاما أولا ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض واردة لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأيا ما كان فالوصول مبتدأ خبره ﴿يقولون﴾ الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمن كما أن ما عطف على الجملة السابقة لمدح الانصار أى يدعون لهم ﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا﴾ أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب ﴿الذين سبقونا بالايمان﴾ وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ﴿ولا تجعل فى قلوبنا غلا﴾ وقرئ غمرا وهما الحقد ﴿لذين آمنوا﴾ على الاطلاق ﴿ربنا انك رؤوف رحيم﴾ أى مبالغ فى الرأفة والرحمة تحقيق بأن تجيب دعائنا ﴿ألم تر الى الذين نافقوا﴾ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجب من بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من له حظ من الخطاب وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى ﴿لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ للتبليغ والمراد بأخوتهم اما توافقهم فى الكفر

أوصداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى ﴿لئن أخرجتم﴾ أي من دياركم قسراموطه للقسم وقوله تعالى ﴿لنخرجن معكم﴾ جواب القسم أي والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن في صحبتكم أينما ذهبتم ﴿ولا نطيع فيكم﴾ أي في شأنكم ﴿أحدا﴾ يمنعنا من الخروج معكم ﴿أبدا﴾ وإن طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم أو خذلانكم وليس بذاك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم إلى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى ﴿وان قوتلتم لننصرنكم﴾ أي لنعاوننكم على عدوكم على أن دعوتهم إلى خذلان اليهود بما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوهم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم وإظهار كفرهم ولا ريب في أن ما يفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لادعوتهم إلى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من إظهار الكفر لجواز أن يدعوهم أن يخرجوا معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للوفاق في الدين ﴿والله يشهد أنهم لكاذبون﴾ في مواعيدهم المؤكدة بالإيمان الفاجرة وقوله تعالى ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معكم﴾ الخ تكذيب لهم في كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الإجمال ﴿ولئن قوتلوا لا ينصرونهم﴾ وكان الأمر كذلك فإن ابن أبي وأصحابه أرسلوا إلى بني النضير ذلك سرائم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن ﴿ولئن نصرهم﴾ على الفرض والتقدير ﴿ليولن الأدبار﴾ فرارا ﴿ثم لا ينصرون﴾ أي المنافقون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليهزم من اليهود ثم لا ينفعهم نصره المنافقين ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ أي أشد رهبة على أنها مصدر من المبني للمفعول ﴿في صدورهم من الله﴾ أي رهبتهم منكم في السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله ﴿بأنهم﴾ بسبب أنهم ﴿قوم لا يفقهون﴾ أي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته ﴿لا يقاتلونكم﴾ أي اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرّون على قتالكم ﴿جميعا﴾ أي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن ﴿الآ في قرى محصنة﴾ بالدروب والخنادق ﴿أو من وراء جدر﴾ دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرى جدر بالتخفيف وقرى جدار وبالمالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ استئناف سيق لبيان أن ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في أنفسهم فان بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب ﴿تحسبهم جميعا﴾ مجتمعين متفقين ﴿وقلوبهم شتى﴾ متفرقة لألفة بينها ﴿ذلك بأنهم﴾ أي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم ﴿قوم لا يعقلون﴾ أي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتحدد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فتونه وأما ما قيل من أن المعنى لا يعقلون أن تشتت القلوب بما يوهن قواهم فمعزل من السداد وقوله تعالى ﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ خبر متبدا محذوف تقديره مثلهم أي مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بني فينقاع على ما قيل انهم أخرجوا قبل بني النضير ﴿قريبا﴾ في زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوقوع مثل الخ ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ أي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهي ما نطق به قوله تعالى ﴿كمثل الشيطان﴾ فانه خبر ثان للبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم آخر

وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند اليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى ما يمثله كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان ﴿اذقال للانسان اكفر﴾ أى أغراه على الكفر اغراء الأمر المأمور على المأمور به ﴿فلما كفر قال انى برى منك﴾ وقرى أنا برى منك ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبى عنه قوله تعالى ﴿انى أخاف الله رب العالمين﴾ وان أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برى منك انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله الآية ﴿فكان عاقبتهم﴾ بالنصب على أنه خبر كان واسمها ﴿أنهما فى النار﴾ وقرى بالعكس وقد مر أنه أوضح ﴿خالدين فيها﴾ وقرى خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ أى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أى فى كل ماتأتون وما تدرّون ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ أى أى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلا استقلال الأنفس النواظر فيها قدم من لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ﴿واتقوا الله﴾ تكرر للتأكيد أو الاول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ﴿ان الله خبير بما تعملون﴾ أى من المعاصى ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ أى نسوا حقوقه تعالى وما قدره حق قدره ولم يراعوا مواجب أو امره ونواهيه حق رعايتها ﴿فأنساهم﴾ بسبب ذلك ﴿أنفسهم﴾ أى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الاحوال ما أنساهم أنفسهم ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون فى الفسوق ﴿لا يستوى أصحاب النار﴾ الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار ﴿وأصحاب الجنة﴾ الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم أصحاب النار فى الذكر للايذان من أول الامر بأن القصور الذى ينبى عنه عدم الاستواء من جهتهم لامن جهة مقابلهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيتين المتفاوتتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقه بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتصر بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخرية كما ينبى عنه التعبير عن الفريقين بصاحبة النار وصاحبة الجنة وكذا قوله تعالى ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ العظيم الشأن المنطوى على فنون القوارع ﴿على جبل﴾ من الجبال ﴿لرأيته﴾ مع كونه علما فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه ﴿خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ أى متشققا منها وقرى مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتحليل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ أريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تحشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه ﴿هو الله الذى لا اله الا هو﴾ وحده ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها

وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية ﴿هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو﴾ كرر لابرار الاعتناء بأمر التوحيد ﴿الملك القدوس﴾ البليغ في النزاهة عما يوجب نقصاناً ما وقرى بالفتح وهي لغة فيه ﴿السلام﴾ ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للبالغه ﴿المؤمن﴾ واهب الأمن وقرى بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿المهيمن﴾ الرقيب الحافظ لكل شيء مفعيل من الامن بقلب همزته ها ﴿العزیز﴾ الغالب ﴿الجبار﴾ الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أي أصلحها ﴿المتكبر﴾ الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً أو البليغ الكبرياء والعظمة ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلاً ﴿هو الله الخالق﴾ المقدر للأشياء على مقتضى حكمته ﴿البارئ﴾ الموجد لها بريئاً من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفة ﴿المصور﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ﴿له الاسماء الحسنى﴾ لدلالاتها على المعاني الحسنة ﴿يسبح له ما في السموات والارض﴾ ينطق بتنزيهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهراً ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة والعلم . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة

(مدنية وآياتها ثلاث عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يأيتها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذرکم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثم فجهدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأاً ملصقاً في قريش وليس لي فيهم من يحمي أهلي فأردت أن آخذ عندهم يداً وقد علمت أن كتابي لن يغي عنهم شيئاً فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ أي توصلون اليهم بالمودة على أن الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو تلقون اليهم أخبار النبي عليه الصلاة والسلام بسبب الموادة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لاتتخذوا أو صفة لأولياء وابرار الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل أو استئناف ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾ حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لاتتخذوا وقرى لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سبباً للكفر ﴿يخرجون الرسول وایاکم﴾ أي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات

من اتكلم الى الغيبة للشعار بما يوجب الايمان من الالهية والربوبية ﴿ان كنتم خرجتم جهادا في سبيل وابتغاء مرضاتي﴾ متعلق بـ لا تتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقوله تعالى ﴿تسرون اليهم بالمودة﴾ استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون اليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة ﴿وأنا أعلم﴾ أى والحال أنى أعلم منكم ﴿بما أخفيتم وما أعلنتم﴾ ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الاسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيده وما موصولة أو مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿ومن يفعله منكم﴾ أى الاتخاذ ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ فقد أخطأ طريق الحق والصواب ﴿ان يثقفوكم﴾ أى ان يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ أى يظهرها ما فى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها ﴿ويبسطوا اليكم أيديهم وألستهم بالسوء﴾ بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم ﴿وودوا لو تكفروا﴾ أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقيق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضا ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ قربابكم ﴿ولا أولادكم﴾ الذين توالون المشركين لأجلهم وتقرّبون اليهم بحاماة عليهم ﴿يوم القيامة﴾ بجلب نفع أو دفع ضرر ﴿يفصل بينكم﴾ استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرىء يفصل ويفصل مبنيان للمفعول ويفصل ويفصل مبنيان للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون ﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيجازيكم به ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتنى بها وقوله تعالى ﴿فى ابراهيم والذين معه﴾ أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أحوال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف ﴿اذقالوا﴾ ظرف لخبر كان ﴿لقومهم انا برآء منكم﴾ جمع برى كظريف وظرفاء وقرىء برآء كظراف وبرآء كخال وبرآء على الوصف بالمصدر مبالغة ﴿ومما تعبدون من دون الله﴾ من الاصنام ﴿كفرونا بكم﴾ أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبألهتكم ﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا﴾ أى هذا دأبنا معكم لا تتركه ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ وتركوا ما أتم عليه من الشرك فتقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة ﴿الا قول ابراهيم لأبيه لا أستغفرن لك﴾ استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لايه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى أن يؤتسى به أصلا اذا المراد به ما يجب الاتسائه به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الأسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لايه الكافر مما ينبغى أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعده وعداها اياه فمعزل من السداد بالكلية لا بقتائه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وابناؤه عن كونه مؤتسى به لولم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لايه كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتسى به ما يجب الاتسائه به لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجوز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله أو لموعده وعداها اياه مما لا مسامحة له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لالى نفس الاستغفار بقوله واغفر لأبى الآية لانها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكور دون ما وقع فى سور قمر يم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى

لورودها على طريق التوكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائراً عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مرقح تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى ﴿وما أملك لك من الله من شيء﴾ من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لاستغفرن لك أى أستغفر لك وليس في طاقى الا الاستغفار فهو رد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارة للعجز وتقوى بضال الامر الى الله تعالى وقوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وابنا عليك المصير﴾ الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والابانة والمصير على الله تعالى قاله بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى في جميع امورهم لاسيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيعه ﴿واغفر لنا﴾ ما فرط منا من الذنوب ﴿ربنا انك أنت العزيز﴾ الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه ﴿الحكيم﴾ الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للبالغة في التضرع والجوار هذا وأما جعل الآيتين تلقيناً للمؤمنين من جهة تعالى وأمرهم بأن يتوكلوا عليه وينبوا اليه ويستعذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا عما فرط منهم تكلمة لما وصاعم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم ﴿لقد كان لكم فيهم﴾ أى في ابراهيم ومن معه ﴿أسوة حسنة﴾ تكرير للبالغة في الحث على الائتساب به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ بدل من لكم فائدته الايدان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد﴾ فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ أى من أقاربكم المشركين ﴿مودة﴾ بأن يوافقكم في الدين وعدم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب في الدين والتشدد لله في معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطيباً لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم قتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم ﴿والله قدير﴾ أى مبالغ في القدرة فيقدر على قلب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة ﴿والله غفور رحيم﴾ فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقى في قلوبكم من ميل الرحم ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم﴾ أى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ﴿أن تبرؤهم﴾ بدل من الموصول ﴿وتقسطوا اليهم﴾ أى تفضوا اليهم بالقسط أى العدل ﴿ان الله يحب المقسطين﴾ أى العادلين . روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه ﴿انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم﴾ وهم عتاة أهل مكة ﴿وظاهروا على اخراجكم﴾ وهم سائر أهلها ﴿أن تولوهم﴾ بدل اشتغال من الموصول أى انما ينهاكم عن أن تتولوهم ﴿ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ لوضعهم الولاية في موضع العداوة أو هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريق الكافرين ﴿إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ من بين الكفار ﴿فامتحنوهن﴾ فاخبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان . يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذى لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الاحبا لله ورسوله ﴿الله أعلم بما كناهن﴾ لانه المطلع على ما فى قلوبهن والجملة اعترض

﴿فان علمتموهن﴾ بعد الامتحان ﴿مؤمنات﴾ علما يمكنكم تحصيله وتباغه طاعتكم بعد التبا والتبا التي من الاستدلال بالعلام والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايدان بأنه جار مجرى العلم في وجوب العمل به ﴿فلا ترجعوهن الى الكفار﴾ أى الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى ﴿لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة أولان الأول لبيان زوال النكاح الأول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد ﴿وآثرهم ما أنفقوا﴾ أى وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديدية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي عليه الصلاة والسلام بالحديدية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيني بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلعت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿اذا آتيتوهن أجورهن﴾ شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذا بأن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب أى لا يكن بينكم وبين المشتريات عصمة ولا علقه زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفرون عن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرىء ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تمسكوا ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ من مهور نساكنكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ من مهور أزواجهن المهاجرات ﴿ذلكم﴾ الذى ذكر ﴿حكم الله﴾ وقوله تعالى ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿والله عليم حكيم﴾ يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة . روى أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى ﴿وان فاتكم﴾ أى سبقكم وانفلت منكم ﴿شىء من أزواجكم الى الكفار﴾ أى أحد من أزواجكم وقد قرىء كذلك وايقاع شىء موقعه للتحقير والاشباع فى التاميم أو شىء من مهور أزواجكم ﴿فعاقبتهم﴾ أى فجاءت عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ﴿فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فأصبت من الكفار عقبي هى الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وففعبتهم بالتشديد وففعبتهم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت أمية وبرور بنت عقبة وعبد بن عبد العزى وهند بنت أبي جهل وظلوم بنت جرويل ﴿واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى ﴿يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك﴾ أى مبايعات لك أى قاصدات للبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء ﴿على أن لا يشركن بالله شيئا﴾ أى شيئا من الاشياء أو شيئا من الاشراك ﴿ولا يسرقن ولا يزنبن ولا يقتلن أولادهن﴾ أريد به وأد البنات وقرىء ولا يقتلن بالتشديد ﴿ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كفى عنه بالبهتان المفتري

بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ أى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقيد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المحدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما ينهن مع اختصاص بعضهن ﴿فبايعن﴾ أى على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام وتقيد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها ﴿واستغفر لهن الله﴾ زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ﴿ان الله غفور رحيم﴾ أى مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروى أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله تعالى عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصالحهن وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدر من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب فطرى والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا أخذ عليهن قد بايعتهن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتهن ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعمها المقيم وابتلاهم بعذابها الآليم والمراد وصفهم بكامل اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والظاهر في موقع الاضمار للاشعار بعلية يأسهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعا يوم القيامة

سورة الصف

(مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ الكلام فيه كالذى مر في نظيره ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون﴾ روى أن المسلمين قالوا لوعلمنا أحب الأعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروى أنهم قالوا يا رسول الله لو نعلم أحب الأعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل أدلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا فقرؤا يوم أحد فنزلت وقيل

انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلته ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين وندأوهم بالايمن تهكم بهم وبايمانهم وليس بذلك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاى شئ تقولون نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعبير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجهها الى قولهم تنبها على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو الخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند الى أن تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لاشوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا﴾ بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو بمقوت عنده وهذا صريح في أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقولونه المتمدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق وأن مناط التعبير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما أشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفامصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ حال من المستكن في الحال الأولى أى مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل بينان رص بعضه الى بعض ووصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق التلويح أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين نذبهم الى قتال الجابرة بقوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على أديباركم فتقبلوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين واننا لندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وأصر واعلى ذلك وأذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية ﴿يا قوم لم تؤذوني﴾ أى بالخالفه والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى ﴿وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم﴾ جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته أنى رسول الله اليكم لأرشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا في تعظيمى وتسارعوا الى طاعتي ﴿فلبا زاغوا﴾ أى أصرروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته أى لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصيرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لاهداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة لكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذهمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمه دخولا أوليا وأياما كان فوسفهم بالفسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم. وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه

وعليه في نفسه وجود آياته وعصيانها فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهره والتكذيب الذي هو
تضيق حق الله وحقه فما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى ﴿واذ قال عيسى ابن مريم﴾ اما معطوف على اذ الاولى معمول
لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها ﴿يا بني اسرائيل﴾ ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله
﴿ان رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة﴾ فان تصديقه عليه الصلاة والسلام اياها من أقوى الدواعي الى
تصديقهم اياه وقوله تعالى ﴿ومبشرا برسول يأتي من بعدي﴾ معطوف على مصدق ادع الى تصديقه عليه الصلاة
والسلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجارفانه صلة
للرسول والصلوات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أي أرسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني
من التوراة ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول ﴿اسمه أحمد﴾ أي محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن ديني التصديق
بكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم وتأخرو قرئ من بعدي بفتح الياء ﴿فلما جاءهم بالبينات﴾ أي بالمعجزات الظاهرة
﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ مشيرين الى ما جاء به أو اليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحرا للبالغه ويؤيده قراءة من
قرأ هذا ساحر ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾ أي أي الناس أشد ظلما ممن
يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي
هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر أي هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوى وقد مر بيانه غير
مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتسه ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لا يرشدكم الى ما فيه فلا هم
لعدم توجههم اليه ﴿يريدون ليطفئوا نور الله﴾ أي يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تأ كيدأ لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأ كيدأ لها في لا أبالك أو يريدون الافتراء
ليطفئوا نور الله ﴿بأفواههم﴾ بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه ﴿والله متم نوره﴾
أي مبلغة الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ﴿ولو كره الكافرون﴾ أي ارغاما لهم
والجمله في حيز الحال على ما بين مرارا ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾ بالقرآن أو المعجزة ﴿ودين الحق﴾ والملة
الحنيفية ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله
بحيث لم يبق دين من الأديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ﴿ولو كره المشركون﴾ ذلك وقرئ
هو الذي أرسل نبيه ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ وقرئ تنجيكم بالتشديد
وقوله تعالى ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾ استئناف وقع جوابا
عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أو ماذا نصنع فقبل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الأمر جى به للايدان
بوجوب الامثال فكانه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا
على اضمحلال الامر ﴿ذلكم﴾ اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة
﴿خير لكم﴾ على الاطلاق أو من أموالكم وأنفسكم ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أي ان كنتم من أهل العلم فان الجهلة لا
يعتد بأفعالهم أو ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خير لكم حينئذ لأنكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان
والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾ جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جوابا
لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ﴿ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات

عدن ذلك ﴿أى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة﴾ (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه ﴿وأخرى﴾ ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة ﴿تحبونها﴾ وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره ﴿نصر من الله﴾ وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف ﴿وفتح قريب﴾ أى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرى نصرنا وفتحنا قريبا على الاختصاص أو على المصدر أى تنصرون نصرنا ويفتح لكم فتحا وعلى البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطكم نعمة أخرى نصرنا وفتحنا ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على تؤمنون فإنه فى معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله﴾ وقرى أنصارا لله بلا إضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرى كونوا أتم أنصار الله ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله﴾ أى من جندى متوجها الى نصرته الله كما يقتضيه قوله تعالى ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ والاضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياءه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا ﴿فأمنت طائفة من بنى اسرائيل﴾ أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرته الدين ﴿وكفرت طائفة﴾ أخرى به وقتلوه ﴿فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم﴾ أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد دفع عيسى عليه السلام ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة

(مدنية وآياتها إحدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض﴾ تسبيحا مستمرا ﴿الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ وقد قرى الصفات الأربع بالرفع على المدح ﴿هو الذى بعث فى الأميين﴾ أى فى العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون قيل بدت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الخيرة وهم من أهل الانبار ﴿رسولا منهم﴾ أى كائنا من جملتهم أميا مثلهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ﴿ويزكيهم﴾ صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على ما يصيرون به أذكيا من خبائث العقائد والأعمال ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايدان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروى ترتيب الوجود دللنا على الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع ﴿وان كانوا من قبل لى ضلال مبين﴾ من الشرك وخيب الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدكم وازاحة لما عسى يتوهم من تعمله

عليه الصلاة والسلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿وآخرين منهم﴾ عطف على الاميين أو على المنصوب في يعلمهم أى يعلمهم ويؤلم آخرين منهم أى من الاميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع ﴿لما يلحقوا بهم﴾ صفة لآخرين أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أمياً من ذلك الأمر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ﴿ذلك﴾ الذى امتاز به من بين سائر الأفراد ﴿فضل الله﴾ واحسانه ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلاً وعطية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذى يستحق قدره نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أى علموها وطفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ أى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ أى كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد أمر على التثمين بسبى ﴿بش مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ أى بش مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بش مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بش والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف أو بش مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على أن الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ أى تهودوا ﴿ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس﴾ كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم اظهروا الكذب ان زعمتم ذلك ﴿فتمنوا الموت﴾ أى فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة الاكدار ﴿ولا يتمنونه أبدا﴾ اخبار بما سيكون منهم والباء فى قوله تعالى ﴿بما قدمت أيديهم﴾ متعلقة بما يدل عليه النفى أى يابون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة ﴿والله عليم بالظالمين﴾ أى بهم وإشار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون فى كل ما يأتون وما يذرون من الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿قل ان الموت الذى تفرون منه﴾ فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنوا لما اتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات أى ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم ﴿فانه ملاقيكم﴾ البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ﴿ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة﴾ الذى لا تخفى عليه خافية ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ من الكفر والمعاصى بأن يجازيكم بها ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة﴾

أى فعل النداء لها أى أذن لها ﴿من يوم الجمعة﴾ بيان لاذا وتفسيرها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الارض أى فى الأرض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فلهوا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم المدينة مهاجرا أنزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة ﴿فاسعوا الى ذكر الله﴾ أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة ﴿وذروا البيع﴾ واتركوا المعاملة ﴿ذلكم﴾ أى السعى الى ذكر الله وترك البيع ﴿خير لكم﴾ من مباشرته فان نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿ان كنتم تعلمون﴾ أى الخير والشر الحقيقين أو ان كنتم أهل العلم ﴿فاذا قضيت الصلاة﴾ أى أدبت وفرغ منها ﴿فانتشروا فى الارض﴾ لاقامة مصالحكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أى الربح فالأمر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ذكر كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تفوزوا بخير الدارين ﴿واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها﴾ روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فما بقى معه عليه الصلاة والسلام الا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خر جوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطليل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لأنها المقصودة أولان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا رأوا وتجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فخذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما ﴿وتركوك قائما﴾ أى على المنبر ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾ فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم ﴿والله خير الرازقين﴾ فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

سورة المنافقون

(مدنية وآياتها احدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا جاءك المنافقون﴾ أى حضروا يجلسك ﴿قالوا نشهد انك لرسول الله﴾ مؤكدين كلامهم بان واللام للابتنان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلص اعتقادهم وفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى ﴿والله يعلم انك لرسوله﴾ اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى ﴿والله يشهد ان المنافقين لكاذبون﴾ تحقيقا

وتعيننا لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير اليه واماطة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم أى والله يشهد أنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقاتلتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلّة الحكم ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم ﴿جنة﴾ أى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبى أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لاعتبار استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقه بوقوع الجنائية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ أى فصدوا من أراد الدخول فى الاسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الاتفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حالفهم بالفعل وقرئ ايمانهم أى ما أظهره على ألسنتهم فاتخاذ جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم وأموالهم فعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما تقدم من القول الناعى عليهم أنهم أسوأ الناس أفعالا أو الى ما وصف من حلهم فى النفاق والكذب والاستتار بالايان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته فى الشر ﴿بأنهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿آمنوا﴾ أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام ﴿ثم كفروا﴾ أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالايان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم ﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمر نوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله ﴿فهم لا يفقهون﴾ حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته أصلا ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ لضخامتها ويزوقك منظرهم اصباحة وجوههم ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحاً يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهيا كلمهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى ﴿كانهم خشب مسندة﴾ فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لا محل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشب وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدة ومد، ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واطمانهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهلك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ﴿هم العدو﴾ أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الأعداء العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلا فان الفاء فى قوله تعالى ﴿فاحذرهم﴾ لترتيب الامر بالاحذر على كونهم أعدى الأعداء ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى ﴿أنى يؤفكون﴾ تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال ﴿واذا قيل لهم﴾ عند ظهور جنائهم بطريق النصيحة ﴿تعالوا يستغفروا لكم رسول الله لوو رؤوسهم﴾ أى عطفوها استكبارا ﴿ورأيتهم يصدون﴾ يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار

﴿وهم مستكبرون﴾ عن ذلك ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ كما اذا جاءوك معتذرين من جنابهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرئ استغفرت بأشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفا ﴿ألم تستغفروا لهم﴾ كما اذا أصرروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار ﴿لن يغفر الله لهم﴾ أبدا لأصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ﴿ان الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والتفان والمراد اما هم بأعيانهم والاظهار في موقع الاضرار لبيان غلوهم في الفسق أو الجنس وهم داخلون في زميرتهم دخولا أوليا وقوله تعالى ﴿هم الذين يقولون﴾ أي للانصار ﴿لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿حتى ينفضوا﴾ يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من أنفض القوم اذا فئت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزادهم وقوله تعالى ﴿ولله خزائن السموات والارض﴾ رد وابطال لما زعموا من أن عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله عليه الصلاة والسلام ببيان أن خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون ﴿يقولون لنرجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ روى أن جهجاه بن سعيد أجبر عمر رضي الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن أبي واقتلا فصرخ جهجاه ياللمهاجرين وسنان ياللانصار فاعان جهجاها جعالم من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن أبي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لنرجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عني بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ أي والله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا غيرهم ﴿ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ من فرط جهلهم وغرورهم فيهدون ما يهدون روى أن عبد الله بن أبي لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصا وقال لن لم تقر لله ولرسوله بالز لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي عليه الصلاة والسلام لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ أي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للبالغة كما في قوله تعالى ولا يحرم منكم شأن قوم الخ ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي التلهي بالدنيا من الدين ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ أي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ أي بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهنكم ادخارا للآخرة ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته وغايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر ﴿فيقول﴾ عند يقينه بحلوله ﴿رب لولا أخرتني﴾ أي أمهلتنى ﴿الى أجل قريب﴾ أي أمد قصير ﴿فأصدق﴾ بالنصب على جواب التثني وقرئ فأصدق ﴿وأكن من الصالحين﴾ بالجزم عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن وقرئ وأكن بالنصب عطفا على لفظه وقرئ وأكن بالرفع أي وأنا أكون عدة منه بالصلاح ﴿ولن يؤخر الله نفسا﴾ أي ولن يمهلها ﴿اذا جاء أجلها﴾ أي آخر عمرها أو انتهى أن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول العمر الى آخره ﴿والله خير بما تعملون﴾ فمجاز لكم عليه ان خيرا خيرا وان شرا فشر فصار عوا في الخيرات واستعدوا لما هو

آت وقرى يعملون بالياء التحتية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برى من النفاق

سورة التغابن

(مختلف فيها وآياتها ثمان عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح الله ما في السموات وما في الارض﴾ أى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه
تزيها مستمرا ﴿له الملك وله الحمد﴾ لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول
النعم وفروعها وأما ملك غيره فاسترعاه من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده ﴿وهو على كل شئ
قدير﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء ﴿هو الذى خلقكم﴾ خلقا بديعا حاويا لجميع مبادئ الكمالات
العلية والعملية ومع ذلك ﴿فمنكم كافر﴾ أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه
خلقته ﴿ومنكم مؤمن﴾ مختار للايمان كاسب له حسبا تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين
لايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكينكم منه بل تشعبتم
شعبا وتفرقتم فرقا وتقدم الكفر لانه الأغلب فيما بينهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فنكم كافر مقدر كفره
موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام ﴿والله بما تعملون
بصير﴾ فيجازيكم بذلك فاختروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يريكم من الكفر والعصيان ﴿خلق
السموات والارض بالحق﴾ بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾
حيث برأكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما ينط بها جميع الكمالات البارزة
والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى
هذه النشأة ﴿والله المصير﴾ فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلا لا أو اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك
القوى والمشاعر فيما خلقن له ﴿يعلم ما فى السموات والارض﴾ من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية
﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجها فيما قبله
لانه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لها وقوله تعالى ﴿والله عليم بذات الصدور﴾
اعتراض تذيلى مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور
الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واطهار الجلالة للاشعار بعلية الحكم وتأكيده
استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من
الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء ﴿ألم يأتكم﴾ أيها الكفرة ﴿نبا الذين كفروا من قبل﴾ كقوم نوح ومن
بعدهم من الامم المصرة على الكفر ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على
أمر من الامور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايدان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من
قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم فى الدنيا ﴿ولهم﴾ فى الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ لا يقادر قدره ﴿ذلك﴾
أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيدوقونه فى الآخرة ﴿بأنه﴾ بسبب أن الشأن ﴿كانت تأتيمهم
رسلهم بالبينات﴾ أى بالمعجزات الظاهرة ﴿فقالوا﴾ عطف على كانت ﴿أبشر يهودننا﴾ أى قال كل قوم من

المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدين كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا يتبعه وقد أجمل في الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ﴿فكفروا﴾ أي بالرسول ﴿وتولوا﴾ عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعز الايمان بهم ﴿واستغنى الله﴾ أي اظهر استغناؤه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك ﴿والله غنى﴾ عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم ﴿حميد﴾ يحمد كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وان لم يحمد حامدا ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن الخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أي زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا ﴿قل﴾ ردا عليهم وابطالا لزعمهم بآيات ما نفوه ﴿بلى﴾ أي تبعثون وقوله ﴿وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلية تحت الامر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقيق البعث بوجهين ﴿وذلك﴾ أي ما ذكر من البعث والجزاء ﴿على الله يسير﴾ لتحقيق القدرة التامة وقبول المادة والفناء في قوله تعالى ﴿فآمنوا﴾ فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أي اذا كان الامر كذلك فآمنوا ﴿بالله ورسوله﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿والنور الذي أنزلنا﴾ وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما أن النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابرز كمال العناية بأمر الانزال ﴿والله بما تعملون﴾ من الامثال بالامر وعدمه ﴿خير﴾ فجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لترية المهابة وتأكيد استقلال الجملة ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن وقيل لخبر لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لا ذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ﴿ليوم الجمع﴾ ليوم يجمع فيه الاولون والآخرين أي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ﴿ذلك يوم التغابن﴾ أي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في أمور الدنيا ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ أي عملا صالحا ﴿يكفر﴾ أي الله عز وجل وقرئ بنون العظمة ﴿عنه سيئاته﴾ يوم القيامة ﴿ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا﴾ وقرئ ندخله بالنون ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات ﴿الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾ أي النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ من المصائب الدنيوية ﴿الا باذن الله﴾ أي بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متروكة على اذنه تعالى ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ ينصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهد قلبه بالهمزة أي يسكن ﴿والله بكل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها القلوب وأحوالها ﴿عليم﴾ فيعلم ايمان المؤمن ويهدي قلبه الى ما ذكر ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ كرر

الأمر للتأكيـد والايـذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولى في قوله تعالى ﴿فان توليتم﴾ أى عن اطاعة الرسول وقوله تعالى ﴿فانما على رسولنا البلاغ المبين﴾ تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه اذما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة في مقام اضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزادة تشنيع التولى عنه ﴿الله لا اله الا هو﴾ جملة من مبتدأ وخبر أى عو المستحق للعبودية لا غيره وفي اضمار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف ﴿وعلى الله﴾ أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلّة التوكل والأمر به فان الألوهية مقتضية للتبطل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة ﴿يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم في أمور الدين أو الدنيا ﴿فاحذروهم﴾ الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدوى أو للازواج والأولاد جميعاً فالأمور به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتغالهم على العدو ﴿وان تغفوا﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ﴿وتصفحوا﴾ بترك التثريب والتعير ﴿وتغفروا﴾ باخفائها وتمهيد عذرهما ﴿فان الله غفور رحيم﴾ يعاملكم بمثل ما علمتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فقبضتهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة ﴿انما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحسبون ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ لمن آثر محبة الله تعالى وطاقته على محبة الأموال والأولاد والسعى في تدبير مصالحهم ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أى ابدلوا في تقواه جهركم وطاقتم ﴿واسمعوا﴾ مواظمه ﴿وأطيعوا﴾ أوامره ﴿وأنفقوا﴾ مما رزقكم في الوجوه التي أمركم بالانفاق فيها خالصاً لوجهه ﴿خيراً لأنفسكم﴾ أى اتوا خيراً لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيـد للحث على امثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيراً لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى انفاقاً خيراً أو خبراً لكان مقدراً جواباً للاوامر أى يكن خيراً لأنفسكم ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مرام ﴿ان تقرضوا الله﴾ بصرف أموالكم الى المصارف التي عينها ﴿قرضاً حسناً﴾ مقرون بالاخلاص وطيب النفس ﴿يضاعفه لكم﴾ بالواحد عشرة الى سبعمائة وأكثر وقرىء يضعفه لكم ﴿ويغفر لكم﴾ ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب ﴿والله شكور﴾ يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ لا يخفى عليه خافية ﴿العزیز الحكيم﴾ المبالغ في القدرة والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق

(مدنية وآياتها إحدى عشرة أو اثنتا عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأمته أيضا لتشريفه عليه الصلاة والسلام وإظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام إياهم وتغليبهم عليهم لا لأن نداءهم كندائهم فإن ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الآخر به لشمول حكمه لكل قطعا والمعنى إذا أردتم تطليقهن وعزمت عليهن كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي مستقبلات لها كقولك أتيتك الليلة خلت من شهر كذا فإن المرأة إذا طلقت في طهر يعقبه القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلية لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقرء كوامل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى برؤيتهن تأكيد للامر ومبالغة في إيجاب الاتقاء ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بَيْوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن وإضافتها إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكنها كما أنها أملاكهن ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ ولو باذن منكم فإن الاذن بالخروج في حكم الإخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن أما إذا اتفقا على الخروج جاز إذا الحق لا يعدوهما ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ﴾ استثناء من الأول قيل هي الزنا فيخرجن لأقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يذون على الأزواج فيحل حينئذ إخراجهن ويؤيده قراءة إلا أن يفحشن عليكم أو من الثاني للبالغة في النهي عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة ﴿وَتِلْكَ﴾ إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما في اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان بعلو درجتها وبعد منزلتها ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ التي عينها لعباده ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي حدوده المذكورة بأن أدخل بشيء منها على أن الظاهر في حيز الاضرار لتحويل أمر التعدي والاشعار بعلّة الحكم في قوله تعالى ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أي أضربها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب بأباه قوله تعالى ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا إن الأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دينوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدينوي والآخرى ويخص التعليل بالدينوي لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للتعدي بطريق الالتفات لما زيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنهي عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضرب بنفسه فانك لا تدري أيها المتعدي عاقبة الأمر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي أمرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالأعراض عنها إقبالا إليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ شارفن آخر عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ فراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن معاشرة وانفاق لائق ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرر بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا أمر ندب كما في قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم وروى عن الشافعي أنه للوجوب في الرجعة ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ﴿ذَلِكَم﴾ إشارة إلى الحث على

الاشهاد والاقامة أو على جميع ما في الآية ﴿يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ اذ هو المنتفع به والمقصود
 تذكيره وقوله تعالى ﴿ومن يتق الله﴾ الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد
 على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها
 فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتياط في الاشهاد وغيره من
 الامور ﴿يجعل له مخرجا﴾ مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من
 الكروب ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جسيما به على
 نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الى آخره فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما
 يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا عن النبي عليه الصلاة والسلام
 أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام اني لأعلم
 آية لو أخذ الناس بها لكفتمهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها. وروى أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون
 ابنه سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكاليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر
 قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو
 فاستاقها فنزلت ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي كافيته في جميع أموره ﴿ان الله بالغ أمره﴾ بالاضافة أي منفذ
 أمره وقرى بتكوين بالغ ونصب أمره أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرى برفع أمره على أنه مبتدأ
 وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وأمره مرتفع به على الفاعلية أي نافذ أمره وقرى بالغا أمره على أنه
 حال وخبر ان قوله تعالى ﴿قد جعل الله لكل شي قدرا﴾ أي تقديرا وتوقيتا أو مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه
 تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شي من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل
 على الله تعالى ﴿واللاني يسئ من المحيض من نسائكم﴾ لكبرهن وقد قدره وبستين سنة وخمسين وخمسين ﴿ان ارتبتم﴾
 أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر واللاني لم يحضن﴾ بعد لصغرهن أي فعدتهن أيضا كذلك لحذف
 ثقة بدلالة ما قبله عليه ﴿وأولات الأحمال أجلهن﴾ أي منتهى عدتهن ﴿أن يضعن حملهن﴾ سواء كن مطلقات أو
 متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر
 وعشرا التراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهله ان سورة النساء القصص
 نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليل فذكرت ذلك لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حلت فتزوجي ﴿ومن يتق الله﴾ في شأن أحكامه ومراعاة حقوقها ﴿يجعل له من أمره
 يسرا﴾ أي يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ﴿ذلك﴾ إشارة الى ما ذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
 بالمشار اليه للايدان ببعده منزلة في الفضل وافراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى ﴿أمر الله أنزله
 اليكم﴾ لما أنما مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لاتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان
 منكم يؤمن بالله من سورة البقرة ﴿ومن يتق الله﴾ بالمحافظة على أحكامه ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ فان الحسنات يذهبن
 السيئات ﴿ويعظم له أجرا﴾ بالمضاعفة وقوله تعالى ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال
 نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم
 أي بعض مكان سكنكم وقوله تعالى ﴿من وجدكم﴾ أي من وسعكم أي بما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم

وتفسيره ﴿ولا تضاروهن﴾ أى فى السكنى ﴿لتضيقوا عليهن﴾ وتلجئوهن الى الخروج ﴿وان كن﴾ أى المطلقات ﴿أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن ﴿فان ارضعن لكم﴾ بعد ذلك ﴿فأتوهن أجورهن﴾ على الارضاع ﴿واثمروا بينكم بمعروف﴾ أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بحميل فى الارضاع والأجر ولا يكن من الاب بما كسبه ولا من الام معاصرة ﴿وان تعاسرتم﴾ أى تضايقتم ﴿فسترضع له أخرى﴾ أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للأُم على المعاصرة ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ وان قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ﴿لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها﴾ جل أو قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطيب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل ﴿سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ أى عاجلا أو آجلا ﴿وكأى من قرية﴾ أى كثير من أهل قرية ﴿عتت﴾ أى أعرضت ﴿عن أمر ربها ورسله﴾ بالعتو والتمرد والعناد ﴿فحاسبناها حسابا شديدا﴾ بالاستقصاء والتنقيير والمناقشة فى كل نقيير وقطير ﴿وعذبناها عذابا نكرا﴾ أى منكرا عظيما وقرى نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ﴿فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا﴾ هاتلا لا خسروا راءه ﴿أعد الله لهم عذابا شديدا﴾ تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب ﴿فاتقوا الله يا أولى الاباب﴾ ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظه وبالعذاب ما أصابهم عاجلا وقد جوز أن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأى ﴿الذين آمنوا﴾ منصوب باضمار أعنى ييانا للنادى أو عطف ببيان له أو نعت وفى ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله ﴿قد أنزل الله اليكم ذكرا﴾ هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره أو لنزوله بالذکر الذى هو القرآن كما ينبى عنه ابدال قوله تعالى ﴿رسولا﴾ منه أو لانه مذکور فى السموات وفى الامم أو أريد بالذکر الشرف كما فى قوله تعالى وانه لذکر لك ولقومك كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو النبى عليه الصلاة والسلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذکر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح أو لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا على اعمال المصدر المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى ﴿يتلو عليكم آيات الله مبینات﴾ نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبینات لكم ما تحتاجون اليه من الأحكام وقرى مبینات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ متعلقة بـ يتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدراً أنه سيؤمن ﴿من الظلمات الى النور﴾ من الضلالة الى الهدى ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ حسبا بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبینات ﴿يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وقرى ندخله بالنون وقوله تعالى ﴿خالدين فيها أبدا﴾ حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى ﴿قد أحسن الله رزقا﴾ حال أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب ﴿الله الذى خلق سبع سموات﴾ مبتدأ وخبر ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ أى

خلق من الارض مثلن في العدد وقرى مثلن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الارض خبره واختالف في كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك طبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعبا حلف بالذى فاق البحر لموسى أن صهييا حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرقية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أظللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خاق قال نعم قال فما الخاق قال اماه لا نكح أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام بأهل الارض العليا دون من عداهم وإن كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثاني أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خاق من خلقه وأمر من أمره وقضاءه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرى ينزل الأمر ﴿لتعلموا أن الله على كل شىء قدير﴾ متعلق بخلق أو ينزل أو بمضمر يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شىء ﴿وأن الله قد أحاط بكل شىء علما﴾ لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة من ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شىء ما أصلا وقرى ليعلموا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم

(مدنية وآياتها عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ روى أن النبي عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلبت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامه قوامه وانها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفلفيرم العسل فنزلت فعنه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل ﴿تبتغى مرضاة أزواجك﴾ اما تفسير لتحرم أحوال من فاعله أو استئناف بيان مادعاه اليه مؤذن بعدم صلاحية لذلك ﴿والله غفور﴾ مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة ﴿رحيم﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك ﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ أى شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقده بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو

المراد هنا «والله مولاكم» سيدكم ومتولى أموركم «وهو العليم» بما يصلحكم فيشرعه لكم «الحكيم» المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة «وإذا أمر النبي إلى بعض أزواجه» وهي حفصة «حديثاً» أى حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة «فلما نبأت به» أى أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته اليها وقرىء أنبأت به «وأظهره الله عليه» أى أطلع الله تعالى النبي عليه الصلاة والسلام على إفشاء حفصة «عرف» أى النبي عليه الصلاة والسلام حفصة «بعضه» بعض الحديث الذى أفشته قيل هو حديث الإمامة روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكنمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحاً بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباه «وأعرض عن بعض» أى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية «فلما نبأها» أى أخبر النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بما عرفه من الحديث «قالت من أنباك هذا» أى إفشاءها للحديث «قال نبأني العليم الخبير» الذى لا تخفى عليه خافية «ان تتوبا إلى الله» خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للبالغة فى العتاب «فقد صغت قلوبكما» الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منك ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكره ما يكرهه وقرىء فقد زأغت «وان تظاهرا عليه» باسقاط احدى التامين وقرىء على الاصل وبتشديد الظاء وتظاهرا أى تعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط فى الغيرة وإفشاء سره «فان الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين» أى فلن يعد من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس السكرويين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبابكر وعمر رضى الله عنهما وقدر وى ذلك مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيرا وظهيرا فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهم له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيراً فى قلوب بنتيهما وتوهينا لأمرهما فكان حقيقاً بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور «والملائكة» مع تكرار عددهم وامتلاء السموات من جموعهم «بعد ذلك» قيل أى بعد نصرته الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين «ظهير» أى فوج مظاهره كما أنهم يد واحدة على من يعاديه فإذا يفيد تظاهراً أمرأتين على من هو لاء ظهرأوه وما ينبى عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصره غيرهم من حيث ان نصرته الكل نصرته الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوه ولعل الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهره صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهره الملائكة تداركاً لما يورمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهره صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام ايذاناً بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبراً لفصلها عن مظاهره جبريل عليه السلام «عسى ربه ان يطلعكن أن يبدله» أى يعطيه عليه السلام بدلكن «أزواجاً خيراً منكن» على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيراً منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطبيق واحدة وما علق بمالم يقع لا يجب وقوعه وقرىء أن يبدله بالتشديد «مسلمات مؤمنات» مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات «قانتات» مصليات أو مواظبات على الطاعة «تائبات» من الذنوب «عابدات» متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام «سائحات» صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسمح فى النهار بل زاد أو مهاجرات وقرىء سيحات «ثيبات وأبكاراً» وسط بينهما

العاطف لتنافيها ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ بترك المعاصي وفعل الطاعات ﴿وأهلكم﴾ بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرىء أهلكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أي قوا أتم وأهلكم أنفسكم ﴿نارا وقودها الناس والحجارة﴾ أي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالخطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للبالغة في التحذير ﴿عليها ملائكة﴾ أي تلى أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية ﴿غلاظ شداد﴾ غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ أي أمره على أنه بدل اشتغال من الله أو فيما أمرهم به على نزع الخافض أي لا يمتنعون من قبول الأمر ويلتزمون به ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي ويؤدون ما يؤمرون به من غير ثقاف ولا توان وقوله تعالى ﴿يأيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما أشد النهي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعاً ﴿يأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا﴾ أي بالغة في النصح ووصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتنام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا عن على رضى الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرأض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذيبها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حزب بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أي توبة ترفو خروفاً في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم غسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضاياتها وقرىء توبا نصوحا وقرىء نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصح كالشكر والشكور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا النصح أنفسكم على أنه مفعول له ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار﴾ ورود صيغة الاطاع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة ﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ ظرف ليدخلكم ﴿والذين آمنوا معه﴾ عطف على النبي وفيه تعريض بمن أخراهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحجاد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ أي على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وذا قوله تعالى ﴿يقولون﴾ الخ وعلى الثاني خبر آخر للوصول أي يقولون اذا طفي نور المنافقين ﴿ربنا أتم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير﴾ وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يملكون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتم لنا نورنا ﴿يأيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة ﴿واغلظ عليهم﴾ واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهداهما من القتال والمحاجة ﴿ومأواهم جهنم﴾ سيرون فيها عذابا غليظا ﴿وبئس المصير﴾ أي جهنم أو مصيرهم ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا﴾ ضرب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة

لها في الغرابة أى جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً وما لا على أن مثلاً مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى ﴿امرأة نوح وامرأة لوط﴾ أى حالهما مفعوله الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى ﴿كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين﴾ يبان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصالح أى كانتا في عصمة نبين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خيرى الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى ﴿نجاتهما﴾ يبان لما صدر عنهما من الجنابة العظيمة مع تحقق ما ينفى عنها من محبة النبى أى خاتماهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى ﴿فلم يغنيا﴾ الخ يبان لما أدى إليه خيانتهم أى فلم يغنى النبيان ﴿عنهما﴾ بحق الزواج ﴿من الله﴾ أى من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ أى شيئاً من الاغناء ﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أى جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى غرف الجنة وقوله تعالى ﴿اذ قالت﴾ ظرف لمحذوف أشير إليه أى ضرب الله مثلاً للمؤمنين حالها اذ قالت ﴿رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة﴾ قريباً من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين . روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ﴿ونجى من فوعون وعمله﴾ أى من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ﴿ونجى من القوم الظالمين﴾ من القبط التابعين له فى الظلم ﴿ومريم ابنة عمران﴾ عطف على امرأة فرعون تسلياً للآمل أى وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً ﴿التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه﴾ وقرى فيها أى مريم ﴿من روحنا﴾ من روح خلقناه بلا توسط أصلاً ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ بصحفة المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه ﴿وكتبه﴾ بجميع كتبه المنزلة وقرى بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل ﴿وكانت من القانتين﴾ أى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام . وعن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحاً

سورة الملك

(مكية وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وآياتها ثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ البركة والنماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للبالغة فى ذلك فإن ما لا يتصور نسبته إليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه إنما تنسب إليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات

وازدادها شيئاً فشيئاً وأنا فأنا بحسب حدودها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعلًا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلى في كل الأمور ﴿ وهو على كل شئ ﴾ من الأشياء ﴿ قدير ﴾ مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسب مقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها وقوله تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ﴾ شرع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستبائهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه في حكم الشهادة بتعالى تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الامات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فعنى خلقه حينئذ تقديره أو ازالة الحياة وأياً ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى ﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه أدعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقلب عملاً خاصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذى أثر وانما طريقها النظرى التفكير في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وانما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضاً لا الى الحسن والأحسن فقط للايذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقيين أيضاً لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام فى سلك الغاية للأفعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها ما لا يخفى ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب الذى لا يفوته من أساء العمل ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب منهم ﴿ الذى خلق سبع سموات ﴾ قيل هو نعت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعاً عنهما اعراباً كما مر تفصيله فى قوله تعالى

الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعالیه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلاوكم أيكم أحسن عملا وقوله تعالى ﴿طباقا﴾ صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها أى طوبقت طباقا وقوله تعالى ﴿ما ترى في خالق الرحمن من تفاوت﴾ صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلّة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبأن في ابداعها نعمة جليلة أو استئناف والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي أى ما ترى فيه شيأ من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناها واحد وقوله تعالى ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولا بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أى رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في ليك وسعديك أى رجعة بعد رجعة وان كثرت ﴿ينقلب اليك البصر خاسئا﴾ أى بعيدا محروما من اصابة ما التمس من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقهارة ﴿وهو حسير﴾ أى كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لا براز كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الأرض ﴿بمصابيح﴾ أى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تترامى كأن كلها مركوزة فيها مع أن بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لأن كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائع تحار في فهمه الأفكار وطراز فائق تهم في دركه الأنظار ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ وجعلناها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاء الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرمي به ﴿وأعتدنا لهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب السعير﴾ بعد الاحتراق في الدنيا بالشهب ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿عذاب جهنم﴾ وقرئ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم ﴿وبئس المصير﴾ أى جهنم ﴿اذا ألقوا فيها سمعوا لها﴾ أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى ﴿شقيقا﴾ لأنه في الأصل صفة فلما قدمت صارت حالا أى سمعوا كأنها لها شقيقا أى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشقيق في الصدر والزفير في الحلق ﴿وهي تفور﴾ أى والحال أنها تغلي بهم غليان الرجل بما فيه وجعل الشقيق لأهلها منهم ومن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشقيق يرده قوله تعالى ﴿تكاد تميز﴾ أى تتميز وتنفرق ﴿من الغيظ﴾ أى من شدة الغضب عليهم فانه صريح في أنه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فأين هو من شيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة اما حال من فاعل تفور أو خبر آخر وقوله تعالى ﴿كلما ألقى فيها فوج﴾ استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة ﴿سألهم خزنتها﴾ بطريق التريخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة ﴿ألم يأتكم نذير﴾ يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضا ﴿قالوا﴾ اعترافا بأنه تعالى قد أزاح عنهم الكمية ﴿بلى قد جاءنا نذير﴾ جامع بين حرف

الجواب ونفس الجملة المحاب بها مبالغة في الاعتراف بمجىء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمييدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واعتما على ذلك أى قال كل فوج من تلك الأفواج قد جانا نذير أى واحد حقيقة أو حكما كانبيا بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته ﴿فكذبنا﴾ ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى ﴿وقلنا﴾ فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير ﴿ما نزل الله﴾ على أحد ﴿من شئ﴾ من الأشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ﴿ان أنتم﴾ أى ما أنتم فى ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذرونا بما فيها ﴿الا فى ضلال كبير﴾ بعيد عن الحق والصواب وجمع ضد الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التضليل كما ينبى عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتما وأما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر بتحقيق يصار اليه لتحويل ما ارتكبه من الجنايات لا مساغ لا اعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لأنه فيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سبيه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخنزة فتأمل وكن على الحق المبين ﴿وقالوا﴾ أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل ﴿لو كنا نسمع﴾ كلاما ﴿أو نعقل﴾ شيا ﴿ما كنا فى أصحاب السعير﴾ أى فى عدادهم ومن أتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله ﴿فسحقا﴾ بسكون الحاء وقرىء بضمها مصدر مؤكدا ما لفعل متعدد من المزيد بحذف الزوائد كما فى قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقا أى اسحقا أولفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقا أى بعدا كما فى قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبأنا نباتا حسنا واللام فى قوله تعالى ﴿لأصحاب السعير﴾ للبيان كما فى هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب ﴿ان الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أى يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم ﴿لهم مغفرة﴾ عظيمة لأنزولهم ﴿وأجر كبير﴾ لا يقادر قدره ﴿وأسرأ قولكم أو أجهروا به﴾ بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما فى قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبي عليه الصلاة والسلام فيوحى اليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسرأ قولكم كيلا يسمع رب محمد فقل لهم أسرأ ذلك أو أجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايدان باقتضاهم ووقوع ما يحذر منه من أول الأمر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما فى الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ

في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو أو مباديه مضمرة في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة مالا غاية وراه كأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور والقلوب التي في الصدر والمعنى أنه عايم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى ﴿ألا يعلم من خلق﴾ انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون علما من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الافادة لان نظم الكلام حينئذ ألا يكون علما وهو مبالغ في العلم ﴿هو الذى جعل لكم الارض ذلولا﴾ لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فان ما حقه التقديم اذا أخر لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع مخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى ﴿فامشوا في مناكبها﴾ لترتيب الامر على الجعل المذكور أى فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منسكب البعير أرق أعضائه وأنباهها عن أن يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشى في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل ﴿وكلوا من رزقه﴾ واتمسوا من نعم الله تعالى ﴿واله النشور﴾ أى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه ﴿أأنتم من في السماء﴾ أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أى أأنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيغيثكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتغال من من وقيل هو على حذف الجار أى من أن يخسف ﴿فاذا هي تمر﴾ أى تضطرب ذهابا وبجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ﴿أم أأنتم من في السماء﴾ اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر أى بل أأنتم من في السماء ﴿أن يرسل عليكم حاصبا﴾ أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصاب كأنها تقلع الحصاب لشدها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة ﴿فستعلمون﴾ عن قريب البتة ﴿كيف نذير﴾ أى انذارى عند مشاهدتكم للمنذره ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات الى الغيبة لابرار الاعراض عنهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أى انكارى عليهم بانزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذبهم فقط وفيه من المبالغة في تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى ﴿أو لم يروا﴾ أغفلوا ولم ينظروا ﴿الى الطير فوقهم صافات﴾ باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهم اذا بسطنها صغفن قوائمها صغفا ﴿ويقبضن﴾ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينئذ فحينئذ للاستظهار به على التحرك

وهو السر في ايثار يقبض الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ﴿ما يمسكن﴾ في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع ﴿الا الرحمن﴾ الواسع رحمته كل شئ بأن برأهن على أشكال وخصائص وهياهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير في يقبضن ﴿انه بكل شئ بصير﴾ يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدير المصنوعات وقوله تعالى ﴿أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ تبكى لهم بنفى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكن الا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى ان أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا أن الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وهما الى تعيين الناصر لتبكيتهما باظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة بيل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل الى التبكيث بما ذكر والاتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهزمة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفة كما في قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وايتار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية مما لا تقرب له أصلا وقوله تعالى ﴿ان الكافرون الا في غرور﴾ اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أى ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شئ يعتد به في الجملة والاتفات الى الغيبة للايدان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضرار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى ﴿أم من هذا الذى يرزقكم ان أمسك﴾ أى الله عز وجل ﴿رزقه﴾ بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى ﴿بل لجوا في عتو ونفور﴾ مني عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اتر تمام التبكيث والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى﴾ الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيح حالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على مظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوى الغرور وكوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك الحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهزمة عليها صورة انما هو لاقتضاءها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهزمة هل لقليل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام أى صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى الى المقصد الذى يؤمه ﴿أم من يمشى سويا﴾ أى قائما سالما من الخبط والعثار ﴿على صراط مستقيم﴾ مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة ﴿قل

هو الذي أنشأكم ﴿ وجعل لكم السمع ﴾ لتسمعوا آيات الله وتمثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي
وتعظوا بمواعظها ﴿ والأبصار ﴾ لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل ﴿ والأفئدة ﴾
لتتفكروا بها فيما تسمعون وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة ﴿ قليلا
ما تشكرون ﴾ أى باستعمالها فيما خلقت لأجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى
شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم ﴿ قل هو الذى ذرأكم فى الأرض ﴾ أى خلقكم وكثركم
فيها لا غيره ﴿ واليه تحشرون ﴾ للجزاء لا الى غيره اشتراكا أو استقلالا فانبأكم على ذلك ﴿ ويقولون ﴾
من فرط عتوهم وعنادهم ﴿ متى هذا الوعد ﴾ أى الحشر الموعود كما ينبى عنه قوله تعالى واليه تحشرون ﴿ ان كنتم
صادقين ﴾ يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه الصلاة والسلام فى الوعد وتلاوة
الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجى الساعة والحشر فينبأكم وقته ﴿ قل
انما العلم ﴾ أى العلم بوقته ﴿ عند الله ﴾ عز وجل لا يطاع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربى ﴿ وانما أنا نذير
مبين ﴾ أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى ﴿ فلما
رأوه ﴾ فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فمأواه فلما رأوه الى آخره
كما مر تحقيقه فى قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع
وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى ﴿ زلفة ﴾ حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف أى ذالفة وقرب أو على أنه
مصدر بمعنى الفاعل أى مز دلفا أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفة ﴿ سيئت وجوه الذين
كفروا ﴾ بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصل موضع ضميرهم لزمهم بالكفر وتعليل المساءة به
﴿ وقيل ﴾ توبيخا لهم وتشديد العذابهم ﴿ هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ أى تطلبونه فى الدنيا وتسعجولونه انكارا واستهزاء على
أنه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لا بعث ولا حشر وقرى تدعون هذا وقد روى عن مجاهد
أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد ﴿ قل رأيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان أهلكنى الله ﴾ أى أمتنى والتعبير عنه بالاهلاك
لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك ﴿ ومن معى ﴾ من المؤمنين ﴿ أو رحمتا ﴾ بتأخير
آجالنا فنحن فى جورا رحمتهم متر بصون لاحدى الحسينين ﴿ فمن يحير الكافرين من عذاب أليم ﴾ أى لا ينجيكم منه
أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به ﴿ قل هو الرحمن ﴾
أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها ﴿ آمنا به ﴾ وحده لما علمنا أن كل ماسواه اما نعمة أو منعم عليه
﴿ وعليه توكلنا ﴾ لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ما عداه كائن ما كان بمعزل من النفع والضرر ﴿ فستعلمون ﴾ عن قريب
البتة ﴿ من هو فى ضلال مبين ﴾ منا ومنكم وقرى فسيعلمون بالياء التحتانية ﴿ قل رأيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان أصبح
مأوكم غورا ﴾ أى غائرا فى الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾
جار أو ظاهر سهل المأخذ . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر

سورة ن

(مكية وآياتها ثنتان وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ن﴾ بالسكون على الوقف وقرى بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذ كرا لفتحها كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي بأحد الطريقتين المذكورين في موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى ﴿والقلم﴾ للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه وأيا ما كان فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولولم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحريك كتب الله عز قائلا لا كفي به فضلا موجبا لتعظيمه وقرى بادغام النون في الواو ﴿وما يسطرون﴾ الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطهم على أنها صدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافه الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريقه عليه الصلاة والسلام والايدان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراهما والمراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما كانوا ينسبونه عليه الصلاة والسلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه الصلاة والسلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصانة العقل ورزانه الرأي ﴿وان لك﴾ بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة ﴿لأجرا﴾ لثوابا عظيما لا يقادر قدره ﴿غير ممنون﴾ مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط ﴿وانك لعلی خلق عظيم﴾ لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن أأست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والملتان معطوفتان على جواب القسم ﴿فستبصر ويبصرون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر ﴿بأيكم المفتون﴾ أي أيكم الذي قن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمقهول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشهر وقوله تعالى ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله﴾ تعليل لما ينبي عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام في تيه

الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعاً فيؤثره والنفع ضرراً فيهجره ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى ﴿فلا تطع المكذبين﴾ لترتيب النهي على ما ينبي عنه ما قبله من اهتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهيج والهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهى عن مداهمتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره عليه الصلاة والسلام استجلاباً لقلوبهم لاعتن طاعتهم حقيقة كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿ودوا لوتدهن﴾ فانه تعليل للنهي أو لانتهاه وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير أي أحبوا لوتلائمهم وتسامحهم في بعض الأمور ﴿فيدهنون﴾ أي فهم يدهنون حيثئذ أو فهم الآن يدهنون طمعاً في ادهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتي من بدئهم بالادهان على أن ادهانهم أمر محقق لا يناسب ادخاله تحت التثني وأياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها وأما في جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتبره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التثني المفهوم من ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطوف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنوا لسروا بذلك ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف في الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر ﴿مهين﴾ حقير الرأي والتدبير ﴿هماز﴾ عياب طعان ﴿مشاء بنميم﴾ مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية ﴿مناع للخير﴾ أي بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق ﴿معتد﴾ متجاوز في الظلم ﴿أثيم﴾ كثير الآثام ﴿عتل﴾ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة ﴿بعد ذلك﴾ بعد ما عدا من مثالبه ﴿زنيم﴾ دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلي متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معاييه وأقبح قبائحها قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعياً في قریش وليس من سنخهم ادعاء المغيرة بعد ثمان عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة ﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ متعلق بقوله تعالى لا تطع أي لا تطع من هذه مثالبه لأن كان متمولاً مستظهاً بالبنين وقوله تعالى ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين﴾ استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهاً بالمال والبنين كذب با آياتنا وفيه أنه يدل على أن مدار تكذبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ أن كان على معنى الآن كان ذا مال كذب بها أو أطيعه لأن كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطاً يساره لأن اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ بالكي على أكرم مواضعه لغاية اهانتهم واذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناها منعه

يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة ﴿أنا بلونا هم﴾ أى أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لا يهتم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات أبوه قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فخلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى ﴿اذ أقسموا ليصر منها مصبحين﴾ ليقطعنها داخلين فى الصباح ﴿ولا يستثنون﴾ أى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لا أخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستثنون حصه المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة ﴿فطاف عليها﴾ أى على الجنة ﴿طائف﴾ بلا طائف وقرى طيف ﴿من ربك﴾ مبتدأ من جهته تعالى ﴿وهم نائمون﴾ غافلون عما جرت به المقادير ﴿فأصبحت كالصريم﴾ كالبلستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أى احترقت فاسودت وقيل كالنهار أى يبست وايضت سميا بذلك لان كلاهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال ﴿فتنادوا﴾ أى نادى بعضهم بعضا ﴿مصبحين﴾ داخلين فى الصباح ﴿أن اغدوا﴾ أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدوة ﴿على حرثكم﴾ بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال أو الاستيلاء ﴿ان كنتم صارمين﴾ قاصدين للصرم ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ أى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافة وخفي وخفت وخفد ثلاثها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿أن لا يدخلنها﴾ أى الجنة ﴿اليوم عليكم مسكين﴾ أن مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرى بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ أى على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين ففعلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الاتفاف وقيل الحرد الحرد وقد قرى بذلك أى لم يقدروا الا على حق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة ﴿فلما رأوها قالوا﴾ فى بديهة رؤيتهم ﴿أنا لضالون﴾ أى طريق جنتنا وماهى بها ﴿بل نحن محرومون﴾ قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الأول أى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمانا خيرا بجنايتنا على أنفسنا ﴿قال أوسطهم﴾ أى رأيا أوسنا ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ لولا تذكرن الله تعالى وتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النعمة فعصوه فغيرهم كما ينبى عنه قوله تعالى ﴿قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين﴾ وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لا شترا كما فى التعظيم أو لانه تنزيه له تعالى عن أن يجرى فى ملكه مالا يشاؤه ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره ﴿قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين﴾ متجاوزين حدود الله ﴿عسى ربنا أن يبدلنا﴾ وقرى بالتشديد أى يعطينا بدلا

منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ﴿خير ائمانها انا الى ربنا راغبون﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لا تنها
الرجبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا ان أبدلنا الله خيرا منها
لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى أمر
جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها
عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد الليثي دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم
وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعباً وعن الحسن رحمه الله تعالى قول
أصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا أدري ائمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة
فتوقف في أمرهم والا كثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري ﴿كذلك العذاب﴾ جملة من مبتدا وخبر
مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد أى مثل الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ﴿ولعذاب
الآخرة أكبر﴾ أعظم وأشد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ﴿ان للمتقين﴾ أى من
الكفر والمعاصي ﴿عند ربهم﴾ أى فى الآخرة أو فى جوار القدس ﴿جنات النعيم﴾ جنات ليس فيها الا التمتع
الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى ﴿أفجعل المسلمين
كالجرحمين﴾ تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما
وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي فى
الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساونا والهزمة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أى أنخيف فى الحكم فنجعل المسلمين الكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ﴿مالكم
كيف تحكمون﴾ تعجيباً من حكمهم واستبعاداً له وايداناً بأنه لا يصدر عن عاقل ﴿أم لكم كتاب﴾ نازل من السماء
﴿فيه تدرسون﴾ أى تقرأون ﴿ان لكم فيه لما تخيرون﴾ أى ماتخيرونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه
مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للبدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام
على نوح فى العالمين وتخيره الشئ واختياره أخذ خيره ﴿أم لكم أيمان علينا﴾ أى عهود مؤكدة بالآيمان ﴿بالغة﴾
متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين ﴿الى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدر فى لكم أى
ثابتة لكم الى يوم القيامة لانخرج عن عهدها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيك ماتحكمون أو ببالغة أى أيمان تبلغ ذلك اليوم
وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين ﴿ان لكم ماتحكمون﴾ جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا أيمان أم أقسمنا
لكم ﴿سلمهم﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلمهم
مبكتاً لهم ﴿أيهم بذلك﴾ الحكم الخارج عن العقول ﴿زعيم﴾ أى قائم يتصدى لتصحيحه ﴿أم لهم شركاء﴾
يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم ﴿فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين﴾ فى دعواهم اذ لا أقل من التقليد
وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شئ يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله
وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ أى يوم يشتد الامر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الحرب قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشئ أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان أى يوم يكشف عن أصل الامر فظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ تكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من كشف الامر أى دخل فى الكشف وناسب الظرف فليأتوا أو مضممر مقدم أى اذ كر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاحوال وعظامم الاحوال مالا يبلغه الوصف (ويدعون الى السجود) تويخا وتعنيافا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفریطهم فى ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأق منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلاهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقي أصلاهم طبقا واحدا أى فقارة واحدة (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الأبصار لظهور أثره فيها (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم (ذلة) شديدة (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا والظهار فى موضع الاضمار لزياده التقرير أو لان المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف (وهم سالمون) متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيئون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) أى كله الى فانى أ كفيك أمره أى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه أن تكل أمره الى وتخلي بيني وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطبق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى (سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى يكذب باعتبار لفظها أى سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون أنها يثار لهم وتفصيل على المؤمنين مع أنه سبب هلاكهم (وأمل لهم) وأملهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون أن ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدى متين) لا يوقف عليه ولا يدفع بشئ وتسمية ذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد (أم تسألهم) على الابلاغ والارشاد (أجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) أى غرامة مالية (مثقلون) مكلفون حملا ثقيلافيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أى اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون ويستغنون به عن عليك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أى يونس عليه السلام (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذا منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حالك كحال ه وقت ندائه أى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه (لنبد بالعراء) بالارض الخالية من الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى (فاجتبه ربه) عطف على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتبه بأن رد اليه الوحي وأرسله الى مائه الف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح أنه لم يكن نيبا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من السكاملين فى الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلا يكون

تركه أولى. روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف ﴿وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ وقرى ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلقون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى أى لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى أنه كان في بنى أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل القبر والجلل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية ﴿لما سمعوا الذكر﴾ أى وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدكم عند سماعه ﴿ويقولون﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة بأحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه ﴿انه لمجنون﴾ وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علوشأنه وسطوع برهانه فقليل ﴿وما هو الا ذكر للعالمين﴾ على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أى يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسرار طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا بما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة

(مكية وآياتها احدى وخمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحاقة﴾ أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المحيى لا محالة أو التى يحق فيها الامور الحققة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولى العلم وأياما كان خذف الموصوف للايدان بكال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ﴿ما الحاقة﴾ على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هى أى شئ هى فى حالها وصفها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمّر تأكيذا لهولها هذا ما ذكره فى اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة يبان أن الحاقة أمر بديع وخطب فطيع كما يفيد كونه ما خبرا لا يبان أن أمرا بديعا الحاقة كما يفيد كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى ﴿وما أدراك﴾ أى وأى شئ أعلمك ﴿ما الحاقة﴾ تأكيدها لهولها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ هنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراك به فلها

وتعت جملة الاستفهام معاقبة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ أى بالحالة التى تقررع الناس بفنون الأفراع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوقة لاعتلال بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام اثر تقرير أنه ما أداره عليه الصلاة والسلام بها أحد كما في قوله تعالى وما أدراك ما هي نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك نفس المسئول عنها وههنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكرها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ أى بالراقة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الراجفة ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر﴾ أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق بيردها ﴿عاتية﴾ شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى ﴿سخرها عليهم﴾ الاستئناف جى به يسانا لكيفية اهلاكهم بالريح أى ساطها الله عليهم بقدرته القاهرة ﴿سبع ليل وثمانية أيام حسوما﴾ أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كبتها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أوقاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صيحة أربعا الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لأن عجوزا من عاد توارت في سرب فانزعجتا الريح في اليوم الثامن فأهلكتهما وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤثر والمعلل ومطنى الجر وقيل ومكفى الظعن ﴿فترى القوم﴾ ان كنت حاضرا حينئذ ﴿فيها﴾ فى مهابها أو فى تلك الليالى والأيام ﴿صرعى﴾ موقى جمع صريع ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أى أصول نخل ﴿خاوية﴾ متأكلة الاجواف ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ أى ومن تقدمه وقرىء ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرىء ومن معه ﴿والمؤتفكات﴾ أى قرى قوم لوط أى أهلها ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ أو بالفعل أو الأفعال ذات الخطأ التى من جماتها تكذيب البعث والقيامة ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح ﴿فأخذهم﴾ أى الله عز وجل ﴿أخذة راية﴾ أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشئ اذا زاد ﴿انا لما طغيا الماء﴾ بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومباغتهم فى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما أوحى اليه من الأحكام التى من جماتها أحوال القيامة ﴿حملناكم﴾ أى فى أصلاب آبائكم ﴿فى الجارية﴾ فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه تنبيه على أن مدار نجائهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى ﴿لنجعلها﴾ أى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿لكم تذكرة﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته ﴿وتعيا﴾ أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشئ فى نفسك والاياء

أن تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرى تعيا بسكون العين تشبها له بكتف ﴿أذن واعية﴾ أى أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكير فيه ولا تضعيه بترك العمل به والتذكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلتها يتسبب لنجاة الجحيم والعفو وإدامة نسلهم وقرى أذن بالتخفيف ﴿فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها أثر بيان عظم شأنها باهلاك مكذبيها وإنما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرى نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم ﴿وحملت الأرض والجبال﴾ أى قلعت ورفعت من أما كتبها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة ﴿فدكتا دكة واحدة﴾ أى فضربت الجبلتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كشيئا مهبطا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش وبعير أدك وناقاة دكاء ومنه الدكان ﴿فيومئذ﴾ فيئذ ﴿وقعت الواقعة﴾ أى قامت القيامة ﴿وانشقت السماء﴾ لزول الملائكة ﴿ففى﴾ أى السماء ﴿يومئذ واهيه﴾ ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة ﴿والملك﴾ أى الخالق المعروف بالملك ﴿على أرجائها﴾ أى جوانبها جمع رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى أكنافها وحافاتها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية ﴿يومئذ ثمانية﴾ من الملائكة عن النبي عليه الصلاة والسلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة الذئب وروى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجه على الناس للقضاء العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال والالفة سبحانه أجل من كل ما يحيط به ذلك العبارة والاشارة ﴿يومئذ تعرضون﴾ أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبها به عرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم . روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه يمينه والهاك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صرح جعله ظرفا للكل ﴿لا تخفى منكم خافية﴾ حال من مرفوع تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وإنما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرى يخفى بالياء التحتانية ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه﴾ تفصيل لأحكام العرض ﴿فيقول﴾ تبجحا وابتهاجا ﴿هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ ها اسم لحذوفه ثلاث لغات أجودهن ها يارجل وها يامرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان وهاؤون يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابه مفعول اقرؤا لأنه أقرب العاملين ولأنه لو كان مفعول هاؤم ل قيل اقرؤه اذ الأولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفى حسابه وماليه وسطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام ﴿انى ظننت انى ملاق حسابه﴾ أى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بأنه لا يقدر فى الاعتقاد ما بهجس فى النفس من الخطرات التى لا ينفك

عنها العلوم النظرية غالباً ﴿فهو في عيشة راضية﴾ ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع في النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونه بالتعظيم ﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المكان لانها في السماء أو الدرجات أو الابنية والاشجار ﴿قطوفها﴾ جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر ﴿دانية﴾ يتناولها القاعد ﴿كلوا واشربوا﴾ باضمار القول والجمع باعتبار المعنى ﴿هنيئاً﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً أو هنتم هنيئاً ﴿بما أسلفتم﴾ بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة ﴿في الأيام الخالية﴾ أى الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام وروى يقول الله تعالى يا أوليائى طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفافكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية ﴿وأما من أوتى كتابه بشماله﴾ ورأى ما فيه من قبائح الاعمال ﴿فيقول باليتنى لم أوت كتابه ولم أدر ما حسابه﴾ لما شاهد من سوء العاقبة ﴿ياليتها﴾ ياليت المونة التى متها ﴿كانت القاضية﴾ أى القاطعة لا مرمى ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للموتة ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أى ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حياً ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ مالى من المال والاتباع على أن مانافية والمفعول محذوف أو استفهامية للانكار أى شئ أغنى عني ما كان لى من اليسار ﴿هلك عني سلطانيه﴾ أى ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات ﴿خذوه﴾ حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار ﴿فقلوه﴾ أى شدوه بالأغلال ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاضم على الناس ﴿ثم فى سلسلة ذرعتها﴾ أى طولها ﴿سبعون ذراعاً فأسلكوه﴾ فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطيع حراً كما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة ﴿أنه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾ تعليل بطريق الاستئناف التحقيق وصفه تعالى بالعظم للايدان بأنه المستحق للعظمة فحسب من نسبها الى نفسه استحق أعظم العقوبات ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ ولا يبحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلاً أن يبدل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فإظناك بتارك الفعل وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المواخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ أى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لأن أوليائه يتحامونه ويفرون منه ﴿ولا طعام الا من غسلين﴾ أى من غسالة أعمل النار وصديدهم فعيل من الغسل ﴿لا يأكله الا الخاطئون﴾ أصحاب الخطايا من خطي الرجل اذا تعدد الذنب لا من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المشركون وقرئ الخاطيئون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله ﴿فلا أقسم﴾ أى فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيدها وأما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى ﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ كما مر فى سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والأول منتظم للكل ﴿انه﴾ أى القرآن ﴿لقول رسول﴾ يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه ﴿كريم﴾ على الله تعالى وهو النبي أو جبريل عليهما السلام ﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما ترعون تارة ﴿قليلاً﴾

ما تؤمنون ﴿إيماننا قليلا تؤمنون﴾ ولا بقول كاهن ﴿كما تدعون ذلك تارة أخرى﴾ قليلا ما تذكرون ﴿قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون على أن القلة بمعنى النفي أى لا تؤمنون ولا تذكرون أصلا قيل ذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم وأنت خير بأن ذلك أيضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرىء بالياء فيهما ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزل على لسان جبريل عليه السلام ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ سمي الافتراء تقولاً لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها جمع أفعولة من القول كالأضاحيك ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أى يمينه ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

﴿فما منكم﴾ أيها الناس ﴿من أحد عنه﴾ عن القتل أو المقتول ﴿حاجزين﴾ دافعين وصف لأحد فانه عام ﴿وانه﴾ أى وإن القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ لأنهم المنتفعون به ﴿وانا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ فنجازيهم على تكذيبهم ﴿وانه لحسرة على الكافرين﴾ عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين ﴿وانه لحق اليقين﴾ الذى لا يحوم حوله ريب ما ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أى فسمح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالقول عليه وشكرا على ما أوحى إليك . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسبا بإيسرها

سورة المعارج

(مكية وآياتها أربع وأربعون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سأل سائل﴾ أى دعا داع ﴿بعذاب واقع﴾ أى استدعاه وطلبه وهو النضرين الحرث حيث قال انكارا واستهزاء أن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمدا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل عذابهم وقرىء سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى مامر أو من السيلان ويؤيده أنه قرىء سال سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبورا وقد مر حال الفهري واما فى الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم ﴿للكافرين﴾ صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ﴿ليس له دافع﴾ صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصسه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف ﴿من الله﴾ متعلق بواقع أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى ﴿ذى المعارج﴾ ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالآوامر والنواهي أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ أى جبريل عليه السلام

أفرد بالذكر لتمييزه وفضله وقيل الروح خلقهم حفظه على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس ﴿إليه﴾ إلى عرشه تعالى وإلى حيث تهبط منه أو أمره تعالى وقيل هو من قبيل قول إبراهيم عليه السلام إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني به ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ مما يعبده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أي يقطعون في يوم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يرم القيامة واستطالته إما لأنه كذلك في الحقيقة أو لشدة على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياما كان فذلك في حق الكافر وأما في حق المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسى بيده أنه ليخف على المؤمن حتى أنه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنّت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسأل سائل أو سال سيل فعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام ﴿إنهم يرونه﴾ أي العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع ﴿بعيدا﴾ أي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ﴿ونراه قريبا﴾ هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد والقرب معتبران بالنسبة إلى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ متعلق بقريبا أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أي يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الأحوال والأحوال ما لا يوصف أو بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا مادعا به النضر أو أبو جهل أو الفهرى فالسؤال بمعدناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبير واقوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ ألوانا لا اختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحممر مختلف ألوانها وغرايب سود فاذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ أي لا يسأل قريبا قريبا عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول أي لا يطلب من حميم حميم أو لا يسأل منه حاله ﴿يبصر ونهم﴾ أي يبصر الأحماء والأحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كيباض الوجه وسواده والأول أدخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصر ونهم والجملة استئناف ﴿يود المجرم﴾ أي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى ﴿لو يفترى من عذاب يومئذ﴾ أي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ﴿بينه وصاحبه وأخيه﴾ حكاية لودادتهم ولو في معنى التمنى وقيل هي بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود اقتداء بهينه الخ والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفترى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه

فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرى يومئذ بالفتح على البناء للزيادة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب (وفصيلته) أي عشرته التي فصل عنهم (التي تؤويه) أي تضمه في النسب أو عند الشدائد (ومن في الأرض جميعا) من الثقلين والخلائق ومن للتغليب (ثم ينجي) عطف على يفقد أي يود لو يفقد ثم لو ينجي الاقتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجي ذلك وهيئات (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الاقتداء وضمير (انها) اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو مبهم ترجم عند الخبر الذي هو قوله تعالى (لظى) وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الاطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس وقرى نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لأن أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره (تدعو) أي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتهما (من أدبر) أي عن الحق (وتولى) أعرض عن الطاعة (وجمع فأوعى) أي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا (ان الانسان خلق هلوعا) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى (اذا مسه الشر) أي الفقر والمرض ونحوهما (جزوعا) أي مبالغا في الجزع مكثرا منه (واذا مسه الخير) أي السعة والصحة (منوعا) مبالغا في المنع والامساك والوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الانسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا (الامصيلين) استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانباء نعوتهن عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه (الذين هم على صلواتهم دأمنون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين في أموالهم حق معلوم) أي نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة (للسائل) للذي يسأله (والمحروم) الذي لا يسأله فيظن أنه غني فيحرم (والذين يصدقون يوم الدين) أي بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المشوبة الآخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم يوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنايته عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين) سلف تفسيره في سورة المؤمنين (فمن ابتغى) أي طلب لنفسه (وراء ذلك) وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات (فأولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشيء من حقوقها (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها وقرى لأمانتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرها باعتبارين للدلالة على فضلها واناقتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات

لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم

اذا نأى كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمّة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تنمة للآخر ﴿أولئك﴾ إشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للإيدان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿في جنات﴾ أى مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى ﴿مكرمون﴾ خبر آخر وأهو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أى مكرمون كائنين في جنات ﴿فما للذين كفروا قبلك﴾ حولك ﴿مطعنين﴾ مسرعين نحوك مادي أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك ﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العز وكان كل فرقة تعزى الى غير من تعزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة حلقة وفرقا فرقا ويستهنون بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت ﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ بلا ايمان ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ ﴿انا خلقناهم مما يعلمون﴾ قيل هو تعاليل للردع والمعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى

أأزمت من آل ليلي ابتكارا وشطت على ذى هوى أن تزارا

وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن ييؤأ ميوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطعموا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخل الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قدرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل الايمان والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولا يخفى ما في الكل من التمثل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سبق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾ والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من أن خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب ﴿انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم﴾ أى نهلكهم بالمرّة حسبما تقتضيه جانياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم ﴿فذرهم﴾ غفلهم وشأنهم ﴿يخوضوا﴾ في باطلهم الذى من جملة ما حكى عنهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم ﴿حتى يلاقوا يومهم الذى يعدون﴾ وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الإخراج ﴿سراعا﴾ حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين ﴿كانهم الى نصب﴾ وهو كل مانصب فبعد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وفتح النون وسكون الصاد أيضا ﴿يوفضون﴾ يسرعون ﴿خاشعة أبصارهم﴾ وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ﴿ترهقهم ذلة﴾ تغشاهم ذلة شديدة ﴿ذلك﴾ الذى ذكر ما سيقع فيه من الأحوال الهائلة ﴿اليوم الذى كانوا يوعدون﴾ فى الدنيا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لآماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح عليه السلام

(مكية وآياتها تسع وأثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك﴾ أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل اليها الفعل فان حذفه مع أن وان مطرد وجعلت صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك لآن مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية وجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمال وهي لا توصف الا بالجمال الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضى والمستقبل كأنه قيل أرسلناه بالانذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلناه أنذر أي أرسلناه بالأمر بالانذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما في الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها نصب عند سيويوه والفرأ والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على ارادة القول ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ عاجل أو آجل لثلا يبقى لهم عذر ما أصلا ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل ما فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم ﴿يا قوم اني لكم نذير مبين﴾ منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى ﴿أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ متعلق بنذير على الوجهين المذكورين ﴿يعفركم من ذنوبكم﴾ أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه ﴿ويؤخركم الى أجل مسمى﴾ هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى ﴿ان أجل الله﴾ أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر ﴿اذا جاء﴾ وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاءكم على الكفر فلا يجيئ ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فانه أجل موقت له حتما وحمله على الاجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتعبة للغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد أن يكون المنق عند مجيئ الاجل هو التأخير الموعد فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى ﴿لو كنتم تعلمون﴾ أي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما أمرتكم به ﴿قال﴾ أي نوح عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضائق عليه الحيل وعيت به العلل ﴿رب اني دعوت قومي﴾ الى الايمان والطاعة ﴿ليلا ونهارا﴾ أي دائما من غير فتور ولا توان ﴿فلم يزدني الا فرارا﴾ مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببته لها كما في قوله تعالى زادتهم ايمانا ﴿واني كلما دعوتهم﴾ أي الى الايمان ﴿لتغفر لهم﴾ بسببه ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ أي سدوا مسامعهم

من استماع الدعوة ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ أى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم ﴿وأصروا﴾ أى أكبوا على الكفر والمعاصى مستعازين من أصر الحمار على العانة إذا أصر أذنيه وأقبل عليها ﴿واستكبروا﴾ عن اتباعى وطاعى ﴿استكبارا﴾ شديدا ﴿ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسرت لهم أسراراً﴾ أى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غيب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثمرت لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الأسرار والجمع بينهما أغلظ من الأفراد أو لتراخى بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعى الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهارا أى مجاهرا به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرا ﴿فقلت استغفروا ربكم﴾ بالتوبة عن الكفر والمعاصى ﴿انه كان عفارا﴾ للتائبين كأنهم تعلموا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم ان آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه ﴿يرسل السماء عليكم مدرارا﴾ أى كثير الدرور والمراد بالسما المظلة أو السحاب ﴿ويمددكم بأموال وبنين ويحمل لكم جنات﴾ بساتين ﴿ويجعل لكم﴾ فيها ﴿أنهارا﴾ جارية ﴿مالكم لا ترجون لله وقارا﴾ انكار لأن يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرني والله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ أى والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاط ثم نطقا ثم علقا ثم مضغاً ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فان التفسير فى توفير من هذه شئونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الأمل أى مالكم لا تؤملون له تعالى توفيرا أى تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب والله بيان للوقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما وأما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع أن فى جعل الوقار بمعنى التوفير من التعسف وفى قوله والله بيان للوقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للوقر يقتضى أن يكون التوفير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفاله تعالى وقيل مالكم لا تخافون الله عظمة وقدرته على أخذكم بالعقوبة أى أى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لا تخشون الله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ أى متطابقة بعضها فوق بعض ﴿وجعل القمر فى نورا﴾ أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شاففة لا تحجب ما وراءها فبرى

الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون رافقاً واحدة منها كأنه في النكل ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا في ضوءها وجه الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج بما يحتاجون إلى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور في الجملة ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ أي أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتاً أما مصدر مؤكداً أنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أي أنبتكم من الأرض فنبتم نباتاً ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض انباتاً فنبتم نباتاً فيحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاءً في كل منهما بما ذكر في الأخرى كما مر في قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الأهر وإن يردك بخير فلا راد لفضله ﴿ثم يعيدكم فيها﴾ بالدفن عند موتكم ﴿ويخرجكم﴾ منها عند البعث والحشر ﴿إخراجاً﴾ محققاً لا ريب فيه ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾ تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوله مع أن حقه التأخير لما مر مراراً من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحاً بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند ورودها لفضلها تمكن ﴿لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً﴾ أي طرقاً واسعة جمع فجع وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلاً أي كائناً من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها ﴿قال نوح﴾ أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أي قال مناجياً له تعالى ﴿رب انهم عصوني﴾ أي تموا على نصيائي فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير ﴿واتبعوا من لم يزدده ماله وولده الا خساراً﴾ أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجهاتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ﴿ومكروا﴾ عطف على صلة من واجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في الضمائر الأولى باعتبار لفظها ﴿مكراً كباراً﴾ أي كبيراً في الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبغ منه وهو أبغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصددهم للناس عنه وتحريشهم لهم على أذية نوح عليه السلام ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم﴾ أي لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح ﴿ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ أي ولا تذرنا عبادة هؤلاء خصوصاً بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صرتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم وتبكون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثاً ويعوقاً للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلبية ﴿وقد أضلوا﴾ أي الرؤساء ﴿كثيراً﴾ خلقاً كثيراً أو الأصنام كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيراً من الناس ﴿ولا تزد الظالمين الا ضلالاً﴾ عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائية عنه أي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالاً ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم

ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما ساقى من دعائه عليه الصلاة والسلام ﴿مما خطيئاتهم﴾ أى من أجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرزيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرىء مما خطاياهم ومما خطيئاتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم ﴿أغرقوا﴾ بالطوفان لا بسبب آخر ﴿فأدخلوا نارا﴾ المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء عن الضحك أنهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتزيله منزلة المتعقب لا غراقهم لا قترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها أو لانه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ أى لم يجد أحد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم ﴿وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الاحوال والاقوال والاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة فى النفي العام يقال ما بالدار ديارا أو ديور كقيام وقيام أى أحده وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لافعال والا لكان دوارا ﴿انك ان تذرهم﴾ عليها كلا أو بعضا ﴿يضلوا عبادك﴾ عن طريق الحق ﴿ولا يلدوا الا فاجرا كفارا﴾ أى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكرا وانما قاله لاستحكام عليه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريبا من ألف سنة ﴿رب اغفرلى ولوالدى﴾ أبوه ملك بن متوشلخ وأمه شمشابنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرىء ولولدى يريد ساما وحاما ﴿ولمن دخل بيتى﴾ أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى ﴿مؤمنا﴾ بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يحزم عليه الصلاة والسلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من أهلك وقدم تفصيله فى سورة هود ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسباً ودينا ﴿ولا تزد الظالمين الا تبارا﴾ أى هلاكاً قليل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم براءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله برائتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله تعالى أرحام نساءهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرّكهم دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن

(مكية وآياتها ثمان وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل أوحى الى﴾ وقرىء أوحى الى أصله وحى وقد قرىء كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن ﴿أنه﴾ بالفتح لانه فاعل أوحى والضمير للشان ﴿استمع﴾ أى القرآن كما ذكر فى الاحقاف وقد

حذف لدلالة ما بعده عليه ﴿نفر من الجن﴾ نفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف ﴿فقالوا﴾ لقومهم عند رجوعهم اليهم ﴿انا سمعنا قرآنا﴾ كتابا مقروءا ﴿عجبا﴾ بديعا مبينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للبالغة ﴿يهدى الى الرشده﴾ الى الحق والصواب ﴿فآمنابه﴾ أى بذلك القرآن ﴿ولن نشرك ربنا أحدا﴾ حسبنا نطق به ما فيه من دلائل التوحيد ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنابه كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أى ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أى عظم تمسكه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن صاحبة والولد لعظمته أو سلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفًا على المحكى بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ بيان لحكم تعالى جده وقرئ جد ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ صاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ صاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه ﴿وأنه كان يقول سفيها﴾ أى ابليس أو مردة الجن ﴿على الله شططا﴾ أى قولًا ذا شطط أى بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة صاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفيهاهم من قبل أيضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيها في حقه تعالى كان شططا وأما تعلقهما بقوله تعالى ﴿وأنا ظننا أن لن نقول الا نس والجن على الله كذبا﴾ فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيهاهم أى كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أى قولًا كذبا أى مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التامين فكذبنا مصدر مؤكده لان الكذب هو التقول ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون رجال من الجن﴾ كان الرجل من العرب اذا أمسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادى من سفيها قومهم يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدننا الانس والجن وذلك قوله تعالى ﴿فزادهم﴾ أى زاد الرجال العائذون الجن ﴿رهقا﴾ أى تكبرا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلواهم حتى استعاذوا بهم ﴿وأنهم ظنوا﴾ أى الانس ﴿كما ظننتم﴾ أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض ﴿أن لن يبعث الله أحدا﴾ وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفًا على أنه استمع اذلا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ وما بعده من الجمل المصدرة بأن ينبغى أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجلس يقال لمسه واتمسه وتلبسه كطلبه واطلبه وتطلبه ﴿فوجدناها ملئت حرسا﴾ أى حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل ﴿شديدا﴾ قويًا وهم الملائكة يمنعونهم

عنها ﴿وشهابا﴾ جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب ﴿وأنا كنا نقعد﴾ قبل هذا ﴿منها﴾ من السماء ﴿مقاعدا للسمع﴾ خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع والسمع متعلق بنقصد أي لاجل السمع أو بمضمهر هو صفة لمقاعدا أي مقاعد كائنة للسمع ﴿فمن يستمع الآن﴾ في مقعد من المقاعد ﴿يجد له شهابا رصدا﴾ أي شهابا راصدا له ولا جله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرص قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضا لكنه كثرا لرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا ما هذا إلا أمر أراد الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم ﴿وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض﴾ بحراسة السماء ﴿أم أراد بهم ربهم رشدا﴾ أي خيرا ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أي الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصالح حسب مقتضيه الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿كنا طرائق قدا﴾ وأما حالهم بعد استماعه فسيحكي بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى إلى قوله تعالى وأنا منا المسلمون أي كنا قبل هذا ذوى طرائق أي مذاهب أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق قدا أي متفرقة مختلفة جمع قدة من قدا كالقطعة من قطع ﴿وأنا ظننا﴾ أي علمنا الآن ﴿أن لن نعجز الله﴾ أي أن الشأن لن نعجز الله كائنين ﴿في الأرض﴾ أينا كنا من أقطارها ﴿ولن نعجزه هربا﴾ هارين منها إلى السماء أولن نعجزه في الأرض إذ أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا إن طلبنا ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ أي القرآن الذي هو الهدى بعينه ﴿آمنا به﴾ من غير تلغم وتردد ﴿فمن يؤمن بربه﴾ وبما أنزله ﴿فلا يخاف﴾ فهو لا يخاف ﴿بخسا﴾ أي نقصا في الجزاء ﴿ولا رهقا﴾ ولا أن رهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق إذا لم يبخص أحدا حتما ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يحتجب المظالم وقرىء فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجات المؤمن واختصاصها به ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق الذي هو الإيمان والطاعة ﴿فمن أسلم فأولئك﴾ إشارة إلى من أسلم والجمع باعتبار المعنى ﴿تحرخوا﴾ توخوا ﴿رشدا﴾ عظيما يبلغهم إلى دار الثواب ﴿وأما القاسطون﴾ الجائرون عن سنن الإسلام ﴿فكانوا ألجهم خطبا﴾ توقدهم كما توقد بكفرة الانس ﴿وأن لو استقاموا﴾ أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما ﴿على الطريقة﴾ التي هي ملة الإسلام ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ أي لو سعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن عن الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجن على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الإسلام لأنعمنا عليهم وسعنا رزقهم ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلبوا باستماع القرآن لو سعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله ﴿عذابا صعدا﴾ أي شاقا صعبا يعلو المذهب ويغلبه على أنه مصدر ووصف به مبالغته ﴿وأن المساجد لله﴾ عطف على قوله تعالى أنه استمع أي وأوحى إلى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله ﴿فلا تدعوا﴾

أى لاتعبدوا فيها ﴿مع الله أحدا﴾ غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبله مخصوصة أولانه قبله المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجودات على أنه جمع المصدر الميمى ﴿وأنه﴾ من جملة الموحى أى وأوحى الى أن الشأن ﴿لما قام عبد الله﴾ أى النبي عليه الصلاة والسلام وإيراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه ﴿يدعوه﴾ حال من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في سورة الاحقاف ﴿كادوا﴾ أى الجن ﴿يكونون عليه لبدا﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرى لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لا بد كساجد وسجد ولبدا بضمين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله الا أن يظهره على من ناواه ﴿قل انما ادعوا﴾ أى أعبد ﴿ربى ولا أشرك به﴾ ربى فى العبادة ﴿أحدا﴾ فليس ذلك يبدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عدواني وقرى قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والافوق لقوله تعالى ﴿قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا﴾ كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر ﴿قل انى لن يحيرنى من الله أحد﴾ ان أرادنى بسوء ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا﴾ ملتحدا ومعذلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون غيره وقوله تعالى ﴿الا بلاغا من الله﴾ استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكدا لنفى الاستطاعة أو من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجا الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية وهما ان لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ﴿ورسالته﴾ عطف على بلاغا ومن الله صفته لاصلته أى لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالته التى أرسلنى بها ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه ﴿فان له نارجهم﴾ وقرى بفتح الهمزة على فحقه أو فجزاؤه أنه له نارجهم ﴿خالدين فيها﴾ فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى ﴿أبدا﴾ بلانهاية وقوله تعالى ﴿حتى اذا رآوا ما يوعدون﴾ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رآوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الآخرة ﴿فسيعلمون﴾ حيثئذ ﴿من أضعف ناصرا وأقل عددا﴾ وحمل ما يوعدون على ما رآوه يوم بدر يأباه قوله تعالى ﴿قل ان أدري﴾ أى ما أدري ﴿أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا﴾ فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعد انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون ﴿عالم الغيب﴾ بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى ﴿فلا يظهر على غيبه أحدا﴾ اذ يكون النظم حيثئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف أى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفردته تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جليلة الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه ﴿الا من ارتضى من رسول﴾ أى

الارسلوا ارتضاه لآظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها وأحكامها كعمامة التكليف الشرعية التي أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزائها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملة قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي يبانها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملة قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن يبان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسول لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لآخر من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى ﴿فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ تقرير وتحقيق لآظهار المستفاد من الاستثناء وبيان كيفيته أي فانه يسلك من جميع جوانب الرسول عليه السلام عند آظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد آظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفرادهم وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفریط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظهما فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى ﴿وأحاط بما لديهم﴾ أي بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جى بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعا ﴿وأحصى كل شيء﴾ بما كان وما سيكون ﴿عددا﴾ أي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل أحصى عدد كل شيء وقيل هو حال أي معدودا محصورا أو مصدر بمعنى احصاء وأياما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أي لا تقدرها على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان أصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقدا معيننا من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فينبى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمد وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل

(مكية وآياتها تسع عشرة أو عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ أى المتزمل من تزل بثيابه اذا تلفف بها فأدغم التاء فى الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل قيل خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام تهجينًا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففًا بقطيفة مستعدًا للنوم كما يفعله من لا يهيمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بان يترك التزمل الى التشمير للعبادة والهجوم الى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جثت فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب أنه عرض له فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما فى قوله عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بحنجه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة له واشعارا بأنه غير غائب عليه وقيل المعنى يا أيها الذى زمل أمرا عظيما هو أمر النبوة أى حملة والزمل الحمل وازدمله أى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام أو للامر به فان تحميلة عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة ﴿قم الليل﴾ أى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وبفتحة ﴿الا قليلا﴾ استثناء من الليل وقوله تعالى ﴿نصفه﴾ بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايدان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر ﴿أو انقص منه﴾ أى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى ﴿قليلا﴾ أى نقصا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف ﴿أو زد عليه﴾ أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخير بحاله وليس بسديد أما أولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبى عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بأن الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للآقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلا وقيل الذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله أعلم بما فى كتابه الجليل ﴿ورتل القرآن﴾ فى أثناء ما ذكر من القيام أى اقرأه على توة وتبين حروف ﴿ترتيلا﴾ بليغا بحيث يتمكن السامع من عددها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفجعا ﴿اناسنلق عليك﴾ أى سنوحى اليك وإيثار الالتقاء عليه لقوله تعالى ﴿قولا ثقيلا﴾ وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعترض بين الأمر

وتعليقه لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو
ثقل على التأمل فيه لاقتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقل في الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقل
تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتردد له جليده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها
رأيت نزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ﴿ان ناشئة الليل﴾ أى ان النفس
التي تنشأ من مضجعتها الى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض أو ان قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ
كالعافية أو ان العبادة التي تنشأ بالليل أى تحدث أو ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الاول
من نشأ اذا ابتدأ ﴿هى أشد وطأ﴾ أى هى خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطأ أى
أشد مواطأة يواطى قلبها لسانها ان أريد بها النفس أو يواطى فيها قلب القائم لسانه أن أريد بها القيام أو العبادة أو
الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص ﴿وأقوم قילה﴾ وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب
وهو الأصوات ﴿ان لك في النهار سبحا طويلا﴾ أى قلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع
أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعى الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعى وقرئ
سبحا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نقشه ونشر أجزائه ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره
تعالى ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسييح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿وتبلى اليه﴾ أى
وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام
عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل ﴿تبلى﴾ مكان تبلى مع ما فيه من رعاية الفواصل
﴿رب المشرق والمغرب﴾ مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره ﴿لا اله الا هو﴾ وقرئ بالجر على أنه بدل من
ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى ﴿فاتخذوه وكيفا﴾ لترتيب الامر وموجبه
على اختصاص الألوهية والربوبية به تعالى ﴿واصبر على ما يقولون﴾ مما لا خير فيه من الخرافات ﴿واجرهم هجرا
جيلا﴾ بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكنهم ونكل أمورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿وذرنى والمكذبين﴾ أى
دعنى واياهم وكل أمرهم الى فاني أكفيكمهم ﴿أولى النعمة﴾ أرباب التمتع وهم صناديد قريش ﴿ومهلهم قليلا﴾ زمانا
قليلا ﴿ان لدينا أنكالا﴾ جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعيد الامر أى أن لدينا أمورا ضادة لتنعيمهم ﴿وججيا
وطعاما ذا غصة﴾ ينشب في الحلق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم ﴿وعذابا ألما﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما
لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الارض والجبال﴾ أى تضطرب وتزلزل
ظرف للاستقرار الذي تعاقبه لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا أى عذابا واقعا يوم ترجف ﴿وكانت الجبال﴾ مع
صلابتها وارتفاعها ﴿كثيبا﴾ رملا يجتمعان كشب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول ﴿مهلا﴾ مشورا من هيل هيلا
اذا نثر وأسيل ﴿انا أرسلنا اليكم﴾ يا أهل مكة ﴿رسولا شاهدا عليكم﴾ يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان
﴿كما أرسلنا الى فرعون رسولا﴾ هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه ﴿فعصى فرعون الرسول﴾
الذى أرسلناه اليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيته هو كما يعرب
عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كأننا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى ﴿فأخذناه أخذاً ويلا﴾
خارج من التشبيه جى به للتنبية على أنه سيحقيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة والويل الثقيل الغليظ من قولهم كلاً وويل
أى وخيم لا يستمر أثقله والويل العصا الضخمة ﴿فكيف تتقون﴾ أى كيف تقون أنفسكم ﴿ان كفرتم﴾

أى بقيتم على الكفر ﴿يوما﴾ أى عذاب يوم ﴿يجعل الولدان﴾ من شدة هوله وفضاعة ما فيه من الدواهي ﴿شيبا﴾ شيوخا جمع أشيب أما حقيقة أو تمثيلا وأصله أن الهموم والأحزان اذا تفاسمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك ﴿السما منفطر﴾ أى منشق وقرئ منفطر أى متشق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر أى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبية على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انفطار والباء في قوله تعالى ﴿به﴾ مثلها في فطرت العود بالقدوم ﴿كان وعده مفعولا﴾ الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله أول اليوم وهو مضاف الى مفعوله ﴿ان هذه﴾ اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة ﴿تذكرة﴾ موعظة ﴿فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا﴾ بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ﴿ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ أى أقل منهما استعير له الأدنى لما أن المسافة بين الشيتين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ﴿ونصفه وثلثه﴾ بالنصب عطفا على أدنى وقرئنا بالجر عطفا على ثلثي الليل ﴿وطائفة من الذين معك﴾ أى ويقوم معك طائفة من أصحابك ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ وحده لا يتمد على تقديرهما أحد أصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿علم أن لن تحصوه﴾ أى علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الأوقات وان تستطيعوا ضبط الساعات أبدا ﴿فتاب عليكم﴾ بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه ﴿فاقرؤا ما تيسر من القرآن﴾ فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور ففسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القاتنين وقيل خمسين آية ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ استئناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف ﴿وآخرون يضربون فى الأرض﴾ يسافرون فيها للتجارة يتبعون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ واذا كان الأمر كما ذكر وتعاذت الدواعى الى الترخيص ﴿فاقرؤا ما تيسر منه﴾ من غير تحمل المشاق ﴿وأقيموا الصلوة﴾ أى المفروضة ﴿واتوا الزكاة﴾ الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمسكة زكاة ومن فسر بها الزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدينا ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ أريد به الانقادات فى سبيل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير﴾ أى خير كان مما ذكر وما لم يذكر ﴿تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾ من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانيا مفعولى تجدوا وهو تأكيد أو فصل وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر ﴿واستغفروا الله﴾ فى كافة أحوالكم فان الانسان قلبا يخلو من تفریط ﴿ان الله غفور رحيم﴾ . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر

(مكية وآيات خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿يأيتها المدثر﴾ أى المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى أول سورة نزلت . روى عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيئا فنظرت فوقى فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أن أول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواحق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبي الله فارجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان أسمعه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أى الذى دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفى حرف أبى المنذر يا أيها المدثر على الأصل ﴿قم﴾ أى من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم ﴿فأنذر﴾ أى افعل الانذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتک الاقربين أو جميع الناس حسبما ينبى عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشير أو نذيرا ﴿وربك فكبر﴾ واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويرى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء معنى الشرط كأنه قيل ما كان أى شئ حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأولى من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه من الشرك فان أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجناحه ﴿وثيابك فطهر﴾ مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلاة وأولى وأحب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها أيضا فان طولها يؤدى الى جر الذبول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال ويستتهجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان اذا وصفوه بالنقاء من المعاييب ومدانس الاخلاق ﴿والرجز فاهجر﴾ أى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ ولا تعط مستكثرا أى رايها لما تعطيه كثير أو طابا لكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الاخلاق وأحسن الآداب أو للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف أو أبدا لا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار أن مع ابقائها كقول من قال ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى وقد قرئ بآبائها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع ﴿ولربك﴾ أى لوجه تعالى أو لأمره ﴿فاصبر﴾ فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض ﴿فاذا نقر فى الناقور﴾ أى نفخ فى الصور وهو فاعل من

النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصير على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعاقل في إذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين﴾ فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشارة إليه للإيدان ببعده منزلة في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته إلى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر إذا التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وقوله تعالى ﴿غير يسير﴾ تأكيد لبعده عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلاف في أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية والحق أنها الثانية اذ هي التي يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذي هو الاصعاق بعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور ثقباً بعدد الأرواح كلها وأنها تجتمع في تلك الثقوب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبه روح إلى الجسد الذي نزعته منه فيعود الجسد حيا بأذن الله تعالى ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾ حال أما من الياء أى ذرني وحدي معه فأنى أ كفيك في الاتقام منه أو من التاء أى خلقت وحدي لم يشر كنى في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقت وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمنونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من أبيه لأنه كان زنيا كما مر أو وحيدا في الشرارة ﴿وجعلت له مالا ممدودا﴾ مبسوطا كثيرا أو ممددا بالنماء من مد النهر ومدته نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري أربعة آلاف دينار وقال الثوري أيضا ألف ألف دينار ﴿وبين شهودا﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لو فور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة ﴿ومهدت له تمهيدا﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريجانة قريش ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ على ما أوتي وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه أما لأنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل أنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي ﴿كلا﴾ ردع وزجره عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى ﴿أنه كان لا ياتنا عنيدا﴾ تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وإنما أوتي ما أوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك ﴿سأرهقه صعودا﴾ سأغشيه بدل ما يطعمه من الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصوب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلها وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا ﴿أنه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أى فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقوله ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه الغرض الذي كان ينتجيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء

به أو حكاية لما كرر ودهن قو لم قتل كيف قدرتهم كما بهم وبأعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قو لم قتل الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الأشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقيا بأن يدعو عليه حاسده بذلك . روى أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلو فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أ كفيكموه فقعده عنده حزينا وكلبه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخفق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فاهو ففكر فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ﴿ ثم قتل كيف قدر ﴾ تكرير للبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى وفيما بعد على أصلها من التراخي الزماني ﴿ ثم نظر ﴾ أى فى القرآن مرة بعد مرة ﴿ ثم عبس ﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب فى وجهه ﴿ وبسر ﴾ اتباع لعبس ﴿ ثم أدبر ﴾ عن الحق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ واستكبر ﴾ عن اتباعه ﴿ فقال ان هذا الاسحر يؤثر ﴾ أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلغثم وتلبث وقوله تعالى ﴿ ان هذا الا قول البشر ﴾ تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف ﴿ سأصليه سقر ﴾ بدل من سأرهقه صعودا ﴿ وما أدراك ما سقر ﴾ أى أى شئ أعليك ما سقر على أن ما الاولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفطيع وسقر مبتدأ أى أى شئ هى فى وصفها لما مرارا من أن ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى ﴿ لا تبق ولا تذر ﴾ بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لا تبق شيئا يلقى فيها الا أهل كته واذا هلك لم تذره هالكا حتى يعاد أو لا تبق على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة ﴿ لواحة للبشر ﴾ مغيرة لأعلى الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرى لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ أى ملكا أو صنفا أو صفاء أو نقييا من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرى بسكون عين عشر حذرا من توالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرى تسعة عشر جمع عشير مثل يمين وأيمن ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أى المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها ﴿ الا ملائكة ﴾ ليخالقوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحو اليهم ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشد هم بأسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشهوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كادة الجمحي وكان شديد البطش أنا أ كفيكم سبعة عشر فا كفوني أتم اثنين فنزلت أى ما جعلناهم رجالا من جنسكم ﴿ وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ﴾ أى ما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتنانهم وهو التسعة عشر فعبر بالآثر عن المؤثر تنبيه على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتنانهم

باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسياتي
 من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية في النظر
 والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفرة
 كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أو صف
 يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه واحد أو أن الساعات أربع وعشرون
 خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يتولاه الزبانية
 ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ متعلق بالجعل على المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة
 والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً لما في كتابهم ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ أى يزداد إيمانهم
 كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو دمية بانضمام إيمانهم بذلك الى إيمانهم بسائر ما أنزل
 ﴿ولا يرتاب أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفى لما قد يعتري
 المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه
 على تباين النفيين حالاً فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينفيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما
 يقتضيه من الإيمان وكما بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث
 للايدان ببنائهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك أو نفاق
 فيكون اخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة ﴿والكافرون﴾ المصرون على التكذيب ﴿ماذا أراد الله
 بهذا مثلاً﴾ أى أى شئ أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب
 وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنهم للاشعار باستقلاله في الشناعة ﴿كذلك يضلل الله من يشاء﴾
 ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف
 وأصل التقدير يضلل الله من يشاء ﴿ويهدي من يشاء﴾ اضلالاً وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية
 فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضلل الله
 من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته
 لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالاً وهداية أدنى منهما ﴿وما يعلم جنود ربك﴾
 أى جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون ﴿الاهو﴾ اذ لا سبيل لأحد الى حصر الممكنات والوقوف على
 حقائقها وصفاتها ولو اجمالاً فضلاً عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة ﴿وماهى﴾ أى سقر أو عدة
 خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها ﴿الا ذكرى للبشر﴾ الا تذكرة لهم ﴿كلا﴾ رجع لمن أنكرها وأانكار ونفى لأن
 يكون لهم تذكر ﴿والقمر والليل اذا أدبر﴾ وقرى اذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدابر
 وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه ﴿والصبح اذا أسفر﴾ أى أضاء وانكشف ﴿انها لاحدى الكبر﴾ جواب
 للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتابها فكما جمعت فعلة على
 فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة أى لاحدى البلايا أو لاحدى الدواهي الكبر
 على معنى أن البلايا الكبر أو الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها ﴿نذير للبشر﴾ تمييز أى لاحدى
 الكبر اندازاً أو حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرى نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لان أول مبتدأ محذوف

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ بدل من للبشر أى نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أولم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون فى معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم لاصفة والا لقليل رهين لان فعلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء ﴿الا أصحاب اليمين﴾ فانهم فاكون رقابهم بأحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الأطفال وقيل هم الذين سبقتم لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيديهم ﴿فى جنات﴾ لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدأ عذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم فى جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضمير هم فى قوله تعالى ﴿يتساءلون﴾ وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضا على أن يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت فى الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما فى قولك ترائى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكانها قد تجردت عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما فى قولك تراءوا الهلال فعنى يتساءلون ﴿عن المجرمين﴾ يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ﴿ما سلككم فى سقر﴾ مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى شئ أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون ﴿قالوا﴾ أى المجرمون محيين للسائلين ﴿لم نك من المصلين﴾ للصلوات الواجبة ﴿ولم نك نطعم المسكين﴾ على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذه ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ﴿وكنا نكذب يوم الدين﴾ أى يوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع أن فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه أدهاها وأهولها وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنائيتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين يوم الدين وليسان كون تكذبيهم بمقارنا لسائر جنائياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم ﴿حتى أتانا اليقين﴾ أى الموت ومقدماته ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ لو شفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى ﴿كانهم هم مستنفرة﴾ حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة ﴿فرت من قسورة﴾ أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بمجرد جرت فى نفاها مما أفرعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قرطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم لن تتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن تؤمن لرقيقك حتى تنزل علينا كتابا

نقرؤه وقرىء صحفاً منشرة بسكون الحاء والنون ﴿كلا﴾ ردع لهم عن تلك الجرأة ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع آيتاء الصحف ﴿كلا﴾ ردع عن اعراضهم ﴿انه﴾ أى القرآن ﴿تذكرة﴾ وأى تذكرة ﴿فمن شاء﴾ أن يذكره ﴿ذكره﴾ وحاز بسببه سعادة الدارين ﴿وما يذكرون﴾ بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشية العبد وادارته في أفعاله وقوله تعالى ﴿الا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعللة من العلل أو في حال من الأحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرىء تذكرون على الخطاب التفاتاً وقرىء بهما مشدداً ﴿هو أهل التقوى﴾ أى حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع ﴿وأهل المغفرة﴾ حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

سورة القيامة

(مكية وآياتها تسع وثلاثون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها تؤكد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبيء هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بأقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفي الاقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث ف قيل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وأيا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث يوم القيامة من الجزالة مالا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ أى بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم السابق أو بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات أو بالنفس المطمئنة للآئمة للنفس الأمانة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيراً قالت كيف لم أزد وان عملت شراً قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مداراً للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسببة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ﴿أيحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه﴾ وهو ليعين والمراد بالانسان الجنس والهزمة لانكار الواقع واستقبحه وأن مخففة من الثقلية وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف أى يحسب أن الشأن لن نجتمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجتمعها بعد تشتها ورجوعها رميما ورفاتا محتاطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في أقطار الأرض والقها في البحار وقيل ان عدى بن أبى ريعة ختن الأحنس بن شريق وهما اللذان كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم كفى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام ﴿بلى﴾ أى يجمعها حال كوننا ﴿قادرين على أن نسوى بنانه﴾ أى

نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه الى
 هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرى قادرون ﴿بل يريد الانسان ليفجر أمامه﴾ عطف على أيحسب اما على أنه
 استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب انتقل اليه عن الاستفهام أي بل يريد ليدوم
 على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه ﴿يسأل أيا ن يوم القيامة﴾ أي متى يكون
 استبعادا أو استهزاء ﴿فاذا برق البصر﴾ أي تخير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرى بفتح
 الراء وهي لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرى ببق أي انفتح وانفجر ﴿وخسف القمر﴾ أي ذهب
 ضوؤه وقرى على البناء للفعول ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب
 الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف
 ﴿يقول الانسان يومئذ﴾ أي يوم اذ تقع هذه الامور ﴿أين المفر﴾ أي الفرار ياسا منه وقرى بالسكسر أي موضع
 الفرار وقد جوز أن يكون هو أيضا مصدرا كالمرجع ﴿كلا﴾ ردع من طلب المفر وتمنيه ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ مستعار
 من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو ورزك ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾ أي اليه وحده استقرار
 العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم أو الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ﴿ينبأ الانسان
 يومئذ﴾ أي يخبر كل امرئ برا كان أو فاجرا عند وزن الاعمال ﴿بما قدم﴾ أي عمل من عمل خيرا كان أو شرا
 فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني ﴿وأخر﴾ أي لم يعمل خيرا كان أو شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني أو بما قدم
 من حسنة أو سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما
 أخر تخلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره ﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾ أي حجة بينة على نفسه شاهدة
 بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سياتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت
 الآيات بالا بصر في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للبالغة ومعنى بل الترتي أي ينبأ الانسان
 بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ﴿ولو ألقى معاذيره﴾
 أي ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكين في بصيرة أو من مرفوع ينبأ أي هو بصيرة
 على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع
 للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أي ولو أرحى ستوره . كان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن ينفلت
 منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يقف به بالدراسة الى أن
 يرسخ فيه ف قيل ﴿لا تحرك به﴾ أي بالقرآن ﴿لسانك﴾ عند القاء الوحي ﴿لتعجل به﴾ أي لتأخذه على عجلة تخافة
 أن ينفلت منك ﴿ان علينا جمعه﴾ في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه ﴿وقرآنه﴾ أي اثبات قراءته
 في لسانك ﴿فاذا قرأناه﴾ أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وأسناد القراءة الى نون العظمة للبالغة
 في إيجاب التاني ﴿فاتبع قرآنه﴾ فكان مقفيا له ولا ترأسه ﴿ثم ان علينا بيانه﴾ أي بيان ما أشكل عليك من معانيه
 وأحكامه ﴿كلا﴾ ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له في الأناة وأكده ذلك بقوله تعالى ﴿بل
 تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ على تعميم الخطاب للكل أي بل أنتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون
 في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاعتزاز بالعاجل فيكون جمع الضمير في

الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متلله يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى ﴿الى ربها ناظرة﴾ خبر ثان للابتداء أو نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل لا على أن ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك حققه أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بأن الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بالى ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة ﴿تظن﴾ يتوقع أربابها ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾ ذاهية عظيمة تقصم فقار الظهر ﴿كلا﴾ ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ﴿اذا بلغت التراقي﴾ أى بلغت النفس أعالى الصدر وهى العظام المكتشفة لشجرة النحر عن يمين وشمال ﴿وقيل من راق﴾ أى قال من حضر صاحبها من يرقه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى ﴿وظن أنه الفراق﴾ وأيقن المحتضر أن ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها ﴿والتفت الساق بالساق﴾ والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه ﴿الى ربك يومئذ المساق﴾ أى الى الله والى حكمه يساق لال الى غيره ﴿فلا صدق﴾ ما يجب تصديقه من الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه ﴿ولا صلى﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى قوله تعالى يحسب الانسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخنة كما مر ﴿ولكن كذب﴾ ما ذكر من الرسول والقرآن ﴿وتولى﴾ عن الطاعة ﴿ثم ذهب الى أهله يتمطى﴾ يتبخر افتخارا بذلك من المط فإن المتبخر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط أو من المطا وهو الظهر فانه يلويه ﴿أولى لك فأولى﴾ أى ويل لك وأصله أو لاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفعل من الويل بعد القلب كأذى من دون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقبك النار ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى ﴿يحسب الانسان أن يترك سدى﴾ أى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ الخ استئناف وارد لا بطلال الحسين المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدلل على تحققها ببدء الخلق ﴿ثم كان علقه﴾ أى بقدره الله تعالى لقوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقه ﴿خلق﴾ أى فقد ربأن جعلها مضغة مخلقة ﴿فسوى﴾ فعدل وكمل نشأته ﴿فجعل منه﴾ من الانسان ﴿الزوجين﴾ أى الصنفين ﴿الذكر والانثى﴾ بدل من الزوجين ﴿أليس ذلك﴾ العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الانشاء البديع ﴿بقادر على أن يحيى الموتى﴾ وهو أهون من البدء فى قياس العقل. روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان

(مكية وآية احدى وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿هل أتى﴾ استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى ﴿على الانسان﴾ قبل زمان قريب ﴿حين من الدهر﴾ أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد ﴿لم يكن شيأ مذكورا﴾ بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالانسانية أصلاً كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف أى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً والمراد بالانسان الجنس فالأظهار فى قوله تعالى ﴿انا خلقنا الانسان من نطفة﴾ لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبي قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملق بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الأول إشارة الى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بياناً لخلق بنيه ﴿أمشاج﴾ أخلاط جمع مشجج أو مشيج من مشجت الشئ إذا خلطته وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع المائين ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقية والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روى هذا مرفوعاً وقيل مفرد كأعشار وأكياس وقيل أمشاج ألوان وأطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى ﴿نبئنيه﴾ حال من فاعل خلقنا أى مريدن ابتلاه بالتكليف فيما سأتى أو ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصره فى بطن أمه نطفة ثم علقة الى آخره ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ ليمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى ﴿انا هديناه السبيل﴾ بانزال الآيات ونصب الدلائل ﴿أما شاكر أو اوما كفورا﴾ حالان من مفعول هديناه أى مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حالتيه جميعاً واما للتفصيل أو التقسيم أى هديناه الى ما يوصل اليها فى حاله جميعاً أو مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والآخر فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل أى عرفناه السبيل اما سبيلاً شاكراً أو كفوراً على وصف السبيل بوصف سالكه مجازاً وقرئ أما بالفتح على حذف الجواب أى أما شاكر أو فتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمرعاة الفواصل والشعار بأن الانسان قلباً يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط ﴿انا أعتدنا للكافرين﴾ من أفراد الانسان الذى هديناه السبيل ﴿سلاسل﴾ بها يقادون ﴿وأغلالاً﴾ بها يقيدون ﴿وسعيراً﴾ بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخيرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الآية ولأن الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن فى وصفهم تفصيلاً ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرئ سلاسل

للتناسب ﴿ان الأبرار﴾ شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر
للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهدا قيل هو من
يبر خالقه أى يطيعه وقيل من يمثل بأمره تعالى وقيل من يؤدى حق الله تعالى ويوفى بالنذر وعن الحسن البر من
لا يؤذى النذر ﴿يشربون من كأس﴾ هى الزجاجه اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضا فمن على الأول
ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية أو بيانية ﴿كان مزاجها﴾ أى ما تمزج به ﴿كافورا﴾ أى ماء كافور وهو اسم عين
فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى ﴿عينا﴾ بدل من كافورا وعن قتادة
تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على
هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أى يشربون خمرًا خمر عين أو نصب على الاختصاص وقوله
تعالى ﴿يشرب بها عباد الله﴾ صفة عينا أى يشربون بها الخمر لكونها مزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل
الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن أبى عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين
بتلك الكأس ﴿يفجرونها تفجييرا﴾ أى يجرونها حيثما شاءوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجرى جريا
بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى لعينا وقوله تعالى ﴿يوفون بالنذر﴾ استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر
من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبى عنه اسم الأبرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية
فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم ﴿ويخافون يوما كان شره﴾ عذابه
﴿مستطيرا﴾ فاشيا منتشرا فى الأقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من
نفر ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون أو على حب الاطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو اطعاما كائنا على حبه
تعالى وهو الأنسب لما سأتى من قوله تعالى لوجه الله ﴿مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ أى أسير فانه كان عليه الصلاة
والسلام يؤتى بالأسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أو أسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد
سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك ﴿انما نطعمكم لوجه الله﴾
على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال اذاحة لتوهم المن
المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن الصدقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل
بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليقبى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ﴿لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا﴾ أى شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله ﴿انا نخاف من ربنا يوما﴾ أى عذاب يوم
﴿عبوسا﴾ يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس فى الشدة والضاوة ﴿قطيرا﴾ شديد العبوس فلذلك
نفعل بكم ما نفعل ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور أى انا نخاف عقاب الله
تعالى ان أردناهما ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ﴿ولقاهم نضرة وسرورا﴾ أى أعطاهم
بدل عبوس الفجار وحرزهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ بصبرهم على مشاق الطاعات
ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وإيثار الأموال ﴿جنة﴾ بستانا يأكلون منه ما شاؤا ﴿وحريرا﴾
يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبي
صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا لعل رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذرت على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما

وفضة جارية لها ان برئائهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وماعهم شئ فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخبيري ثلاث أصوع من شعير فطحن فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعا واختبرت خمسة أقرص على عدد فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد ما يسوؤنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فسأه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في أهل بيتك فأقرأه السورة ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والأرائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ﴾ اما حال ثانية من الضمير أو المستكن في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى أن هوائها مضى بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ﴿ ودانية عليهم ظلالها ﴾ عطف على ما قبلها حال مثلها أو صفة لمخدوف معطوف على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام رب جنتان وقرى دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً أو الحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم مع أنه لا شمس ثمة ولا قمر ﴿ وذلك قطوفها تذليل ﴾ أى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذلة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أى دانية عليهم ظلالها ومذلة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ﴿ ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب ﴾ الكوب الكوز العظيم الذى لا أذن له ولا عروة ﴿ كانت قواريراً قوارير من فضة ﴾ أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاج وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة الأكواب وقرى بتنوين قوارير الثانى أيضاً وقرئاً بغير تنوين وقرى الثانى بالرفع على هى قوارير ﴿ قدروها تقدير ﴾ صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسب قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفتين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شربها على قدر اشتهاهم وقرى قدروها على البناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شأوا من قدر منقولاً من قدرت الشئ ﴿ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ﴾ أى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيعه العرب وألذ ما تستلذ به ﴿ عينا ﴾ بدل من زنجبيلاً وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فيعينا حيثن بدل من كأساً كأنه قيل ويسقون فيها كأساً كأس عين أو نصب على الاختصاص ﴿ فيها تسمى سلسبيلاً ﴾ لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساعها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ أى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء ﴿ اذا رأيتهم حسبتم لؤلؤاً مثوراً ﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانباتهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم الى بعض ﴿ واذا رأيتهم ﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع فى الجنة

﴿ رأيت نعيما وملكا كبيرا ﴾ أى هنيئا واسعا وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أذناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم ﴿ عليهم ثياب سندس خضر ﴾ قيل عليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤا منشورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى ما يعلمون من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس ﴿ واستبرق ﴾ بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثانى وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب ﴿ وحلوا أساور من فضة ﴾ عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لا مكان الجمع والمعاقبة والتبعض فان حلّى أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عليهم بإضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين ﴿ وسقام ربهم شربا طهورا ﴾ هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجدد لمطالعة جماله ملتذا ببقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ﴿ ان هذا ﴾ على اضممار القول أى يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات ﴿ كان لكم جزاء ﴾ بمقابلة أعمالكم الحسنة ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب ﴿ انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ أى مفردا منجما لحكم بالغة مقتضية له لاغيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ بتأخير نصرته على الكفار فان له عاقبة حميدة ﴿ ولا تطع منهم آثما أو كفورا ﴾ أى كل واحد من مرتكب الآثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأول الدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الآثم والكفر فيما ليس بأثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غالبا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ وداوم على ذكره فى جميع الاوقات أودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينظمهما ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ وتهجد له قطعا من الليل طويلا ﴿ ان هؤلاء ﴾ الكفرة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ وينهمكون فى لذاتها الفانية ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ أى أمامهم لا يستعدون أو ينبذون وراء ظهورهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ لا يعباون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شئ فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه ﴿ نحن خلقناهم ﴾ لاغيرنا ﴿ وشددنا أسرهم ﴾ أى أحكمنا ربط مفاسلهم بالأعصاب ﴿ واذا شئنا بدلنا أمثالهم ﴾ بعد اهلاهم ﴿ تبديلا ﴾ بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبى عنه كلمة اذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذ للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ﴿ ان هذه تذكرة ﴾ اشارة الى السورة أو الآيات القرية ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سيلا ﴾ أى فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سيلا أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذ أى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى ﴿ وما تشاؤون الا أن يشاء الله ﴾ تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم

غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرُونَ على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشية العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشية الله عز وجل وقرئ يشاؤون بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ﴿ان الله عليا حكيم﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه عليه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى ﴿يدخل من يشاء﴾ في رحمته ﴿بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أى يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة﴾ (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر ﴿أعد لهم عذابا اليما﴾ أى متناهيها فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب أى يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيراً لهذا المضمرة وقرئ بالرفع على الابتداء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

سورة والمرسلات

(مكية وآياتها خمسون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقا فرقا فالملقيات ذكرا ﴾ اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيق الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع في الأقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحى ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء ﴿عذرا﴾ للمحقين ﴿أو نذرا﴾ للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالتقاء للايدان بكونها غاية للالتقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بأن كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالتقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو اقسام بريح عذاب أرسلهن فعصفن وريح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا أو بسحاب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فألقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الأنواء واسناد القاء الذكرا اليهن لكونهن سبيبا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو اقسام بآيات القرآن المرسله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الحق في أكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر واتصابه على العلة أى أرسلنا للحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس واتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف واتصابهما على البدلية من ذكر أو على العلية وقرئ بالتثنية ﴿ان ما توعدون لواقع﴾ جواب للقسم أى ان الذى توعدونه من مجئ القيامة كائن لا محالة ﴿فاذا النجوم طمست﴾ محيت ومحقت أو ذهب

بنورها ﴿واذا السماء فرجت﴾ صدعت وفتحت فكانت أبوابا ﴿واذا الجبال نسفت﴾ جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة ﴿واذا الرسل أقتت﴾ أي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الأصل وبالتخفيف فيهما ﴿لأي يوم أجلت﴾ مقدر بقول هو جواب لا إذا في قوله تعالى وإذا الرسل أقتت أو حال من مرفوع أقتت أي يقال لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسول والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيت من هوله وقوله تعالى ﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ما مبتدأ أدراك خبره أي أي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفضيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيد خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيد عكسه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي في ذلك اليوم الهائل وويل في الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدله إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للبدع وعليه ويومئذ ظرفه أوصفته ﴿ألم نهلك الأولين﴾ كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه ﴿ثم تتبعهم الآخريين﴾ بالرفع على ثم نحن تتبعهم الآخريين من نظر انهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ تتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل الفطيع ﴿نفعل بالمجرمين﴾ أي سنتناجارية على ذلك ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم اذ أهلكناهم ﴿للمكذبين﴾ بآيات الله تعالى وأنيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا ﴿ألم نخلقكم﴾ أي ألم نقدركم ﴿من ماء مهين﴾ أي من نقطة قدرة مهينة ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ هو الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر ﴿فقدركم﴾ أي فقدركم وقد قرئ مشددا أو فقدركم على ذلك على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل ﴿فنعلم القادرون﴾ أي نحن ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة ﴿ألم نجعل الأرض كفاتا﴾ الكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أي ألم نجعلها كفاتا تكفت ﴿أحياء﴾ كثيرة على ظهرها ﴿وأمواتا﴾ غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتا لأن أحياء الانس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل اتصاها على الحالية من محذوف أي كفاتا تكفتكم أحياء وأمواتا ﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي جبالا ثوابت ﴿شامخات﴾ طوالا شواهاق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للاشعار بأن فيها ما لم يعرف ﴿وأسقينكم ماء فراتا﴾ بأن خلقنا فيها أنهارا ومنابع ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بأمثال هذه النعم العظيمة ﴿انطلقوا﴾ أي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا ﴿إلى ما كنتم به تكذبون﴾ في الدنيا من العذاب ﴿انطلقوا﴾ خصوصا ﴿إلى ظل﴾ أي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموه وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الأمر عن عملهم بموجبه لا اضطراهم إليه طوعا أو كرها ﴿ذئ ثلاث شعب﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق

ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسراق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الخالقة في الدماغ والقوة العضوية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿لاظليل﴾ تهكم بهم أو ردلساً وهم لفظ الظل ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ أى غير مغن لهم من حر اللهب شيئاً ﴿انها ترمى بشرراً كالقصر﴾ أى كل شررة كالقصر من القصور وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصره نحو جمر وجمرة وقرى كالقصر بفتحين وهى أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرى كالقصر بمعنى القصور كرهن وهرن وقرى كالقصر جمع قصره ﴿كأنه جمالة﴾ قيل هو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وقيل اسم جمع كالحجارة ﴿صفر﴾ فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لأن سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيهه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتابع والاختلاط والحركة وقرى جمالات جمع جمال أو جمالة وقرى جمالات جمع جمالة وقد قرى بها وهى الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون﴾ اشارة الى وقت دخولهم النار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشئ لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبّر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشئ ينفعهم فان ذلك كان نطق وقرى بنصب اليوم أى هذا الذى فصل واقع يوم لا ينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفي أى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقبه من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الاذن كما لو نصب ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل﴾ بين الحق والباطل والحق والمبطل ﴿جمعناكم﴾ خطاب لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والأولين﴾ من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل ﴿فان كان لكم كيد فكيّدون﴾ فان جميع من كنتم تقلدوهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقرير لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث ظهر أن لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ﴿ان المتقين﴾ من الكفر والتكذيب ﴿فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون﴾ أى مستقرون فى فنون الترفه وأنواع التمتع ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولاً لهم كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الأعمال الصالحة ﴿انا كذلك﴾ الجزاء العظيم ﴿نجزى المحسنين﴾ أى فى عقائدهم وأعمالهم لاجزاء أدنى منه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الويل ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون﴾ مقدر بقول هو حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم مقولاً لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم ما له هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون فى الدنيا بعد بيان ما آل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ لزيادة التوبيخ والتقريع ﴿واذا قيل لهم اركعوا﴾ أى أطيعوا الله واخضعوا وتواضعوا له بقول وحيه واتباع دينه وارضوا هذا الاستكبار والنخوة ﴿لايركعون﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا أمروا بالصلاة أو بالكوع لا يفعلون اذروى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجي فانها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴿ويل يومئذ

للكذابين) وفيه دلالة على أن الكفار يخاطبون بالفروع في حق المؤاخدة (فبأى حديث بعده) أى بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) أفلم يؤمنوا به وقرئ يؤمنون على الخطاب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ

(مكية وآياتها أربعون أو إحدى وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) أصله عما حذف منه الالف اما فرقابين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة أى عن أى شئ عظيم الشأن (يتساءلون) أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويحوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الأفعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحاً لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك ترائى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عارياً عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حيثئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شئ يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتماهى وقوله تعالى (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المسؤل عنه اثر تفخيمه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان إرادته على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لا تقطع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خلق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على مناجاة قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمرة حقه أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمرة مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والأظهر أنه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمرة كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذى هم فيه مختلفون) بعد وصفه بالعظيم تأكيده لخطره اثر تأكيده واشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الاحياتا الدنيا نموت

ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الاظنا وما نحن بمستيقنين وقيل
منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على
الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدوم
بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفرقى المسلمين والكافرين على أن سؤال الاولين
ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى ﴿ كلا سيعلمون ﴾ الخ فانه
صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما
بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا
ما أدى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عليه
الصلاة والسلام بأن يعتبر في الاختلاف محض مدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل
صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على
مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته
للجانب الآخر اذ لاحقية في شئ منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذه بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكل ردع
لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب
والتأكيد وليس مفعوله ما ينبغي عنه المقام من وقوع ما يتسألون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا
بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد
بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعير عن لقاءها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف
والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ﴿ ثم كلا
سيعلمون ﴾ تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل
الاول عند النزاع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ سيعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى
الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة
النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿ ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا ﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ
المتسأل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته اثر مانبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن
المتسأل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب
على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيك والمهاد البساط والفراش وقرئ مهادا على تشبيهها بمهد الصبي وهو
ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهد بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد ﴿ وخلقناكم ﴾
عطف على المضارع المنفى بلم داخل في حكمه فانه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه في قوة
أن يقال قد جعلنا الخ ﴿ أزواجا ﴾ أصنافا ذكر أو أنثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم أمر المعاشرة
والمعاش ويتسنى التناسل ﴿ وجعلنا نكم سباتا ﴾ أى موتا لانه أحد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع
أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها
وقيل قطعاً عن الاحساس والحركة لراحة القوى الحيوانية وازاحة كلاهما والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه
﴿ وجعلنا الليل ﴾ الذى فيه يقع النوم غالبا ﴿ لباسا ﴾ يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد بهما يستتر به عند

النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هربا من عدو أو ياتاله أو نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعاش والحوايج ﴿وبنينا فوقكم سبعا شدادا﴾ أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخاق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن ﴿وجعلنا سراجا وهاجا﴾ هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخاق خلا أنه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللشريعى أيضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وأيا ما كان فقيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملابسة مصححة لأن يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على أن يكون عمدة في الكلام بل قيدها فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيهما راسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأيا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشبه الامر فيظن أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى انى جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلائي من وهجت النار اذا أضأت أو البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء ﴿وأنزّلنا من المعصرات﴾ هى السحاب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتُمطر كما في أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك أن الانزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحاب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده ويده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاغصير ووجه أن الرياح هى التى تنشى السحاب وتدر أخلافة فصلحت أن تجعل مبتدأ للانزال ﴿ماء ثجاجا﴾ أى منصبا بكثرة يقال ثج الماء أى سال بكثرة وثجه أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاجا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه ﴿لنخرج به﴾ بذلك الماء ﴿حبا﴾ يقات كالحنطة والشعير ونحوهما ﴿ونباتا﴾ يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الانسان ﴿وجنات﴾ الجنة فى الاصل هى المرة من مصدر جنة اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن أبى سلمى

كأن عيني فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا

وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفر دوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى ﴿ألفافا﴾ أى ملتفة تدخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخفاف وقيل الواحدلف ككن وأكنان أولفيف كشریف وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بجذف الزوائد وأعلم أن

فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلاثة الأول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة أقدر وأقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتب لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الافعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقيقة البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتساءلون عنه استهزاء بقوله تعالى ﴿ان يوم الفصل كان ميقاتا﴾ شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا أي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقفت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في أنهما بمعزل من التقريب الذي أشير اليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تعالى ﴿يوم ينفخ في الصور﴾ أي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولاضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباده وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه أسرافيل عليه السلام . عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبق عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبق معها ميت الا لبعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى ﴿فتأتون﴾ فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايدانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا ﴿أفواجا﴾ أي أما كل أمة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بأمامهم أو زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها . عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يعضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصابون على جذوع من نار وبعضهم أشد تننا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابعة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يحورون في الحسك وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يعضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أسد تننا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء ﴿وفتحت السماء﴾

عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ "فتحت" بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿فكانت أبواباً﴾ أى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولاً غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبواباً مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشف فيفتح مكانها وتصير طرقاً لا يسدها شئ ﴿وسيرت الجبال﴾ أى فى الجوعلى هيأتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر من السحاب أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر من السحاب الذى يسيره الرياح سيرا حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام اذا تحركت نحو من الانحاء لا تكاد يبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال

بارعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش بيدل الله تعالى الأرض ويغير هيأتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى ﴿فكانت سراباً﴾ أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بساً فكانت هباءً منثراً أى غباراً منتشراً وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ﴿ان جهنم كانت مرصاداً﴾ شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى أضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضم فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه أى انها كانت فى حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ﴿للطاغين﴾ متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا أى كائناً للطاغين وقوله تعالى ﴿ما بآ﴾ بدل منه أى مرجعاً يرجعون اليه لا محالة واما حال من ما بآ قدمت عليه لكونه نكرة ولولتأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس ما بآ على أنها مرصاد للفريقين ما بآ للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصاداً لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لأهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازهم عليها وهى ما بآ للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة فى رصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين ﴿لا بشين فيها﴾ حال مقصرة من المستكن فى للطاغين وقرئ لبشين وقوله تعالى ﴿أحقاباً﴾ ظرف للبشيم أى دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهى تلك الاحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حمياً وغساقاً﴾ جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيئاً ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حمياً وغساقاً وقيل البرد النوم وقرئ غساقاً بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم ﴿جزاء﴾ أى جوزوا

بذلك جزاء ﴿وفاقا﴾ ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرىء وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا أى لاقه ﴿انهم كانوا لا يرجون حسابا﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ﴿وكذبوا باياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿كذابا﴾ أى تكذبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرىء بالتخفيف وهو مصدر كذب قال
فصدقها وكذبها والمرء ينفعه كذابه

وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرىء كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أى كذبوا باياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذبا كذابا مفرطا كذبه ﴿وكل شيء﴾ من الاشياء التى من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره ﴿أحصيناه﴾ أى حفظناه وضبطناه وقرىء بالرفع على الابتداء ﴿كتابا﴾ مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الاحصاء والكتابة من واد واحد أولفعله المقدر أوحال بمعنى مكتوب فى اللوح أو فى صفح الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى ﴿فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المنبى عن التشديد فى التهديد وإيراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار ﴿ان للمتقين مفازا﴾ شروع فى بيان محاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء أحوال الكفرة أى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيمهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى ﴿حدائق وأعنابا﴾ أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا ﴿وكواعب﴾ أى نساء فلست تدين وهن النواهد ﴿أترابا﴾ أى لدات ﴿وكأسا دهاقا﴾ أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه ﴿لا يسمعون فيها﴾ أى فى الجنة وقيل فى الكأس ﴿لغوا ولا كذبا﴾ أى لا ينطقون بلغوا ولا يكذب بعضهم بعضا وقرىء كذابا بالتخفيف أى لا يكذبه أو لا يكاذبه ﴿جزاء من ربك﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشریف له صلى الله عليه وسلم ﴿عطاء﴾ أى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شىء وهو بدل من جزاء ﴿حسابا﴾ صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشىء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرىء حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالدرّك بمعنى المدرك ﴿رب السموات والارض وما بينهما﴾ بدل من ربك وقوله تعالى ﴿الرحمن﴾ صفة له وقيل صفة للاول وأيا ما كان فى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذکور وقوله تعالى ﴿لا يملكون منه خطابا﴾ استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لأحد قدرة عليه وقرىء برفعهما ففيل على أنهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثانى نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثانى خبره ولا يملكون خبر آخر وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على رأى من يقول به والأوجه أن يكون كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثانى نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء

والإطاعة كما في البداية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعا عنه إعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمرة وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والأرض أى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبى عنه لفظ الملك خطابا ما فى شئ ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير اذنه على أبلغ وجه وآكدة وقيل ليس فى أيديهم مما يخاطب الله به ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملائكة فيزيدون فيه أو ينقصون منه ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ قيل الروح خالق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبى صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الاومعه واحد منهم نقلة البغوى وقيل هم أشرف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى ﴿لا يتكلمون﴾ وقوله تعالى ﴿الا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾ بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والأرض اذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من أذن الله تعالى له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا أى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا لا يملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل الا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا فى حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أى حقا هو التوحيد واطهار الرحمن فى موضع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ﴿ذلك﴾ إشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿اليوم الحق﴾ أى الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يشبهه والفاء فى قوله تعالى ﴿فن شاء اتخذ الى ربه ما بآ﴾ فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقها بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بما تقدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فن شاء أن يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة ما بآ أى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر فى قوله تعالى من

استطاع اليه سبيلاً ﴿إنا أنذرناكم﴾ أى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن ﴿عذاباً قريباً﴾ هو عذاب الآخرة وقربه لتحقيق آتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة اليه تعالى وإن رأوه بعيداً وسيراً عنه قريباً لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قریش يوم بدر و ياباه قوله تعالى ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ فانه إما بدل من عذاباً أو ظرف لمضمرة هو صفة له أى عذاباً كأننا يوم ينظر المرء أى يشاهده أقدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أى شئ قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما فى قوله تعالى ﴿ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً﴾ ظاهر وضعه ووضع الضمير لزيد الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت تراباً فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت تراباً فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتصص للجاء من القرناء ثم يرد تراباً فيؤدى الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده

سورة والنازعات

(مكية وآياتها خمس أو ست وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والنازعات غرقاً والناشطات نشطاً والساجحات سبحاً فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً﴾ أقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وأرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أى يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر إذا أخرجهما ويسبحون فى أخرجهما سبح الغراض الذى يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة الى النار وأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لأدراك ما أعد لها من الآلام والمذاق والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغيرات العنوانى منزلة التغيرات الذاتى كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتاب فى المزدحم

للاشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمت الأمور تحقيق بأن يكون على حياله مناط الاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالأقسام به من غير انضمام الأوصاف الآخر اليه والفاء فى الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما فى قوله

يا لهف زبابة للحرث الصائح فالغانم فالآئب

وغرقاً مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى اغرقاً فى النزاع حيث تنزعها من أقاصى الأجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تغرقها فى جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها فى جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه فى وقت النزاع كأنها تغرق وانتصاب نشطاً وسبحاً وسبقاً على المصدرية وأما أمر اففعول للمدبرات وتنكيره للتحويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالساجحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون فى مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون الى ما أمر وابه من الأمور الدنيوية والأخرية والمقسم عليه محذوف تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان

الاقسام بمن يتولى نزع الأرواح و يقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون أقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج الى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرا نيظ بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملاممة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى و يسبحون في البر والبحر فيسبغون الى حرب العدو فيدبرون أمرها أو يخيلهم التي تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها لتسبق الى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لأنها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بالجواب المضمرة والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأجرام السماوية أى تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهى النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى ﴿تتبعها الرادفة﴾ أى الواقعة التي تردف الاولى وهى النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أى لتبعث يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتحويل اليوم ببيان كونه موقعا لدهيتين عظيمتين لا يبق عند وقوع الاولى حى الامات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام وجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقرررا لمضمون الجواب المضمرة كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ﴿أبصارها﴾ أى أبصار أصحابها ﴿خاشعة﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الاتساق الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبرا به مقصود الافادة تحكما بجما على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشد هما فضلة مما لا عهد له فى الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجللة وقال السدى زائلة عن أما كتبها كما فى قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى ﴿يقولون أئنا لمردودون فى الحفرة﴾ حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثريان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار أى يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا فى الحفرة أى فى الحالة

الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرة أى في طريقته التى جاء فيها فخرها أى أثر فيها بمشيئه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى في عبثة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهارد صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهى بمعنى المحفورة وقوله تعالى ﴿أئنذا كنا عظاما نخرة﴾ تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون أى أنذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شئ من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر أو اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الأجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير ﴿قالوا﴾ حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايدان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدورهم عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبى عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروهم من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع ﴿تلك اذا كرة خاسرة﴾ أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى ﴿فانما هى زجرة واحدة﴾ تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاهياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية عبر عنها بها ننبها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة فقوله تعالى ﴿فاذا هم بالساهرة﴾ حيث نذيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا فى جوفها وعلى الاول يان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هى وجه الارض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يمجدها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الارض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ كلام مستأنف وارد لتسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصاص حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقربا أمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى ﴿اذ ناداه ربه بالواد المقدس﴾ ظرف للحديث لاللتيان لاختلاف وقتيهما ﴿طوى﴾ بضم الطاء غير ممنون وقرئ ممنونا وقرئ بالكسر ممنونا وغير ممنون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه ندائين أو المقدس مرة بعد أخرى ﴿اذهب الى فرعون﴾ على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن اذهب لان فى النداء معنى القول ﴿انه طغى﴾ تعليل للامر أو لوجوب الامثال به ﴿فقل﴾ بعد ما أتيت به ﴿هل لك﴾ رغبة وتوجه ﴿الى أن تزكى﴾ بحذف احدى التامين من تزكى أى تنطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد ﴿وأهديك الى ربك﴾ وأرشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه ﴿فتخشى﴾ اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده

العلماء وجعل الخشية غابة للهداية لانها ملاك الامر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجتراً على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداورة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه الصلاة والسلام ماأراه اياها عيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى أن قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير أو التعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واطهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر كما أن نسبتها الى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتابع لها أوهما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالأية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله فى سورة طه ولا مساغ لملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولا ريب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة متروك بعد ﴿فكذب﴾ بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا ﴿وعصى﴾ الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجتراً على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئنة الباغية لا بارسال بنى اسرائيل من الأسر والقسر فقط ﴿ثم أدبر﴾ أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس ﴿يسعى﴾ أى يجتهد فى معارضة الآية أو يريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل أدبر هاربا من الشعبان فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقي العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرافاه بين لحية ثم انون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهمز الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه وقيل انها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلك الا أخذته فأخذه فعاد عصا وياباه أن ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿خسر﴾ أى فجمع السحرة لقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس ﴿فنادى﴾ فى المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والاولى﴾ النكال بمعنى التشكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والالاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لأخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والاولى وضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخرية تنكل من سمعها وتمنعها من تعاطى ما يؤدى اليها

لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من الله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالإضافة المسبب الى السبب ﴿ان في ذلك﴾ أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ﴿لعبرة﴾ عظيمة ﴿لمن يخشى﴾ أى لمن شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى ﴿أنتم أشد خلقا﴾ خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب فى تقديركم ﴿أم السماء﴾ أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أذناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى ﴿بناها﴾ الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل مالا يخفى وقوله تعالى ﴿رفع سمكها﴾ بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها الى سمت العلومديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام ﴿فسواها﴾ فعدّها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها بما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان اذا أصلحه ﴿وأغطش ليلها﴾ أى جعله مظلماً يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا فى قوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضاً أغطش الليل كما يقال أظلم ﴿وأخرج ضحاها﴾ أى أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان افاضة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان وإضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوئهما على حركتها ويجوز أن تكون إضافة الضحى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكال اشراقها ﴿والأرض بعد ذلك دحائها﴾ أى بسطها ومهداها لسكنى أهلها وتقلبهم فى أقطارها وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحائها ﴿أخرج منها ماءها﴾ بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً ﴿ومرعاها﴾ أى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لأنها بيان وتفسير لدحائها وتكملة له فان السكى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية أمر المعاش من الماء كل والمشرّب حتماً وأما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والاختفش كما فى قوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم ﴿والجبال﴾ منصوب بمضمر يفسره ﴿أرساها﴾ أى أثبتها وأثبت بها الأرض أن تتمد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلاً عن اثباتها للأرض وقرى والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرهما مع تقدم الارساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو لابرار كمال الاعتناء بأمر الماء كل والمشرّب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كاترنا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أنذركم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال

الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خاق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطلاق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم أنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه البيوسه فجعله أرضا واحدة ثم فلقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لافي الوجود لما عرفت من أن انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتنعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيرها في الذكر اما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بأنه أدخل في الالتزام لما أن المنافع المنوطة بها في الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ماروى عن الحسن نصافي تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ اما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولأنعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى أنعامهم فان المراد بالمرعى ما يعيم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول الماء كقول على الاطلاق كاستعارة المرعى للأنف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أى متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أى الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات أى تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار شروع في بيان أحوال معادهم اثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبى منه لفظ المتاع ﴿يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾ قيل هو بدل من اذا جاءت والآظهر أنه منصوب بأعنى كما قيل تفسيراً للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين أى يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿وبرزت الجحيم﴾ عطف على جاءت أى أظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد ﴿لمن يرى﴾ كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتلظى فيها كل ذى بصر وقرى وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وقوله تعالى ﴿فأما من طغى﴾ الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى

فاما ياتينكم منى هدى الآيه وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذى تستدعيه نخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظام الشئون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان ﴿وآثر الحيوة الدنيا﴾ الفانية التى هى على جناح القوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخروية الأبدية بالايان والطاعة ﴿فان الجحيم﴾ التى ذكر شأنها ﴿هى المأوى﴾ أى هى مأواه واللام سادة مسدا لاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى اما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآيه في الضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أى مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ عن الميل اليه بحكم الجبله البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها ﴿فان الجنة هى المأوى﴾ له لا غيرها وقيل نزلت الآيات في أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبى عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى ويرزت الجحيم عطفًا عليه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حالا من الانسان باضمار قد أو بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيلا لحالى الانسان الذى يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب أعماله الى القسمين المذكورين ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ متى ارساؤها أى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه وقوله تعالى ﴿فيم أنت من ذكرها﴾ انكار ورد لسؤال المشركين عنها أى فى أى شىء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها فى شىء لأن ذلك فرع عليك به وأنى لك ذلك وهو ما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكرها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فعنى قوله تعالى ﴿الى ربك منتهاها﴾ على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا الى أحد غيره وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لأحد منه شىء ما كنا من كان فلا شىء يسألونك عنها وقوله تعالى ﴿انما أنت منذر من يخشاها﴾ على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكرها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فان انكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شىء من ذكرها بما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيج ذلك ببيان أن المنفى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى انما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الامثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الالهوال كما تحيط به خبر الاتعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فالهم يسألونك عما

ليس من وظائفك يسانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكرها بيان أن إرساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتثنية وهو الأصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها﴾ اما تقرير وتأكيده لما ينبي عنه الانذار من سرعة مجي المنذر به لا سيما على الوجه الثاني أى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاها فلما ترك اليوم أضيف ضحاها الى عشيته واما رد لما أدجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول فانه على تقديرى الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا أن الشبه هناك في الأحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان من حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم

سورة عبس

(مكية وآياتها إحدى وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري وأم مكتوم اسم أم أبيه أنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأميه بن خلف والوليد بن المغيرة قيدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أفرئتى وعلينى بما عليك الله تعالى وكر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للبلاغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين أى لأن جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماء اما لتمديد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات في قوله تعالى ﴿وما يدريك﴾ لذلك فان المشافهة أدخل في تشديد العتاب أى وأى شئ يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى ﴿لعله يزكى﴾ استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بأن له شأنًا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرائه مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه

الصلاة والسلام للتنبيه على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلا وقوله تعالى ﴿أو يذكرك﴾ عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى ﴿فتنفعه الذكرى﴾ بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكرك أى أو يذكرك فتنفعه مؤظنا ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك طمعت فى أن يتزكى أو يذكرك فتقر به الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع ﴿أما من استغنى﴾ أى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن ﴿فأنت له تصدى﴾ أى تصدى وتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرئ تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه ﴿وما عليك أن لا يزكى﴾ وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهاميه للانكار أى أى شئ عليك فى أن لا يتزكى وما له النفي أيضا ﴿وأما مر جاك يسعى﴾ أى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿وهو يخشى﴾ أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاك ﴿فأنت عنه تلهى﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تلهى وتلهى أى ياربك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصا لا ينبغي أن تصدى للمستغنى ويتلهى الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعرض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما . روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى ﴿كلا﴾ ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا فى الاهتمام بأمره متهاكبا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى ﴿انها تذكرة﴾ أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها لتعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى ﴿فمن شاء ذكره﴾ أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره فالضمير ان للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة وللايات السابقة والثانى للتذكرة والتذكير لانها فى معنى الذكروالوعظ وليس بذلك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سياتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخطب خطبا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى ﴿فى صحف﴾ متعاقق بمضمهر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جى به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لان ﴿مكرمة﴾ عند الله عز وجل ﴿مرفوعة﴾ أى فى السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر ﴿مطهرة﴾ منزهة عن مساس أيدي الشياطين ﴿بأيدى سفرة﴾ أى كتبه من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى

من الوحي لا الكتب منه وارشاد الأمة بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراءة لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسها الا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة ﴿كرام﴾ عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكملونهم ويستغفرون لهم ﴿بررة﴾ اتقيا وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه ﴿قتل الانسان﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى ﴿ما أكفره﴾ تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراد لا باعتبار جميع أفراد وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة مالا غاية ورأه وقوله تعالى ﴿من أى شئ خلقه﴾ شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى ﴿من نقطة خلقه﴾ تحقير له أى من أى شئ حقير مهين خلقه من نقطة مذرة خلقه ﴿فقدرة﴾ فيها لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والأشكال أو فقدرة أطوار الى أن تم خلقه وقوله تعالى ﴿ثم السبيل يسره﴾ منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن يتركس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعرف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ﴿ثم أماته فأقبره﴾ أى جملة ذا قبر يوارى فيه تسكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جردا للسباع والطيور كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفننه وأقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الامانة من النعم لأنها وصلة في الجملة الى الحياة الأبدية والنعيم المقيم ﴿ثم اذا شاء أنشره﴾ أى اذا شاء انشره أنشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشمار بمشيئته تعالى ايدان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره ﴿كلا﴾ ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى ﴿لما يقض ما أمره﴾ بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره اذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقسادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراد كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيتنى سورة هو د لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم التنبى لا على نبي العموم اما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراد وقد أسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراد ما أمره بل أدخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعم الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أى حقا لم يعمل بما أمره به ﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾ شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى ﴿أنا صببنا الماء صبا﴾ أى الغيث بدل اشتمال من طعامه لأن الماء

سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى بالامالة أى كيف صبينا الى آخره أى صببناه صبا عجيبا ﴿ثم شققنا الأرض﴾ أى بالنبات ﴿شقا﴾ بديعا لا تقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهية وحمل شقها على ما بالكرب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سبيه يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى ﴿فأنبتنا فيها حبا﴾ فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار أصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وإنما الترتيب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخي المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الأرض الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنبه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبى عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مغل بالمرام وقوله تعالى ﴿وعنبا﴾ عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الأرض ﴿وقضبا﴾ أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع ﴿وزيتونا ونخلا﴾ الكلام فيهما وفي أمثالهما كما في العنب ﴿وحدات غلبا﴾ أى عظاما وصف به الحداثق لتكاثرها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ﴿وفاكهة وأبا﴾ أى مرعى من أبه اذا أمه أى قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لأنه متهيء للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلى وأى أرض تقلنى اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ماتبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿متاعا لكم ولأنعامكم﴾ اما مفعول له أى فعل ذلك تمتعيا لكم ولما أشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا أى تمتعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الأفعال الثلاثة فى معنى التمتع ﴿فاذا جاءت الصاخة﴾ شروع فى بيان أحوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصح لها الخلائق أى يصيخون لها من صرخة حديثه اذا أصاح له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصخ الآذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ اما منصوب بأعنى تفسير الصاخة أو بدل منها مبنى على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر فى قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لا اشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئا أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فإياه قوله تعالى ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به وأما الفرار حذرا من مطالبتهم أو بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يفر قاييل من أخيه هائل ويفر النبي عليه الصلاة والسلام من أمه ويفر ابراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه

وأقر بانه ثلاثا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرى يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهيمه من عناء الأمر اذا أهمله أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناء اذا قصده كما قيل وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضيئة متلله من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ أى غبار وكدورة ﴿ترهقها﴾ أى تعلوها وتغشاها ﴿فترة﴾ أى سواد وظلمة ﴿أولئك﴾ إشارة الى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايدان يبعد درجاتهم فى سوء الحال أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره ﴿هم الكفرة الفجرة﴾ الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير

(مكية وآياتها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا الشمس كورت﴾ أى لفقت من كورت العمامة اذا لففتها على أن المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب اذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نظوى السماء واما لف ضوءها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الأقطار على أنه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلکها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا ألقاه على الأرض وعن أبى صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الأرض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطلاس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراهما من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿واذا الجبال سيرت﴾ أى عن أما كنها بالرجفة الحاصلة لافى الجوفان ذلك بعد النفخة الثانية ﴿واذا العشار﴾ جمع عشار وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع تمام السنة وهى أنفاس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم ﴿عظلت﴾ تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرأ وتعطيلها عدم امطارها وقرى ﴿عظلت بالتخفيف﴾ ﴿واذا الوحوش حشرت﴾ أى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم وأعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقرى حشرت بالتشديد ﴿واذا البحار سجرت﴾ أى أحميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بجرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالخطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرى سجرت

بالتخفيف «واذا النفوس زوجت» أى قرنت باجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحدور ونفوس الكافرين بالشياطين «واذا الموءودة» أى المدفونة حية وكانت العرب تشد البنات مخافة الاملاق أو لحوق العار بهم من أجهلن قيل كان الرجل منهم اذا ولدته بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيا فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتارمت بها وان ولدت ابنا حبسته «سئلت بأى ذنب قتلت» توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين وقرىء سألته أى خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلتها وانما قيل قتلت لما أن الكلام اخبار عنها لاحكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرىء كذلك وبالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية «واذا الصحف نشرت» أى صحف الأعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب . عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقال أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يأمر سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثدين وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سبوم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال «واذا السماء كشطت» قطعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ المستور به وقرىء كشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور «واذا الجحيم سعرت» أى أوقدت ايقادا شديدا قيل سحرها غضب الله عز وجل وخطا يابنى آدم وقرىء سعرت بالتخفيف «واذا الجنة أزلفت» أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لابعثها للقصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى «علمت نفس ما أحضرت» جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد يمتد يسع ما فى سباقها وسباق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مبادئه وبعضها من روافده نسب علمها بذلك الى زمان وقرع كلها تهويلا للخطب وتفضيلا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كفيات مخصوصة وهيات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم محيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجر جر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك ألا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللب كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان وأياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس

ما عملت من خير محضرا الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكأنها أحضرتها في الموقف ومعنى عليها أنها حينئذ أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للايدان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعاً يعرفه كل أحد ولوجي بعبارة تدل على خلافه وللرمز إلى أن تلك النفوس العاملة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء الذي أشير إلى بعض بدائع شئونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال

قد أترك القرنه صفراً أنامله وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقاب قاصداً بذلك التماذي في تكثير فرسانه وإظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلاً أن يتزيد فن لوائح النظر الجليل إلا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة مما يقبل الإفراط والتماذي فيه فإنه في الأول كثيراً ما يود وفي الثاني كثيراً ما أترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التماذي في التكثير حسبما فصل أمافيا نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتماذي فيه وإنما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلم على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يحتنب أمراً يرجي فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ أي الكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ماعداء النيرين من الدارارى الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى ﴿الجوار الكنس﴾ لأنها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوءها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذه من أغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أما كنها كالوحش في كنسها ﴿والليل إذا عسعس﴾ أي أدبر ظلامه أو أقبل فإنه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج

حتى إذا أصبح لها تنفساً وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى أقبال ظلامه أو فوق لقوله تعالى ﴿والصبح إذا تنفس﴾ لأنه أول النهار وقيل إداره أقرب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح إذا أقبل يقبل بأقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له مجازاً فقل تنفس الصبح ﴿انه﴾ أي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل ﴿ذى قوة﴾ شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في أداء طاعة الله تعالى وترك الإخلال به من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف ﴿عند ذى العرش مكين﴾ ذى مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية أكرام وتشريف لا عندية مكان ﴿مطاع﴾ فيما بين ملائكته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿ثم أمين﴾ على الوحي وشم ظرف

لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلها على سائر الأوصاف ﴿وما صاحبكم﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿بمجنون﴾ كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بأحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوا اليه بالكلية وقد استدلبه على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين وبين وصفيهما وهو ضعيف اذا المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه الصلاة والسلام انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ﴿ولقد رآه﴾ أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام ﴿بالأفق المبين﴾ بمطلع الشمس الأعلى ﴿وما هو﴾ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿على الغيب﴾ على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب ﴿بضنين﴾ أى يخيّل لا يخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بضنين أى بمتهم من الظنه وهى التهمة ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أى قول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر ﴿فأين تذهبون﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحى مبين وليس مما يقولون فى شئ كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب ﴿ان هو﴾ ما هو ﴿الا ذكر للعالمين﴾ موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى ﴿أن يستقيم﴾ مفعول شاء أى لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير ﴿وماتشاون﴾ أى الاستقامة مشيئة مستتعبة لها فى وقت من الاوقات ﴿الا أن يشاء الله﴾ أى الا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة أى المستتعبة للاستقامة فان مشيئكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق ومربيهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاده الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة انفطرت

(مكية وآياتها تسعة عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا السماء انفطرت﴾ أى انشقت انزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وفُتحت السماء فكانت أبوابا والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس ﴿واذا الكواكب انتثرت﴾ أى تساقطت متفرقة ﴿واذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالأجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل أيضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يغيان ﴿واذا القبور بعثرت﴾ أى قلب تراها وأخرج موتها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث معراء ضمت اليهما وقوله تعالى ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ جواب اذا لكن لا على أنها تعلبه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لأزمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتحويل ما فى حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا

ماقدم من معصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ماقدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ماقدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر في أمر مرارا ﴿يأياها الانسان ماغرك بربك الكريم﴾ أى أى شئ خدعك وجرأك على عصيانك وقد علمت ما بين يديك من الداوهمى التامة والعراقل الطامة وما سيكون حيثئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايدان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له أفعل ماشئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك﴾ صفة ثانية مقررة للرؤية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقه غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد أى صيرك معتدلا متناسبا الخلق من غير تفاوت فيه ﴿فى أى صورة ماشاء ربك﴾ أى ربك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزينة وشاء صفة لصورة أى ربك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك ﴿كلا﴾ رددع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى ﴿بل تكذبون بالدين﴾ اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأتم لا تردعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الاسلام الذى هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجهه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور ثم قيل أتم لا يتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى ﴿وان عليكم لحافظين﴾ حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم ﴿كراما﴾ لدينا ﴿كاتبين﴾ لها ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجاوزا بذلك وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ﴿ان الابرار لى نعيم وان الفجار لى جحيم﴾ استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل مالا يخفى وقوله تعالى ﴿يصلونها﴾ أما صفة لجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها ﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ طرفه عين فان المراد دوام نفي الغيبة لاننى دوام الغيبة لما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لاننى الاستمرار باعتبار ما تنفيده من الدوام والثبات بعد النفي لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يحدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبي عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴿تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل بيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أى صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أى وأى شئ جعلك داريا ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأى سيبويه لما مر من أن مدار

الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مناط افادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين أى شئ عجيب هو في الهول والفضاعة لما مر غير مرة أن كلمة ماقد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب أو طيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تأكيد لهوله ونظامته وقوله تعالى ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر اربابها موبىان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادراهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا يملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الاشياء الخ أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ماهو وقيل باضمار يدانون وليس بذلك فانه عار عن افادة ما يفيد ماقبله كما أن ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم

سورة المطففين

(مختلف فيها وآيات وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ويل للمطففين﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وقيل وأياما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يخس شئ طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلاً فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجاراً يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملازمة والمخاطرة فنزلت فنرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس مانقض قوم العهد الاسلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الافشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الافشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الامنعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر وقوله تعالى ﴿الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون﴾ الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل أى اذا اکتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمنين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة الى أنه اکتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذى يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الافر حسماً أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيل والاحتيال في ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اکتيالهم لما لهم على الناس فع اقتضائه لعدم شمول الحكم لا اکتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شئ بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم

وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المسكيل لهم حالا كان أو ما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور إنما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى بما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لافيا واقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى ﴿واذا كالوهم أو وزنوهم﴾ للناس أى اذا كالواهم أو وزنواهم للبيع ونحوه ﴿يخسرون﴾ أى ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره فحذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك أكموا وعسا قلا أى جنيت لك وجعل البارز تأكيد للمستمكن بما لا يليق بحز القالتنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقصصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكّنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والمرزون في صورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لافى خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون﴾ استئناف وارد لتحويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه وأولئك إشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الإشارة الى الشئ متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايدان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتيازنازلون منزلة الامور المشار اليها إشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد أى ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون ﴿ليوم عظيم﴾ لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ أى لحكمه وقضائه منصوب باضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبر المبتدأ مضمرا أو مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتقاقم الأثم في التطفيف وأمثاله ما لا يخفى ﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ﴿ان كتاب الفجار لنى سجين﴾ الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف حكاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لنى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما سجين﴾ تهويل لامره أى هو بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى ﴿كتاب مرقوم﴾ أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لاخير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ﴿ويل يومئذ

للمكذبين ﴿متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى﴾ الذين يكذبون يوم الدين ﴿اما مجرور على أنه صفة دامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم﴾ وما يكذب به الا كل معتد ﴿أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصى قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء﴾ أثيم ﴿أى منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها﴾ اذ اتلى عليه آياتنا ﴿الناطقة بذلك﴾ قال ﴿من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا يحيد عنه﴾ أساطير الأولين ﴿أى هى حكايات الأولين قال السكبي المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر ابن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذ اتلى بتذكير الفعل وقرئ اذ اتلى على الاستفهام الانكارى﴾ كلا ﴿ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى﴾ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴿بيان لما أدى بهم الى التفوه بتلك العظيمة أى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرأة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما أذنب ذنباً حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرئ بادغام اللام فى الراء﴾ كلا ﴿ردع وزجر عن الكسب الرائن﴾ انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهاتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته﴾ ثم انهم لصالو الجحيم ﴿أى داخلوا النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة﴾ ثم يقال ﴿لهم توبيخا وتقريعاً من جهة الزبانية﴾ هذا الذى كنتم به تكذبون ﴿فذوقوا عذابه﴾ كلا ﴿ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر أثر زجر وقوله تعالى﴾ ان كتاب الأبرار لفي عليين ﴿استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعده يان سوء حال الفجار متصل ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاه الثقلين منقول من جمع على فاعيل من العلوسمى بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعلى الدرجات فى الجنة واما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً والكلام فى قوله تعالى﴾ وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم ﴿كما مر فى نظيره وقوله تعالى﴾ يشهده المقربون ﴿صفة أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة﴾ ان الأبرار لفي نعيم ﴿شروع فى بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شأن الفجار﴾ على الأرائك ﴿أى على الأسرة فى الحجال ولا يكاد تطاق الأريكة على السرير عندهم الا عند كونه فى الحجلة﴾ ينظرون ﴿أى الى ما شأؤهم أعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى أعدائهم بعدون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك﴾ تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ﴿أى بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للابذان بأن ما لهم من آثار النعمة وأحكام الهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء﴾ يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه ﴿مختوم ختامه مسك﴾ أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع ﴿وفى ذلك﴾ اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده أو الى ما ذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد أما للاشعار بعلوم مرتبته وبعد

منزلته أو لكونه في الجنة أي في ذلك خاصة دون غيره ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى مثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشيء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشيء النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على أن من يئانية أو تبعية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به أما لأنها أرفع شراب في الجنة وأما لأنها تأتيهم من فوق. روى أنها تجري في الهواء متسمة فتصب في أوانهم ﴿عيناً﴾ نصب على الاختصاص وجواز أن يكون حالاً من تسنيم مع كونه جامداً لا تصافه بقوله تعالى ﴿يشرب بها المقربون﴾ فأنهم يشربونها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى من وقوله تعالى ﴿ان الذين أجمعوا﴾ الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جئ بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الأبرار في الجنة ﴿كانوا﴾ في الدنيا ﴿من الذين آمنوا يضحكون﴾ أى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور راما للقصر اشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على مناج قوله تعالى أفى الله شك أو مراعاة الفواصل ﴿واذا مروا﴾ أى فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أى بالمشركين وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً ﴿يتغامزون﴾ أى يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم ﴿واذا انقلبوا﴾ من مجالسهم ﴿إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فأكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشربين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين ﴿واذا رأوهم﴾ أينما كانوا ﴿قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ أى نسبوا المسلمين بمن رأوهم ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد ﴿وما أرسلوا عليهم﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ حال من واو قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدكم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجتروا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكاراً لصددهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل عليهم نفالاً بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبرة كما في قولك حلف لا فعلن ﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ أى المعهودون من الفقراء ﴿من الكفار﴾ أى من المعهودين وهو الأظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين ﴿يضحكون﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التمتع والترفة وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقاً للمقابلة أى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى ﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فاذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ فانه صريح في أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلية والتشويق والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام في التاء . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق

(مكية وآياتها خمس وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إذا السماء انشقت﴾ أى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من
 المجرة ﴿وأذنت لربها﴾ أى واستمعت أى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها
 انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه أمر الأمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلية الحكم
 وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين فى الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق
 والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما أشير اليه فيما سلف ﴿وحقت﴾ أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد
 لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى
 حقيقة بذلك لكن لا على أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى
 لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضا مقررأ لما قبلها لا معطوفة عليه ﴿وإذا
 الأرض مدت﴾ أى بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صافصفا لا ترى فيها
 عوجا ولا أمثا أو زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أى زاده ﴿وألقت ما فيها﴾ أى رمت ما فى جوفها من
 الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها ﴿وتخلت﴾ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ
 منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها ﴿وأذنت لربها﴾ فى الالقاء والتخلي ﴿وحقت﴾ أى وهى حقيقة بذلك
 أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا فى
 الوقت الممتد الذى هو مدلولها قد مر سره فيما مر ﴿يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا﴾ أى جاهد ومجد الى
 الموت وما بعده من الأحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث
 يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ﴿فملاقية﴾ أى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله
 تعالى ﴿فأما من أوتى كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم
 منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا أيها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف
 للتهويل والايما الى قصور العبارة عن بيانه أول التعويل على دلالة ما مر فى سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل
 عليه قوله تعالى يا أيها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقية وما قبله اعتراض وقيل هو
 يا أيها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن
 يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه ﴿وينقلب الى أهله مسرورا﴾ أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا
 هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى أهله فى الجنة من الحور والغلمان ﴿وأما من أوتى كتابه وراء ظهره﴾ أى يؤتاه بشماله
 من وراء ظهره قيل تغل يمينه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره
 ﴿فسوف يدعو ثورا﴾ أى يتمنى الثور وهو الهلاك ويدعوه ياثورا تعال فانه أو انك وأتله ذلك ﴿ويصلى سعيرا﴾
 أى يدخلها وقرى يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرى ويصلى كما فى قوله تعالى ونصلية جهنم ﴿انه كان فى أهله﴾
 فيما بين أهله وعشيرته فى الدنيا ﴿مسرورا﴾ مترفا بطرامستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهتمهم ولا يخطر ببالهم أمور

الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزيناً متفكراً في حاله ومآله كسنة الصالحين والمتقين والجملة استثناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى ﴿انه ظن أن لن يحور﴾ تعليل لسروره في الدنيا أي ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيباً للمعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولاً للظن أو أحدهما على الخلاف المعروف ﴿بلى﴾ ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ﴿ان ربه كان به بصيراً﴾ تحقيق وتعليل له أي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً وقيل نزلت الآيتان في أبي سلمة بن عبد الأشد وأخيه الأسود ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو الياسض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب ﴿والليل وما وسق﴾ وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق أي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها ﴿والقمر اذا اتسق﴾ أي اجتمع وتم بدراً ليلة أربع عشرة ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾ أي لتلاقن حالاً بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفضاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الأوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرى لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرى بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء أي ليركن الانسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً أي طبقاً مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقاً مجاوزين أو مجاوزاً أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى ﴿فألم لا يؤمنون﴾ لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأحوالها الموجبة للإيمان والسجود أي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أى شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى ﴿واذا قرى عليهم القرآن لا يسجدون﴾ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقاً على ما قبلها أي فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضى الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأحوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته ﴿والله أعلم بما يعون﴾ بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علماً فاعلها ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتماً ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع أو ممنون به عليهم استثناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاده الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

(مكية وآياتها ثنتان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والسما ذات البروج﴾ هي البروج الاثنا عشر شهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور ﴿واليوم الموعود﴾ أي يوم القيامة ﴿وشاهد ومشهود﴾ أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا لخالقهم وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعز الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاعنتمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما في قول من قال

حلقت لها بالله حلقة فاجر لانما وافها ان من حديث ولاصالح

وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والأظهر أنها دعائية الة على الجواب كأنه قيل أقدم بهذه الأشياء أنهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والأخدود الخد في الأرض وهو الشق ونحوها بناء ومعنى الحق والأحقوق روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسدا فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والأبرص ويشقى من الأدواء وعمى جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمشمار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقر فلبججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنائتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخايد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرده فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاسعت فقال الصبي يا أمه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي إلا غمضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبغه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضى الله عنه أن بعض ملوك الجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب

بالناس فتقول ان الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له
 أبسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت أبسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالأخاديد وايقاد النار وطرح من
 أي فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه
 السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بخنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في
 الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا (النار) بدل اشتغال من الأخدود
 (ذات الوقود) وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجه من الحطب وأبدان الناس وقرى الوقود بالضم
 وقوله تعالى (اذهم عليها قعود) ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليهما من حافات
 الأخدود كما في قوله وبات على النار الندي والمحلق (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي يشهد بعضهم لبعض
 عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم
 وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا
 هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجبارة لما ألقوا المؤمنين في النار وهم
 قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس
 والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق (وما نقموا منهم) أي ما أنكروا منهم وما عابوا (الا
 أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء مفصّل عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسب الأجرة والوطن

وصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعا يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى (الذى له ملك
 السموات والأرض) للاشعار بمناط إيمانهم وقوله تعالى (والله على كل شيء شهيد) وعدلهم ووعد شديد
 لمعذبتهم فإن عليه تعالى بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما (ان
 الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي محسوسهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما أصحاب الأخدود خاصة
 وبالمفتونين المطر حون في الأخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق وهم داخلون في جملتهم
 دخولا أوليا (ثم لم يتوبوا) أي عن كفرهم وفتنتهم فإن ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعاً
 وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) جملة وقعت خبر الان أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن
 والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف الأخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم
 (ولهم عذاب الحريق) وهي نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الإطلاق
 من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها الأنهار) ان أريد
 بالجنات الاشجار فجرى ان الأنهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر
 فان أشجارها سائرة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا (ذلك) إشارة اما الى الجنات الموصوفة
 والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فإن اسم الإشارة متعرض
 لذات المشار اليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لالذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا أشير الى الجنات من حيث
 ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيد قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها
 لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً وأما كان فما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف

ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك المذكور العظيم الشأن ﴿الفوز الكبير﴾ الذى يصغر عنده الدنيا وما فيها من فتون الرغائب بخنافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تصاعف وتفاقم وهو بطشه بالجسارة والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه أليم شديد ﴿ان هو يبدى ويعيد﴾ أى هو يبدى الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد فى شئ منهما فقيه مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدى البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب وآمن ﴿الودود﴾ المحب لمن أطاع ﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة القاهرة وقرى ذى العرش على أنه صفة ربك ﴿المجيد﴾ العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرى بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش وبجده علوه وعظمته ﴿فعال لما يريد﴾ بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالاشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود ﴿فرون وثمود﴾ بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقوفه والمراد بحديثهم ماصدق عنهم من التحدى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشئ من الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى ﴿بل الذين كفروا فى تكذيب﴾ اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم فى الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم أشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جناباتهم مجرد عدم التذكر والاتماظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة ﴿والله من ورانهم محيط﴾ تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف على الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرى قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد ﴿فى لوح محفوظ﴾ أى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرى محفوظ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرى فى لوح وهو الهواء أى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرة تكون فى الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق

(مكية وآيات سبع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والسماء والطارق﴾ الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطرقا اذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كأننا

ما كان ثم أشبع في التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال

طرق الخيال ولا كليفة مدلج سدا بأرجلنا ولم يتبرج

والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل اما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى ﴿ وما أدراك ما الطارق ﴾ تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على أن رفعة ربه بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبا بين في نظائره أى وأى شئ أعلمك ما الطارق وقوله تعالى ﴿ النجم الثاقب ﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المضئ في الغاية كأنه يشقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لاحالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جىء به لما ذكر من تأكيد نفاعة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على أن ان مخففة من الثقيلة واسمها الذئب هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما من بدء أى ان الشأن كل نفس لعلها حافظ والفاء في قوله تعالى ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾ للتنبيه على أن ما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان أن يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكير حتى يتضح له أن من قدر على انشاءه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يمل على حافظه ما يريده وقوله تعالى ﴿ خاق من ماء دافق ﴾ استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء دافق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممزج من المائين في الرحم كما ينبي عنه قوله تعالى ﴿ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها ببعض عند اليصتين فالدماغ أعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط في الجوع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما أقرب الى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحيتين والصلب بضميتين وفيه لغة رابعة هى صالب ﴿ انه ﴾ الضمير للخلاق تعالى فان قوله خلق يدل عليه أى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر ﴿ على رجعه ﴾ أى على اعادته بعد موته ﴿ لقادر ﴾ لبين القدرة ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أى يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه ﴿ فماله ﴾ أى للانسان ﴿ من قوة ﴾ في نفسه يتمتع بها ﴿ ولا ناصر ﴾ ينتصر به ﴿ والسماء ذات الرجوع ﴾ أى المطر سمي رجعا لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب

يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أو بأو لأن الله تعالى يرجعه حيناً خينا ﴿والأرض ذات الصدع﴾ هو ما تصدع عنه الأرض من النبات أو مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فإن وصف السماء والأرض عند الأقسام بهما على حقيقة القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما في أنفسهما من شواهد وهو السر في التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الأرض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لاني تشققها بالعيون ﴿انه﴾ أي القرآن الذي من جملة ما نلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاودة ﴿لقول فصل﴾ أي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل ﴿وما هو بالهزل﴾ ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة ﴿انهم﴾ أي أهل مكة ﴿يكيدون﴾ في ابطال أمره واطفاء نوره ﴿كيدا﴾ حسبما نفي به قدرتهم ﴿وأكيد كيدا﴾ أي أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فهل الكافرين﴾ أي لا تشغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن الأخبار بتوابعه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب إهمالهم وترك التصدي لمكائدهم قطعاً وقوله تعالى ﴿أمهلهم﴾ بدل من مهل وقوله تعالى ﴿رويدا﴾ أما مصدر مؤبد بمعنى العامل أو زدت لمصدره المخزوف أي أمهلهم أمهالاً رويداً أي قريباً كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما أو قليلاً كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنها مثل تمشي على رود أي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر أرواد بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالاً نحو سار القوم رويداً أي متمهلين وفي إيراد البدل بصيغة لا تحتل التكثير وتقييده برويدا على أحد الوجهين المذكورين من تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات والله أعلم

سورة الأعلى

(مكية وآياتها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ أي نزه اسمه عز وجل عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائفة وعن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لأعلى وجه الاعظام والجلال والأعلى أما صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم رقرى سبحانه ربى الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت ﴿الذى خلق فسوى﴾ صفة أخرى للرب على الوجه الأول ومنسوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أي خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأق كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى ﴿والذى قدر﴾ أما صفة أخرى للرب كالموصول الأول أو معطوف عليه وكذا حال ما بعده قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿فهدى﴾ أي فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً أو اختياراً ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولوتبعت أحوال النباتات

والحيوانات لرأيت كل منها ماتحار فيه العقول يروى أن الافرعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد اهتمها الله تعالى أن
 تمشح عنها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عرض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة
 طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطها فتحك عنها بورقها وترجع باصرة باذن الله
 عز وجل ويروى أن التماسح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاؤه
 من ذلك فاذا رآه التماسح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا
 يطبق عليه التماسح فمه هذا وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما
 من حيث الانسانية فما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير ((والذي أخرج المرعى)) أى
 أنبت ما يرعاه الدواب غضا طرياً يرف ((فجعله)) بعد ذلك ((غثاء أحوى)) أى درينا أسود وقيل أحوى حال من
 المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى ((سنقرئك فلا تنسى)) بيان
 لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة
 والسلام لتلقى الهوى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين
 اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما أوحى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في
 ضمن الوعد بالاقرأ أى سنقرئك مانوحى اليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئاً بالهام
 القراءة فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أى لاتدرى ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك
 مع ما في تضاعيف ما تقرأه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى والإلف
 لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله تعالى ((الاماشاء الله)) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لاتنسى مما
 تقرأه شيئاً من الاشياء الاماشاء الله أن تنساه أبداً بان نسخ تلاوته والاتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران
 المشيئة على عنوان الالهية المستتعبة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روى أنه عليه
 الصلاة والسلام أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة والسلام نسيتهما وقيل نفي
 النسيان رأساً فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفى رأساً لا ما قد ينسى ثم يذكر
 ((انه يعلم الجهر وما يخفى)) تعليل لما قبله أى يعلم مظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما أوحى اليك فينسى ما يشاء
 انساه ويبقى محفوظاً ما يشاء ابقاه لما ينط بكل منهما من مصالح دينكم ((ونيسرك لليسرى)) عطف على نقرئك
 كما ينبى عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض واردماً ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام
 مع أن الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسرلى أمرى للايذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام
 من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة
 والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقاً مستمراً للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً
 وتعلماً واهتداءً وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحي والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس
 الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى ((فذكر ان نفعت
 الذكرى)) أى فذكر الناس حسباً يسرنالك له بما يوحى اليك واهداهم الى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت
 تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقيد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان
 يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصاً على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم

الا كفرا وعنادا فأمر عليه الصلاة والسلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا من
يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكر من لا يورثه التذكير الا اعتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله
تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للذكرين واخبار عن حالهم
واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للوعظ عظم المكاسب ان سمعوا ذلك قصدا الى أنه
مما لا يكون والا اول أنسب لقوله تعالى ﴿سيدكر من يخشى﴾ أى سيدكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق
خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل ان
بمعنى اذ كما في قوله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم وقيل هى بمعنى ما أى قد كرما نفع التذكرى فانها
لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرايل تقيم الحر
قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهر اوى ﴿ويتجنبها﴾ أى الذكرى ﴿الاشقى﴾ من الكفرة لتوغلته في عداوة
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي ربيعة ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ أى الطبقة
السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام اناركم هذه جزء من
سبعين جزءا من نار جهنم ﴿ثم لا يموت فيها﴾ حتى يستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة
لان التردد بين الموت والحياة أقطع من الصلى ﴿قد أفلح﴾ أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ﴿من تزكى﴾
أى تطهر من الكفر والمعاصى بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو الفناء وقيل
تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة
يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها ويتنظره ﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾ أقام الصلوات
الخمسة كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم
ربه أى كبره يوم العيد فصلى أى صلاته ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ اضرب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه
قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما
للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالسكينة كما في قوله تعالى ان الذين
لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية أو للكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه
الانسان غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادئ والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ
وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة وتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرىء يؤثرون بالياء وقوله تعالى ﴿والآخرة خير
وأبقى﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير فى نفسها لما
أن نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر
نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ﴿ان هذا﴾ اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من
تزكى وقيل الى ما فى السورة جميعا ﴿لفى الصحف الأولى﴾ أى ثابت فيها معناه ﴿صحف ابراهيم وموسى﴾ بدل
من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى. روى أن جميع
ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى
ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزيور والفرقان. عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى

سورة الغاشية

(مكية وآياتها ست وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بأنه من الاحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهى القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هى النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضا وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ الى قوله تعالى مبشورة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويق كما أنه قيل من جهة عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثها فهو فقيل وجوه يومئذ أى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتكثيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى ﴿عاملة ناصبة﴾ خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار وهادما وقيل عملت فى الدنيا أعمال سوء والتذت بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى ﴿تصلى﴾ أى تدخل ﴿ناراحمية﴾ أى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية فى الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للبرزخ قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكما تحت ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها ﴿تسقى من عين آنية﴾ أى متناهية فى الحر كما فى قوله تعالى وبين حميم آن ﴿ليس لهم طعام الا من ضريع﴾ بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطباً واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضر عون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار الزقوم والغسلين الآخرين ﴿لا يسمن ولا يغمى من جوع﴾ أى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شئ يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن الا أنه لا يفيدهم شيئا منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبذل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمتا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرابهم عند اضطراب النار فى

أحشائهم الى ادخال شيء كشيء يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق الى مطعم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فيهبات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرابهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسלט عليهم الجوع بحيث يضطربهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسלט عليهم العطش فيضطربهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعائهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لئلا كيد النفي وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لانه أدخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذى مر في نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايدانا بكلام تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة ﴿لسعيا راضية﴾ أى لعملها الذى عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته ﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المحل أو عالية المقدار ﴿لا تسمع﴾ أى أنت أو الوجوه ﴿فيها لاغية﴾ لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة كله أذكاء وحكم وقرىء لا تسمع على البناء للفعول بالياء والتاء ورفع لاغية ﴿فيها عين جارية﴾ أى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى علمت نفس ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ رفعة السمك أو المقدار ﴿وأكواب﴾ جمع كوب وهو اناء لا عروة له ﴿موضوعة﴾ أى بين أيديهم ﴿ونمارق﴾ وسائد جمع نمرة بالفتح والضم ﴿مصفوفة﴾ بعضها الى بعض ﴿وزرابى﴾ أى بسط فاخرة جمع زربية ﴿مبثوثة﴾ أى مبسوطة ﴿أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الابل أى أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين الى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقه سائر أنواع الحيوانات فى عظم جشها وشدة قوتها وعجيب هيأتها اللاتفة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الانتقال الفادحة الى الأقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان أطعائها تبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيف يشاء ويقطادها بقطارها كل صغير وكبير ﴿والى السماء﴾ التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ﴿كيف رفعت﴾ رفعا سحبى المدى بلا عمد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك ﴿والى الجبال﴾ التى ينزلون فى أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها ﴿كيف نصبت﴾ نصبا رصينا فهى راسخة لا تميل ولا تميد ﴿والى الأرض﴾ التى يضربون فيها ويتقبلون عليها ﴿كيف سطحت﴾ سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبا يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرىء سطحت مشددا وقرئت الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من

الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقاءه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى ﴿فذكر﴾ لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبي عنه الانكار السابق من عدم النظر أى فاقصر على التذكير ولا تاح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى ﴿انما أنت مذكر﴾ تعليل للأمر وقوله تعالى ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أى لست بمسيطر عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرىء بالسين على الأصل وبالشام وقرىء بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى ﴿الا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم فان الله تعالى الولاية والقهر ﴿فيعذبه الله العذاب الاكبر﴾ الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول أنه قرىء ألا على التنبيه وقوله تعالى ﴿ان الينا اياهم﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر أى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرىء اياهم على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من أوب كفسار من فسر ثم قيل ايوأبا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فأدغمت الياء الاولى فى الثانية ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين اياهم وحسابهم لا بين كون اياهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وفى تصدير الجملتين بار وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعده منزلة الحساب فى الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حساباً يسيراً

سورة الفجر

(مكية وآياتها تسع وعشرون)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والفجر﴾ أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته ﴿وليل عشر﴾ هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الاواخر من رمضان وتكثيرها للتفخيم وقرىء ليل عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام ﴿والشفع والوتر﴾ أى الاشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرىء بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرىء والوتر بفتح الواو وكسر التاء ﴿والليل اذا يسر﴾ أى يمضى كقوله تعالى والليل اذا دبر والليل اذا عسعس والتقيد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة وفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرىء بآياتها على الاطلاق وبخذفها فى الوقف خاصة وقرىء يسر بالتنوين كما قرىء والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق ﴿هل فى ذلك قسم﴾ الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الأمور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو الى الاقسام بها وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للانذار بعلو رتبة المشار

اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم أى مقسم به ﴿لذى حجر﴾ يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن النكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة هضم الخلق وايدانا بظهور الأمر أو هل في اقسامى بتلك الأشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى وحصة أيضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينهى عنه قوله تعالى ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الخ فانه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون كأنه قيل ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لا شترا بهم فيما يوجب من الكفر والمعاصي والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى الا ما في سورة الأحقاف وقوله تعالى ﴿إرم﴾ عطف بيان لعاد للايدان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل ارم على ما قبل من أن ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وأيا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرىء إرم باسكان الراء تخفيفا كما قرىء بورقكم ﴿ذات العمد﴾ صفة لارم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدو بين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن ارم اسم بلدتهم وقرىء ارم ذات العمد باضافة ارم الى ذات العمد والارم العلم أى بعاد أهل أعلام ذات العمد على أنها اسم بلدتهم وقرىء ارم ذات العمد أى جعلها الله تعالى رميا بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائيه اعترضت بين الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرأ ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلاثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العمد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿الذى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ صفة أخرى لارم أى لم يخلق مثلهم فى عظم الأجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم أربعائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرىء لم يخلق على اسناده الى الله تعالى ﴿وتمود﴾ عطف على عاد وهى قبيلة مشهورة سميت باسم جد هم تمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عرابا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد ﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ أى قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا تحتوها من الصخر كقوله تعالى وتحتون من الجبال بيوتا قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعائة مدينة كلها من الحجارة ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ وصف بذلك لكثرة

جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه باللاتات (الذين طغوا في البلاد) اما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل أنزالاً شديداً على كل طائفة من أولئك الطوائف عقبت ما فعلته من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعدلهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن أنزاله بالصب للإيذان بكثرة واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراده بشدة وكثرة واستمرار ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المنسوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة أيضاً لأن السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمنسوب إلى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الأول فإن كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وايدان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبي عنه التعرض لعنوان الربوبة مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعول من رصده كالمليقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وأنهم لا يفوتونه وقوله تعالى (فأما الإنسان) الخ متصل بما قبله كأنه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عبادته ومجازاتهم بأعمالهم خير أو شر فأما الإنسان فلا يهمه ذلك وإنما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذا نذرها (إذا ما ابتلاه ربه) أي عامله معاملة من يبتليه بالغي واليسار والفاء في قوله تعالى (فأكرمه ونعمه) تفسيرية فإن الأكرام والتنعيم من الابتلاء (فيقول ربني أكرمن) أي فضلي بما أعطاني من المال والجاه حسبما كنت استحققه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليلوه أشكر أم يكفر وهو خبر للابتداء الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربني أكرمن وقت ابتلائه بالانعام وإنما تقديمه للإيذان من أول الأمر بأن الأكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي (وأما إذا ما ابتلاه) أي وأما هو إذا ما ابتلاه ربه (فقد رزقه) حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (فيقول ربني أهانن) ولا يخطر بباله أن ذلك ليلوه أيضاً يصبر أم يجزع مع أنه ليس من الإهانة في شيء بل التقدير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى خسرانها وقرئ (فقد رزقه بالتشديد وقرئ أكرمني وأهانني بإثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف) كلا ردع للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم أبتله بالغي لكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب إلى قوله الأخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والاتفات إلى الخطاب للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيذاً للتشنيع والجمع باعتبار معنى الإنسان إذا المراد هو الجنس أي بل لكم أحوال أشد شراً مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من أكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون (ولا تحاضون) بحذف إحدى التائمين من تتحاضون أي لا يحض بعضكم بعضاً (على طعام المسكين) أي على إطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء (وتأكلون

التراث) أى الميراث وأصله وراث (أكلأما) أى ذالم أى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء
 والصبيان ويأكلون أنصباهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما)
 كثيرا مع حرص وشرة وقرى ويحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا)
 الخ استئناف جى به بطريق الوعيد تعليلا للردع أى إذا دكت الأرض دكا متابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها
 من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى إذا سويت
 تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة للمساء وأياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة
 الثانية (وجاء ربك) أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيئته
 وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتحويل (والملك صفا صفا) أى مصطفىين أو ذوى
 صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس
 (وجى يومئذ بجهنم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام
 معه سبعون ألف ملك يحرقونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيط وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود
 مرفوعا (يومئذ) بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله
 بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات
 بما يناسبها من الصور الحسنة والقيحة ويتعظ وقوله تعالى (وأنى له الذكرى) اعتراض جى به لتحقيق أنه ليس
 يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى أوامره وأنى خير مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر
 أى ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوامرها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به
 على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة فى شيء فانه عالم بأنها إنما
 تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع
 جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لاجل حياتى هذه أو وقت حياتى
 فى الدنيا أعمالا صالحة أتفنع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما الذى يدل عليه
 ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته
 الكسبة اليه فكلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى أن كان متمكنا منه فربما يؤهم أن من صرف قدرته الى أحد طرفى
 الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته الى أى طرف كان من
 أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) أى يوم اذ يكون ما ذكر من
 الأحوال والأقوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه
 أحد سواه اذ الأمر كله له أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرى الفعلان على البناء للمفعول
 والضمير للانسان أيضا وقيل المراد به أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل
 وثاقه لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى
 (يا أيها النفس المطمئنة) حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا
 وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى فى معارج الأسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى
 به فى وجودها وسائر شئونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث

لا يخالجهما شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرئ يأيتها النفس الآمنة المطمئنة أي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ﴿ارجعني إلى ربك﴾ أي إلى مواعده أو إلى أمره ﴿راضية﴾ بما أوتيت من النعيم المقيم ﴿راضية﴾ عند الله عز وجل ﴿فادخلي في عبادي﴾ في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي ﴿وادخلي جنتي﴾ معهم أو انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بأنوارهم فإن الجواهر القدسية كالمرآيا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبادي وقرئ في جسد عبادي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر العموم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد

(مكية وآياتها عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿لأقسم بهذا البلد﴾ أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الإنسان خلق ممنوا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ أما لتشريفه عليه الصلاة والسلام يجعل حلوله به مناطا لأعظامه بالأقسام به أو للتنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال ويان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمة قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لاخير فيه وهموا بمالم ينالوا عن شر حيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتححه على معنى وأنت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى أنك ميت وأنهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرّم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرّم دار أبي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدى ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختل خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيونا وقبورنا ويوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر ﴿ووالد﴾ عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى ﴿وما ولد﴾ اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبي عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتشكير والدوايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وإيماء الى أنه متحقق في حالتي الوالدية والولية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا أن التفخيم المستفاد من كلمة مالا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل وكل والد وولده ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ أي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعه وما وراه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده وأصله كبده اذا أصاب كبده ثم اتسع فيه

حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبتة بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى ﴿أيحسب﴾ لبعضهم الذي كان عليه الصلاة والسلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كادة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعاً ولا تزل قدماءه أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين ﴿أن لن يقدر عليه أحد﴾ أن مخففة من أن واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف أى أيحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد ﴿يقول أهلك ما لا لبدا﴾ يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولساناً﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها ﴿وهديناه النجدين﴾ أى طريق الخير والشر أو الشدين وأصل النجد المكان المرتفع ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ أى أى شئ أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة ﴿فك رقبة﴾ أى هو اعتاق رقبة ﴿أو اطعام فى يوم ذى مسغبة﴾ أى مجاعة ﴿يتيماً ذامقرباً﴾ أى قرابة ﴿أو مسكيناً ذامتربة﴾ أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لأعلى الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذا المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيماً أو مسكيناً والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرىء فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله ﴿وتواصوا بالرحمة﴾ بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات ﴿أولئك﴾ اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايدان يبعد درجته فى الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة ﴿أصحاب الميمنة﴾ أى اليمين أو اليمين ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿هم أصحاب المشأمة﴾ أى الشمال أو الشؤم ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة من آصدت الباب اذا أطبقته وأغلقتة وقرىء مؤصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس

(مكية وآياتها خمس عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والشمس وضحاها﴾ أى ضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحا بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف ﴿والقمر اذا تلاها﴾ بأن طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها فى الاستدارة وكال النور ﴿والنهار اذا جلاها﴾ أى جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يحرها ذكر العلم بها ﴿والليل اذا يغشاها﴾ أى الشمس فيغطى

ضوءها أو الآفاق أو الأرض وحيث كانت الواوات العاطفة نواب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك أقسم بالله حقق أن يعمن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالد (والسما وما بناها) أي ومن بناها واثار ما على من لارادة الوصفية تفخيا كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدريه محل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى (والأرض وما طحاها) أي بسطها من كل جانب كدحاها (ونفس وما سواها) أي انشأها وأبدعها مستعدة لكالها والتكبير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أي أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاء وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل (قد أفلح من زكاهها) أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لابرز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أي خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كقتضى وتقضض وقيل هو ظلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وإنما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها) عليه كأنه قيل ليدمد من الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الأول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلني بجرأته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرى بطغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى (اذ انبعث أشقاها) منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعال التفصيل إذا ضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لباشرتهم العقير مع اشتراك الكل في الرضا به (فقال لهم) أي ثمود (رسول الله) أي صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة أيذانا بوجود طاعته وبيان غاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في إضافة الناقة إلى الله تعالى في قوله تعالى (ناقة الله) أي ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تذودوها عنها في نوبتها (فكذبوه) أي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للأشقيين ولا يلائمه ذكر سقياها (ففقروها) أي الأثقى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكركم وأتاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس (فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدممة إذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانداز بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) أي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها في الهلاك (ولا يخاف عقباها) أي عاقبتها وتبعها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الأبقاء وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله وإن كان من شأنه الخوف والوالوالحال أول الاستئناف وقرى فلا يخاف وقرى ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة والليل

(مكية وآياتها إحدى وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والليل اذا يغشى﴾ أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه ﴿والنهار اذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطولع الشمس ﴿وما خلق الذكر والانثى﴾ أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفي الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرى والذكر والانثى وقرى والذى خلق الذكر والانثى وقيل مامصدرية ﴿ان سعيكم لشتى﴾ جواب القسم وشتى جمع شتيت أى ان مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لأحكامها أى فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالثوبة الحسنى وهى الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ فسنيسره للخصلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للر كوب اذا أسرجها وألجمها ﴿وأما من بخل﴾ أى بماله فلم يبنله فى سبيل الخير ﴿واستغنى﴾ أى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة ﴿وكذب بالحسنى﴾ أى ما ذكر من المعانى المتلازمة ﴿فسنيسره للعسرى﴾ أى للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختيارها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايدان بأن كلاهما أصل فيما ذكر لا تتمه لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول باعطاء الطاعة والثانى بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى ﴿وما يغنى عنه﴾ أى ولا يغنى أو أى شئ يغنى عنه ﴿ماله﴾ الذى ييخل به ﴿اذا تردى﴾ أى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك أو تردى فى الحفرة اذا قبر أو تردى فى قعر جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ استئناف مقرر لما قبله أى ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خالقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى اليه من طريق الضلال وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعاً ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ أى التصرف السكلى فيهما كيفما نشاء ففعل فيهما ما نشاء من الأفعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما فى الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا ﴿فأنذرتكم نارا تلظى﴾ بحذف احدى التاءين من تلظى أى تلهب وقرى على الأصل ﴿لا يصلاحها﴾ صلياً لازماً ﴿الا الاشقى﴾ الا الكافر فان الفاسق لا يصلاحها صلياً لازماً وقد صرح به قوله تعالى ﴿الذى كذب وتولى﴾ أى كذب بالحق وأعرض عن الطاعة ﴿وسيجننها﴾ أى سيبعد عنها ﴿الاتقى﴾ المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الابدى وأما من دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التباعد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق ﴿الذى يؤتى ماله﴾ يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى ﴿يتزكى﴾ اما بديل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له أو فى حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أى يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكياً ناميلاً لا يريد به رياء ولا سمعة ﴿وما الا حد عنده من نعمة تجزى﴾

استئناف مقرر لكون ايتائه للزكى خالصا لوجه الله تعالى أى ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى ﴿الابتغاء وجهه ربى الأعلى﴾ استثناء منقطع من نعمة وقرى بالرفع على البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزبدة ويجوز أن يكون مفعولا لاله لأن المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا المكافأة ذمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فربه النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيكم ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خاف فقال له أتبعنى بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مضمرة أى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم نبيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها اذبه يتحقق الرضا وقرى يرضى مبني للمفعول من الارضاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحي

(مكية وآياتها إحدى عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والضحى﴾ هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لأنها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما فى قوله تعالى أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة ياتانا ﴿والليل﴾ أى جنس الليل ﴿اذا سجدى﴾ أى سكن أهله أو ركذ ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ﴿وما ودعك ربك﴾ جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع وقرى بالتخفيف أى ماتر ذلك ﴿وما لى﴾ أى وما أبغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو للقصص الى نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكيفية مع أن فيه مراعاة للفواصل . روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لما تركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف أول جره سائلا ما حقا فقال المشركون أن محمد أودعه ربه وقلاه فنزلت رداعليهم وتبشير الله عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمتروكة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن الترية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ماسبق من نفى التوديع والقل أنى تعالى يواصله بالوحي والكرامة فى الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ماسيئته فى الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل ﴿وللاخرة خير لك من الاولى﴾ لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض الفادحة فى تمشية الأحكام مع أنه عند ما عدله عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من سبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمة شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من

الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادئ بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لهية أمره خير من بدايته لا تزال تزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه الصلاة والسلام وفي أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشر الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخله من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأ كيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأ كيد قد استثنى النحاة منها صورتين أحدهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لى الله تحشرون وقال أبو على الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لأقوم من ونابت سوف عن احدى نوني التأ كيد فكأنه قيل وليعطيك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى ﴿ألم يحدك يتيما فأوى﴾ تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالخاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهزمة لانكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم و يتيما مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادقة و يتيما حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك أيأوى وقرىء فأوى وهو اما من أواه بمعنى آواه أو من أوى له اذا رحمه وقوله تعالى ﴿ووجدك ضالا﴾ عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فأوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدى اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فإن لمحمدربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمد ابواذى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي عليه الصلاة والسلام قائم تحت شجرة يلعب بالاعصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته حليلة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن ابليس أخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الهند ورده الى القافلة ﴿فهدى﴾ فهداك الى مناهج الشرائع المنظوبة في تضاعيف ما أوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك ﴿ووجدك عائلا﴾ أى فقيرا وقرىء عيلا وقرىء عديما ﴿فأغنى﴾ فأغناك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرىء فلا تسكهر أى فلا تعبس في وجهه ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن آدم نعم القوم السؤل يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يحى الى باب

أحكمكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ بشكرها واشاعتها واظهار آثارها وأحكامها أريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيمًا وضالًا وعائلاً فأوأك الله تعالى وهداك وأغنأك فهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فاعطف على اليتيم فأوه وترحم على السائل وتفقهه بمعروفك ولا تزره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحي جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح

(مكية وآياتها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ لما كان الصدر محلاً لأحوال النفس ومخزناً لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليلتها بالكمالات الانسية أى ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملازمة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقبك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسماني مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الإنكارى عن انتفائه للايذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارة الى ادخال المسرة في قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقه الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده ففضل تمكن وقوله تعالى ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحن صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر أنفاً من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه محل يتجاوب أطراف النظم الكريم أى حططنا عنك عبأك الثقيل ﴿الذى أنقض ظهرك﴾ أى حملة على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعى الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم احاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلفه ووضعه عنه مغفرته وتعاليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بالغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرئ ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بعنوان النبوة وأحكامها أى رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تعالى ﴿فان مع العسر يسراً﴾ تقرير لما قبله ووعد

كریم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمته مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر ﴿ان مع العسر يسرا﴾ تكرير للنأيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشتموع بيسر آخر كشواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة أى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا أعيد يكون الثانى عين الأول سواء كان معهودا أو جنسا وأما المنكر فيجتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالأول ﴿فاذا فرغت﴾ أى من التبليغ وقيل من الغزو ﴿فانصب﴾ فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ﴿والى ربك﴾ وحده ﴿فارغب﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرئ فرغب أى فرغب الناس الى طلب ما عنده . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا معتم فرج عني

سورة والتين

(مكية وقبل مدنية وآياتها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والتين والزيتون﴾ هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لافضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر السكيتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبي عليه الصلاة والسلام سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادھنية فيها لكنى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الانبياء قبلى وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبي ﴿وطور سينين﴾ هو الجبل الذى ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذى

هو فيه ولذلك أضيف اليهما وسينون كبيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية ﴿وهذا البلد الامين﴾ أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعول من آمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن ووجه الاقسام بها تيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين ﴿لقد خلقنا الانسان﴾ أى جنس الانسان ﴿فى أحسن تقويم﴾ أى كائنا فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد تهر بعض العلماء عن ذلك بقوله خالق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفاشاءت فاذا أرادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقية الى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الارواح وأصفها وأقربها منها وأقواها مناسبة الى عالم المجردات القاء روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما فى الشرايين من الارواح الى الدماغ الذى هو منبت الاعصاب التى فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يلقى بذلك الفعل من مبادئ البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخل فى العالم أو خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة مارتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة فى العالم الانسانى الذى هو نسخه للعالم الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى ﴿ثم رددنا أسفل سافلين﴾ أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه الى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمرده ننكسه فى الخلق وأياما كان فأسفل سافلين اما حال من المفعول أى رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكانا أسفل سافلين والاول أظهر وقرئ أسفل السافلين وقوله تعالى ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه فى معنى الجمع وعلى الثانى منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرم ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم وأوغير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيد الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تعالى ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ للرسول عليه الصلاة والسلام أى فأى شئ يكذبك دلالة أو نطقا بالجزء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيك أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خالق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأى شئ يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيبه أيها الانسان ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدويرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه

من العذاب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق

(مكية وآياتها تسع عشرة)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اقرأ﴾ أى ما يوحى إليك فإن الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أو لا والأقرب أن هذا إلى قوله تعالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى ﴿باسم ربك﴾ متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبساً باسمه تعالى أى مبتدئاً به لتحقيق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترتيب والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى ﴿الذى خلق﴾ لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبية على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شئ وقوله تعالى ﴿خلق الإنسان﴾ على الأول تخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببديع الصنع والتدبير وعلى الثانى أفراد الإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق الإنسان ويقصد بتجريده عن المفعول الإبهام ثم التفسير وما لتفخيم فطرته وقوله تعالى ﴿علق﴾ أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وإيراده بلفظ الجمع بناء على أن الإنسان فى معنى الجمع لمرعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة إلى الإنسانية ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً ليستشهد عليه السلام به على تمكنه تعالى إلى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى ﴿اقرأ﴾ أى افعل ما أمرت به تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى ﴿وربك الاكرم﴾ الخ فإنه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارى يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه هو الاكرم الذى علم بالقلم أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارى بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ بذل اشتغال من علم بالقلم أى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولاً وإيراده بعنوان عدم المعلومية ثانياً من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال ربه والاشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى ﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه

وان لم يسبق ذكره للبالة في الزجر وقوله تعالى ﴿ان الانسان ليطغى﴾ أى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه يبار للردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في أبى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ﴿أن رآه استغنى﴾ مفعول له أى يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على أن استغنى مفعول ثان لراى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتى وان جوزه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضا وجعل من ذلك قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لانبفس الاستغناء كما ينبى عنه قوله تعالى ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض للايدان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد. روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أترعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبنا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا وتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى ﴿ان الى ربك الرجعى﴾ تهديد للطاغى وتحذيره من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبرى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى ان الى مالك أمرى رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلا ولا اشترا كافسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ﴿أرايت الذى ينهى عبدا اذا صلى﴾ تقييح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايدان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأنى منه الرؤية ويقضى منها العجب. روى أن أبا جهل قال فى ملا من طغاة قريش اثن رأيت محمدا يصلى لأطان عنقه فرآه عليه السلام فى الصلاة فجأه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال ان بينى وبينه لخدقا من نار وهو لا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما ما فى قوله تعالى ﴿أرايت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى﴾ وما فى قوله تعالى ﴿أرايت ان كذب وتولى﴾ فقلبية معناه أخبرنى فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورهما عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التى هى كونها أمرا بالتقوى وتكذبا وتوليا كما فى قوله تعالى قل أرايت ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشاربه اليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى لأرايت لا يكون الاجملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو أمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ أى يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى أجتأ على ما فعل وانما أغرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرية باستخبار مستأنف ولم ينظما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايدان باستقلا لهما بالوقوع فى نفس الامر واستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب وأما القسم الاول فأمر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرايت الاول بمعنى أخبرنى مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرايت فى الموضوعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان أمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان

على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداة وضلالة فيجازه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي والمنهى عن الهدى أمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمراً بالتقوى أتهناه وقيل هو أمية ابن خاف كان ينهى سلمان عن الصلاة ﴿كلا﴾ ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى ﴿لئن لم ينته﴾ موثقة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لناخذن بناصيته ولنسجنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرىء لنسفعن بالنون المشددة وقرىء لا سفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية وإنما جازا بدالها من المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ ﴿فليدع ناديه﴾ أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم أي يجتمعون . روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت ﴿سندع الزبانية﴾ ليجروه إلى النار والزبانية الشرط الواحد زبنة كعفوية من الزين وهو الدفع وقيل زبى وكأنه نسب إلى الزين ثم غير كأمسى وأصلها زباني فقل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي عليه السلام لودعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا ﴿كلا﴾ ردع بعد ردع وزجر إثر زجر ﴿لا تطعه﴾ أي دم على ما أنت عليه من معاصاته ﴿واسجد﴾ وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به ﴿واقرب﴾ وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر

(مختلف فيها وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أنزلناه في ليلة القدر﴾ تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله إلى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ لما فيه من الدلالة على أن علوق قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الا اعلام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ فإنه بيان اجمالى لشأنها اثر تشويقه عليه السلام إلى درايته فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التخفيف ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله إلى السماء الدنيا كما روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفارة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام بنحو ما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لا نأحق في نفسي من أن ينزل في قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير

حيثئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لالكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الاواخر في أوتارها وأكثر الاقوال أنها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريد لها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضاءها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وأخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي عليه السلام أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته تخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدر كها خيرا من ملكهم ما وقوله تعالى ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة أى تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض أو الى السماء الدنيا ﴿بإذن ربهم﴾ متعلق بتنزل أو بمحدوف هو حال من فاعله أى ملتبسين بإذن ربهم أى بأمره ﴿من كل أمر﴾ أى من أجل كل أمر قضاءه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه ﴿سلام﴾ أى ما هي الا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضى سلامة وبلاء أو ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالرجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاء بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالابتداء مغتفر في الجار . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

— سورة لم يكن —

(مختلف فيها وآياتها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ أى اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلية مانسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وإيراد الصلة فعلا لما أن كفروا بعد أن نبأهم ﴿والمشركين﴾ أى عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطف على الموصول ﴿منفكين﴾ أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فعله قد وقع من تأخيرهم بعدم اشاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكك الشيء

عن الشيء أن يزيله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجتمعين عليه عازمين على انجازه ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ التي كانوا قد جعلوا آياتها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن آياتها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تلتو الشياطين أى تلت وقوله تعالى ﴿رسول﴾ بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايدان بغاية ظهور أمره و كونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى ﴿من الله﴾ متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكداً أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى ﴿يتلو﴾ صفة أخرى له أوحال من الضمير في متعلق الجار ﴿صحفا مطهرة﴾ أى منزهة عن الباطل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى ﴿فيها كتب قيمة﴾ صفة لصحفاً أو حال من ضميرها في مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعابه على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى ﴿وماتفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناباتهم ببيان أن مانسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباهه ما في الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بآيتاء الكتاب المنبي عن كمال تمسكهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام والأخبار التي من جملتها نعت النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريق أهل الكتاب وايداناً بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى ﴿الامن بعد ما جاءتهم البينة﴾ استثناء مفرغ من أعم الاوقات أى وما تفرقوا في وقت من الاوقات الامن بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جليلة لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الامن بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أى والحال أنهم ما أمروا بما أمروا في كتابهم الا لاجل أن يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى أن أى الابأن يعبدوا الله ويعضده قراءة الا أن يعبدوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين ﴿حنفاء﴾ مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ﴿ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة﴾ ان أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان أريد ما في شريعتنا فعنى أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمرهم بجميع أحكامها التي هما من جملتها ﴿وذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته ﴿دين القيمة﴾ أى دين الملة القيمة وقرىء الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه و يعدون أن ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ بيان لا خلاصهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنافيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن

الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وأنت خير بأن هذا انما يتسنى بعد التليا والى على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستازم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فرقا ففهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزة القائل فلا قائل ﴿ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم﴾ بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لثلاث يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة وإيراد الجملة الاسمية للايدان بتحقيق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن اما على تنزيل ملاستهم لما يوجبها منزلة ملاستهم لها واما على أن هاهم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم محيطه بالكافرين في سورة الاعراف ﴿خالدين فيها﴾ حال من المستكن في الخبر واشترك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها ألوان ﴿أولئك﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر أى أولئك البعداء المذكورون ﴿هم شر البرية﴾ شر الخليفة أى أعمالا وهو الموافق لما سيأتى في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيذا لفظا على حالهم وقرىء بالهمز على الأصل ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لمحاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب ﴿أولئك﴾ المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة ﴿هم خير البرية﴾ وقرىء خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد ﴿جزاؤهم﴾ بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعة ﴿عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ ان أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجزاؤهم من الأنهار من تحتها ظاهر وان أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأما كان فالمراد جريانها بغير أخذود ﴿خالدين فيها أبدا﴾ متنعمين ببقون النعم الجسمانية والوحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيد نعيمها وتأيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم ﴿ورضوا عنه﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ذلك﴾ أى ما ذكر من الجزاء والرضوان ﴿لمن خشى ربه﴾ فان الخشية التى هى من خصائص العلماء بشئون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتعبة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والترية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالترية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة

(مختلف فيها وآياتها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إذا زلزلت الأرض﴾ أى حركت تحر يكا عني فامتكر را متداركا ﴿زلزالها﴾ أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخلى فى حيز الامكان وقرى بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف وقولهم نافه خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضا مصدر كالوسواس والجر جار والقلق والقلق ذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ أى ما فى جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واطهار الأرض فى موقع الاضرار لزيادة التقرير أو للايماء الى تبدل الارض غير الأرض أو لأن اخراج الأثقال حال بعض أجزائها ﴿وقال الانسان﴾ أى كل فرد من أفرادها لما يدهمهم من الطامة التامة ويهرهم من الداهية العامة ﴿مالها﴾ زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الأثقال استعظاما لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقول بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿يومئذ﴾ بدل من اذا وقوله تعالى ﴿تحدث أخبارها﴾ عامل فيهما ويجوز أن يكون اذا منتصبا بمضمر أى يوم اذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها وأخراج أثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها وقرى تنبي أخبارها وقرى تنبي من الانبياء ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أى تحدث أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها ﴿يومئذ﴾ أى يوم اذ يقع ما ذكر ﴿يصدر الناس﴾ من قبورهم الى موقف الحساب ﴿أشتاتا﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل يصدرون عن الموقف أشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أى أجزية أعمالهم خيرا كان أو شرا وقرى ليروا بالفتح وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ تفصيل ليروا وقرى يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء وأياما كان فعنى رؤية ما يعادها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الأولى محتصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب يردده قوله تعالى وقدمننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته وبمحبط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا الا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم

سورة والعاديات

(مختلف فيها وآياها احدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والعاديات﴾ أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو ونحو العدو وقوله تعالى ﴿صبحا﴾ مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تصبح صبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها أو بالعاديات فان العدو مستلزم للصبح كأنه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضابحات ﴿فالموريات قدحا﴾ الإيراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى فالتى تورى النار من حوافرها واتصاب قدحا كاتصاب صبحا على الوجوه الثلاثة ﴿فالمغيرات﴾ أسند الاغارة التى هى مباغطة العدو للنهب أو للقتل أو للاسر إليها وهى حال أهلها ايذانا بأنها العمدة فى اغارتهم ﴿صبحا﴾ أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا ثلاثا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى ﴿فأثرن به﴾ عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاقى عدون فأورين فأغررن فأثرن به أى فهجن بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ أى غبارا وتخصيص اثرته بالصبح لأنه لا يشور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أن الإيراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل والله در شأن التنزيل وقيل النقع الصباح والجلبة وقرىء فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لأن التأثير فيه معنى الاظهار ﴿فوسطن به﴾ أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع ﴿جمعا﴾ من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله

يا لهف زياة للحارث الصابح فالغانم فالآيب

فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة الاغارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدو وقوله تعالى ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ أى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض أفراد . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران ﴿وانه على ذلك﴾ أى وان الانسان على كنوده ﴿لشديد﴾ يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه ﴿وانه لحب الخير﴾ أى المال كما فى قوله تعالى ان ترك خيرا ﴿لشديد﴾ أى قوى مطبق يجد فى طلبه وتحصيله متها لك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطبقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل أى انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى أن من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهر ون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى ﴿أفلا يعلم اذا بعثنا فى القبور﴾ الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرىء بحترو بحت وبحترو بحت على بناءهما للفاعل ﴿وحصل﴾ أى جمع

محصولاً أو ميز خيره من شره وقرى وحصل مبنياً للفاعل وحصل مخففاً (ما في الصدور) من الأسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلاً عن الأعمال الجلية (ان ربهم) أي المبعوثين كنى عنهم بعد الأحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الأحياء الأول حيث التفت إلى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه أي إذا بصلاحياتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدها قبله كما أشير إليه هناك (بهم) بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور (لخبير) أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجبا للجزاء متصلاً به كما ينبغي عنه تقييده بذلك اليوم والا فطلق عليه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السكيت أن ربهم بهم يومئذ خبير . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً

سورة القارعة

(مكية وآياتها عشر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتاد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوين سميت بها لأنها تقرر القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفضاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيذاً للتهويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة) تأكيذاً لهولها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدري يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراك به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة كانت في موقع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للبتداء الأول أي وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحر كته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطير إلى الداعي كتطير الفراش إلى النار أو منصوب باضمار اذكر بأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويق عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ما هي هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرر يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي

كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكل الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيد الله عز وجل الأرض غير الأرض وغيورها ويسيروا الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الأرض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى ﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتبنيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازن اما جمع الموزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل ان الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فمن ترجحت مقادير حسناته ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي ذات رضا أو مرضية ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فألمه﴾ أي فأواه ﴿هاوية﴾ هي من أساء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهوائها . روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للبأس الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لان أهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأمر رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى ﴿وما أدراك ماهية نار حامية﴾ فانه تقرير لها بعد اتمامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتحويل وهي ضمير الهاوية والهاة للسكت واذا وصل القارى محذفا وقيل حقه أن لا يدرج لثلاثا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد أجزئ اثباتها مع الوصل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

— سورة التكاثر —

(مختلف فيها وآياتها ثمان)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أهلأكم التكاثر﴾ أي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها . روى أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيذا وأعز ونا وأعظم نفرا فكثرت بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرت بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرت بالاحياء ﴿حتى زرتهم المقابر﴾ أي حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والشكاث بالاموات فعبعن بلوغهم ذكر الموتى

بزيارة القبور تم كما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهامكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن تمتم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهيمكم من السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ ألهامكم على الاستفهام التقريرى ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة ﴿سوف تعلمون﴾ سوء مغية ما أتم عليه إذا عاينتم عاقبته ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لفعالتم مالا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتحويل وقوله تعالى ﴿لترون الجحيم﴾ جواب قسم مضمرا كدبه له الوعيد وشدده التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد ابهامه تفخيما ﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية إذا رددوها أو المراد بالأولى المعرفة والثانية المشاهدة والمعاينة ﴿عين اليقين﴾ أى الرؤية التى هى نفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ أى عن النعيم الذى ألهامكم الالتذابه عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعيش الا ليأكل الطيب ويابس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعجا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كما نما قرأ ألف آية

سورة والعصر

(مكية وآياتها ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعصر﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة ﴿ان الانسان لفي خسر﴾ أى خسران فى متاجرهم ومساعيمهم وصرف أعمارهم فى مبالغهم والتعريف للجنس والتكثير للتعظيم ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فإنهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيألهما من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى ﴿وتواصوا بالحق﴾ الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسبته آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله فى كل عقد وعمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أى عن المعاصى التى تشاقق اليها النفس بحكم الجبلية البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها ادائها وعلى ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجها تحت التواصى بالحق لا يبراز كمال الاعتناء به أو لأن الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجمل والرضا به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهزمة

(مكية وآياتها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ويل﴾ مبتدأ خبره ﴿لكل همزة لمزة﴾ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرى لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المستخرجة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنبه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم ﴿الذي جمع مالا﴾ بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرى جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى ﴿وعده﴾ وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرى وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام ﴿يحسب أن ماله أخذه﴾ أى يعمل عمل من يظن أن ماله يقيه حيا والاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومنه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وأنه هو الذي أخذ صاحبه في الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى أن الاخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع ﴿كلا﴾ ردعه عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى ﴿ليذنبن﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعل الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة ﴿في الخطمة﴾ أى في النار التى شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقي فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الخطمة﴾ تهويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى ﴿نار الله﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هي نار الله ﴿الموقدة﴾ بأمر الله عزسلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها مالا يزيد عليه ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أى تعلو أو ساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف مافى الجسد وأشدّه تألما بأذى يمسّه أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة ﴿انها عليهم مؤصدة﴾ أى مطبقة من أوصدت الباب وأصدته أى أطبقته ﴿فى عمد ممددة﴾ اما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدأ مضمرة أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم أجرنا منها ياخير مستجار وقرى عمد بضمعين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهزمة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

سورة الفيل

(مكية وآية خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية عليه أي ألم تعلم علماء رصينا متاخما للشاهدة والعيان باستماع الأخبار المترتبة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتهربيل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجبية دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فإن ذلك من الارهاصات لما روى أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي عليه الصلاة والسلام وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعدها ليلا فاغضبه ذلك وقيل أججت رفة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقها فخلف ليهدم الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنى عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هروا فأرسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل يضيض كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الخصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه ومامات حتى انصدع صدره عن قابله وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه في شأنها فلما رآه أبرهة عظم في عينه وكان رجلا وسما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهالك عنه ذود أخذت لك فقال عبد المطلب أنارب الابل وإن للبيت ربا يحمي ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذهو بطير من نحو اليمن فقال والله أنها طير غريبة ما هي نجدية ولا تهامة فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وقرىء ألم تر بسكون الراء للجد في اظهار أثر الجازم وقوله تعالى ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ الخ بيان اجمالى لما فعله الله تعالى بهم والهمزة لتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل وابطال بأن دمرهم أشنع تدمير ﴿وأرسل عليهم طيرا أبابيل﴾ أي طوائف وجماعات جمع أبالة وهي الحزمة الكبيرة شبت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مثل عبايد وشمايط لا واحد لها ﴿ترميمهم بحجارة﴾ صفة لطيرا وقرىء يرميهم بالتذكير لأن الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار

المعنى ﴿من سجل﴾ من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذى يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بجحارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبق صفر منه أو كتبت أكلته الدواب ورائته أشير اليه بأول أحواله . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسح والله أعلم

سورة قريش

(مكية وآيات أربع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿لا يلاف قريش﴾ متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك أصحاب الفيل لا يلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لا يلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف مأكول ويؤيده أنهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدتهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيؤوا لهم زيادة تهيب ويحترم موهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن فى رحلتهم فلا يجترأ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والا يلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفتهم وقرى لا لاف قريش أى مؤالفهم وقيل يقال ألفتهم الفاء والافا وقرى لا لاف قريش وقرى ولد النضر بن كنانة سما بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبت بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد وقوله تعالى ﴿ايلافهم رحلة الشتاء والصيف﴾ بدل من الأول ورحلة مفعول لا يلافهم وافرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأن الالباس وفى اطلاق الا يلاف عن المفعول أو لا وابدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرى لا يلاف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرى رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه ﴿من جوع﴾ شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذى أكلوا فيه الجيف والعظام ﴿وآمنهم من خوف﴾ عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسائرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم فى بلدهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون

(مختلف فيها وآيات سبع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿أرأيت الذى يكذب بالدين﴾ استفهام أريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ رأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزء أو بالاسلام أن لم تعرفه أو أن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلّة الحكم والتنبية بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو أبو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شديعا وقيل أبو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لما فقره بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومته وقرئ يدع اليتيم أى يتركه ويحفوه ﴿ولا يحض﴾ أى أهله وغيرهم من الموسرين ﴿على طعام المسكين﴾ وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى ﴿فويل﴾ الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمساكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل ﴿للمصلين الذين هم عن صلواتهم ساهون﴾ غافلون غير مباليين بها ﴿الذين هم يراءون﴾ أى يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها ﴿ويمنعون الماعون﴾ أى الزكاة أو ما يتعارف عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمساكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح أخرى غير ما ذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

— سورة الكوثر —

(مكية وآيات ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿انا أعطيناك﴾ وقرئ انطيناك ﴿الكوثر﴾ أى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة العامة المستتعبة لسعادة الدنيا والدين فوعلى من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى في صفته أنه أحلى من العسل وأشدّ بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافظه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظلم من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبيرة فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن الحاوى لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى ﴿فصل لربك﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها أحدا من العالمين مستوجب للمأمورية أى استيجاب أى قدم على الصلاة لربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر ﴿وانحر﴾ البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وعن عطية

هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمعنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبال القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكبي وأبي الاحوص ﴿ان شئتكم﴾ أي مبغضكم كائن من كان ﴿هو الأبت﴾ الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وأياما كان فلا ريب في عموم الحكم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاها الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قرب به العباد في يوم النحر

— سورة الكافرون —

(مكية وآياتها ست)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل يا أيها الكافرون﴾ هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الايمان أبدا . روى أن رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصه فك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ أي فيما يستقبل لأن لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي ولا أنتم فاعلمون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما أن الاولين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وإيثار ما في أعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظيمته وقيل ان ما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخران مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور أولا وقوله تعالى ﴿لكم دينكم﴾ تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى ﴿ولى دين﴾ تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذي هو الاشرار مقصور على الحصول لكم لا يتجاوز به الى الحصول لي أيضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أما نيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وأن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز به الى الحصول لكم أيضا لأنكم علقتموه بالحال الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي اياها ولأن ما وعدتموه عين الاشرار وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز أن يكون هذا تقرير لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أي ولى ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من

قرأ سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرى من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر

سورة النصر

(مدنية وآيات ثلاث)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿إذا جاء نصر الله﴾ أى اعانته تعالى واطهاره اياك على عدوك ﴿والفتح﴾ أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وامامها جعل بجيئه بمنزلة مجي سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب . روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه إلا أكثر وقيل في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة إذا حيثئذ باعتبار أن بعض ما في حيزها أعنى رؤية دخول الناس الح غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياء ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ﴿ورأيت الناس﴾ أى أبصرتهم أو علمتهم ﴿يدخلون في دين الله﴾ أى ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى ﴿أفواجا﴾ حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين . روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام أفواجا من غير قتال وقرى فتح الله والنصر وقرى يدخلون على البناء للمفعول ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فقل سبحان الله حامدا له أو فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح أو فاذا ذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له حامدا على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات أو فتره عما يقوله الظلمة حامدا له على أن صدق وعده أو فأن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿واستغفره﴾ هضم لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الأولى . عن عائشة رضى الله عنها أنه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنه عليه السلام انى لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبي عليه الصلاة والسلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك

للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقاءه فاختار لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال فدينك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعت الى نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك أول أهلي لحوقا وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته ﴿انه كان توابا﴾ منذ خلق المكلفين أى مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

— سورة تبت —

(مكية وآيها خمس)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبت﴾ أى هلكت ﴿يدا أبى لهب﴾ هو عبد العزى بن عبد المطلب وإيثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفاء وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبألك الهذات دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه عليه السلام به ﴿وتب﴾ أى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال

جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تراول غالباً بالأيدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرىء أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرىء أبى لهب بسكون الهاء ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ أى لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أى شئ أغنى عنه على أنها استفهامية فى معنى الإنكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذى هو كيد فى عداوة النبي عليه الصلاة والسلام أو عمله الذى ظن أنه منه على شئ كقوله تعالى وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كابا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى أتت ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن ﴿سيعلى﴾ بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لالحالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة ﴿نارا ذات لهب﴾ أى نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى أنه لا يؤمن أبدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لنفسه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه الصلاة

والسلام اجمالاً لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر ﴿وامرأته﴾ عطف على المستكن في سيصلي لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتثرها بالليل في طريق النبي عليه الصلاة والسلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنخمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الخطب بينهم أي يوقد بينهم النار ﴿حمالة الخطب﴾ بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناءً على أن الاضافة غير حقيقية اذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الخطب على ظهرها لشدة بخلها فغيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتماً وقرئ بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرئ حمالة للخطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مرته بالتصغير للتحقيق ﴿في جيدها جبل من مسد﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وجبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلي وجبل فاعل كما ذكر والمسد ما يقتل من الجبال قتلاً شديداً من ليف المقل وقيل من أي ليف كان وقيل من لحاء شجر البين وقد يكون من جلود الابل وأو بارها والمعنى في عنقها جبل مما مسد من الجبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً بحالها وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من الموهن ليمتنع من ذلك ويتمنع بعلمها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الحمداني كانت أم جميل تأتي كل يوم بابالة من حسك فطرحها على طريق المسلمين فيبناها ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فخذها الملك من خلفها فاختنقت بجبلها . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص

(يختلف فيها وآياها أربع)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل هو الله أحد﴾ الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايدان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبي عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحلل الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الربط لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة أحد مبدل من الواو وأصله وحداً كهزمة ما يلزم النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤس غيركم فانها أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت احدهما تخفيفاً وقال ثعلب ان أحد الا يبني عليه العدد ابتداءً فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أي الذي سألتكم عنه هو الله اذ روى أن قریشاً قالوا صف لنا ربك الذي تدعوننا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى ﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى

مفعول من صمد اليه اذا قصده أى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عده محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمدية بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعزية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة الاولى بين أولا ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجهة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمدية مقتضية لاستغناؤه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه فى وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وإرشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقول (لم يلد) تنصيحا على إبطال زعم المفتريين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النبى على صيغة الماضى أى لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانس شىء لىممكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه (ولم يولد) أى لم يصدر عن شىء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولا حقا والتصریح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة الى أنهما متلازمان اذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه (ولم يكن له كفوا أحد) أى لم يكافئه أحد ولم يمثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من أحد وليس بذلك وأما تأخير اسم كان فلهذا الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولا نظوا السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشات المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد فى الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والأحكام والقصاص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فليل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق

(مختلف فيها وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبى عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرق عدة كريمة بإعادة العائذ ما يعود منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وأما الاشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ فى

قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها ﴿من شر ما خلق﴾ أى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائناتهما كان من ذوات الطباع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الانسان وغيره بما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مداراً لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحله وازدادة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كفياتها المتضادة المستتعبة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منهزه عن شوائب الشر بالمرّة وقوله تعالى ﴿ومن شر غاسق﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجها فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعادة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعاً وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها وازدادة الشر الى الليل لملاسته له بحدوثه فيه وتكثيره لعدم شمول الشر لجميع أفرادها ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى ﴿اذا وقب﴾ أى دخل ظلامه فى كل شئ لان حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ﴿ومن شر النفاثات فى العقد﴾ أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرى النافثات كما قرى النفثات بغير ألف وتعريفها امال العهد أو اللإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فأعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه ليلى بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفعها فى بئر اريس فمرض النبي عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحرو بمن سحروه وبم سحره فأرسل عليه الصلاة والسلام علياً كرم الله وجهه والزبير وعماراً رضى الله عنهما فزحوا ماء البئر فكانت نقاعة الحناء ثم رفعوا رعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجأوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما أنشط من عقال فقالوا يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شراً قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبي عليه الصلاة والسلام غضباً ينتقم لنفسه قط الا أن يكون شيئاً هو الله تعالى فيغضب الله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾ أى اذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الاضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانت كما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى

سورة الناس

(مختلف فيها وآيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قل أعوذ﴾ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ﴿رب الناس﴾ أى مالك أمورهم ومربرهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ﴿ملك الناس﴾ عطف بيان جئ به لبيان أن تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملائك لما تحت أيديهم من ممالكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى ﴿إله الناس﴾ فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياساتهم والتولى لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالهية المتقضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وإيجاداً واعداماً وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعادة فان توسل العائد بربه وانتسابه اليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من أفراد من دواعى مزيد الرحمة والرافة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعادة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم فى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلبه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة ﴿من شر الوسواس﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة ﴿الخناس﴾ الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع أو النصب على الذم ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للذى يوسوس على أنه ضربان جنى وانسى كما قال عز وجل شياطين الانس والجن أو متعلق بـيوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق على الجن أيضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الامن تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والارشاد وهاذي الغواة الى سنن الرشاد
بارى البرية مالك الرقاب عليك توكلى واليك متاب أنت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل
مخوف ألوذ بحرمك المأمون من غوائل ريب المنون وألتجىء الى حرزك الحرير وآوى الى ركنك العزيز
وأسألك من خزائن برك المخزون فى مكان سرى المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من أمور الدنيا والدين
وأعوذ بك من فنون الفتن والشرو لاسيما الاطمئنان بدار الغرور والاعتزاز بنعيمها وزهرتها والافتتان
بزخارفها وزينتها فأعذنى بحمايتك وأعنى بعنايتك وأفض على من شوارق الأنوار الربانية وبوارق الآثار
السبحانية ما يخلصنى من العوائق الظلمانية ويجردنى من العلائق الجسمانية وهذب نفسى الآية من دنس الطبائع
والاخلاق ونور قلبى القاسى بلوامع الاشراق ليستعد للعبور على سرائر الأنس ويتبها للحضور فى حظائر القدس
وثبتنى على مناهج الحق والهدى وأرشدنى الى مسالك البر والتقى واجعل أعز مرامى ابتغاء رضاك وأشرف أيامى
يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى وفق طائفة من المتقين لتفسير كتابه المجيد وأطلعهم على لطائف أسرارهِ فجاءوا فى كشف أستاره بكل قول سديد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى بهر الفصحاء بعباراته الساحرة وسحر البلغاء بمحاسن أساليبه الباهرة وعلى آله الذين أوردتهم مناهل فضله فأرواهم وأصحابه الذين تقدموا بفضل محبته على من سواهم ﴿أما بعد﴾ فإن نفائس الكنوز لا تحصل فى يد كل قاصد كما أن أقمار دائرة المشتري لا تبين إلا لكل حاذق راصد وإن منظار العقول الى ادراك فضائل الرجال هو ما يظهر على أيديهم من فضائل الأعمال هذا وقد فاق أولئك السادة العاملين وتقدم على جملة أرباب النباهة الكاملين حضرة ذلك الشريف الحسينى العلوى المتحلى بكل خلق جميل نبوى السيد محمد محمد عبد اللطيف الخطيب فإنه قد جاء فى أعماله بالعجيب وما فوق العجيب

ومما بذل فى تصحيحه غاية المجهود وأتمه فكان عنوانا على اتصافه بتلك الفضائل الجمية طبع التفسير المسمى بارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ألا وهو تفسير قاضى القضاة العلامة أبى السعود المحيط بأسرار المعانى الذى أنسانا ببلاغته ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجانى ومن ذكر معه السكاكى فقد أخطأ وما عرف وبرهن على أنه لم يدر التفاوت فى مراتب الشرف

ولعمري ان هذا التفسير لأحق التفاسير بالمطالعة وأولاهما بتكرار النظر فيه وكثرة المراجعة فجزى الله حضرة السيد أحسن الجزاء على ما أبداه ووفقه للمثابرة على خدمة الشرع الشريف وحفظه وأبقاه

حسن محمد المسعودى
المدرس بالقسم العالى للازهر

١١ صفر سنة ١٣٤٨ هـ
١٨ يوليه سنة ١٩٢٩ م

القاهرة فى يوم الخميس

- ٢ ﴿سورة المؤمن﴾
 ٧ تفسير قوله تعالى ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الأرض﴾
 ١٠ تفسير قوله تعالى ﴿ويقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لا كفر بالله وأشرك بهما ليس لي به علم﴾
 ١٣ تفسير قوله تعالى ﴿قل إني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البيئات من ربّي﴾
 ١٦ ﴿سورة السجدة﴾
 ٢٢ تفسير قوله تعالى ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس﴾
 ٢٦ — الجزء الخامس والعشرون —
 ٢٦ تفسير قوله تعالى ﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾
 ٢٨ ﴿سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى﴾
 ٣١ تفسير قوله تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾
 ٣٦ تفسير قوله تعالى ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾
 ٣٩ ﴿سورة الزخرف﴾
 ٤٤ تفسير قوله تعالى ﴿ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل﴾
 ٤٨ تفسير قوله تعالى ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم﴾
 ٥١ ﴿سورة الدخان﴾
 ٥٦ ﴿سورة الجاثية﴾
 ٥٩ تفسير قوله تعالى ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾
 ٦٢ — الجزء السادس والعشرون —
 ٦٢ ﴿سورة الأحقاف﴾
 ٦٧ تفسير قوله تعالى ﴿واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾
 ٧١ ﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال﴾
 ٧٤ تفسير قوله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾
 ٧٩ ﴿سورة الفتح﴾
 ٨٣ تفسير قوله تعالى ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾
 ٨٧ ﴿سورة الحجرات﴾
 ٩٣ ﴿سورة ق﴾
 ١٠٠ ﴿سورة الذاريات﴾

صحيحة

١٠٢ — الجزء السابع والعشرون —

- (سورة الطور) ١٠٥
 (سورة النجم) ١٠٩
 (سورة القمر) ١١٧
 (سورة الرحمن) ١٢٢
 (سورة الواقعة) ١٢٨
 (سورة الحديد) ١٢٥
 ١٣٨ تفسير قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل)

١٤٣ — الجزء الثامن والعشرون —

- (سورة المجادلة) ١٤٣
 (سورة الحشر) ١٤٩
 (سورة الممتحنة) ١٥٥
 (سورة الصف) ١٥٩
 (سورة الجمعة) ١٦٢
 (سورة المنافقون) ١٦٤
 (سورة التغابن) ١٦٧
 (سورة الطلاق) ١٧٠
 (سورة التحريم) ١٧٣

١٧٦ — الجزء التاسع والعشرون —

- (سورة الملك) ١٧٦
 (سورة الن) ١٨٣
 (سورة الحاقة) ١٨٨
 (سورة المعارج) ١٩٢
 (سورة نوح عليه السلام) ١٩٦
 (سورة الج) ١٩٩
 (سورة المزمل) ٢٠٤
 (سورة المدثر) ٢٠٧
 (سورة القيامة) ٢١٢
 (سورة الانسان) ٢١٥

صحيفة

٢١٩ (سورة والمرسلات)

— الجزء الثلاثون —

٢٢٢ (سورة النبا)

٢٢٩ (سورة والنازعات)

٢٣٦ (سورة عبس)

٢٤٠ (سورة التكوير)

٢٤٣ (سورة انفطرت)

٢٤٥ (سورة المطففين)

٢٤٩ (سورة الانشقاق)

٢٥١ (سورة البروج)

٢٥٣ (سورة الطارق)

٢٥٥ (سورة الاعلى)

٢٥٨ (سورة الغاشية)

٢٦٠ (سورة الفجر)

٢٦٤ (سورة البلد)

٢٦٥ (سورة والشمس)

٢٦٧ (سورة والليل)

٢٦٨ (سورة والضحى)

٢٧٠ (سورة ألم نشرح)

٢٧١ (سورة والتين)

٢٧٣ (سورة العلق)

٢٧٥ (سورة القدر)

٢٧٦ (سورة لم يكن)

٢٧٩ (سورة الزلزلة)

٢٨٠ (سورة والعاديات)

٢٨١ (سورة القارعة)

٢٨٢ (سورة التكاثر)

٢٨٣ (سورة والعصر)

٢٨٤ (سورة الهمزة)

٢٨٥ (سورة الفيل)

صحيفة

- (سورة قريش) ٢٨٦
 (سورة الماعون) ٢٨٦
 (سورة الكوثر) ٢٨٧
 (سورة الكافرون) ٢٨٨
 (سورة النصر) ٢٨٩
 (سورة تبت) ٢٩٠
 (سورة الاخلاص) ٢٩١
 (سورة الفلق) ٢٩٢
 (سورة الناس) ٢٩٤

(تم فهرس الجزء الخامس من تفسير العلامة أبي السعود)

٢٥٧
 ٢١٨
 ٢٠٠
 ٩٧٥

٢٥٧
 ٢١٨
 ٢٠٠
 ٩٧٥

